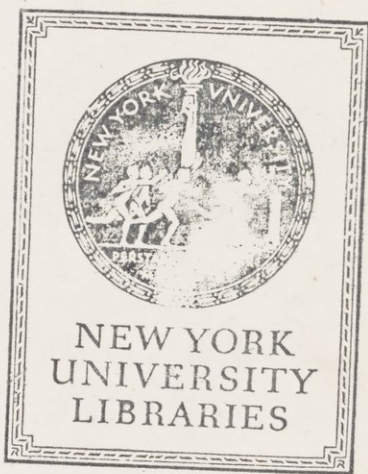


BOBST LIBRARY

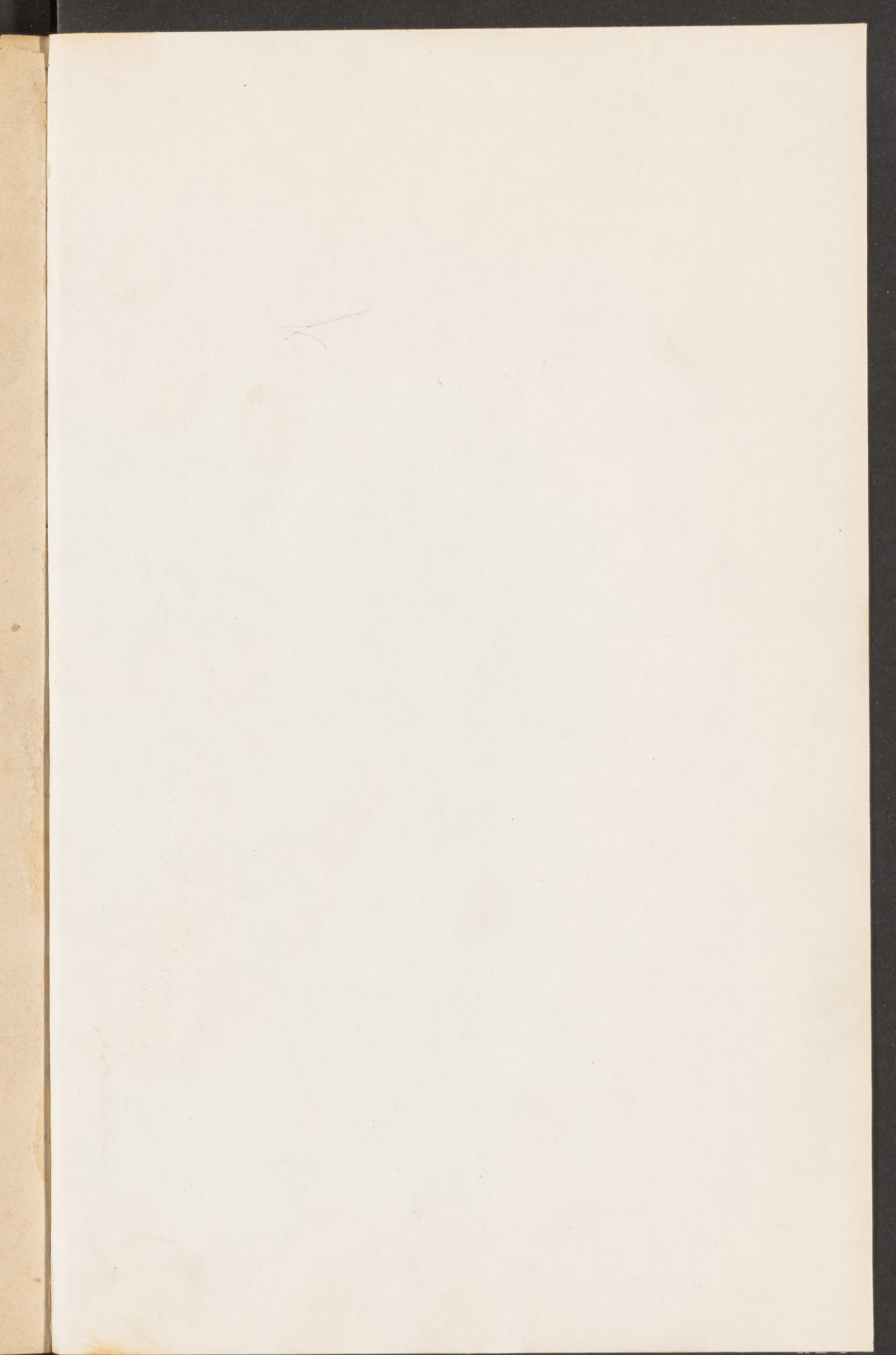


3 1142 02824 5226



GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY





al-Dibs, Yūsuf
Kitab tarikh suriyah

كِتَابُ

تاريخ سورية

لسيادة الحبر العلامة المفضل المطران يوسف الدبس

رئيس اساقفة بيروت الماروني

الجزء الأول

٧٠١

في تاريخ شعوب سورية القده

المجلد الاول

يحوى مقالة افتتاحية ومقالتين في الحسين والفونيقين



طبع في بيروت في المطبعة العمومية الكاثوليكية

سنة ١٨٩٢

Near East

DS

95

DS

V.1

C.1

رسالة في التفسير

في تفسير القرآن

والتفسير

في تفسير القرآن

في تفسير القرآن

في تفسير القرآن

٦٢٨١

ترجمة مقدمة هذا الكتاب

لقداسة امام الاحبار البابا لاون الثالث عشر المالك سعيداً

ايها الاب الاقدس

لم تكن لي حاجة الى اشغال فكري طويلاً لاهتدي الى من اقدم كتابي هذا له . فكل من جال الطرف فيه قضى بلزوم تقديمه لقداستكم لانكم فقط معلم المسكونة الذي اقامه المخلص نائباً له لتعليم العالم الحق وهدايته طريق الخلاص وخليفة القديس بطرس رئيس الرسل الذي امره وجميع خلفائه فادينا ان يثبت اخوته بالايان اي جميع المؤمنين في اصقاع الارض كلها وفي كل عصر بل ايضاً لان هذا الكتاب من ثمار ارشاداتكم وتحريضاتكم للاكليس والعلماء الكاثوليكين ان ينكبوا على مطالعة الاسفار المقدسة لان لهم بالتفتيش بها الحياة والقوة لمناسبة اعداء ايماننا الكاثوليكي المقدس الذين كثر عديدهم وتفاقت جسارتهم في هذا العصر وليس ما يفهمهم وبكبح جموح افكارهم مثل ما ان يروا صحة ما رواه موسى وسائر من كتبوا بوحي الله مثبتة باثار القبائل القديمة لاسيما ما كشف عنها او حلت رموزها في هذا العصر .

اتوسل الى قداستكم ان تسمح لي لالخص لها الغرض من هذا الكتاب وما حواه

لتحيط علماء بمجمله اذ لم تتشرف العربية بمعرفتكم لها

ان جلّ الغرض من كتابي هذا لاسيا في جزئه هذا الاول الذي تم بعون الله وفي جزئه الثاني المعقود العزم على تأليفه انما هو جعل الاكتشافات الحديثة معروفة لدى عامة الشعوب المتكلمين باللغة العربية لتفهم وتقوية ايمانهم بواسطة هذه البينات الحديثة المتسامية عن كل ردّ وهي انطاق الله الحجارة بصحة ما اوحاه لموسى وسائر من كتبوا الاسفار المقدسة

ولما لم يكن لنا بالعربية حتى الآن كتاب يشمل تاريخ وطننا سورية القديم والحديث ويستحق الاركان اليه اردت ان يكون كتابي على سبيل تاريخ تثبته تلك الآثار لاعتقادي ان هذا السبيل يغري المطالع غير الاكبركي ايضا بالمطالعة اكثر من ان يكون الكتاب دينيا او لاهوتيا فيعثر اثناء مطالعته تاريخا على بينات سديدة لا ترد تثبت له صحة رواية الاسفار المنزلة

ان قد استكم تعلم ان من اراد ان يكتب تاريخ سورية القديم انفسح له مجال الكلام ليتطرق الى كل ما يتحتم بكلامه من تاريخ مصر وبلاد الكلدان واشور طبق نسق الكتاب المقدس وهذه البلاد هي مواطن اكثر الاكتشافات الحديثة التي لم يكن لقومنا المتكلمين بالعربية الا علم شائع بها اذ لم يتصد احد قبل الآن ان يكتب فيها شيئا بالعربية اللهم الا فقرات قليلة في بعض الجرائد او شيئا يسيرا في غيرها مع ان موضوع اكثر ما كشف عنه اجدادنا او قدماء سكان بلادنا وقسم كبير منها وجد في ارضنا. وقد بذلت اللجان العلمية الاوروبية وعمداء بعض الدول مبالغ جسيمة من المال في هذا السبيل وغنم بهذه الكنوز سكان اوروبا على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم وكان ابناء اللغة العربية عن ذلك غافلين اغفالا يعدّ عارا وخسرانا فشتت ان ابذل كل ما يقدرني الله عليه لتفهم قومي ايضا بهذه الكنوز التي اوجدتها عناية الله في هذا العصر لشدة الحاجة اليها.

وقد كان لي ايها الاب الاقدس داع آخر لتأليف هذا الكتاب وهو انه ليس عندنا في اللغة العربية حتى الآن شيء من تفسير اسفار العهد القديم مطبوعا على ما اعلم

الأ تفسير المزامير وقد كتبت غنيت بطبع تفسير الأناجيل اخذته عن افضل المفسرين
ثم تفسير رسائل بولس والرسل جعلت احد كهنتي الحوري يوسف العلم يعتني بجمعه
ثم تفسير رؤيا يوحنا لأحد علمائنا في القرن الماضي ولم يشيأ لي اشهار شيء من تفسير
اسفار العهد القديم فمشيت الآن على كل القسم التاريخي في الكتاب المقدس من سفر
التكوين الى سفري المكابيين في تاريخ العبرانيين وتطرقت الى كل ما يلتمح بكلامي
من آيات الكتاب غير الاخبارية وتعمدت بيان كل غموض وحل كل اشكال فكان لنا
بذلك تفسير لجزء كبير من الاسفار المقدسة وعلى المنوال الحديث بعض الاكتشافات .
اما ما تضمنه هذا الجزء الاول الذي نجز طبع المجلد الاول منه والمجلد الثاني مأخوذ
بطبعه وسوف اقدمه لجانب سدتكم الرسولية في وقت آخر فهو اربع مقالات اولها مقالة
افتتاحية ضمنها ذكر تخوم سورية وجبالها وانهرها وبحيراتها واشهر مدنها القديمة ثم
الكلام في خلق العالم والابوين الاولين ثم ذكر شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر
ومخالفة ابونا ثم ذكر الاباء قبل الطوفان والتطابق بعددهم العشري بين كلام الكتاب
وآثار القبائل القديمة لاسيا الكلدان . ثم ذكر فوح والطوفان ومباحثه . ثم ذكر برج بابل
وببلبة اللغة . ثم ذكر اللغات واصليها العامين وفروعهما وتفرق القبائل بحسب الانساب
التي ذكرها موسى وايتت في كل من هذه المواد على ما يثبتها علمياً ايضاً من آثار
القبائل القديمة ومن الصفائح الكلدانية والمصرية والفارسية وسائر ما اكتشف وتوصلت
معرفتي اليه من آثار قدماء الشعوب وبالجملة تضمنت هذه المقالة كل ما جاء في الفصول
العشرة الاولى من سفر التكوين واختتمت بذكر سكان سورية قبل الطوفان وبعده .
وتلي هذه المقالة مقالة ثانية في تاريخ الحسين الحديث النشأة مشيت فيها اولاً
على جميع الآيات المقدسة التي جاء فيها ذكرهم مبيناً ما تنور بالاكتشافات من هذه
الآيات الغامضة ثم تتبع تاريخهم عن الآثار المصرية ثم عن الآثار الاشورية ثم عن
آثارهم هم انفسهم والحقت ذلك بذكر جالياتهم وارتحالهم من سورية الشمالية الى
اسيا الصغرى بلاد اليونان وغيرها ثم بذكر الملوك الرعاة في مصر الذين يرجح ان اصلهم

منهم وما اكتشف من آثارهم معاونا على فهم آيات الكتاب الملاحظة استيزار يوسف في مصر وحصول المجاعة وتعيين مدة سني عبودية بني اسرائيل فيها .
 واتبعت هذه المقالة بمقالة ثالثة في الفونيقيين ذكرت فيها تاريخ اصلهم وجالاتهم وما كان لهم من العلاقات مع المصريين والكلدان والاشوريين والفرس ومع ملوك يهوذا واسرائيل واتفاقهم مع داود وسليمان ثم تجارتهم التي انبسطت في الآفاق مع حروف كتابتهم وصناعتهم ومعبوداتهم وهياكلهم ومدافنهم وما جاء في نبوات الانبياء عنهم .

ولما كانت المقالة الثانية في سكان شمالي سورية وهم الحثيون والثالثة في سكان وسطها وهم الفونيقيون تحتم ان تكون الرابعة في سكان جنوبها اي فلسطين وهم العبرانيون وفي تاريخ هؤلاء قد مشيت على كل القسم التاريخي من اسفار العهد القديم من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين الي سفري المكابيين مبتدئا من تاريخ ابراهيم ومنتها ببداية ملك اسكندر الكبير الذي به نهاية هذا الجزء وقد اوردت في هذه المقالة كل ما ثبت علميا صحة رواية من كتبوا بوحي الله من الآثار المصرية والبابلية والاشورية والفارسية وغيرها وتطرقت الى كل ما يلتمح بكلامي من نبوات الانبياء وآيات الكتاب المقدس غير الاخبارية متعمدا ما سبقت الاشارة اليه من الاعتراض بقدر الامكان عن تفسير لاسفار العهد القديم

وقد اعتمدت في ذكر هذه الآثار على علماء فضلاء مثل الاب فيكورو احد كهنة سان سوليس والاب قيصر دي كارا اليسوعي وفرنسيس لازمان في طبعة كتابه الاخيرة وغير هؤلاء من العلماء الثقة المتكلمين في الآثار المصرية والاشورية . وفي عزمي ان الحق هذا الجزء بجزء ثانٍ يشمل تاريخ سورية في عهد خلفاء اسكندر والملوك الرومانيين الى ظهور الاسلام فيدخل في طي هذا الجزء كل ما كان تاريخيا في سفري المكابيين واسفار العهد القديم كلها على الاسلوب الذي اتبعته في هذا الجزء فيكون تاريخي كناسيا علميا . واردف ذلك بجزء ثالث يتضمن تاريخ سورية منذ ظهور

الاسلام الى استيلاء سلاطيننا العثمانيين عليها في مبادي القرن السادس عشر ثم الجزء
الرابع في تاريخها في مدة سلاطيننا العثمانيين العظام الى اليوم
فهذه ايها الاب الاقدس خلاصة الغرض من كتابي وما حواه بالاجمال فتنازل
الى قبول مقدمة ابن حقير يفتخر بطاعته دون تردد لكرسيكم الرسولي وبتعبه الواجبة
في كرم الرب فانه قد اصرف بنعمة الله ما مر من عمره مشتغلاً كما قدره الله بما فيه
مجده وخلاص النفوس ورفع شأن امنا الكنيسة الرومانية الجامعة المقدسة وفي عزمه
ان يصرف ما بقي له من الحياة الى المات متفانياً بهذا السبيل مستعداً لا ان يسكب
اعراقاً فقط بل ان يسفك دمه ايضاً اذا اقتضى حياً بايماننا المقدس وبرئيسه نائب
المسيح وخليفة بطرس رئيس الرسل



...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...

مكتبة

مقدمة الكتاب

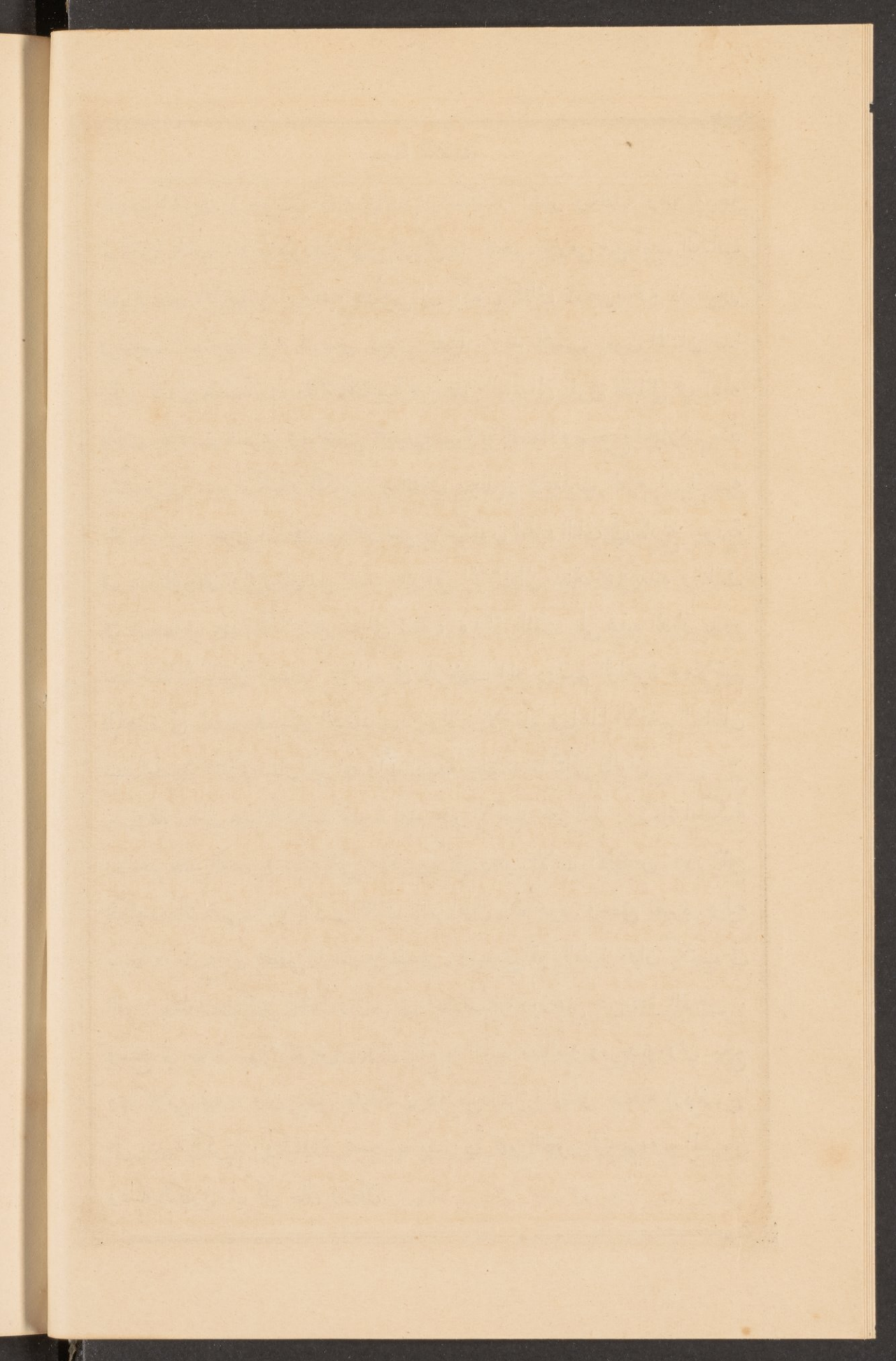
حمداً لمن جعل آثار من سلف . عبرة وحجة لمن خلف . سواء اتفق بعضهم مع البعض ام اختلف . اذ برأ الكائنات من العدم . وكوّن آدم من تراب وحوّاء من ضلعه فكانت منهما الامم . وغالبت احداها اخرها على متاع الدنيا وسؤددها . وعلى متجع الارض ومصدرها وموردها . وألف غيرهم الجار وصافاه . فشقي وسعد كل بما اصطفاه . لانه تباركت اسماؤه رفع من احسن المسعى بمن فضله . وخفض من سآه بمن عدله . وألهم ايداع الآثار والصحف ما كان للاولين . ليكون تبصرةً وذكرى للآخرين . فسبحانه من اله قسط حكيم رحيم

اما بعد فيقول المفتقر الى عفو ربه . المطران يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت الماروني اذا كان علم التاريخ على اجماله من اجل العلوم واكثرها عائدة . واكبرها فائدة . ومن وعاه في صدره . اضاف اعماراً الى عمره . فعلم المرء بتاريخ سلفه ووطنه انفع واولى على ان المؤلفات الشاملة بتاريخ بلادنا نادرة لاتصل اليها ايدي العامة وما تداولته منها ايدي الخاصة ألف في سالف الدهور فلم يدرك عصر التحقيق والتنقيب ولم يستطع من افضلوا بكتبه ان يستطلعوا ما كشفت عنه الاكتشافات الحديثة ولم يغموا ما غنم اهل العلم في هذا العصر بكنوز رموز الخطوط المير وكيفية . وحل معميات العلامات المسماوية . ولذلك اصبح فقهاء ووطننا حتى من عدّ فيهم عالماً يفقهون تاريخ الامم النائية . والبلاد القاصية . وينضون على تاريخ بلادهم . وعلم أحداث اجدادهم . وقد تعددت اللجان العلمية الاوربية وعمدّ الدول فاكثروا من الاحتفار في ارضنا والتنقيب عن آثار قدمائنا باذنين الوف الالوف من الدراهم والدنانير في هذا السبيل الاثيل

فثروا بالكشف عن كشيرها واكتنروا كبنوز معارف جلّ عوارفها بيان تاريخ اجدادنا
وما جرى في بلادنا . ونحن عن ذلك غافلون كأنه في ديار لم يكنها احد منا .
فاعتمنا في ما علموا . ولم نعتم بما غنموا . فبئس المسير والمصير . ولما كنت
قد وقفت كل ما وهبه الله لي من قوة ومعرفة على نفع مواطني وابناء جلدتي
لم اتوقف عن ان تقحمت مشاقّ هذا التأليف العذبة . ولو تكلفت لها عرق
القربة . واستأثيت من الكتب والمجلات العلمية ما دار نفعه في خلدي . ولم
يظاهرنى فيه الا جلدي وكدي . وعلى ما عليّ من المهام الشاقة وما ترقب بعنقي
من الفروض الحقة وما تنازعت به حاجاتي اوقاتي شددت له عن عمد عين مؤزري
واتخذت الثبات مؤازري . وشمرت عن ساق عزيمة . وان كيلة . وساعدت همة . وان
عليه . واكلاً بعون من يقوي الضعيف . وينير الخسيف والكفيف . فكنت
استرق الساعات واسارق النظر اليه . واقترص الفرص بالانكباب عليه . هذا
وقد كان داعٍ آخر الى هذا التصنيف الا وهو ان اسفار العهد القديم المنزلة لم
يكن لها الى اليوم في العربية من تفسير يوضح ابهام بعض آياتها ويحل ما اشكل منها مع
ان ذلك مما هو للدين والعلم ضربة لازب . وقد كنت عنيت باذاعة تفسير
الاناجيل وغيرها من اسفار العهد الجديد ولم تهباً لي ان اردفه بشيء من تفسير
اسفار العهد القديم فضمنت هذا الجزء من كتابي ما يزيل الاشكال ويجلو
الابهام عن كل ما جاء من القسم الاخباري في هذه الاسفار من سفر التكوين
الى سفري المكابيين على احسن منوال نسج عليه بعد الاكتشافات الحديثة وقد
تمهد بها كثير من العقبات وانحلّ كثير من المعضلات فترى في مقالي الافتتاحية
تفسيراً جلياً لكل ما جاء في الفصول العشرة الاولى من سفر التكوين وهي
تنطوي على اعضل المشكلات ثم ترى في مقالي في العبرانيين اني مشيت على كل
ما كان اخبارياً في هذه الاسفار من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين الى

سفري المكابيين (حيث الكلام في اخبار اسكندر الكبير وخلفائه وهو مرجأ الى الجزء الثاني) واستطردت الى بيان كل ما التحم بكلامي من آيات الكتاب النبوية وغير الاخبارية . وعليه فارتجى ان يكون كتابي للمجتهد فيه ذا نفعين ويصيب المستجهد فيه غرضين دينياً وعلمياً . وقد اتممت بعون المنان هذا الجزء الاول مضمناً اياه مقالة افتتاحية من خلق العالم الى تفرق القبائل في آفاهه وثلاث مقالات اخرى في اخص شعوب سورية القديما وصحيح اخبارهم منذ نشأتهم الى عهد اسكندر الكبير وجعلته في مجلدين وعقدت العزم ان اتبعه بثلاثة اجزاء اخرى ان أقدرني الله اعني ان سيكون الجزء الثاني في تاريخ سورية في عهد اليونان والرومان من سنة ٣٣٠ قبل الميلاد الى سنة ٦٣٠ بعده والثالث في تاريخها في عهد الخلفاء وغيرهم الى سنة ١٥١٥ اذ طلعت على هذه الديار بدور سلاطيننا العثمانيين العظام . والرابع في تاريخها ايام دولتهم الزاهرة وولايتهم الباهرة الى العهد الحميدي السعيد عهد مولانا الاعظم وعاهلنا الافخم السلطان عبد الحميد الغازي خان آيد الله وابد اريكة سلطنته ما تتالى الملوان

وقد رفعت هذا الكتاب مقدمة لمقام حبر الاحبار ببحر العلم ومشكاة الحكمة وواحد هذا العصر وحليته التي يفاخر بها كل دهر . الاب الاقدس . ودر تاج الكنيسة الانفس . البابا لاون الثالث عشر اطال الله عمره . وحقق نصره . واليه سبحانه اضرع ان ينطقني بالحق والصدق . ويهديني اقوم الطرق . وان يكتب لي الفوز بآتمامه . وينكبني الخطأ والزلل في احكامه . وينزهني عن سؤ الغرض . ويتيح لي اصابة سؤ الغرض . وان ينفع به الباب مطالعيه ومريديه . وان يجمع فيها كلامي فيه . وان يتقبل ما عانيت فيه من الغناء والمشاق ضحية اذلف بها الى وجهه الكريم . وكفارة يحجو بها مساويي فهو الغفور الرحيم . وبه المستعان وعليه التكلان . في كل حال وزمان



مقالة افتتاحية

قد ضمنا هذه المقالة مباحث لا بد من العلم بها لان بعضها ملازم الغرض وهو تاريخ سورية او هو جزء منه وبعضها يمهّد السبيل الى ادراكه او ينزل منه منزلة الاساس من البناء. وعليه فتشتمل هذه المقالة اولاً على لمعة جغرافية في سورية . ثانياً على كلام في الخطوط المصرية المعروفة بالهيروكليفية (اي الكتابة المقدسة) ثم في الخطوط الاشورية المعروفة بالمسمارية . وفي من اهتدى الى مغزى هذه الرموز وفتح هذه الكنوز لاعتمادنا عليها في تاريخ سورية القديمة كلما تسر لنا ان نستعين بها على اثبات الحقائق التاريخية . ثالثاً في خلق العالم وآدم وحواء وموقع الفردوس الارضي . رابعاً في الاباء الاولين الى نوح . خامساً في الطوفان . سادساً في ابناء نوح اصول سكان العالم في الدور الثاني . سابعاً في تفرق قبائل هؤلاء في المعمور . ثامناً في اخذهم في تشييد الصرح العظيم في بابل وبلبله السنتم وال لغة الاولى واصول اللغات المعروفة الان . تاسعاً على لمعة في الكتابة وكيف كانت اولاً ومن اوجد الكتابة بالحروف ثم نتخطى الى الكلام في شعوب سورية الاولين ثم نتبع هذه المقالة بثلاث مقالات اخرى نتكلم فيها على اشهر قبائل سورية القديمة ونذكر سائرهم ضمناً موصلين تاريخنا في هذا المجلد الى ايام اسكندر الكبير علي ان بعض هذه المباحث وان كان لا يجي تَوْاصِيّاً الغرض في تاريخ سورية فليس من نكبر انه ملازم له وملتحم به التحام الفرع بالاصل

وانه اقوم السبل الى كتب تاريخ كامل راسخ في الصحة . ولا يخفى ما يتوفر
بذكر هذه المباحث من الفوائد الدينية والادبية والعلمية وما تتكفل به هذه
المقالة من المماثلة على كشف غوامض الفصول الاولى من التوراة وقد جزأنا
هذه المقالة وما يليها الى فصولٍ والفصول الى اعدادٍ رغبةً في زيادة التفصيل
وتيسيراً لوجدان المعاني المطلوبة

الفصل الاول

﴿ لُمة في جغرافية سورية واسمها ﴾

من احسن ما جرى عليه المؤرخون وانفعه انهم اذا شأوا كتب تاريخ
بلاد قدموا عليه كلاماً موجزاً في تخومها وجبالها وسهولها وابحرها وبحيراتها
وانهرها واشهر مدنها توسلاً لادراك تاريخها حق ادراكه وكلفاً بزيادة رسوخه
وكذا رأى الجغرافيون ان يشفعوا كلامهم بشيء من تاريخ البلاد التي يتصدون
لكتب جغرافيتها فالتاريخ والجغرافية علمان متقاربان متعاونان فجزياً على عادتهم
وتيقناً بنفع ماخذهم تقول :

﴿ عدد ١ ﴾

﴿ في تخوم سورية ﴾

بسطة تخوم سورية تارة وضائق اخرى بحسب تقلب الايام
والدول فيها فكانت تشمل احياناً ما بين النهرين وارمينيا وبعض اسيا
الصغرى وبعض بلاد العرب وتضييق احياناً عن هذه التخوم . والذي نعلم
الان الكلام فيه يحده شمالاً اسيا الصغرى من خليج اسكندرونه الى نهر
الفرات وشرقاً نهر الفرات والبادية الى بلاد العرب وجنوباً قسم من العريسة

يسمى تيه بني اسرائيل الى تخوم مصر وغرباً البحر المتوسط المسمى بحر الروم ايضاً وطولها المتوسط على هذه التخوم من الشمال الى الجنوب نحو سبعمائة كيلومتر وعرضها المتوسط من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلومتراً (١) وكان القدماء يقسمونها الى سورية بحصر اللفظ ويريدون بذلك قسمها الشمالي وبعض الشرقي والى فينيقي وهي على الاصح من ارواد الى جبل الكرمل مع بعض لبنان والى فلسطين وهي ما يلي فينيقي الى الجنوب والى نهر الاردن وكانوا يقسمون سورية ايضاً الى كوماجان وهي ما فيها حلب الى نهر الفرات والى سورية المجوفة ويريدون بها السهول الواقعة بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي المسمى انتيابان (اي المقابل للبنان) ويعبرون احياناً عنها باسم سورية الاولى الى الشمال وهي ما فيها انطاكية وسورية الثانية وهي ما فيها حماه وسورية الثالثة وهي ما فيها دمشق وجبل لبنان وهذه البلاد تشمل الان القسم الاكبر من ولاية حلب ثم ولايتي دمشق او سورية وبيروت ومتصرفيتي لبنان والقدس الشريف

﴿ عد ٢ ﴾

— في جبال سورية —

اشهر جبال سورية في الشمال جبل اللكام وقد سماه اليونان آمانوس ويتندي من اخر جبل طورس في اسيا الصغرى ويتهى على الصحيح في الشمال من مصب نهر العاصي على مقربة من السويدية ويتندي في جنوب مصب نهر العاصي جبل شامخ يسمى الجبل الاقرع وهو كاسيوس عند القدماء . ويمتد منه الى الجنوب سلسلة تنتهي على مقربة من دير الحميرا وهذه السلسلة هي

المعروفة بجبال النصيرية . ثم بتدي سلسلة جبل لبنان ممتدة الى الجنوب الغربي الى ان تنتهي في وادي الليطاني عند قلعة الشقيف . وتبدي سلسلة اخرى تمتد جنوباً الى نواحي صنف والناصره وتنحرف شرقاً الى نابلس وبين هذه الجبال وجبل الكرمل مرج ابن عامر ويتدي جبل الكرمل عند حيفا ويمتد الى الجنوب الشرقي فيتصل بجبل نابلس ويمتد الى الجنوب حتى جبل الثرارة الى جنوبي بحيرة لوط ومن هذه السلسلة جبال اليهودية . وفي مرج ابن عامر جبل منفرد يسمى جبل الطور . واما لبنان الشرقي فيتدي من الشمال على مرحلة من حمص ويمتد الى الجنوب الغربي وبينه وبين لبنان الغربي سهول بعلبك وبقاع العزيز واعلى رؤوس الشرقي جبل الشيخ فوق حاصبيا ويسمي القدماء هذا الجبل حرمون وتمتد منه شعبة الى الجنوب الشرقي ثم الى الجنوب الصريح وتنتهي في محل يسمى تل الفرس . وبين هذه الشعبة المسماة جبل حيش وبين جبل الشيخ وادي التيم الاسفل . وفي جنوب هذه الشعبة في شرقي الاردن جبل عجلون وفي جنوبه جبل الصلت الذي يسميه الكتاب جبل جلعاد . وفي جنوبي الصلت جبل البلقاء وفي جنوبي هذا جبال موآب نحو الشرق من بحيرة لوط . وعند الطرف الجنوبي من هذه البحيرة سلسلتا جبال بينهما الغور الذي يودي السفر به جنوباً الى ايلة على خليج عقبة الممتد من البحر الاحمر (١) والحاصل ان في سورية سلسلاتي جبال احدهما ساحلية تمتد من الشمال الى الجنوب الغربي على قرب متباين من البحر فتنتهي في اخر اليهودية . والثانية داخلية تمتد من نواحي حمص شمالاً الى اخر سورية جنوباً وبين السلسلتين وحولهما السهول الخصبة الفسيحة . ويضاف الى هذه الجبال جبل حوران وجبل العلاف في الجنوب الشرقي

من حماه وجبل نبو في الشرق من بحيرة لوط

﴿ ٣٤ ﴾

— في انهر سورية —

اما الانهر في سورية فاشهرها العاصي والاردن . فالاول مصدره ينبوع اللبوة والينبوع الذي سماه ابو الفدا مغارة الراهب وينابيع اخرى الى الشمال من بعلبك ويجري الى الشمال ماراً بجانب حمص وفي حماه حتى يقرب من انطاكية فيتحرف نحو الجنوب الغربي ويمر بين جبل الاسكام والجبل الاقرع فيصب في بحر الروم عند السويدية . واما الثاني وهو الاردن فوُلف من عدة ينابيع منها ينبوع حاصيا ومياه باناس وتل القاضي وكما تصب في بحيرة الحولة وتجري منها الى بحيرة طبرية وتخرج الامواه منها فتجري الى الجنوب الغربي بتعاريح كثيرة فتصب في بحيرة لوط المسماة البحر الميت ايضاً وتجتمع هناك امواه انهر اخرى من الشرق والغرب اعظمها اليرموك والزرقاء والنهر المعجب فتموت هذه الامواه هناك اي لا يظهر لها مخرج فوق الارض وغاية الامر ان في سورية نهرين كبيرين مخرجهما في وسطها يجري احدهما من الجنوب الى الشمال فيصب في قرب تخمها الشمالي وهو العاصي . ويجري الثاني من الشمال الى الجنوب ويصب في قرب تخمها الجنوبي وهو الاردن . ولا يبعد مخرج احدهما عن مخرج الاخر الا مرحلتين او ثلاثاً

واما سائر الانهر فهي نهر حلب منبعه قرب عينتاب ويجري الى الجنوب فيمر في حلب ويسمى نهر قويق ويصب في اجمة في جنوبي حلب ثم نهر عفرين ونهر يغرا والنهر الاسود منابعها في شرقي جبل الاسكام ومصبتها في بحيرة انطاكية ونهر القنديل ويصب في البحر المتوسط بين السويدية شمالاً واللاذقية

جنوباً . والنهر الكبير مخرجه في جبال النصيرية ويجري الى الجنوب الغربي
ويصب في البحر المتوسط في جنوب اللاذقية وفي جنوبيه نهر الصنوبر ثم
نهر المضيق ثم نهر الروس ثم نهر المسكين ثم نهر برغل ثم نهر الملك ثم نهر
السن او الابتر ثم نهر مرقية ثم نهر حسين ثم نهر عمريت ثم نهر الابرش ثم النهر
الكبير الذي يسميه القدماء التواروس وهو غير الاول ومخارج كل هذه الانهر
او الجداول في جبال النصيرية ومصبتها في البحر المتوسط وليها جنوباً نهر
عكار ثم نهر عرقا ثم النهر البارد . واما الانهر الجارية في لبنان فهي نهر ابي
علي وتجتمع فيه امواه نهر رشعين ومنبعها من سفح جبل الضنية في قرب زغرتا
وما ينبوع جوعيت بين اهدن وجبال الضنية وما ينبوع مار سر كيس على جانب
اهدن وما ينبوع قديشا مخرجه بين بشري وارز لبنان الشهير فتمر هذه الامواه
في اطرابلس وتصب الى الشمال من ميناها . ثم نهر الجوز ومخرجه على مقربة
من كفر حلدا ويصب في شمالي البترون ثم نهر ابرهيم وهو نهر ادونيس عند القدماء
ومصدره مغارة افقا وتضاف اليه مياه ينبوع اخر في جانب العاقورة يعرف بنبوع
الجوزات ويصب في الجنوب من جليل ثم نهر الكلب وهو ليكوس في كتب القدماء
منبعه مغارة جمعيتا وتجمع اليه في مدة الشتاء امواه عدة ينابيع في الجبل ويصب بين
جونية وضبية . ثم نهر بيروت الذي يسميه بلينيوس ماغوراس (وهذا الاسم وصف
للالة بعل) ومصدره ينبوع الداشونية وتجمع اليه لاسيما في فصل الشتاء امواه من
جهة ترشيش وكفر سلوان ومن جهة حمانا وفالوغا ويصب في جانب بيروت
الشمالي . ثم نهر الدامور وسماه بوليب داموراس واسترابون تيمراس وهو مجتمع
امواه من الغابون ثم من ينبوع الصفا بالقرب من عين زحلتا ومن ينبوع القاع
ومن وادي عيندارا ويصب في الجنوب من معلقة الدامور . ثم نهر الاولى وسماه
القدماء بوسترانوس ومخرجه من ينبوع الباروك ويجري الى الجنوب الغربي ثم

يرتد نحو الغرب ويصب في شمالي صيدا ويسقي بساكنها ويليه جنوباً نهر
الزهراني ثم نهر الحيصراني ثم نهر ابي الاسود ثم النهر الليطاني ومخرجه في
قضاء بعلبك ويجري في سهل البقاع ويمر تحت قلعة الشقيف ويصب في البحر
في شمالي صور ويسمى هناك نهر القاسمية . ثم نهر النعمان وهو يلبس عند
القدماء وكان مشهوراً عندهم بصلوح رماله لاصطناع الزجاج ومخرجه من تل
الكرداني ومصبه في جنوبي عكا ثم النهر المقطع الذي سماه القدماء
والكتاب (ملوك ٣ فصل ١٨ عد ٤ بمعرض قتل ايليا انبيا بعل) قيشون
ومخرجه في الشرق من مرج ابن عامر ويجري الى الشمال الغربي ويصب في
قرب حيفا ويليه جنوباً نهر الدخلة ونهر المفجر ونهر الفلايك ثم النهر الاعوج
ومخرجه في محل قريب من لد وتصب هذه الانهر في الشمال من يافا وفي
جنوبها نهر روبين ثم نهر صقير شمالي عسقلان

وبقي نهر بردى ومخرجه قريب من الزبداني ويجري الى الجنوب الشرقي
وتضاف اليه مياه عين فيجة ويتشعب في غوطة دمشق ودورها وشوارعها
ويصب في بحيرة المرج الى الشرق من دمشق ثم النهر الاعوج غير المذكور
آنفاً ومخرجه من سفح جبل الشيخ الشرقي ويجري الى الجنوب الشرقي ويصب
في بحيرة هيجانة الاتي ذكرها خلافاً لما جاء في كلام بعضهم من انه يصب في
بحيرة المرج

﴿ عد ٤ ﴾

— في بحيرات سورية —

اما بحيرات سورية فمنها بحيرة انطاكية يجتمع فيها ماء النهر الاسود ونهر
يفرا ونهر عفرين المار ذكرها ويخرج منها نهر يتصل بالعاصي قرب الجسر المسمى

جسر الحديد . وبحيرة افاميا في الشمال الغربي من حماه يجتمع ماؤها من عدة اجام وبحيرات وذكرها ابو الفدا . وبحيرة حمص في الجنوب الغربي منها وهي مصطنعة من امواه العاصي بسد عليه وتسمى بحيرة قادس لان قادس القديمة كانت هناك وسترى ذكرها مرات في تاريخ الحثيين . ثم البحيرات المتكونة من امواه الاردن وهي بحيرة الحولة وبحيرة طبرية وهي المسماة في الانجيل بحر الجليل وبحيرة جاناشر ثم بحيرة لوط التي تسمى البحر الميت والبحيرة المنتنة وسطحها اوطأ من سطح البحر المتوسط نحو الف وثلاثماية قدم . ثم بحيرة المرج في الشرق الجنوبي من دمشق وتسمى البحيرة الشرقية وتصب فيها فضلة نهر بردى وغيره ونحو الجنوب منها ثلث بحيرات تسمى الاولى منها بحيرة هيجانة وفيها مصب لنهر الاعوج كما مر وتسمى الثانية بحيرة بلع والثالثة مضخة برك

﴿ عد ٥ ﴾

— في مدن سورية —

من اشهر المدن التي نكتب تاريخها الان كركيش المعروفة الان بايرابولس على الجانب الغربي من الفرات وقد تولاها الحثيون من اقدم الايام . ويلها حلب وتسمى في الاثار القديمة كالب وحلبون ويظهر انها من بنايات الحثيين ايضاً لوجود كثير من اثارهم فيها ويلها نحو الجنوب على مسافة اربع مراحل حماه استتها قبيلة الحمثي من ولد كنعان ويلها في الجنوب على بعد مرحلة حمص ويظهر انها احدث من حماه او لم تكن ذات شهرة قديمة لسبق قادس اليها وموقع هذه في الجنوب من حمص بجانب بحيرتها والاظهر ان سكان قادس الاولين اراميون ثم تغلب عليها الحثيون كما سترى في تاريخهم وفي الجنوب الغربي من حمص على مسافة مرحلتين بعلبك ويظهر انها كانت مدينة كهنوتية لعظمة

الهيكل الباقية اثاره فيها . وضخامة الصخور المبني بها سفله مؤذنة بانه من بنايات الفينيقيين او شاركهم به الاراميون السكان الاولون لهذه الانحاء على ما يظهر . ويلى بعلبك جنوباً على بعد مرحلة دمشق والاطهر انها من بنايات الارامين ولد ارام بن سام حتى يقال ان تسميتها والبلاد التابعة لها شاماً نسبة الى سام بن نوح وقال ابو الفدا سميت شاماً لان قوماً من بني كنعان تشاموا اي تياسروا اليها لانها عن يسار الكعبة وقال اخرون سميت كذلك لبقع فيها بيض وحمر وسود تشبيهاً لها بالشامات . واما تدمر فهي نحو الشرق من حمص على بعد تسعين ميلاً وينسب بناؤها الى سليمان ولعل المراد انه زاد فيه وبني فيها صرحاً او حصناً .

واما المدن الساحلية فمنها انتراوداي طرسوس الحالية وجزيرة ارواد المقابلة لها والظاهر ان سكانها الاولين الاراديون ولد ارواد من بني كنعان ويليها جنوباً بعمرت الشهيرة باطلالها ويليها جنوباً على بعد مرحلة عرقا في الجبل مسكن العرقى من ولد كنعان ونحو الجنوب الغربي من عرقا على مسافة بضع ساعات اطرابلس وهي احدث مما تقدمها من المدن اذ يقال ان بناها نزالة من ارواد وصيدا وصور في ثلثة احياء ولذا سماها اليونان تريبولي اي المدن الثلث . وفي جنوبها على بعد ست ساعات البثرون وينسب بناؤها الى ايتو بعل ملك صور او كاهنها في زمان اخاب ملك اسرائيل . ويليها جنوباً على بعد ثلث ساعات جيبيل ويظهر ان سكانها الاولين اراميون تغلب عليهم الفينيقيون . ويليها جنوباً على بعد سبع ساعات بيروت ويظهر انها كانت اولاً مستعمرة ارامية ولكن تغلب عليها الفينيقيون من اقدم الايام ويليها في الجنوب على مسافة مرحلة صيدا وهي مسكن قبيلة صيدون بكر كنعان ويليها جنوباً على بعد نحو ست ساعات صور وهي في الاصل مستعمرة صيدونية ويليها جنوباً على مسافة مرحلة عكا واقدم سكانها كنعانيون ويليها نحو

الجنوب الشرقي في الجبل على بعد نحو ست ساعات مجدّو والارجح انها
 للمجون الان على طرف مرج ابن عامر وكانت محطة الحروب بين المصريين
 وسكان سورية وفي جنوبها على بعد نحو خمس ساعات السامرة وهي سدسطية
 الان بناها عمري ملك اسرائيل (ملوك ٣ فصل ١٦ عد ٢٤) وفي جنوبها
 على بعد نحو عشر ساعات يابوس وهي اورشليم بناها اليابوسيون والاموريون
 من ولد كنعان . وفي الجنوب الغربي منها على بعد رحلة حبرون وهي المعروفة الان
 بالخليل وكانت تسمى في اقدم الايام قرية اربع نسبة الى رجل اسمه اربع هو
 جد بني عناق فاخذها منهم الحثيون . ويلها غرباً على مسافة يوم غزة من
 مدن الفلسطينيين ولكنها كانت قبلهم وقد ورد ذكرها في الاثار المصرية قبل
 ايامهم . وكان من مدن الفلسطينيين ايضاً عسقلان في شمالي غزة على ساحل البحر
 ويلها شمالاً ايضاً اسدود

وبقي المدن التي في شرقي الاردن وبحيرة لوط فمن اشهرها راموت
 جلعاد وهي الصلت الان . وفي جنوبها الشرقي ربة عمون وهي عمان الان
 وفي جنوبها الغربي حشبون وهي حسان الان في شرقي جبل نبو وفي جنوبها
 عراير وهي عراير الان وفي جنوبها رابة مواب وهي ربة الان وفي جنوبها
 كير مواب وهي الكرك الان . واول سكان هذه المدن الاخيرة الايميون
 والزمزيون من الجابرة ثم صارت موطناً للعمونيين والموابيين وكان يتولاها
 في عصر موسى سيحون ملك الاموريين وعوج ملك باسان فافتتحها موسى
 لبني اسرائيل (تثنية الاشتراع فصل ٢ و ٣) وسترى في مساق هذا التاريخ
 ذكر هذه المدن كلها وغيرها وان شئت استقرأ كل ما كان في كل منها ارشدك
 اليه الفهرست المعلق في اخر هذا الكتاب مشفوعاً بخريطة سورية

﴿ في اسم سورية ﴾

سمى الكتاب المقدس في العهد القديم سورية ارام نسبة الى ارام الخامس من ابناء سام بن نوح لان كثيراً من سكانها الاقدمين من اعقابه على ان الكتاب اضاف اسم ارام الى اعمال عديدة فقال ارام النهرين ويراد بها ما بين النهرين دجلة والفرات . و ارام دمشق ويراد بها مملكة دمشق . و ارام صوبا ويراد بها على الراجح سورية المجوفة اي ما بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي . او هي مملكة كانت بين دمشق جنوباً وحماه شمالاً . و ارام معكة ويظهر ان المراد بها مملكة كانت في موقع حاصبيا ومرجعيون وبانياس و ارام رحوب ويظهر انها كانت في محل الجولان الان . و اول من سمي هذه البلاد سورية اليونان مع ان اميروس شاعرهم سمي سكانها اراميين . على ان هيرودت (الذي ولد سنة ٤٨٤ ق م) هو على ما نعلم اول من سمي هذه البلاد سورية وتابعه في ذلك سائر اليونان والرومانيون ولكن ما الذي حملهم على هذه التسمية فقيه للعلماء القدماء اقوال اقربها الى الصحة قولان : الاول انها سميت سورية نسبة الى صور مدينتها البحرية الشهيرة وقد عرف اليونان اهلها لكثرة ترددهم الى بلادهم للتجارة فسموهم سوريين وبلادهم سورية بابدال الصاد بالسين لعدم وجود الصاد في اللغة اليونانية . وكلمة صر بالفينيقية معناها الصخر او السور ويرى هذا الاسم منقوشاً على المسكوكات القديمة التي وجدت في هذه المدينة . والثاني ان اليونان سموها هذه البلاد سورية نسبة الى اسور او اسيريا بلاد الاشوريين لان الاشوريين كانوا يتولون اعمال سورية عند استفحال امر اليونان فنسبوا سورية اليهم مخفين اللفظة بحذف الهجاء الاول منها والمبادلة بين السين والشين

فاشية حتى في كلمة اشور واسور . ونرى بعض قداما اليونان وغيرهم يطلقون اسم سورية على ما بين النهرين ايضاً وعلى ارمينيا وبعض بلاد فارس فكان اسم سورية مرادفاً لاسم اسيريا اي مملكة الاشوريين

اما علماء هذا العصر الباحثون في الاثار فوافق بعضهم على ما راه القدماء وخالفه بعضهم . قال مسيرو (١) « ان توتمس ابن امنوتاب الذي خلقه في الملك كان اول من اقتاد المصريين الى فتح اسيا والبلاد التي وصلوا اليها بعد خليج السويس كانت تسمى منذ حينئذ سورية ، وقال في حاشية علقها على كلمة سورية ان اللفظة المصرية كسارو خفت فصارت سارو ثم سورية فهذا التخمين بعيد المرمى ضعيف المستند وتعقبه الاب دي كارا (٢) وقال بروغش (٣) ما اسم سورية الا مخفف اسيرية سميت كذلك بعد ان دانت اعمال سورية على التعاقب لتجت فلاصر الثاني (من سنة ٧٤٥ الى سنة ٧٢٧ ق م) ثم لسرخون (من سنة ٧٢٢ الى سنة ٧٠٥ ق م) وهذا كان بعد عهد توتمس بنحو الف سنة على ان الاب دي كارا (٤) رد رأي بروغش ورأى الاولى نسبة اسم سورية الى اسور او اسوريم بن ددان بن يقشان بن ابراهيم الخليل من قطورة (٥) لحسبانة ان الشعوب الذين ارتحلوا الى فينيقي واسسوا مدينة صور كانت مهاجرهم بلاد العرب الشمالية وان اسم اسور او اشور يُطلق على احد اعمال بلاد العرب وفي الاثار المصرية ذكر شعب يسمى اسور من جملة الشعوب حلفاء الحثيين سكان سورية الشمالية لمحاربة رعسيس الثاني ملك مصر وهذا

(١) في التاريخ القديم لشعوب المشرق فصل ٥ صحيفة ١٤٧ طبعة ٤

(٢) في كتابه الملوك الرعاة فصل ٩

(٣) في تاريخ مصر

(٤) في المحل المذكور انفاً

(٥) تكوين فصل ٢٥ اعد ٣

كان في القرن الرابع عشر قبل الميلاد اذ لم يكن لمملكة الاشوريين شئ من السطوة في سورية. وذكر الاب دي كارا مستنداً اخر لرأيه هو انه قد وجدت صفيحة في سان بمصر كتب عليها في ثلث لغات اسم سورية فكان في الميروكليفيه روثانو وفي اليونانية سورية وفي لغة الشعب المصرية اسار او اسور وليس من علماء الاثار المصرية من يمتري بان الروثانو يراد بهم سكان سورية الشمالية خاصة ثم ان هذا الاسم اشور او اسور وجد مكتوباً بين اسماء القبائل التسع التي كتبت على جدار هيكل ادفو في مصر انباءً بان رعمسيس دوخها ورعمسيس احد ملوك الدولة التاسعة عشرة في مصر كان قبل استيلاء الاشوريين على سورية بقرون وان هيروت واسترابون وغيرها من القدماء وبعض علماء هذا العصر ايضاً قالوا بارتحال قبائل عديدة من بلاد العرب او من جانب خليج العجم الى سورية منذ اقدم الايام وعليه فتسمية هذه البلاد سورية هي اقدم كثيراً من ايام علماء اليونان المعروفين . هذا ملخص ما قاله الاب دي كارا ونراه قريباً من الصحة

الفصل الثاني

(في الخطوط المصرية الهيروكليفيه والخطوط المسارية ومن اكتشف عن رموزها)

﴿ عد ٧ ﴾

— في الخطوط المصرية —

ترى في الخطوط المصرية صور دبابات وطيور واعضاء بشرية وغيرها من اشباه الاشياء المادية وقد اتقضت السنون بل القرون ولم يهتد احد الى حل هذه الرموز ولا الى استخراج شئ من هذه الكنوز الظاهرة للابصار الخفية عن البصائر.

ولما غزا القائد بونابرت (نابليون الاول) الديار المصرية سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٠٠ صحبه بعض العلماء للاستقصاء في الاثار المصرية واكساب العلم والصناعة شيئاً من التبحر فيها فكتبوا شيئاً كثيراً في حالة مصر القديمة والحديثة وفي ما شاهدوه فيها ونشرت حكومتهم ما القوه في كتاب موسوم برسوم مصر انطوى في تسعة مجلدات وتكاملت طباعته سنة ١٨٠٩ وما يليها في بريس . الا ان هولاء لم يبلغوا المراد مما كتبه فراعنة مصر على اثارهم . على ان ضابطاً من الجيش الافرنسي يسمى بوشار Bouchard عثر في رشيد على صفيحة كتب عليها بالهيروكليفية واليونانية والصفيحة الان في المتحف البريطاني وقد اكثر العلماء من التفحص عما كتب فيها فلم يفتح على احد منهم فكان الكشف كان محفوظاً لشاب افرنسي يسمى يوحنا فرنسيس شامبوليون Champollion ولد في فيجاك سنة ١٧٩٠ وتوفاه الله في بريس في ٤ اذار سنة ١٨٣٢ وكان ذا فكر ثاقب ورأي اصيل صائب اشغل ذكاه المتوقد اياماً متطاوأة في التفحص عما كتب في هذه الصفيحة وفي صفيحة اخرى كانت قد وجدت في جزيرة الهائف في انيل (علي بعد اربعة كيلومترات نحو الجنوب من اسوان) مكتوبة باللغتين الهيروكليفية واليونانية معاً وكان من التوفيقات الربانية ان اسماء الاعلام تكتب عندهم ضمن اطار يحيطها من جهاتها الاربع وقد كتب في صفيحة رشيد اسم بتولمايس وفي صفيحة الهائف اسم كلوبترا ووجد شامبوليون في صفيحة اخرى اسم الكسندروس (اسكندر) فاخذ يعارض الحروف الواقعة في هذه الكلمات بعضها ببعض فوجد مثلاً الحرف الاول من بتولمايس والحرف الرابع من كلوبترا واحداً فعلم ان تلك العلامة دالة على الباء والثاني من بتولمايس والخامس من كلوبترا واحداً فعلم ان تلك العلامة بمثابة حرف التاء والثالث من بتولمايس وكلوبترا واحداً فهو الواو والرابع من بتولمايس والثاني من كلوبترا والكسندروس واحداً فهو اللام والثامن من بتولمايس والاخير من الكسندروس واحداً فهو السين والسادس

من كلوبترا والسابع من الكسندرس واحداً فهو الراء والاول من كلوبترا والثالث من الكسندروس واحداً فهو الكاف فكذا عرف بعض الحروف من هذه الكلمات وغيرها من غيرها الى ان وجد مفتاحاً لقراءة هذه الخطوط وكان قد درس اللغة القبطية القديمة وبرع فيها فاداه ثباته وذكاؤه الى الشرف الوسيم بان يكون اول مكتشف عن قراءة الخطوط المصرية واول من حل رموزها وفتح كنوزها . فنشر سنة ١٨٤٢ كتابه المعنون « خلاصة نظام الكتابة الهيروكليفية » ضمنه صور العلامات التي اكتشف عنها وكيفية التلفظ بها ووضع اصولاً لحل الغازها لم تزل راهنة يعتمد عليها . ولم يطل الله عمره بل توفاه في الثانية والاربعين منه . ومن على فراش موته كان يميل على اخيه كتابه في نحو اللغة المصرية . وقد انبأنا المجلة الافرنسية المسماة الارض المقدسة في عددها المؤرخ في غرة شباط سنة ١٨٩٢ ان البعض في برلين نفسها عقدوا العزم على نصب تمثال اجلالاً لشامبوليون ذلك الفاتح الشهير ومن بعد وفاة شامبوليون تصدى لتكملة عمله علماء كثيرون منهم شرل لانزمان (Lenormant) ونسترتلى هوت (Nester L'hote) من افرنسة وسالقوليني (Salvolini) وروزاليني (Rosellini) من ايطاليا . ثم ليمان (Leemans) من هولاندا واسبورن (Asburn) وبيرش (Birech) من انكلترا ولبسيوس (Lepsius) من المانيا وبلغ هذا الفن شأوه عنمويل دي روجه (Em. de Rougé) ودي سولسي (de Saulcy) ومريات (Mariette) وشباس (Chabas) وغيرهم من افرنسة وبروغش (Brugsch) ودوميكان (Dumichen) وغيرهم من المانيا وبلايت (Blete) من هولاندا وكودوين (Coodvvin) ولاياج (LePage) من انكلترا وغيرهم وتكامل هذا الفن حتى اصبح علماءه يقرأون ما كتب على الآثار المصرية كما يقرأ الجيرون باللغة اللاتينية كتب شيشرون وغيره ممن

كتبوا فيها قديماً .

ولهذه الكتابة المصرية ثلاثة فروع الهيروغليفية وكان يكتب بها على الاثار الخطيرة ما يراد تخليده . والهياراتكية وهي موجزة الاولى ومشتقة منها علامة علامة وكانوا يستعملونها في الحاجات العامة والصكوك المدنية والعلوم . ثم الداموتيكية وهي مختصر الفرع الثاني ومعناها العامية اذ كانت العامة تستعملها في اواخر ايام المملكة المصرية وما كتب بهذه الفروع الثلاثة ان لم يكن اللغة القبطية القديمة نفسها فهو لا يختلف عنها الاً اختلافاً قليلاً . وفي هذه الكتابة عدا الحروف الهجائية علامات اخرى كثيرة لفصل الكلام ولضبط المعاني كال دلالة على ان الاسم مذكر او مؤنث وبعض العلامات يدل على هجاء كامل او على حرفين معاً وبعضها يدل على تصور لا على حروف كصورة الارقام الهندية عندنا فمن ذلك انك تجد في هذه الكتابة صورة انسان ويده ممتدة الى فمه دلالة على فعل اكل ورسم دائرة عبارة عن الشمس ولذلك كانت هذه الخطوط عديدة كثيراً حتى ابلغها بروغش سنة ١٨٧٢ الى ما ينيف على ثلاثة الاف علامة . ومن ثمه قد انبعثت لغة المصريين القدماء وكتاباتهم من ارماسها ففتح لنا كنز معارف عديدة جدت على العلم عظيم الجدوى وزادتنا بياناً وبيقناً بصحة ما رواه الكتاب المقدس في محال عديدة واوضحت لنا آيات كثيرة كانت عسرة المدرك وحلت مشكلات رابكة كما ستري في كتابنا هذا

﴿ عد ٨ ﴾

— في الخطوط المسماوية —

سميت هذه الخطوط مسماوية لان هيئة حروفها اشبه بمسماور او زاوية ومن تلك المسامير ما هو عرضي وما هو عمودي مفرداً او مكرراً وكذا الزوايا متعددة الهيئات وكان امرها مجهولاً كل الجهل حتى كان بعض العلماء انفسهم

يحسبون في اوائل القرن السالف انها ليست كتابة بل نقوش يقين منها كم
تؤلف هيئة المسمار من الهيئات المختلفة المتباينة ولم يكتشف عن انها تهجيات ونحل
الغازها الا بعد سنين من الاكتشاف عن الكتابة الهيروغليفية وادراك رموزها
وكان يكتب بالخطوط المسمارية بثلاث لغات الفارسية والمادية والاشورية واول من
وفق الى معرفة بعض حروفها باللغة الفارسية هو العالم كروتفاند (Grotefend)
من هانوفر في المانيا سنة ١٨٠٢ فقد كان وجد في فرسبوليس (في الشمال الشرقي
من شيراز في مملكة ايران) صفيحتان كتب في احدهما « داريوس الملك العظيم
ملك الملوك ابن (كيستاسف او) هيسستسب الكني (Achéménides) (١) هو
الذي بنى هذا القصر وكتب على الثانية « كسر كس (في الاصل الفارسي
كسايرسا ولعله الذي يسميه ابو الفداء وغيره من مؤرخي العرب كيخسرو)
الملك العظيم ملك الملوك ابن الملك داريوس (دارا) الكيني » فتكرار العلامات
الدالة على كلمة ملك وتروييه بان احد هذين يخلو نصفه من كلمة ابن اذ لم يكن
ابوه ملكاً نبهاه الى ان الكلمة المكررة يراد بها ملك وباقي الكتابة علمه ولما كان
يعلم ان ذلك المحل من اثار الملوك الكينيين فانبأه ذكاؤه وجدّه ان الملكين انما هما
داريوس وكيخسرو وكان بالتوفيق الرباني ان اوتي الى بريس باناء من مرمر وجد
في مصر (وهو الان محفوظ في متحف بريس) مكتوباً عليه باربع لغات من
جملتها الهيروغليف المصري والمسماري الفارسي اسم كيخسرو او كسر كس وكان
وجد شامبوليون هذا الاسم فتيقن كروتفاند ان حدسه اصابة وصدقه العلماء في
اكتشافه الا انه لم يوفق الى الكشف التام عن هجاء هذه اللغة واستمر هذا الفن

(١) الكلمة في الاصل الفارسي هاكا مانيزيا وفي الافرنسية كما رأيتها وهذه الدولة
سماها ابن خلدون في اخباره عن ملوك الطبقة الثانية من الفرس الكينية لان اسم كل واحد
من ملوكها الاولين ينتهي بكى وسماها ابو الفداء في الفصل الثاني من تاريخه في ملوك فارس
الكينية وقال ان كى معناه الروحاني او الحيار

نحواً من ثلاثين سنة لم يتقدم خطوة . الى ان اكتشف العالم اوجان بورنوف (Burnof) الافرسي والعالم لاسان (Lassin) الالماني عن تهجيات اخرى وحققا ان ما كتب في الصحيفتين المار ذكرهما انما هو باللغة الفارسية القديمة على ان الذي اكمل احياء هذه الكتابة انما هو العالم هينك (Hincks) من دوبلين في ايرلندا سنة ١٨٤٦ والعالم اوبر (Oppert) في بريس سنة ١٨٤٧ دون علاقة لاحدهما بالاخر . والاكتشاف على مال الخطوط المسمارية في اللغة الفارسية يسّر الاكتشاف على ما لها في اللغات البابلية والاشورية والمادية واكتشاف العالم بوتّا (Botta) قنصل افرنسة في الموصل عن موقع نينوى سنة ١٨٤٦ وما غنمه من الاثار واكتشاف العالم هنري لايرد (Henry Layard) الانكليزي من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٥١ عن اثار اكثر من ان تعد في كوينجك وفي نمرود يسّرت للعلماء راولينسون وهينك وفكس تلبوت من انكترا ودي سولسي واوبر من افرنسة حل رموز هذه الكتابة واغتنام كنوزها وظهر ان بعض علامات هذه الكتابة دالة على تصور كامل كما مر في الميروكليفية وان قسماً كبيراً منها يدل على هجاء تام اي على حرف وحركته وبعضها يدل على حروف معاً فكان لنا بهذه الخطوط ايضاً كنز توفر النفع به للعلم والدين . وقد قدّر الاب فيكورو (في كتابه المسمى الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ١٧٦ طبعة ٤) (١) ان الاثار التي وجدها لايرد في المكتبة الملكية في نينوى لو ترجمت برمتها تألف منها خمسمائة مجلد حوى كل مجلد خمسمائة صفحة بقطع الربع وهي مشتملة على كل فن وعلم اللاهوت والفلك والتاريخ السيامي والتاريخ الطبيعي وكتب اصول اللغة ومعجماتها والجغرافية وغيرها وكلها مطبوع في الاجر فضلاً عما وجده غير لايرد من الاثار وفضلاً عما نقش على الابنية والصخور والمدافن وسترى اهمية

هذه الاكتشافات عند مطالعة كتابنا هذا فنسدي الله حمداً لا يتقضي وشكراً
لا ينتهي على ما من به في هذا العصر وقت معظم الحاجة اليه وسنعلق على هذا
الكتاب مثلاً للخطوط الهيروكليفية والمسمارية

الفصل الثالث

﴿ عد ٩ ﴾

﴿ في خلق العالم ﴾

ليس من تاريخ اقدم زماناً واصدق انباء من اسفار التوراة التي كتبها موسى
بالهام الله فنعتمدها في كلامنا ونزيد ثبوتها بيانا بما ورد في كتب الاقدمين وبما
جدت علينا به الاكتشافات الحديثة فقي مفتتح سفر التكوين « في البدء خلق
الله السماوات والارض وكانت الارض خاوية خالية (وفي العبرانية توهو بوهو)
وعلى وجه الغمر (بالعبرانية تهوم) ظلام وروح الله يرف على وجه المياه »
(١) الى ان قال ان الله خلق في اليوم الاول النور وفي اليوم الثاني فصل بين
المياه العليا والمياه السفلى وفي اليوم الثالث خلق النبات والاعشاب والاشجار
وفي الرابع الشمس والقمر والكواكب وفي اليوم الخامس الاسماك والطيور
وفي اليوم السادس خلق الدبابات والبهائم ثم الانسان على صورته ومثاله ذكراً
وانثى خلقهما وفرغ من عمله واستراح في اليوم السابع . وقال في كل مما مره وكان
مساء وكان صباح يوم اوله ، ثم يوم ثانٍ الى الاخر . ثم عاد في الفصل الثاني
مفصلاً كيف خلق الله الانسان فقال انه جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ
في وجهه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية وواقع سباتاً على آدم فنام فاستل

(١) اتنا نعتمد في ذكر الكتاب المقدس نسخته التي طبعت في مطبعة الاباء اليسوعيين

في بيروت

احدى اضلاعه وبني الضلع التي اخذها من ادم امرأة واتاه بها . فهذه خلاصة ما كتبه موسى في خلق العالم والانسان متعمداً به لان يعلم العبرانيين علوم الطبيعة والجيولوجية (اي الكلام في الارض وطبقاتها وتكونها) والفلك بل ان يرشدهم بعبارة ساذجة يدركونها الى الصحيح في خلق العالم والانسان وقاية لهم من فساد اذهانهم بما كان يعلمه الوثنيون من مصريين وغيرهم من احاديث خرافة في مادة هي اول اركان الدين واساس المعتقد الصحيح

فآلاية الاولى الكريمة وهي « في البدء خلق الله السماوات والارض » تناولها بعضهم بمعنى انها خلاصة موجزة لكل ما تبعها من الكلام في خلق العالم وما فيه والاضطر ان المراد بها خلق المادة الاولى او عناصر المادة ويؤيده قوله التابع ان الارض كانت خاوية خالية اي ليس فيها شيء الا المادة وهي مشوشة لان نظام لها . وقوله في البدء معناه قبل ان يكون شيء وخلق (بالعبرانية بَرَأ) اي اتي بالمادة من العدم الى حيز الوجود اذ لم تكن موجودة قبلاً يضاد موسى بذلك الذين قالوا بازلية المادة وهو مستحيل لان المادة معلول ولا معلول دون علة فيتحتم وجود علة خالقة لها ويستحيل ان تكون علة لنفسها والا فتكون وتفضل قبل ان تكون . وقوله ان روح الله كان يرف على المياه بعد خلق المادة وقبل ايجاد النور يراد به الروح القدس او الريح فان اللفظ العبراني (رواح) يتناول المعنيين والثاني هو الاظهر فسكان موسى اراد ان يبين ان الله جعل في ذرات المادة التي خلقها حركة كحركة الريح كانت علة لتكونها التابع كما سترى

قد روى موسى ان الله كَوَّنَ العالم بستة اعمال سماها اياماً وجعل كلاً منها مفصلاً عن الاخر بمساءً وصباح فكلمة (يوم) بالعبرانية لا يعبر بها دائماً عن اليوم الطبيعي المؤلف من اربع وعشرين ساعة بل كثيراً ما يراد بها مجموع ايام عديدة . فقد ورد في سفر التكوين نفسه (فصل ٢ عدد ٤) « هذه

مبادي السماوات والارض اذ خلقت يوم صنع الرب الاله الارض والسماوات
 ولا مرية بان اليوم في هذه الاية عبارة عن مجموع ايام عديدة ولا اقل من
 الستة الايام التي ذكرها في الفصل الاول . ومثله قوله في سفر التثنية (فصل ٩
 عد ٢٤) « منذ يوم عرفتكم ما برحتم معاصين الرب » ولا اشكال بان المراد باليوم
 هنا المدة لا اليوم الطبيعي . وامثال هذا كثيرة في سائر الاسفار ونبوات الانبياء
 وقد حقق خيرون باللغة العبرانية ان ليس فيها لفظ يدل على اليوم والمدة والعصر
 الا كلمة (يوم) ثم ان اليوم الطبيعي مقياسه حركة الشمس فلا مقياس له قبل
 ابداءها في اليوم الرابع واذالم تكن الايام الثلاثة الاولى اياماً طبيعية فلا تكونها
 كذلك الايام التابعة . ولا تجهل ان بعض الاباء قالوا بحسب حالة العلم في
 عصرهم ان ايام الخلق طبيعية لكن بعضهم الاخر واشهرهم منهم القديس
 اغوستينوس وجميع علماء مدرسة الاسكندرية الذين فسروا الكتاب والقديس
 توما الاكوييني اثبتوا ان الكلمات يوم ومساء وصباح في الفصل الاول من سفر
 التكوين مجازية لا يراد بها معناها الحقيقي بل العصر او الحقبة او المدة . فقد
 عبر موسى اذا بكلمة يوم عن العصر الذي انقضى بين تكون كل من الكائنات
 التي ذكرها وبين ما تلاه فغرضه من ذكر المساء نهاية ذلك التكون ومن ذكر
 الصباح بداية تكون غيره واما كم هو مقدار تلك الاعصار او الاحقاب فلم يتيسر
 للعلماء الى الان تعيينه وما دل عليه علماء الجيولوجية والفلك انما هو ان تلك
 الاعصر كناية عن الوف مؤلفة من السنين

﴿ عد ١٠ ﴾

— في تكون الكائنات —

واما كيفية تكون الكائنات فما على المؤرخ الكلام فيها لان ذلك من مواد
 علمي الجيولوجية والفلك على اننا نلخص شيئاً منه كلفاً بتوفر الفوائد وبياناتاً

للمطابقة بين اكتشافات العلم وما كتبه موسى فالمنهـب الذي يسلم به عامة العلماء بهذا الفن ان الذرات (التي سماها بعضهم الاثير لفظ يوناني) اي مبدأ المادة ومبدأ تكون السماء والارض خلقها الله اولاً وقد انبأنا اكتشافات الاب ساكي اليسوعي وغيره ان التركيب الكيماوي في الاجرام السموية والارضية واحد في اصله وجوهره . وكان الظلام في البدء عامماً طبق ما قال موسى « وعلى وجه القمر ظلام » وجعل الله في عناصر المادة قوة التجاذب فوجدت مراكز للجذب في تقط عديدة من الفضاء فكانت مبدأ لكرات سدسمية اي ضبابية ومبدأ للحركة ثم ان حركة هذه الكرات في داخلها نحو مركزها ودورانها على محورها اصدرت شيئاً من الحرارة واشتداد الحرارة تدريجاً اصدر النور وعند تكاتف الكرات انبعثت من جوانبها انوار تضيء ثم تجزأت فكانت اجزاؤها كواكب وانتهت بان جعلتها الحرارة ملتهبة والارض كوكب من هذه الكواكب والى حالتها هذه اشار موسى بقوله « كانت الارض خاوية خالية » وبان هذا التكون بقوله ان الله خلق في اليوم الاول النور وفصل بين النور والظلام . ثم ان الكرة الارضية بعد انتقالها من الحالة الغازية الى حالة سائل ملتهب ابتداءً وجهها يتجمد بواسطة البرد وتكون حولها جلد مظلم مشبع بخارات معدنية ومائية وبمقدار ما كان يتواصل البرد كانت المواد المتطايرة حول الكرة تجمد تباعاً الثقيلة منها اولاً على ان ما كان منها اكثر خفة كبخار الماء الذي كان في اعلى الفضاء تكاتف بمماسته للانحاء الاكثر برودة فتكونت منه قبة من سحب كثيف فوق الكرة وانبسط الجلد كما نراه في الفضاء المتوسط بين هذا المحيط الهوائي المطروق من الاريـاح وبين وجه الارض وهذا هو معنى فصل المياه العليا عن المياه السفلى بواسطة الجلد الذي ذكر موسى ان الله صنعه في اليوم الثاني (١) او المراد بهذا على

قول اخرين تجمد قسم من البخارات المائية المسماة المياه السفلى وفصلها عن المياه التي لبثت في حالة البخار فسماها مياهها علوية على ان الجو لم يكن حينئذ تقياً حتى يمكن ان يتصل الى الارض نور كافٍ الا لانماء النبات فيها فان النور ضروري لنمو النبات فاذا صلحت الارض لذلك في العصر الثالث جعلها الله فيه تثبت نباتاً يبذر بذراً طبق ما قال موسى ان الله خلق النبات في اليوم الثالث على انه قد تبين لعلماء الجيولوجية من الاثار التي اكتشفوا عنها انه لم يكن في هذا العصر الثالث كل انواع النبات بل ما كان منها اقل احتياجاً الى النور والحرارة ولم يكن نبات هذا العصر زاهياً بالوانه بل كان اكثر نمواً وضخامة وباقي النبات اوجده الله بعد ظهور الشمس والقمر في العصر الرابع وذكره موسى هنا قبل وقته مستطرداً لثلاثي تكلم مرتين على خلق النبات . وطالما اعترض الكفار على تاريخ موسى قائلين كيف ينمو النبات دون الشمس وقد وجد قبلها ويكفي مؤونة رد زعمهم ما قاله العالم بفاف (١) ان النبات لا يحتاج الشمس بل يكفيه النور والحرارة وليس من يمتري بوجودهما قبل الشمس ، وقد اختبر بعض العلماء انماء بعض النبات فكفاهم له ضوء كبير من الغاز قد ذكر موسى ان الله خلق في اليوم اي العصر الرابع الشمس والقمر والكواكب وذهب بعض العلماء ان الشمس كانت في الاعصر السالفة كجرم منير ولكن لم تكن اشعتها تتصل الى الارض لعدم صفاء الجو وحيث ان موسى كان يكتب تاريخ الارض فلم يذكر ابداع الله لها الا عند اتصال اشعتها اليها وانتفاعها بها . على ان فهم كلام موسى بحسب ظاهره وحرفيته لا يضاد العلم بشيء . قال العالم بفاف (في المحل المار ذكره) ان شمسنا كوكب حقيقي ثابت وعليه فظهورها بمنزلة كوكب ممتاز عن غيره يحتمل ان كان مع ظهور سائر

الكواكب الثوابت وليس في علم الفلك ما يعترض به على هذا المذهب . . .
 فلا محل هنا إذاً للبحث في تناقض بين علم الفلك والكتاب ،
 لما كان النبات الذي وجد في العصر الثالث امتص كمية كبرى من الاكسيد
 اي الحامض الكربوني وجاءت اشعة الشمس في العصر الرابع تزيد الحرارة
 والنور فتنتهي الجو وصلحت الارض للحياة الحيوانية فابدع الله حيوانات البحر
 والطيور اولاً طبق قول موسى ان الله خلق في اليوم اي العصر الخامس
 زحافات البحر والحيتان العظام والطيور . وقد قسم علماء الجيولوجية عصر التوليد
 هذا الى ثلث مدد المدة الثانوية وهي عبارة عن العصر الخامس في كلام موسى
 والمدتين الثالثة والرابعة وهما عبارة عن العصر السادس في كلام موسى وطبقات
 الارض تثبت هذا التقسيم اثباتاً قاطعاً . واخص ما يستدل به على المدة الثانوية
 طبقات صخور ترى في محال عديدة وفيها بقايا حيوانات بحرية ظاهرة وكثيرة
 وقد وجد في طبقة الارض هذه بقايا زحافات كبيرة هائلة حتى كان طول
 بعضها عشرين متراً واكتشفت فيها ايضاً بقايا طيور كبيرة من نوع النعام
 ولم يوجد البتة اثر لطائر قبل هذه المدة كل ذلك مصداق لما كتب موسى ثم
 ان هذه المدة الثانوية لم يوجد فيها شيء من الاثار لذوات الابداء اي البهائم
 والوحوش وتلك بينة اخرى قاطعة على صحة كلام موسى ان الله اوجد البهائم
 والذباب والوحوش في اليوم اي العصر السادس الموافق بداية المدة الثالثة في
 كلام علماء الجيولوجية وقد اكتشف في طبقة الارض المنسوبة الى هذه المدة
 بقايا بهائم وذوات اربع في محال عديدة وبعضها كبير الهيكل كثيراً ووجد في
 طبقة الارض عند الانتقال من المدة الثالثة الى الرابعة بقايا ذوات اثناء قريبة
 من ذوات الابداء في ايماننا . ولا توجد اثار مؤكدة لبقايا الجسم الانساني الا
 في طبقة الارض المنسوبة الى المدة الرابعة الموافقة لآخر اليوم اي العصر

السادس الذي انبأنا موسى ان الله خلق الانسان فيه
وعليه فتاريخ موسى مطابق لما اكتشفته العلوم الطبيعية طباقاً تاماً من حيث
الجوهر ولما كان موسى لم يتعمد ان يكتب الا تاريخ الانسان ابتداءً تاريخه من
خلق الانسان لا من خلق المادة الاولى واكتفى بالاشارة الى ابداعها الى
تكون سائر الكائنات دون ان يتعرض لذكر كمية السنين التي مرت قبل خلق
الانسان وقد مر ان العلماء مجمعون على انها الوف مائة من السنين .

﴿ عد ١١ ﴾

﴿ في خلق الانسان ﴾

اننا نراه تعالى استعمل نوعاً مخصوصاً في خلق الانسان فاجتزأ بمجرد
الامر في خلق سائر الكائنات بقوله ليكن نور ولتكن نيرات ولتبت الارض
نباتاً الى الاخر. واما في خلق الانسان فكأنه عقد مشورة اذ قال لنصنع انساناً على
صورتنا ومثالنا ولتسلط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الارض
فما ذلك الا لانه جعله مترفعاً على الكائنات الارضية متسلطاً عليها كأن الارض
وما سُخِّرَ لها خلقت له . ثم عاد الى الكلام في تكوينه في الفصل الثاني من
سفر التكوين فقال « ان الرب الاله جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ في انفه
نسمة حياة فصار الانسان ذا نفس حية » میناً بذلك انه مؤلف من جزئين
ترابي وهو الجسد وروحاني وهو النفس جزء كونه من تراب وجزء بسيط
اكسبه اياه بنفخه في انفه نسمة الحياة وسماه بعد ذلك آدم ومعنى الكلمة احمر
مأخوذاً عن ادمه بالعبرانية ومعناها التراب الاحمر الذي جبله منه كأنه ليتذكر
دائماً ان اصله من تراب ثم قال الكتاب « ان آدم لم يوجد له عون بازائه فواقع
الرب الاله سبباً على آدم فنام فاستل احدى اضلاعه وسد مكانها بلحم وبنى
الرب الاله الضلع التي اخذها من آدم امرأة فاتي بها آدم فقال ها هذه المرأة عظم

من عظامي ولحم من لحمي ، وسمى الكتاب المرأة حوا ومعناه الحياة لانها والدة
الاحياء في البشر . وما احسن ما قال القديس توما (١) ان الله لم يأخذ حوا
من رأس آدم لثلاث تدعي ان تدبره وتتسلط عليه ولا من رجله لثلاث يحتقرها
ويعتدها جارية له بل اخذها من وسطه ليعتبرها ويحبها كجزء من جسمه .
زعم الكاردينال كاتانوس (٢) ان كلام الكتاب في تكوين حوا من احدى
اضلاع آدم انما هو مجازي لا تاريخي حقيقي وعمل رأيه بانه لو كان هذا الكلام
تاريخياً وضعياً لأدانا الى القول باحد محالين اما ان آدم كان مسخاً لزيادة ضلع في
تركيب جسده اما ان جسده كان بعد اخذ الضلع ناقصاً غير كامل وقد كان
اوريجانوس جنح الى مثل هذا التفسير (في رده مزاعم شلسوس) فالكنيسة لم
تحرم حتى الان القول بمقال كاتانوس لكن ابائها مجمعون على خلافه . فقال
القديس ايرونيوس (٣) ان الله جبل آدم وكون حوا من جنبه ، وقال القديس
اغوستينوس (٤) ان كلام موسى في سفر التكوين ليس البتة مجازياً او من
باب الكناية كنشيد الانشاد بل هو ايراد اخبار وضعية مقروناً بالسذاجة والامانة
كاخبار سفر الملوك ومن الضلال القطيع الزعم انه لا يورد تاريخاً وضعياً الا بعد
ذكر الطرد من الفردوس الارضي ، على ان برهان الكاردينال كاتانوس قاصر
ضعيف المستند نقول هذا على اجلالنا لمقامه وعلمه أفلا يقدر الله على ذلك ؟
فهذا هو المحال حقيقة واخذ ضلع من جسد آدم لا ينتج منه انه كان مسخاً ولا
انه امسى بعد ذلك ناقصاً اذ صرح الكتاب بانه سد مكان الضلع بلحم ومن
يعلم قدر ما اخذ الله من جسد آدم (٥)

(١) مجلد ١ بحث ٩٢ (٢) مجلد ١ صفحة ٢٢ من تأليفه المطبوعة في ليون

(٣) في تفسيره رسالة فيليمون (٤) في تفسيره الحرفي لسفر التكوين

(٥) ملخص عن الوجيه الكتائي للاب فيكورو عد ٢٨٦ Vigouraux manuel biblique

مـ في اثبات ابداع الله العالم والانسان بالاثار القديمة —
 اذا تبصرنا في اثار كل القبائل القديمة لا سيما بعد الاكتشافات الحديثة الفينا
 عندها التقليد الدال على خلق العالم والانسان كما جاء في الكتاب وان مشوباً
 بحكايات واقاصيص ادخلها الجهل وعبادة الاوثان على التقليد الصحيح . ولما
 كان موسى من ذرية ابراهيم واجر ارض الكلدانيين آياً الى ارض
 الكنعانيين واستودع ذريته التقليد الصحيح في خلق العالم وما تبعه كتبه موسى
 كما تلقاه من اجداده فلماذا اذا عارضنا ما كتبه موسى بما اكتشف من اثار
 الكلدان القديمة العهد وجدنا ما كتب في بابل وبلاد الكلدان في خلق العالم
 وما يليه شديد المطابقة لما كتبه موسى وكأنه لا فرق بينهما الا في بعض الشوائب
 المشار اليها والا من حيث التعليم بوحدانية الله في كتب موسى وبالشرك في ما كتبه
 الكلدان في اثارهم حتى اذهلت هذه المطابقة ابا الكنيسة وهم لم يكونوا يعلمون
 من تقليد الكلدان الا ما كتبه باروز الكاهن البابلي في اليونانية في عصر
 خلفاء اسكندر كاشفاً عن تاريخ بلاده منذ خلق العالم فكيف الان وقد اكتشف
 عن اثار عديدة انبأنا ما كان تعليم المدارس الكهنوتية على ضفات الفرات ودجلة
 وظهر لنا منها ان تكوين العالم كان في ستة ايام وان المخلوقات كَوْن بعضها
 بعد بعض في النظام نفسه الذي كتبه موسى وقصت علينا اخبار الطوفان وبللة
 الالسن وتفرق الامم كأنها واخبار موسى سواء الا من حيث الوحدانية
 والشرك والتباين في الاسماء والتشوش ببعض اقاصيص وثنية حتى قال فرنسيس
 لانرمان (١) انه يحق لنا ان نرى احد امرين اما ان ما كتب في سفر

(١) في التاريخ القديم للمشرق مجلد ١ صفحة ١٩ طبعة ٩

التكوين نسخة عن التقليد الكلداني تقاها موسى بالهام الله من ضلال الشرك
ومذهب الحلول (اي انتشار الاله في كل موجود) اما ان تعليم سفر التكوين
وتعليم كهنة الكلدان نسختان عن اصل واحد عام هو التقليد الاولي حفظت
الاولي منهما بعناية الله سالمة وشييت الثانية باحاديث خرافة واقاصيص ادخلها
كهنة الاوثان تمكيناً لمزاعمهم ولم يتمكنوا من اخفاء الاصل وان شو هو
واولاً ان الاثار الكلدانية عند ذكرها خلق السماء والارض تذكر السماء
قبل الارض كما في رواية موسى . ومما يستدعي الالتفات انه وجدت اثار كتب
عليها بثلاث لغات الفارسية والسوسية والاشورية ما يتعلق بخلق العالم وكل من
هذه الكتابات ترجمة حرفية عن الاخرى الا في كلمة « بوميم » التي هي في
الفارسية بمعنى الارض فانك ترى تجاهها في الاشورية كلمة دالة على السماء
في اثار عديدة كتبت بهذه اللغات الثلاث معاً فاثبت تعدد الكتابات على نمط
واحد ان الامر لم يكن اتفاقاً ولا سهواً بل غرضاً مقصوداً ولدى التفحص عن
وجهه وجد ان الفرس يسمون هرمزدا ابا الارض والسماء والاشوريين
يعتقدون الاله خلق السماء اولاً ثم الارض فالترجم الفارسي ابي مجارة
الاشوريين في معتقدهم . ومهما يكن فذلك دليل صراح على ان الما خلق
العالم ثم قد مر بك ان قول الكتاب « وكانت الارض خاوية خالية » هو في
العبرانية توه وبوه اي عديمة النظام وان الظلام من قوله « وعلى وجه الغمر
ظلام هو في العبرانية تهوم فقد وجد في اثار الاشوريين كلمة بوه مراداً بها
آلهة الغمر اي البحر او آلهة الكاوس اي التشوش وعدم النظام فكانهم
سموها بذلك للدلالة على قدمها او على معاوتها في انتظام ذلك البوه وقد
وجد ايضاً في بعض اثار الكلدان تسمية احدي معبوداتهم تهوم او تهومتي
ومعنى الكلمة عندهم الغمر او مجتمع الماء والبحر . واللجة . ولنأت الى ما

هو اكثر بياناً ان باروز المار ذكره قال في تاريخه ان اواناس الذي جعله اول انسان كتب كتاباً قال فيه « انه كان زمان لم يكن فيه الا ظلام وماء » الى ان يقول « وكانت امرأة اسمها اوموركا تولت الخلق يسميها الكلدان تهوت (او تهومت) وفي اليونانية الغمر وبينما كانت الاشياء في هذه الحال اتى بالوس (الاله) فشق المرأة (اي البحر او المياه) نصفين فكانت الارض من نصفها السفلي والسماء من نصفها العلوي (وفسر باروز ذلك بقوله) هذا كلام مجازي يتبين منه خلق العالم والكائنات من مادة رطبة . . . » وكذا ميز بالوس وهو الذي يسميه اليونان ثاؤس (الله) النور من الظلام وفصل السماء عن الارض ورتب العالم . . . وكون الكواكب والشمس والقمر والسيارات الخمس » وقد جاءت اثار الاشوريين والكلدان وصورهم مصداقاً لما كتبه باروز في تاريخهم .

واوضح مما مر ما ترجمه العالم جرج سميت (١) عن بعض صفحات الاجر في مكتبة نينوى التي اكتشف عنها لايرد ونشره في اواخر سنة ١٨٧٥ فانه عثر في هذه المكتبة على صفحات يظن اصلها اثني عشرة صفحة كتب عليها تاريخ خلق الكائنات ولسؤ البخت لم تخل احداهما من تشويه على ان الباقي وافٍ بشيء من المقصود وقد كتب على هذه الصفائح في عهد اشور بانيبال ملك اشور لنحو سنة ٦٧٠ ق م لكن المكتوب نسخة عن نصوص اكثر قدماً مأخوذة من بلاد الكلدان وقد برهن سميت ان النصوص الاصلية كتبت من اكثر من الف سنة قبل الميلاد حتى يرجح ان هذا التقليد الذي حفظه لنا المكتبة الاشوريون اقدم من ايام موسى بل من ايام ابراهيم ايضاً وقد نظم سميت ما وجده في هذه الصفائح في اقسام فجعل في الاول منها الكلام في الكاؤس اي الغمر وعدم الانتظام ومولد الالهة . وفي الثاني تأسيس الغمر . وفي الثالث

خلق الارض . وفي الرابع ابداع الاجرام السماوية . وفي الخامس ابداع
الحيوانات الارضية . وفي السادس وهو مؤلف من ثلث صفائح خلق الانسان .
وفي السابع وهو مؤلف من عدة فقرات الحرب بين الالهة والارواح الشريرة
وهالك ما كتب اولاً ويظن لتكسر الصحف انه من الصفيحة الاولى . انه كان
وقت لم يكن يسمى فيه ما فوق سماء ولا ما تحت ارضاً فالعمر غير المتناهي
كان اصلها (اي اصل السماء والارض) والعمر الذي تولد منه كل شئ كان
كاؤس (اي عديم النظام) فاجتمعت الامواه معاً وكان حينئذٍ ظلام دامس ولا
شئ من النور وكانت ريح عاصفة . . . ولم يكن اسم تسمى . ثم يفصل موالد
الالهة . وما احرى هذا الكلام ان يكون شرحاً لايات سفر التكوين . وكانت
الارض خاوية خالية وكان على وجه العمر ظلام وكان روح الله يرف على المياه .
على ان الصفائح الثلث التابعة الاولى لم تزل مفقودة و يرجع انها تشتمل
على تاريخ ابداع النور ثم الجلد او الرقيق ثم تبيس الارض وابداع النبات
ووجدت فقرة موجزة يتبين منها جعل الارض يابسة كتب فيها وعندما وضعت
دعائم الارض فسميتها اساس الارض . . . انت جملة السماء . ثم ان ما
كتب في الصفيحة الخامسة يطابق ما كتبه موسى في مبدعات اليوم الرابع فان
هذه الصفيحة تنبئنا بابداع الكواكب والقمر والشمس لتكون علامات تفصل
بين الفصول والايام والسنين كما جاء في سفر التكوين ودونك ما كتب فيها ان
الاله قسم المنازل وهي سبع عدداً على الالهة الكبار وعين الكواكب لتكون
مراكز للدوائر السبع وخلق مدار السنة وقسمه الى عشرات وجعل لكل من
الاثنى عشر شهراً ثلاثة كواكب من يوم بداية السنة الى نهايتها واعطى الاله نبيد
منزله لتجدد الايام في حدودها كيلا تقصر ولا تنتهي . . . وعهد الى تانار
(القمر) ان ينير الليل وجعله يتجدد ليخفف ظلام الليل ويديم النهار فقي كل

شهر تم (ايها القمر) دائرتك وفي مبتدئها يستحوذ الليل فلا ترى القرون
(كأنه يريد جوانب القمر) وفي اليوم السابع تكمل الدائرة من اليمين
الى الشمال ولكن يبقى النصف منه محجوباً بالظلام وفي وسط الشهر تكون
الشمس في اعماق السماء عند بزوغك . . . فاطلع وغب بحسب الشرائع
الابدية ، وترى القمر هنا مفضلاً على الشمس كما في سائر افاصيص الاشوريين
فان الاله اور او سين اي القمر عندهم مقدم على الاله شماش اي الشمس
وقد وجدت فقرة يظن انها من بقايا الصفيحة السابعة تطابق ما قيل في
الكتاب عن مبرؤآت اليوم السادس وهي « وفي هذا الزمان ابدع الالهة
باجتماعهم . . . ثم كونوا مخلوقات حية . . . حيوانات البرية ووحوش البرية
ودبابات البرية ، فترى تقسيم الحيوانات الى ثلاثة اصناف طبق ما قيل في
الكتاب (تك فصل ١ عد ٢٥) « فصنع الله وحوش الارض بحسب اصنافها
والبهائم بحسب اصنافها وكل دبابات الارض بحسب اصنافها ، واما الفقرات
التي موضوعها خلق الانسان فهي مفقودة او مشوهة حتى لا يمكن تحصيل
معنى اكد لها ومع هذا حسب سميت انه استطاع منها على خطاب القاه الله
على الانسان الاول والمرأة الاولى حضهما به على العمل بما فرض عليهما
واوصاهما بالمحافظة على البرارة والتقوى . وروى لانرمان (١) انه وجدت
فلذة من اجر يظن انها من الصفائح المذكورة (المحفوظة كلها في المتحف البريطاني)
كتب عليها ان آيا اله الفهم السامي ورب الحكمة هو الذي « صور بيديه الجيلة
البشرية لتكون خاضعة للالهة وهو اله الحياة البارة والمرشد الى التقوى وهو
الذي يحيي الموتى . . . والرحيم الذي به الحياة ،
ثم ان اسم آدم في الاشورية « ادمي او ادمي ، عن العبرانية وقد وجد في

اثار اشورية كثيرة ذكر يوم السبت او السابع من الاسبوع موصوفاً بانه يوم راحة لا يحل فيه عمل طبق ما جاء في التكوين (فصل ٢ عد ٣) وتسميه هذه الاثار ساباتو كما يسميه العبرانيون وبعضها يفسر الكلمة بمعنى يوم راحة القلب والحاصل ان الاثار الكلدانية تطابق نص موسى في خلق العالم والكائنات ولا تخالفه الا بما شوّهه الجهل او الشرك وعبادة الاوثان ولننظر في اثار غيرهم من القبائل

ان الاثار المصرية ايضاً يظهر منها ما يطابق كلام موسى في ابداع العالم . فقد نشر العالم شباس سنة ١٨٥٧ ترجمة ترنيم لازوريس احد معبودات المصريين يقال فيه ان ازوريس هذا « صنع هذا العالم بيده امواه ورقيعه ونباته وجميع ماشيته وطيوره واسماكه ودباباته وذوات الاربع فيه » فالتعداد تام ويخلو عن الانسان فقط لان المصريين ينسبون خلق الانسان الى الاله توم او كوم كما سترى بعينه (١) وهالك مقابلة بين كلام موسى واثار المصريين اوردتها العالم مريات في مقالة كتبها في ام الاله ايس ونشرها سنة ١٨٥٦ فقال « ان المصريين رغبة في الدلالة على مجموع المتهم استعملوا كالتوراة (في كلمة الوهيم) تعبيراً دالاً على الجمع والمفرد في هذا التعبير المحل الاول اذ من وراء الجمع اله وحيد يُراعى به تعداد قواته ككلمة الوهيم في التوراة . واكن حيث يقول العبراني في الاله غير المتناهي « ان الرب الاله (الوهيم) خلق » بالمفرد يقول المصري لما لا يخفى من مبدئه « ان الرب الالهة خلقوا » بالجمع على ان الاله الوحيد عند المصريين ليس الاله الوحيد عند اليهود فموسى لاستمساكه بتصور الاله العظيم يصرح بدون خوف بقوله يهواه الوهيم خلق والكهنة المصريون يروغون ولا يمكنهم ان يقولوا الا ان الرب الالهة خلقوا لاعتبارهم الرب بمنزلة مجموع

الهة اخرى ، ويتفق الفريقان على ان العالم مخلوق وان الرب خالق وان اختلفا في تصويره واسمه وعدده

وقد تبين من اثار مصرية عديدة ان المصريين الاقدمين اعتمدوا ان الاله السامي توم او خنوم (ومعناه مصور الكائنات وباريها) كَوْن الانسان من تراب وترى في هيكل دندرة صورة ناتئة تصلح ان تكون مثلاً لما ورد في العدد السابع من الفصل الثاني من سفر التكوين من ان الرب جبل الانسان تراباً من الارض ونفخ فيه نسمة الحياة فتشاهد في تلك الصورة الاله خنوم جالساً على كرسي ويده الواحدة على رأس غلام يكونه والاخرى على رجليه وتجاه الاله الآلهة جاثية تقدم الى انفه رسم صليب في اعلاه حلقة او ممسك وهو رمز الحياة في عرفهم (انظر الصورة عد ١) وذكر لانرمان (١) صورة اخرى في هيكل اسنه تمثل الاله خنوم جالساً على كرسي ورافعاً يديه وامامه شخصان على عنقيهما عقد الملك وتجاهه الالهة بيدها رمز الحياة وهو الصليب تدينه من انفيهما . (انظر الصورة عد ٢) وكثيراً ما ورد في اثارهم ان الانسان كَوْن من طين النيل . ومن تقليداتهم المقررة ان مبدأ الاشياء المادية كلها هو السائل الاولي اي الامواه السموية ومن تقليدات الفينيقيين التي اوصلتها الينا فقرات سنكونياتون تسليحهم بانسان اول وامرأة اولى اوجدهما الريح كلياس وعرسه باهو (هو مشوش ما ورد في الكتاب عن الغمر توه وبوه وعن روح الرب الذي كان يرف على المياه) وان اسم المرأة ايون (يظهر انه ترجمة اسم حواء اي الحياة) وانها هي التي اخترعت الاكل من ثمر الشجر وفي فقرة اخرى ، ان الانسان كَوْن من الارض ومنه تناسل الناس (٢)

(١) في كتابه التاريخ القديم مجلد ١ صفحة ٢١ طبعة ٩

(٢) فيكوروفي معجم الكتاب ولانرمان في المحل المذكور صفحة ٢٠

ومن تقاليد اليونان الاقدمين ان الاله برومائه هو الذي كوّن الانسان من اربعة عناصر لاسيما التراب والماء وعلى قول آخرين من قدمائهم ان برومائه لم يكونه بل وهبه الحياة بواسطة نار اخذت من السماء (١) واما الفرس فمن معتقداتهم ان اهورمزدا الاله الصالح العظيم خلق العالم والانسان في ست مدد متتالية مجموعها سنة مؤلفة من ٣٦٥ يوماً وَاخر ما صنعه انما هو الانسان وان الانسان الذي برز من يدي الخالق ولا عيب فيه يسمى «كايومرستان» اي الحياة المائتة (٢) ومن معتقدات اهل الصين ان هوانكتي الروح القديم هو الذي خلق الانسان اولاً وكوّن الرجل والمرأة . وفي عبارة اخرى من كتاب تعليمهم الديني ان مينهوا يبس التراب الاصفر وكوّن منه الانسان وان هذا هو الاصل الحقيقي للنوع البشري هذا ما رواه الاب كو في مقالة كتبها في الصينيين نقلاً عن علماءهم القدماء . وقد جمع عالم صيني في هذه الايام كل ما عثر عليه هناك من الاثار الدالة على الالهة القدماء فكان من جلته ان كائناً سامياً خلق الانسان الاول وان لباسه كان محزماً من اوراق الشجر . روت ذلك المجلة العلمية الموسومة بالدروس الدينية سنة ١٨٩٠ صفحة ٤٨٠ (٣)

بل ان القبائل الممجيّة نفسها وسكان امركا الاولين وجدت عندهم اثار دالة على ما كتبه موسى في خلق العالم والانسان فقد وجد في برونستون (في نيسيفانيا من اعمال امركا الشمالية) صخر نقشت عليه صور عديدة منها صورتا رجل وامرأة وبيد المرأة ثمر (تاريخ الفصاحة والصناعة مجلد ٩ صفحة ٢٨٠) ووجد في جزيرة جافا (احدى جزائر السند) صخر قديم منقوش عليه صورتا رجل وامرأة متمسكين باغصان شجرة عليهما ثمر وحية ملتفة على جذعها

(١) فيكورو في المحل المذكور من معجم الكتاب ولازمان صفحة ٢٤ من المجلد

(٢) لازمان صفحة ٢٥ من المجلد المذكور

المذكور

(مجلة الجمعية الاسيوية في لندره في حزيران سنة ١٨٣٢) وفي البارو في جنوب امريكا يسمى الانسان الاول الذي ابدعته القدرة القديرة على كل شيء « الباكاسكا » اي التراب المتنفس . ومن معتقدات قبيلة المندان في امريكا الشمالية ان الروح العظيم كَوْن صورتين من تراب ويسمها وجعل فيهما نفساً بنفخ فيه وسميت الاولى منهما الانسان الاول والثانية قرينة او رفيقة . وقبيلة التهتين هناك تعتقد ان الاله العظيم كَوْن الانسان من تراب احمر (١) والحاصل ان ابناء آدم اينما حلوا تركوا اذراً دالة على اصلهم كما كتبه موسى وان شوهدت الايام والجهل وعبادة الاوثان هذه العقائد

الفصل الرابع

﴿ عد ١٣ ﴾

﴿ في محل الفردوس الارضي ﴾

جاء في سفر التكوين (ف ٢ عد ٨ وما يليه) « وغرس الرب الاله جنة في عدن شرقاً وجعل هناك الانسان الذي جبله . . . وكان نهر يخرج من عدن فيسقي الجنة ومن ثم فيتشعب فيصير اربعة اارؤس اسم احدها فيشون وهو المحيط بجميع ارض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الارض جيد هناك المقل وحجر الجزع . واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع ارض الحبشة (كذا في نسخة الاباء اليسوعيين والاولى ان يقال ارض كوش او الكوشيين لما سترى) واسم النهر الثالث حداقل (كذا في نسخة الاباء

(١) لان زمان صفحة ٢٢ من المجلد المذكور وفيكورو في معجم الكتاب في كلمة ادم

اليسوعيين واسمه في الاثار القديمة حيدقلا او هيدقلا فلفظة حيد او هيد
معناها النهر اي نهر داقل وفي السريانية **ܘܚܕܐܘܠܐ** دِقَلت دجلة) وهو الجاري في
شرقي اشور والنهر الرابع هو الفرات .

قال كلمت (١) قلما وجد صقع في العالم لم يدع بعضهم ان موقع الجنة
كان فيه فتعددت الاقوال في انه اذا كان في اسيا او افريقيا او اوربا او امركا او في
بلاد التتر او على شاطئ الكنج او في الهند او الصين او جزيرة سيلان او
ارمينيا او تحت خط الاستواء او فيما بين النهرين او سورية او بلاد فارس
او بابل او بلاد العرب او فلسطين او بلاد الحبشة حيث جبال القمر او على
مقربة من لبنان او في لبنان الشرقي او دمشق انتهى . اما نحن فلا نتصدى
للتفحص عن هذه المدعيات كلها ولا عما يقوله كل من القائلين بها ولا
نسأل لمن قال ان من تقليدات الموارنة ان موقع الفردوس الارضي كان في
ناحية اهدن فاذلك من تقليداتنا ولا نعتقد نحن ولا غيرنا من علماء الموارنة هذا
التقليد صحيحا او عاما وما اتى في كتب بعض علمائنا من ذلك جيء به مفاكهة
او توسعا بايراد ما كتبه بعض علماء اوربا في هذا الشأن فجل ما نتعمده هنا ان
نبين ان هذه الاقوال العديدة لا يظهر لنا منها قريبا من الصدق الا قولان يجعل
احدهما موقع الفردوس الارضي في ما بين النهرين والثاني في ارمينيا . ولما كان
الكتاب صرح بذكر النهرين الشهيرين دجلة والفرات ولم تكشف الاثار ما
يخالف هذا الظاهر تعين ان يكون محل الفردوس الارضي في الانحاء التي فيها
هذان النهران اما من حيث منبعهما في ارمينيا واما من حيث مجراهما في ما بين
النهرين الى الخليج العجمي

قال العالم انرى راولينسون ان موقع الفردوس الارضي بابل او احدى

ضواحيها واسند قوله الى بعض بينات محلية منها ان هذه المعاملة سميت مراراً في الاثار القديمة « غان دونياس » اي جنة دونياس فغان تقرب من الكلمة السريانية ^١ 𐤒𐤍𐤏𐤍 ومعناها جنة او حديقة ودونياس اسم اله عندهم . وهذا التعبير يقرب من غان ادن اي جنة عدن . ومنها ان نهرين من انهر الفردوس الاربعة اي دجلة والفرات يسقيان سهول بابل الخصبية . ومنها انه وجد في مكتبة اشور بانيبال في نينوى تسابيح قديمة في اللغة الاكادية والاشورية تفيض بذكر حديقة مقدسة مغروسة في اريدو وهي ابوشارين الان على مقربة من بابل . وقد جدّ راولينسون بقوله هذا مذهب السيد هوا اسقف افرانس (١) في فرنسا الذي نشر كتاباً مخصوصاً في موقع الفردوس الارضي طبع في باريس سنة ١٦٩١ وتابعه غيره من العلماء في هذا المذهب على ان الذي عنى بتأييد هذا المذهب انما هو فريديريك داليتش (٢) معلم اللغة الاشورية في كلية لبسيك وافرد له كتاباً مخصوصاً طبع في لبسيك سنة ١٨٨١ جدّ فيه ليثبت ان مهد النوع البشري كان في السهول التي بُنيت فيها بابل بعد ذلك ومن براهينه اولاً ان دجلة كان في اقدم الايام يلتحم مع الفرات في شمالي بابل مسافة طويلة ثم يفصل عنه في جنوبها . ثانياً ان فيشون وجيحون ليسا نهرين حقيقة بل قناتان كبيرتان وان اسم ناهار الذي يسمّى به الفرات وفروعه الثلاثة بالعبراية واللفظ المرادف له في الاشورية والبابلية نهرو وفي الاراميه السريانية نهروا نهرا وفي العربية نهر كل هذه الالفاظ تحتل معنى القناة ايضاً . ثالثاً ان ارض كوش التي جاء في الكتاب ان جيحون كان يسقيها يراد بها ارض الدولة العيلامية التي كانت تلي بابل في اقدم الايام وورد في الاثار القديمة ذكرها مسماة

(1) Huet évêque d'Avranche de Situation du paradis Terrestre

(2) Frédéric Delitsch

كاسي او كاشي فاذا يرد في الكتاب اسم كوش دالاً على شعبين احدهما في افريقية يراد به الحبشة وما جاورها والثاني في اسيا من حيث خرج نمرود بن كوش ومالك في بابل (تك فصل ١٠ عد ١٠) قلنا ان بني كوش بن حام كانوا اولاً في اسيا قبل ان يرحلوا الى افريقية ولا بد ان يكون قد بقي منهم بقية في مهاجرهم الاصلية فحق لموسى ان يسمي بلادهم بلاد كوش وهذا ما يجعلنا نرى انه كان الاولى ان يترجم النص العبراني في نسخة الابهاء اليسوعيين بكلمة كوش بدلاً من كلمة الحبشة ومن براهين داليتش على مذهبه ان ارض حويلة (ارض الرمل) التي ورد في الكتاب ان فيشون كان يسقيها يراد بها الارض المتاخمة الفرات من برية سورية وان الذهب والمقل وحجر الجزع توجد في انحاء بابل فحويلة على الضفة الغربية من الفرات وكوش على ضفته الشرقية فالفرات اذاً هو الذي يسقي جنة عدن بارؤسه الاربعة التي يضحي كل منها نهراً مستقلاً مع دجلة وتحت بابل قناتان كبيرتان من امواه الفرات وكل منهما نهري سمي احدهما بالاكوباس يسقي مدينة اور التي خرج منها ابراهيم ويصب في الخليج العجمي وهو فيشون على رأي المؤلف . واثناني هو شط النيل كما سماه العرب وهو نهر ايضاً ينفجر من الفرات وهو جيحون على رأيه ويسقي ارك التي ذكرها سفر التكوين (ف ١٠ عد ١٠) ثم يلتحم مع الفرات وهناك بلاد كوش والمدن الاربعة التي كانت لنمرود ابنه وهي بابل وارك واكد وكنه كما انبأنا سفر التكوين في المحل المذكور آنفاً . وقال داليتش استدراراً كما لما يرد عليه من ان اسمي بالاكوباس وشط النيل لاشبه بينهما وبين اسمي فيشون وجيحون انه لا يلزم ان تتناسى ان هذه الاعلام عرضة للتغير والنقل وان شط النيل كان اسمه في اللغة البابلية ارحتو وهي قريبة من **رؤمما** ارحو الطريق ولكن كان يسمى في اللغة السومارية كاحان وذكره سنحاريب مرات وتبين من كلامه انه

نهر تسيير فيه السفن والعلامة مكا، في هذه اللغة تحمل لفظ كوفيصير الاسم كوحان وهذا لا يبعد عن كلمة جيحون والكلمة بيشان وبيشانو في الاشورية معناها قناة فربما سعى الكلدان بالا كوباس بيشان اي القناة علماً له والفرق بين بيشان وفيشون ليس كبيراً وبدل الباء بالفاء مستفاض فهذه خلاصة مذهب داليتش (١)

على ان الاب فيكورو تعقب داليتش بمذهبه هذا مندداً به وقال انه نظري لا يطابق حقيقة نص موسى لاسيما من جهة النهرين فيشون وجيحون اللذين جعلهما داليتش فرعين عن الفرات وذكرهما موسى اولاً كأنهما اصلان ولم يذكر الفرات الا في المحل الرابع وان سهول بابل يسميها الكتاب شنعار لا عدن . واخيراً ان الانسان الاول طرد ونسله من الفردوس الارضي وحرّم عليه الدخول اليه وسهول بابل استمرت دائماً معمورة مأهولة من اقدم الايام الى نهاية مملكة الفرس وصرح فيكورو انه يرى الاقرب الى الصدق مذهب القائمين بان الفردوس كان في جهة ارمينيا ولم يورد ادلته في كتابه المسمى الكتاب والاكتشافات الحديثة بل في كتابه الاخر الموسوم بالوجيز الكتابي (٢) وهوذا ملخص ما قاله في هذا الكتاب عد ٤٨٧ ان الطوفان والاتقلابات العديدة التي شوهت وجه بعض الارضين يحتمل ان تكون بدلت هيئة المكان الذي كان فيه الفردوس الارضي فجعلت المبحث مشكلاً يتعسر حله على ان القول الذي يظهر اقرب الى الحق انما هو قول من جعلوا الفردوس في ارمينيا في تلك الهضاب التي ما برحت من اخصب الارضين في المعمور واخص من بث هذا المذهب ودافع عن صحته كلمت (في مقالته في الفردوس وفي معجم الكتاب) ويؤيده ان

(١) ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة للاب فيكورو مجلد ١ صفحة ٢١٤

الى ٢١٨ طبعة ٤

الفرات ودجلة منبعهما في هذه الديار ومصدر دجلة على بعد نحو من ساعة عن الفرات في الشمال من ديار بكر واما فيشون فهو اما النهر الذي سماه القدماء فاش او فاس ويحتمل ان يكون النهر المسمى الان ريون ويجري من الشرق الى الغرب ويصب في البحر الاسود واما نهر كور الذي سماه القدماء كورش ومنبعه في نواحي القرس غير بعيد عن المنبع الغربي للفرات ويصب في بحر الخزر المسمى بحر قزوين ايضاً بعد ان تختلط مياهه بمياه نهر اركس الاتي ذكره وحويلة التي يسقيها فيشون هي اقليم كولشيد الواقع بين جبل قاف شمالاً والبحر الاسود غرباً والمشهور بالمعادن الثمينة كما في الكتاب . واما جيحون فهو النهر المسمى الان الرس وكان القدماء يسمونه اركس ويسميه العرب جيشون او جيحون الرس والقرس جيون ومنبعه في جوار المنبع الغربي للفرات ويصب مع نهر كور في بحر الخزر وارض كوش التي يحيط بها على ما في الكتاب هي بلاد الكوسيين او الكوشيين (Kosçéns) الواقعة بين بلاد فارس جنوباً وجبل قاف شمالاً وفي وسط هذه البلاد بحيرة تسمى الى اليوم كوتشا فهذا ما قاله الاب فيكورو في الوجيز الكتابي وهو اشبه بما رواه كمت في معجم الكتاب في كلمة فردوس

وليس لمثنا ان يرجح او يضعف اقوال مثل هولاء العلماء الاعلام لاسيما لقصر يدنا عن الكتب اللازمة مطالعتها في هذه المسائل الغامضة لكننا على مزيد اجلائنا للاب فيكورو واعترافنا بطول باعه وكثرة مطالعته نرى تنديده بقول من زعموا ان الفردوس كان في نواحي بابل قاصراً وغير سديد لاسيما ان برهانه الاخير بان سهول بابل استمرت معمورة يمكن عكسه على القول الذي رآه اشبه بالحق بان يقال بان الانسان خسر المحل الاول وحظر عليه وعلى نسله الدخول اليه والحال ان ارمينيا استمرت دائماً معمورة فلا تصلح ان تكون

هذا المحل الاول . وليس من غرضنا ان نرجح القول الاول على الثاني بل اننا
ايضاً نراه محتملاً

﴿ عد ١٤ ﴾

— تقليدات القبائل في شأن الفردوس الارضي —

حفظت اكثر قبائل المعمور ذكر الفردوس الارضي واقوى شاهد لذلك
إدعاء كل منها ان هذا الفردوس كان في ارضها كما رأيت في العدد السابق . وقد
مرّ بك ذكر الحديقة المقدسة التي كان يجعلها الكلدان القدماء في اريدو وبترونون
بوصف جمالها . وجعل كثيرون مهد البشرية على الجبال الشامخة في اسيا
الوسطى بجانب ينابيع الانهر الكبرى فزعم الهنود ان الاربعة والخمسة الانهر الكبرى
كانت تجري من شمال الجبل المقدس وهو حملايا (او هملايا) وتسقي جهات
العالم الاربع . رواه لوكان في كتابه في تقليدات البشر (١) مجلد ١ صفحة ٩٨
واعتقد الايريانيون القدماء ان في اعلى جبال بلادهم ينبوع تجري منه امواه
محيية منحدره من السماء فتصدر الخصب في الارض كلها رواه لوكان ايضاً في
المحل المار ذكره . ووصف الصينيون المحل الذي كان مهدياً للبشرية بانه جبل
في وسط سهل خصب في اسيا الوسطى وفي هذا الجبل جنة يهب فيها ابداً النسيم
العذب وموقع هذه الجنة عند ابواب السماء المغلقة والامواه الجارية فيها
غزيرة وصفراء ومصدرها يسمى منبع عدم الميتوة ومن شرب منه لا يموت
ويتفرع الى اربعة انهر تجري نحو الجهات الاربع روى هذا ايضاً المؤلف المذكور
واطال في تعداد هذه التقاليد واسهب الاب داراس (٢) في تاريخه البيعي (مجلد
١ صفحة ١٤٤) بإيراد تقليدات الصينيين والهنود واليونان والفرس واليابونيين

(1) H. Luken Traditions de L'humanité

(2) L'abbé Darras. Histoire Ecclésiastique

والمنقول وقدماء المكسيك في شأن الفردوس الارضي . ونكتفي بهذا الاجمال
حبا بالايجاز وتفادياً من ملل المطالع

الفصل الخامس

(في شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر والحية ومعصية الانسان)

اننا نثبت اولاً ما جاء في الكتاب في هذا الامر ونتبعه ببيان المراد به
موجب التعليم الكاثوليكي ثم نؤيده بذكر تقليد القبائل القديمة واثارها

﴿ عد ١٥ ﴾

— في شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة —

جاء في سفر التكوين (ف ٢ و ٣) « وانبت الرب الاله من الارض كل
شجرة حسنة المنظر وطيبة الماكل وشجرة الحياة في الجنة وشجرة معرفة الخير
والشر . . . وامر الرب الاله الانسان قائلاً من جميع شجر الجنة تاكل واما
شجرة معرفة الخير والشر فلا تاكل منها فانك يوم تاكل منها موتاً تموت . . .
وكانت الحية احيل جميع حيوان البرية فقالت للمرأة ايقيناً قال الله لا تاكلا من
جميع شجر الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة تاكل واما ثمر الشجرة التي
في وسط الجنة فقال الله لا تاكلا منه ولا تمساه كيلا تموتا فقالت الحية للمرأة
لن تموتا انما الله عالم انكما في يوم تاكلان منه تفتح اعينكما وتصيران كالهة
عارفين الخير والشر ورأت المرأة ان الشجرة طيبة للماكل وشهية للعيون فاخذت
من ثمرها واكلت واعطت بعلها ايضاً منها فاكل فانفتحت اعينهما فعلمتا انهما
عريانان فخطا من ورق التين وصنعا لهما مآزر » ثم يقول ان الرب ظهر لآدم فونبه

على صنيعه فاعتذر بان امرأته اعطته فاكل من ثمر الشجرة واعتذرت المرأة بمكر الحية بها ففضى الرب عليهما وعلى نسلهما بالموت وبمشقة العمل لتحصيل معاشهم وعلى المرأة بمقاساة مشاق الحمل والولادة وعلى الحية باكل التراب والسلوك على صدرها وصنع الرب لادم وامرأته اقصة من جلد وكساها واخرجهما من جنة عدن ليحرث الارض التي اخذ منها واقام شرقي جنة عدن الكرويين وبريق سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . فهذا ما جاء في الكتاب

ذهب مفسرو الكتاب وابعاء الكنيسة الكاثوليكية ان شجرة معرفة الخير والشر لم تسم كذلك لخاصة جوهرية بها بل لوصية الله ونهيه عن الاكل منها ولما كان لاكل ثمرها من النتيجة ونجزيء عن التطويل بما قاله القديس يوحنا فم الذهب في تفسيره سفر التكوين وهو . يحق لكل ان يسأل قائلاً اية قوة كانت في هذه الشجرة لتفتح ثمارها عقل من ياكل منها ولم سميت شجرة معرفة الخير والشر . . . ان اعين آدم وحواء لم تفتح لاكلهما من ثمر هذه الشجرة فانهما كانا قبلاً يبصران بل لاقترافهما المعصية باكلهما منه فلما خالفا النهي الالهي خسرا النور الذي كانا يجلبهما اذ جعلوا نفسيهما غيراهل له . وكذا أجيب على السؤال الثاني وهو لم سميت هذه الشجرة شجرة معرفة الخير والشر قائلاً زعم بعض الحنفي ان آدم لم يكن يميز بين الخير والشر الا بعد ان اكل من الثمر المحظور اكله وتلك حماقة متناهية . . . فمن يجسر ان يزعم ان الانسان لم يعرف الخير والشر الا بعد اكله الثمر المنهي عنه وهو قد كان من قبل مملوءاً من الحكمة (كما اثبت الكتاب) . . . فيقال ان الكتاب نفسه سمى الشجرة شجرة معرفة الخير والشر اجل وما على هذا من تكبير ولكن كل من له شيء من المام باساليب كلام الكتاب ادرك باقل تكلف ما يراد بهذا التعبير فلم تسم الشجرة بهذا الاسم لانها اولت الانسان معرفة الخير والشر بل لانها كانت وسيلة للمعصية

فعرّفت الانسان بجريمته وبالعار الذي الحقته به فمن عادة الكتاب ان يتخذ لبعض الاشياء اسماً من بعض احوالها فسمى هذه الشجرة شجرة معرفة الخير والشر لانها كانت مزمعة ان تكون وسيلة للخطيئة او الفضيلة « والحاصل انها سميت بما آلت اليه لا بما كانت عليه »

واما شجرة الحياة فهي شجره اعدّها الله في الفردوس لحفظ حياة ادم ونسله لو اطاع وصيته بان لا ياكل من ثمار شجرة معرفة الخير والشر. وزعم قوم ان شجرة الحياة هي شجرة المعرفة نفسها مخرجين قول الكتاب « شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير والشر » بمعنى ان في وسط الجنة شجرة الحياة او شجرة معرفة الخير والشر كأن لهذه الشجرة اسمين وقالوا ان حرف العطف في العبرانية يتحمل معنى التقسيم والتفسير ايضاً . الا ان الاظهر والاطبق لنص الاية المذكورة وغيرها انهما شجرتان ولا وجه لجعل الله للامرين شجرة واحدة وزعم بعضهم ان شجرة معرفة الخير والشر كانت من طائفة التفاح واستدلوا على ذلك بقول نشيد الانشاد (ف ٨ عد ٥) « لقد نبهتك تحت شجرة التفاح هناك وضعتك امك » وفي بعض النسخ « هناك فقدت امك برارتها » والصحيح انه لا يمكن القطع بنوعها

ومهما يكن من هذه المباحث فان الله نهى ادم وحواء عن الاكل من ثمر هذه الشجرة اختباراً لطاعتها وليعلمنا انه ربهما وخالقهما وان العالم لم يوجد من نفسه بل هو خالقه ومدبره فيلزمهما الاذعان لامره خاصة لانه سلطهما على كل ما في العالم ولا يتبغى منهما بدلاً من ذلك الا الخضوع له والاقرار باحسانه فثله مثل مالك كريم سلط رجلاً على ملكه ولم يطالب منه بدلاً الا ما يتبين به ان الملك للمولى وان المنتفع تحت امرته فحظر الله على ادم وحواء الاكل من ثمر شجرة واحدة تقريراً لسلطته وهددها باليم العقاب ان عصيا

امره (١) واطلق لهما حرية العمل ان ينقادا طائعين او يعصيا متكبرين ليكون لهما وسيلة للاستحقاق فالله صالح طبعاً لكنه بغامض حكمته لم يشاء ان يسعد احداً او ان يشقي احداً دون سعي ارادته ومجده ثابت في كل حال فمن سعد او خلس مجد رأفته ومن شقي او هلك هلك باثمه ومجد به عدله . ثم ان بعض المواهب التي أتيها الانسان كانت تفوق طبعه فهو انركبه من عناصر مادية كان متعرضاً طبعاً للانحلال والموت والامراض فعصمته من ذلك لو لزم الطاعة لم تكن من خواص طبعه بل تفوقه وكذا الوحم والوصب والطاق في ولادة المرأة تلازم طبعها وعصمتها منها تفوقه فكانت العصمة اذاً من الموت والامراض والواجع هبة مجانية من فضل الله لا يقتضيها طبع الانسان وكانت تركة سعيدة يشترك بها ابناؤه لو احتفظ الاب عليها فلما زل وعصى امر الله خسر المواهب المجانية الممنوحة له كرماً بشرط طاعته واضاع ما كان مزماً ان يبقى ملكاً لبنيه فصرنا نولد جميعاً بعد ضياع هذا الارث او الملك ولا حق لنا به لان والدنا اضاعه قبل ولادتنا فهذا احسن اسلوب لبيان الخطيئة الاصلية واتصالها بنا . ورأى بعض الاباء ان النوع البشري لم يخسر بادم المواهب الفائقة طبعه فقط بل جرح ايضاً بالمواهب الطبيعية وكلها الآ كرم الله يوليها من شاء وكيف شاء

﴿ عد ١٦ ﴾

﴿ في الحية ﴾

زعم اوريجانوس وغيره من علماء مدرسة الاسكندرية ان كلام الكتاب في اغواء الحية لحوا مجازي يراد به ان ابليس اغرى المرأة ان تأكل من الثمر وتطعم زوجها بأنشائه في عقلها وارادتها الرغبة في اكل الثمر المحظور لا بكلام

(١) ملخص عن كلام فم الذهب في خطبته ١٦ في سفر التكوين

الحية احدى العجماوات . وقد جدد الكردينال كياتانوس هذا المذهب بقوله لم يكن هذا كلاماً شفافياً بل أُريد به الاغواء الباطن اذ جعل ابليس في مخيلة المرأة هذا الفكر السيء وكذا يلزم ان تفهم هذه المحاوره كلها بين الحية والمرأة وقد نزل عقاب الحية منزلة تاريخ وليس من الحكمة ان يفهم بحسب حروفه فهذه معانٍ مجازية لا تحسب كالاقاصيص بل تجلّ كاسرار وتنطوي مجازاً على ما يختص بالايمان (ملخص عن مجلد ١ من تأليفه صفحة ٢٥) على ان الكنيسة لم تنه عن القول بمذهب هولاء كانه مخالف لعقائد الدين ولكن ابى سائر الاباء واللاهوتيين الا المخالفة له . وما احسن ما قاله بوصوا في هذا الشأن (في خطبة على الاسرار) (١) لنا ان نقول ان ظاهر كل شيء هنا يدل على مجاز . فحية عجماء تتكلم وامرأة تسمع لها ورجل مستنير كامل يعترُّ بتجربة غير شديدة والنوع البشري برمته يقع معه في وهدة الاثم ويستحوذ عليه الموت . ذلك كله يظهر غريباً ولكن تزول الغرابة اذا نظرنا الى الحية ليس من حيث هي حيوان غير ناطق بل من حيث هي آلة لدهاء ابليس الذي دخل بسماح الله في جسم هذا الحيوان واية غرابة في ذلك والله نفسه كان يظهر للانسان بهيئة محسوسة . . . فالانسان مؤلف من جسد ونفس فقله ان يجعله يعرفه بكليهما بالروح والحس وكذا كان الملائكة يتراون للناس بهيئة يريدوا الله . فلم تنذهل اذا حوا عند سماعها الحية تكلمها كما لم تنذهل عند رؤيتها الله يظهر لهما بهيئة محسوسة » ومما ينبه اليه ان نص الكتاب لم يقل حية بالنكرة بل الحية بالتعريف فذاك دليل على ان الكلام ليس في حية كسائر الحيات بل في حية مخصوصة يراد بها ابليس لاتخاذها اياها آلة للمكر . ولو لم يكن للحية مدخل في اغواء حوا لما نسب هذا المكر اليها اذ لم تكن الحية في عرف الاقدمين ولا في عرف المتأخرين

مثالاً للدهاء بل للحكمة او غير الدهاء من المعاني

﴿ عد ١٧ ﴾

﴿ اثار القبائل القديمة الدالة على ما في الكتاب بهذا الباب ﴾

انا نجد عند اكثر القبائل اثاراً تبيننا باعتقادهم شجرة حياة وشجرة معرفة الخير والشر ومعصية الانسان الاول ونسبتها الى الحية وان كنا لم نجد حتى الان اثراً مكتوباً للكلدان مشعراً بما كان معتقدهم بهذه الامور فقد وجدنا في اثارهم صوراً عديدة يتبين منها اعتقادهم ذلك ولا يمكن تأول مغزى تلك الصور ورمزها الى غير ما كتبه موسى . ومنها صورة الشجرة المقدسة الاشورية الكلدانية التي وجدت على قصر في نمرود حيث ترى صورة شجرة وعلى جانبيها ملكان او كاهنان بملابسهما الحبرية دلالة على اجلال الشجرة ومن فوقها دائرة ذات اجنحة كانت في عرفهم كناية عن الاله السامي (انظر في مثالها صورة عد ٣) وقد اكتشفت في هذا القصر صورة اخرى هي الان في المتحف البريطاني ترى على جانبيها ملاكين مجنحين جاثين اجلالاً لهذه الشجرة يمد كل منهما يده بكل وقار نحو ثمرة منها ليخنيها او لينب عنها ويجرسها . واكثر بياناً مما مر الصورة التي نقلها العالم فالكس لاجار (١) (في كتابه المعنون الابحاث في عبادته ميترا) ثم ان العالم سميت (في كتابه اثار الكلدان عن التكوين) اكتشف (٢) عن اثر بابلي حيث ترى شجرة عن جانبيها رجل وامرأة يمد كل منهما يده الى ثمرة فيها ومن وراء المرأة حية منتصبة الى رأس المرأة كأنها تلقنها شيئاً وهذه الصورة الان في المتحف البريطاني (انظر مثالها في الصورة عد ٤) ومن رآها قضى بانها تمثل ولا جرم ما رواه موسى في وسوسة الحية لحوا واكلها

(١) Felix Lajard Recherches sur le Culte de Mithra

(٢) Smith Chaldaean of Genesis. P. 91

مع ادم من شجرة معرفة الخير والشر
ان الاريايين (١) (وهم سكان كل البلاد الواقعة بين فارس والهند)
كان التقليد العام عندهم قبل انقسامهم الى ايرانيين وهنود ان الانسان الاول
كان اسمه عند سكان ايران (اياما) وعند الهنود (ياما) والفرقيان يقولان انه ابن
السما لا ابن الانسان وها هو ذا ما كتب في الكتاب الذي يسمونه ماسكيا
ومسكيانا « كان الانسان كان ابو العالم كانت السماء معدة له بحيث ان يكون
متواضع القلب ويعمل بحسب الشريعة متدلاً وبشرط ان يكون باراً في افكاره
صادقاً في كلامه مستقيماً في اعماله وان لا يلجأ الى الديوا (ابليس) ولعل
الاصل من **يوسا** الارامية بمعنى ابليس) وكان مفروضاً على الرجل والمرأة في
هذه الحال ان يسعى كل منهما بالحظ للاخر وكذا كانت بداية بدء افكارهما
واعمالهما ... وقالوا اولاً ان اهورمزدا اوجد الماء والارض والاشجار والبهائم
والكواكب والقمر والشمس وكل خير يصدر عن اصل طاهر وثمره صالحة ثم
غلب الكذب على ذهنهما فقير استعدادهما وجعلهما يقولان ان انكرومانيوس
(اله الشر) انما هو الذي اوجد الماء والارض والاشجار والحيوانات وكل ما مر
ذكره فخادعهما منذ البداية بما يتعلق بابليس وما انفك هذا القاسي يمكر بهما حتى
النهاية فصار كلاهما لتصديتهما هذا الكذب اشبه بالشياطين وتستمر انفسهما في
الجحيم الى انبعث الاجسام واكلا (ثماراً) مدة ثلاثين يوماً واتشحا مطارف
سودا وزهبا بعد ذلك يصطادان فوجدا عنزاً بيضاء فامتصا الحليب من ضرعها
فطاب لهما كثيراً فازداد الديوا (ابليس) الكذاب جسارة فقدم لهما مرة ثانية
ثماراً فاكلها فلم يبق لهما الا منفعة واحدة من مائة منفعة كانت لهما ... وظهر
لهما بعد مدة خروف وارشدتهما الالهة السمويون الى ايجاد النار باحتكاك

الاخشاب فاضرماً ناراً وشوياً الحروف واكلاً اللحم واكتسيا بالجلود ، فتأمل كيف تشف هذه الرواية عما ورد في سفر التكوين عن حالة البرارة التي ابدع الله بها ادم وحواءً وعما امرهما به وعن اغواء ابليس وخسارة ما كان لهما من المواهب وعن اقتيات الانسان اولاً بالثمار وعدم اغتدائه باللحم اولاً وعن اكتسائه بجلد البهيم . روى ذلك لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ١ صفحة ٣١ و ٣٢ طبعة ٩)

وقد روى لانرمان ايضاً (صفحة ٣٤) ان اثار الايرانيين انبأنا بوجود رسم شجرة الحياة عندهم وترى في اثارهم تارة شجرة واحدة منبتها في وسط المنبع المقدس الذي يسمونه اردويسورا وتارة شجرتين (اي شجرة الحياة وشجرة المعرفة) طبق ما جاء في الكتاب عن شجرتي الفردوس وترى في اثار الهنود ايضاً رسم شجرة الفردوس مسماة (هاوما) اي شجرة الحياة وفي بعض اثارهم صوره اربع شجرات منبتها على اربعة جوانب جبل مارو المقدس واقدم اسم لبابل في لغة اقدم سكانها هو « تين تيركي » ، تأويله مكان شجرة الحياة . وعن الاب فيكورو (في كتابه المعنون الكتاب والاكتشافات مجلد ١ صفحة ٢٢٨ طبعة ٤) ان الفرس كانوا ينقشون على فصوص خواتمهم صورة الشجرة المقدسة البابلية مع انه لا يعرف لها مثال في النبات واستمروا على ذلك من عهد الملوك الكينين (المار ذكرهم اي منذ القرن الثامن قبل الميلاد) الى عهد ملوك الدولة الساسانية

وقد وجد العالم شسنولا في احد المدافن القديمة في دالين (هي ايداليون القديمة) في وسط جزيرة قبرس وعاء من صنع الفينيقيين في القرن السابع او السادس قبل الميلاد وقد رسمت عليه صورة شجرة في اسفل جانبيها شبه عنقودين وحية كبيرة تدنو من الثمرة مادت عنقها لتتقطف من الثمر وهذا الوعاء محفوظ

في متحف الصنائع في نويرك وقد علق لانرمان صورته على كتابه المذكور
صفحة ٣٧ وهذا يدل بلا امتراء على ان الفينيقيين ايضاً كانوا يعتقدون شجرة
الفردوس ووسوسة الحية لحواء بل ان رانان نفسه لم يتردد عن ان يسلم بوجود
هذا التقليد عند الفينيقيين منقاداً الى ذلك بما جاء في فقر سنكوياتون التي ترجمها
الى اليونانية فيلون الجبيلي وهو ان الانسان الاول وايون التي يراد بها حواء
« اخترعت الاقليات بثمار الشجر »

وقد وجد مثل هذه التقليدات عند السكانديناف (وهم قبيلة هاجرت
من اقدم الايام من اسيا وتوطنت اسوج وزوج في شمالي اوربا) ففي كتاب
معتقداتهم القديمة الذي ترجمته السيدة دي بوجا الى الافرنسية ونشر سنة ١٨٤٠ ما
ملخصه « ان ايدهونا غير المائتة كانت تسكن مع براجى في اسكرد في وسط
العالم في الفردوس محرزة كمال البرارة فسلم اليها الالهة حراسة ثمار عدم الميتوة
على ان لوكى المحتمل علة كل شر وممثل المبدأ الشرير خدعها بثمار اخرى قال
انه رآها في غابة واغراها باتباعه فتبعته لتجني منها فخطفها جبار فلم تبق السعادة
بعد ذلك في اسكرد « ومن البين ان هذه الرواية ايضاً تشف عما كتبه موسى
في هذا الشأن وان داخلها بعض التشوش (روى ذلك لانرمان في المحل المذكور
صفحة ٣٢)

وكثيراً ما نرى في اثار مصر شجرة الحياة مصورة على المدافن خاصة
فكان التقليد انبأهم ان شجرة الحياة حُظر الوصول اليها فلا وسيلة لجني ثمرها
في هذه الارض بل في عالم اخر ولا نشاهد هذه الشجرة السرية مفصولة البتة
عن مياه الحياة . ونشاهد في اثارهم ايضاً ان الحية اباب تخاصم الاله رع (يراد
به الشمس) عند تنظيمه العالم فيقتلها الاله هار او هاروس (وقد علق لانرمان في
كتابه المذكور صفحة ٣٩) صورة هذا البطل او الاله مأخوذة عن هيكل ارفو في

مصر فتراه ويده رمح يسحق به راس الحية (انظر الصورة عد ٥) وهذا يشف عما جاء في الكتاب « واجعل عداوة بينك (الضمير للحية) وبين المرأة ونسلك ونسلها فهو يسحق رأسك » ومن هذه الاثار ان الملك الارضي الذي اقتتح به الاله (رع) وجود العالم والبشر كان عصرًا ذهبيًا لم يكن للاسف والحسد فيه من اثر . وكان المصريون اذا ارادوا التعبير عن شيء لا مثيل له قالوا لم يكن له من مثيل من عهد الاله رع . ولا ريب ان في هذا اشارة الى ما قاله الكتاب في حال البر التي كان فيها ادم وحواء

وأثبت لان زمان ايضاً (في صفحة ٣٦ من المجلد المذكور) صورة اخذت عن مدفن في متحف الكامبوتول (الكمبيدوليو) في رومة رُسم فيها الاله برومائه جالساً وقد اقام بيده الشمال على ركبتيه صورة بشرية رُسم هيكلها ويمناه المنقاش ليرسم خطوطها وبجانبه سلة مملأى تراباً وصورة اخرى تامة ومينرفا الآلهة تضع على رأس الصورة التي بيد الاله طائراً ذا اربعة اجنحة رمزاً على الحياة ويرى في طرف الصورة الانسان الاول والمرأة الاولى عريانين بجانب شجرة يقتطف الرجل من ثمارها الى غير ذلك من الرموز الدالة على خلق الانسان وتنفسه واستحواذ الموت عليه وتناوله من شجرة معرفة الخير والشر ويقدر ان هذه الصورة نقشت في القرن الاخير قبل التاريخ المسيحي

الفصل السادس

(في الابهاء الاولين قبل الطوفان)

﴿ عد ١٨ ﴾

﴿ في قايين وهابيل ﴾

لم يثبتنا الكتاب كم كانت المدة التي اقام فيها ادم في الفردوس واول ما ذكره من احداثه بعد طرده منه انه عرف امرأته حواء فحملت وولدت قايين وقالت رزقت رجلاً من عند الرب . فمغنى كلمة قايين قتيبة وثمرة وقد وردت في الكتابات القديمة في نينوى وبابل بمعنى من يقتتي عبداً وربما كانت منها كلمة قن بالعربية بمعنى الرقيق او كان بذلك اثر للمعنة التي استحقتها قايين لقتله اخاه . وعن ابن الاثير في الكامل « ان اهل العلم مختلفون في اسم قابيل فبعضهم يقول قين وبعضهم يقول قائن وبعضهم يقول قايين وبعضهم يقول قابيل »

ثم قال الكتاب « عادت (حوا) فولدت اخاه هابيل » وفسر الربيون هابيل بمعنى البخار او الهبلة بلغة العامة وبمعنى الباطل والغم والحداد وفي العربية هبلته امه بمعنى ثكلته وتسولوا الى ذلك بان مقتل هابيل كان لذويه علة الغم والحداد علي ان اطلاق هذا الاسم عليه كان قبل مقتله لا بعده ومع هذا قال اهل العلم بهذا التفسير لعدم وجدانهم غيره ومن جعلوا معنى هابيل الباطل وجدوا له مسنداً في قول الجامع « باطلة الاباطيل وكل شئ باطل » فالكلمة في العبرانية هابيل وكأنه لقصر حياته زال كالبخار او كالشيء الباطل . على ان كثيراً من الاثار الاشورية انبأنا ان كلمة هابيل ترد بمعنى ابن او ولد من الفعل هبل وكد (ولعل اصل اللفظ حبل) فهابيل بمعنى المولود . قال بذلك اوبر في كتابه

الدروس الاشورية صفحة ٣٥ (١) وترى كلمة هابال او ابال في مركب اعلام كثيرة اشورية مثل اشور بان هيبال اي ابن اشور وكذا سرد انابال وقال العالم سيلام (في كتابه بيان العهد القديم بالعلوم الاشورية صفحة ١٠ (٢) « من البين ان كل اللغات السامية الا الاشورية اضاعت كلمة هبلو بمعنى ابن فثبتت هذه الكلمة في تاريخ التكوين دال دلالة وضحة على قدم هذا التاريخ » (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو مجلد ١ صفحة ٢٤٠ الى ٢٤١ طبعة ٤)

وكان هابيل على رعاية الماشية وقاين على حراثة الارض ومنه تبين ان هاتين الصناعتين المتوقف عليهما معاش الانسان كانتا معاصرتين له من بدئه وعمل بهما ادم كحكيم الله عليه ان يأكل خبزه بعرق جبينه وعنه اخذ ابناؤه . وقد اعز ادم الى ابنيه ان يقدموا تقدمة للرب فقدم قاين من ثمار الارض وهابيل من ابقار غنمه وسمانها فقبل الرب تقدمة هابيل بانزال نار سموية عليها كما في ترجمة تاودوسيون وعليه اكثر الاء والمفسرون او بعلامة اخرى ولم يتقبل تقدمة قاين فشق ذلك على قاين ونكده واضمر الغدر باخيه فاستدعاه الى الصحراء ووثب عليه فقتله فظهر له الرب مونباً قاضياً عليه بان يكون طريداً شريراً لا تعطيه الارض غلتها فادرك جريمته وارتاع قائلاً خطيبي اعظم من ان تغفر وتوهم ان كل من وجده يقتله فقال له الرب من قتل قاين فسبعة اضعاف يقاد به ليثبت الانتقام له وينهي غيره عنه وجعل الله فيه علامة كيلا يقتله كل من وجده . وقد اجمع المفسرون على انه لا بد ان كان لقائن اثم سابقة اقتضت رذل الله تقدمته . وعلى ان ما حملة على قتل اخيه انما هو حسده له لا يثار الله له عليه . لكنهم لم

(1) Oppert Etudes Assyriennes

(2) Sillem.

يجمعوا على الذريعة التي توسل بها لقتله فلاهل العلم بذلك تخمينات لا يمكن
ابلاغها درجة من التوكيد العلمي لعدم المسند لها منها قول ابي الفدا في تاريخه
« وقيل بل كان لقايل اخت توامة وكانت احسن من توامة هايل واداد ادم
ان يزوج توامة قايل بهاييل وتوامة هايل بقايل فلم يطب لقايل ذلك فقتل
اخاه هايل واخذ توامته ، وكذا ورد في الكامل لابن الاثير وفي غيره من
كتب العرب وعنها اخذ سعيد ابن بطريق البطريق الاسكندري هذه القصة في
تاريخه العربي وذكرها ايضا ابن العبري في تاريخ الدول عن ثودوريوس وسمى
توامة قاين قليميا وتوامة هايل ليوذا بل روى ابن الاثير ان هذا الخضم بين
ابني آدم كان قبل تقدمتهما فقال آدم لقاين يا بني لا تحل لك توامتك فابي ان
يقبل كلامه فقال له ابوه قرب قربانا ويقرب اخوك هايل قربانا فايكما قبل
الله قربانه فهو احق بها . فقربا القربان فكان ما رأيت وفرقاين بتوامة

قال القديس ابرونيموس (في تفسيره فصل ٢٧ من نبوة حزقيال) ان من
تقليدات العبرانيين ان مقتل هايل كان في صحارى دمشق وينسب مدفن هناك
الى هايل ولكن هذا لا وسيلة لاثباته . وذهب بعض الاباء ان هايل لم يتزوج
وفي التاريخ الاسكندري انه قتل قبل زواجه وقال غيرهم بل تزوج فلم يعقب
ومهما يكن فموسى لم يذكر له عقباً ويرجح هذا قول حواء بعد ولادة شيت
« اقام الله لي نسلاً اخر بدل هايل ، (تكوين ف ٤ عد ٢٥) فيتلخص منه انه لم
يكن لهايل نسل . على ان فم الذهب وغيره من الاباء اثبتوا زواجه بقولهم ان
الضرورة دعت ان يتزوج باخته وفسر بعضهم قول الكتاب ان دمه ينادي او
يصرخ من الارض بمعنى ان ذريته تطلب الانتقام من قاتله والله اعلم
اما قاين فاقام بعد مقتل اخيه في ارض سماها الكتاب ارض نود ووصفها
بانها شرقي عدن فيتعلق تعينها بتعيين عدن وقد رأيت ما في ذلك من الخلاف .

واما العلامة التي جعلها الله له كيلا يقتله كل من وجده ففيها اقوال والذي قال به اكثر الالباء ان هذه العلامة كانت ارتجافاً في كل اعضائه نشأ عن مناخس ضميره وارتياحه من جنائيه وقال بعض علماء هذا العصر ان العلامة كانت اسوداد جسمانه وجملوه اصل السودان وجنح لانرمان نفسه الى شئ من هذا المذهب كما سترى في كلامنا على الطوفان . وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٣) ان قاين ازداد شراً على شر وعكف على السلب والنهب وادخل الخداع والمكر في العالم ولم يذكر مسنداً لقوله وليس في الكتاب اشارة اليه . واما في شان موته فيقال ان لامك احد اخفاده قتله اتفاقاً ظاناً اياه وحشاً وانه عرف بعد خطاه فقال لامراتيه عادة وصلة ما جاء في سفر التكوين (ف ٤ عد ٢٣) « اني قتلت رجلاً لجرحي وقتي لشدخي انه يتقم لقاين سبعة اضعاف واما للامك فسبعة وسبعين » وقال بعضهم بل قتل نفسه او مات تحت ردم بيت سقط عليه (معجم الكتاب لكلمت في كلمة قاين) ولا يعلم كم كانت سنوه فقال بعضهم ثمان مائة سنة وغيرهم نحواً من سبعماية واخرون انها ستمائة وثمانين وثمانون سنة والله اعلم

قد عثر بعض الجوائين في هذا العصر على اثار وتقليدات عند امم بربرية مؤذنة بان مصدرها قتل قاين هايل اخاه . منها ما رواه هومبولد (المجلد ١ من كتابه في منظر جبال كورديلار في امريكا) (١) عن اثر في المكسيك يمثل امرأة تخاطبها حية وعلى جانبها رجلان يعتدي احدهما على الاخر وقال هذا العالم في ذلك ان هذه الصورة مثال للمرأة مع الحية وهي في عرف اهل المكسيك ام النوع البشري ومن تقليداتهم انها ولدت رجلين توأمين فصورة رجلين عريانين بجانبها يعارك احدهما الاخر تذكرنا بقاين وهايل . وروى العالم

دومون دورفيل (في كتاب سفره في استرولاب السفينة التي سافر فيها (١)
 ان اخص معبودات اهل زولاندا الهان اخوان قتل اكبرها اصغرهما واكله .
 وانه وجد في جزيرة تونكا (من جزر الاوقيانوس) تقليداً بان احد المهتم كان
 له ابنان اصغرهما مجمل بالحكمة وقد اخترع كثيراً من الصنائع والمعارف واما
 الاكبر فكان مكسلاً لعاباً يعدو الى هنا او هناك او ينام ويذري باعمال اخيه
 الى ان صادفه يوماً في الصحراء فقتله فانحدر اليه ابوه محتدماً فسأله لم قتلت
 اخاك اما كان لك ان تعمل كما عمله قبح الله صنعك (عن معجم الكتاب لكلمت
 في كلمة قايين)

﴿ عد ١٩ ﴾

— في شيث —

جاء في سفر التكوين (ف ٤ عد ٢٥) « وعرف ادم امرأته ايضاً فولدت
 ابناً وسمته شيثاً » وقال بعيدة ان مولد شيث كان لسنة ١٣٠ لادم وفي الترجمة
 السبعينية لسنة ٢٣٠ له وقد ضبط ابو الفدا كلمة شيث بالثاء المثناة وكذا في
 الكامل لابن الاثير وفي تاريخ ابن خلدون وفسر ابو الفدا الكلمة بمعنى هبة الله
 والظاهر تفسير لانرمان لها (في مجلد ١ من تاريخه صفحة ٤٣) بمعنى اساس
 واصل فهي تقرب من كلمة **اساس** (الاساس والاصل) في اللغة السريانية
 اخت العبرانية ان لم نقل بنتها او امها وشيث كان اصلاً لجميع بني ادم الذين
 ذكرهم الكتاب الا ذرية قايين . وقد سمي سفر التكوين (في ف ٦ عد ٢)
 ذريته ابناً الله لعملمهم بسنة الله وسمى ذرية قايين بنات الناس لانحرافهم عن جادة
 الحق والبر وعكوفهم على الشهوات والمعاصي . وولد ادم وحواء بعد مولد شيث
 بنين وبنات اخرين ذكر الكتاب اجمالهم ولم يصرح باسمائهم ولا تعدادهم اذ

قال « وعاش ادم بعد ما ولد شيئاً ثمانى مئة سنة ولد فيها بنين وبنات فكانت كل ايام ادم التي عاشها تسعمائة سنة وثلاثين سنة ومات » (تك ف ٥ عد ٤ و ٥) وكان ولد قبل شيث بنات زوجهن باخوتهن بسماح الله وحكم الضرورة وتزوج شيث ايضاً باخت له سماها القديس ايفانيوس (في اربعة ٣٩) اوريا فولد له وعمره مائة وخمس سنين ابنه انوش وفي كتب المؤرخين العرب ومنهم ابو الفدا في التاريخ « تقول الصابية انه ولد لشيث ابن اخر اسمه صايي ابن شيث واليه تنسب الصابية » وعاش شيث بعد ما ولد انوش ثمانى مائة وسبع سنين ولد فيها بنين وبنات فكانت ايام شيث تسع مئة سنة واثنى عشرة سنة ومات ، (تك ف ٥ عد ٧ و ٨)

﴿ ٢٠ عد ﴾

— في ذرية قايين —

اما ذرية قايين فقال فيها الكتاب (تك ف ٤ عد ١٧) « وعرف قايين امرأته فحبلت وولدت اخنوخ ثم بنى قرية فسمها باسم ابنه اخنوخ » وسماه ابن الاثير في الكامل حنوخ بالحاء المهملة وسترى ان احد اعقاب شيث يسمى بهذا الاسم ايضاً واما القرية او المدينة التي بناها وسمها باسم ابنه اخنوخ او حنوخية فلا يعرف موقعها فيتعين ان يكون في شرقي عدن حيث اقام قايين كما قال الكتاب غير ان شرقي عدن بل عدن نفسها غير متفق على موقعها وكلمة شرقي تتناول كثيراً من البلاد الى الشرق فلا تحقيق ومع هذا نروي ما قال بعضهم . ذكر بتولميس مدينة تسمى اخنوختا في سوسيانا وهي الان خورستان الواقعة بين بلاد فارس شرقاً وبلاد اشور غرباً وخليج العجم جنوباً . وفي الكتاب المنسوب لباروز وعنه اخذ ادريكوميوس ان مدينة حنوخ كانت الى الشرق من لبنان في نواحي دمشق . وعند غيرهم انها كانت في بلاد العرب الحجرية

والصحيح ان موقعها غير معروف كما مر
ثم ان اخنوخ بن قايين ولد عيراد ولا يعرف شيء من اخباره الا اسمه
وعيراد ولد محويائيل وهذا ولد متوشائيل وجعل ابن الاثير هولاء الثلاثة اخوة
ابناء اخنوخ خلافاً للتوراة وسماهم غيرد ومحويل واتوشيل. ومتوشائيل ولد لامك
وشهره الكتاب بانه اتخذ امرأتين معاً ويظن انه اول من ادخل في العالم عادة
الزواج باكثر من امرأة واحدة وكان اسم اولى امرأته عادة واسم الثانية صلة
(وفي كلام ابن الاثير عدى وصلى بالقصر) فولد له من الاولى يابل ويوبل
ومن الثانية توبل قايين وبنات اسمها نعمه (تك ف ٤ عد ١٩ الى عد ٢٣) وقال
يوسيفوس (ك ١ من تاريخ اليهود ف ٢) انه ولد للامك من امرأته ستة
وسبعون ابناً لكن الكتاب لم يذكر الا ثلاثة بنين وبنات كما رأيت وقال لامك
ذات يوم لامرأته « اسمعا قولي وانصتا لكلامي اني قتلت رجلاً لجرحي وقتي
لشدخي انه ينتقم لقايين سبعة اضعاف واما للامك فسبعة وسبعين » (تك ف ٤
عد ٢٤) وتقليد العبرانيين ما قدمناه اي ان لامك قتل قايين خطأً وقال بعض
المفسرين بل قتل رجلاً اخر فان ذرية قايين اعتادت مثل هذه الفضائح
وقال الكتاب في يابل ابن لامك انه « ابو ساكني الخيام ومتخذي المواشي »
فكلمة اب في مثل هذا التعبير في الكتاب يراد بها الاول او البادىء بطريقة
ما فيكون المعنى ان يابل اول من اعتاد الارتحال والسكنى تحت الخيم ورعاية
المواشي كرحل ايامنا . واما يوبل فقال الكتاب فيه انه (ابو كل عازف بالكنارة
والمزمار) اي انه اول من ادخل فن الضرب بالبونج والصنج والعزف بالكنارة
والمزمار . واما اخوهما لايهما توبل قايين فقال الكتاب انه « اول صقيل لجميع
المصنوعات النحاسية والحديدية » اي اول من اخترع صنع الآنية والادوات من
النحاس والحديد . وقد اثبتت الاكتشافات الحديثة ان اول العمل في المعادن

وما يصنع منها كان في اسيا . واثبتت المجلة المعروفة بالكاثوليكية (١) التي تطبع في لوفان (البلجيك) في احد فصولها في اب سنة ١٨٧٨ (في صفحة ١٢٠ الى صفحة ١٣٨) ان صناعة العمل في المعادن ابتداها توبل قاين هذا (فيكورو في الموجز الكتاني عد ٢٩٣ ومعجم الكتاب لكلمت في الكلم المذكورة) ولم يذكر الكتاب غير هولاء من ذرية قاين

﴿ عد ٢١ ﴾

— ﴿ ابناء شيث الى نوح ﴾ —

قد مرَّ ان شيثاً ولد انوش وعمره مائة وخمس سنين فكان مولد انوش لسنة مائتين وخمس وثلاثين لآدم على ما في العبرانية وقال الكتاب (تك ف ٤ عد ٢٦) « وحينئذٍ (اي في ايام انوش) أُبتدي بالدعاء باسم الله ، وفسر كثيرون هذه الآية بمعنى ان انوش وضع نظاماً لعبادة الله الخارجية وللصلوة العامة اذ كان يجتمع بذويه فيسبحون الله ويشكرونه . وذهب كثير من الربيين ان عبادة الاوثان ابتدأت في عهد انوش فترجموا الآية « وحينئذٍ أُبتدي باحتقار اسم الله » اي شرع بعض الناس يسمي المخلوقات والاصنام آلهة . ويمكن ترجمة الآية « وحينئذٍ أُبتدي بالتسمية باسم الله » ليكون المعنى ان الناس الصالح طفقوا يسمون انفسهم ابناء الله او عبيد الله تمييزاً لهم عن الاشرار فيكون هذا تمهيداً لما قاله موسى بعد ذلك (ف ٦ عد ٢) « لما رأى ابناء الله (اي نسل انوش الصحيح المعتقد) بنات الناس ، اي نسل قاين الاشرار . وعن بعض المؤرخين العرب ان شيثاً جعل ابنه انوش سيداً متسلطاً وخبيراً على الناس بعده وانه اول من اقام المحاكم واول من اوصى بالصدقة . وعاش انوش تسعين سنة الى ان ولد قينان وعاش بعد ما ولده ٨١٥ سنة ولد فيها بنين وبنات فكان مجمل سنه ٩٦٥ .

وفسر لانرمان (مجلد ١ صفحة ٤٣) اسم انوش بمعنى انسان
فولد اذا قينان لسنة ٣٢٥ لآدم ولم يثبتنا الكتاب شيئاً من اخباره الا انه
ولد مهلائيل لسبعين سنة من عمره وانه عاش بعد ما ولده ٨٤٠ سنة ولد فيها بنين
وبنات وان مجموع سنه كان ٩١٠ سنين واذا اضفنا الى سني آدم المار ذكرها سبعين
سنة عمر قينان حين ولادته وجدنا مهلائيل ولد سنة ٣٩٥ لآدم وفسر لانرمان
(في المحل المذكور) كلمة قينان بمعنى خليفة (واظن الاولى تفسيرها بقنية او
مقتنى) وكلمة مهلائيل بمعنى تسبحة الله وعن ابن الاثير عن هاشم ابن الكلبي ان
مهلائيل اول من بنى البناء واستخرج المعادن وامر اهل زمانه بأخذ المساجد
وبنى مدينة بابل في العراق ومدينة السوس بخورستان . وهذا مما يورد ولا يمكن
اثباته اذ لا سبيل الى اقامة البينة عليه

وولد مهلائيل يارد لسنة ٦٥ من عمره وعاش بعد ما ولده ٨٣٠ سنة ولد
فيها بنين وبنات فكانت كل سنه ٨٩٥ سنة واذا اضفنا ٦٥ سنة الى سني آدم
السابقة وجدنا يارد ولد سنة ٤٦٠ لآدم ولم يثبتنا الكتاب من اخبار يارد الا انه
عاش ١٦٢ سنة الى ان ولد اخنوخ (او خنوخ) سنة ٦٢٢ لآدم وعاش يارد
بعد ما ولد اخنوخ ٨٠٠ سنة ولد فيها بنين وبنات ومات وله من العمر ٩٦٢ سنة
وسماه المؤرخون العرب يرد ايضاً وفسر لانرمان اسمه بمعنى ائحدار او ذرية

واخنوخ هو الذي يسميه المؤرخون العرب ادريس وقد جاء في التوراة
ان اخنوخ ولد متوشالغ لسنة ٦٥ من عمره وانه سلك مع الله بعد ما ولده
ثلاثماية سنة ولد فيها بنين وبنات وان كل ايامه كانت ٣٦٥ سنة ولم يوجد بعد
لان الله اخذه (تك ف ٥ عد ٢٤) وفهم بعض المفسرون الاية الاخيرة بمعنى
ان اخنوخ مات موتاً طبيعياً لكنه لم يدرك سني سائر الاباء الاولين اذ عاش
اقل من جميعهم ٣٦٥ سنة فكان الله اراد ان يقيه الفساد فاماته قبل الوقت

المعتاد في تلك الايام . الا ان اكثر الاباء والمفسرين على انه لم يمت بل حجبه الله عن مرأى الناس كما فعل بايليا بعده ويؤيد هذا قول بولس الرسول « وبالايمان نقل اخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد بعد لان الله نقله اذ قبل نقله شهد له بانه ارضى الله » (عبرانية ف ١١ عد ٥) وقال فيه ابن سيراخ (ف ٤٤ عد ١٦) « اخنوخ ارضى الرب فقتل » وزادت النسخة اللاتينية العامية « الى الفردوس » اي الارضى ولا وجود لكلمة الفردوس في اليونانية وفهم القديس ابرونيموس بذلك انه نقل الى السماء وكذا يعتقد المؤرخون المسلمون العرب فقد جاء في تاريخ ابي القدا « واما اخنوخ وهو ادريس فانه رفع لما صار له من العمر ثلاثماية وخمس وستون سنة رفعه الله الى السماء »

ويعزى الى اخنوخ سفر لم تثبته الكنيسة الكاثوليكية بين الاسفار المقدسة على ان القديس يهوذا الرسول قال في رسالته (عد ١٤) « وقد تنبأ على هولاء (الائمة) ايضاً اخنوخ سابع آدم (اي السابع بعده) حيث قال هوذا يأتي الرب في ربوات قديسيه ليجري القضاء على جميعهم ويحج جميع المنافقين منهم على كل اعمال نفاقهم التي نافقوا بها ، فكان هذا للمفسرين معضلة يعسر الاهتداء لوجهها أخذ الرسول هذه الاية عن كتاب لاخنوخ كان في صدر النصرانية ام علم ذلك بتقليد او وحي خاص والاظهر ان الرسول قرأ هذه الفقرة في سفر اخنوخ او في كتاب اشتمل عليها وهو لاستنارته بالالهام الالهي اشتشهد بها بما انها حقيقة وان لم يكن السفر برمته قانونياً على ان مشاهير الاباء لم يعتبروا من هذا السفر منزلاً الا هذه الفقرة لاثبات يهوذا الرسول لها في رسالته المعدودة من الاسفار الموحاة . وفسر لانرمان (في المحل المذكور) كلمة اخنوخ بمعنى
المتبدي

واما متوشالح بن اخنوخ فكان مولده سنة ٦٨٧ لآدم ونبأنا الكتاب انه

قد رأيت ان جميع الابهاء الا نوحاً ولدوا وآدم في الحياة وامكنهم ان يعاشروه ويتلقوا عنه الاخبار الصحيحة عن ابداع العالم وما علمه الله اياه وكثير منهم لا سيما متوشالح ولا ملك عاشروا نوحاً سنين متطاولة فسلموا اليه ما تسلموه من آدم ولما كان نوح قد عاش بعد الطوفان ثلاثماية وخمسين سنة (تك فصل ٩ عد ٢٨) امكن ابرهيم ان يعيش معه نصف قرن ونيفاً بحسب الاصل العبراني ويتلقى عنه التقليدات الصادقة ولا اقل من ان يتلقاها عن سام ابنه بحسب الترجمة السبعينية وتبلغ الى اسحق ويعقوب ثم موسى بسلسلة متصلة قليلة الحلقات كما ستري

﴿ عد ٢٢ ﴾

— طول حياة الابهاء الاولين —

ان طول حياة الابهاء قبل الطوفان الى نيف وتسعمائة سنة كان من قرونٍ مشكلاً توفرت الاقوال في حله ومنذ زمان القديس اغوستينوس كان يحاول بعضهم ايجاز هذه المدد المتطاولة زاعمين ان ليس المراد بالسنة الا ستة وثلاثون يوماً على ان موسى لم يقل كلمة تجعل اللبس في ان المراد بسني الابهاء غير المراد بالسنة في باقي كلامه بل ان ذكره الشهر السابع والعاشر (تك ف ٧ عد ١١ وف ٨ عد ٤) هو نص صريح على ان الشهر يختلف عن السنة التي تتألف لا اقل من ثلاثماية وستين يوماً. وما احسن ما قاله القديس اغوستينوس (كتابه في مدينة الله راس ١٥) في هذا الصدد وهو ان شيئاً ولد ابناً وعمره مائة وخمس سنين وقينان ولد ابناً وعمره سبعون سنة فلو كانت السنة ستة وثلاثين يوماً لنتج ما هو مستحيل بين اي ان شيئاً ولد وعمره نحو من عشر سنين وقينان ولد وعمره نحو من سبع سنين فالمراد اذا بسني عمر الابهاء سنون حقيقية وان الابهاء قبل الطوفان كانوا طويلي الاعمار لحكمة من قبل الله يظهر لنا من مقاصدها

السامية فناء النوع البشري والتكامل بالمعارف والمحافظة على ما علمه الله آدم بالتقليد كما رأيت قبيله وقد جعل الله بنية هؤلاء الاباء قوية تتحمل كرور هذه السنين وعاونت على ذلك صياتهم بالبرارة والاعتدال وتنكبهم كل افراط . وقال يوسيفوس (في ك ١ في تاريخ اليهود فصل ٣) ان الله اطال عمر هؤلاء ثواباً لفضائلهم وتوسلاً للتكامل بالمعارف والعلم . . . وكل من كتبوا التاريخ يوناناً كانوا او غيرهم يشهدون لما قلته فان مانيتون الذي كتب تاريخ المصريين وباروز الذي كتب تاريخ الكلدان وموكوس واستيوس وهيروم المصري الذين كتبوا تاريخ الفينيقيين قالوا هذا القول نفسه . واسيود واكرتا واكوسيلاس وايلانيك وايفور ونيقولوس ورووا ان الاولين كانوا يعيشون حتى الف سنة .

فيقول جاحدوا التنزيل ان طول العمر بهذا المقدار مخالف للطبع ومضاد علم التشريح (الفيسيولوجيا) لكن هذا العلم لا مستند له الا ما يشاهد في الحال الحاضرة ومعتمده في تحديد عمر الناس انما هو الاختبار والمعانة لتركيب الاجسام الان فلا تمتد نتائجه الى ما لا يرى الان فلو سلمنا بان تركيب الاجسام الان يستحيل معه البلوغ الى عمر الاباء قبل الطوفان لما نتج منه ما يخالف قول الكتاب في الاباء الاولين . هذا وكثيراً ما وجد في هذه الاعصر اشخاص تجاوزوا العمر المعتاد وبلغوا الى مائة وخمسين او مائتي سنة ايضاً من عمرهم فروى بريشارد (١) امثلة كثيرة منها ان رجلاً اسمه توما بار من شروب على تخوم بلاد غال (٢) اشتهر بطول عمره وبلغ منه ١٥٢ سنة فرغب كرلس الاول ملك انكلترا في ان يراه فاشخصوه الى بلاطه واراد بعضهم الاحتفاء به والايام له فافرط في الماكل فمات متخوماً فشرحه الطبيب هرفاي الشهير فوجد امعاءه وباقي

(1) Prichard

(2) Thomas Parr du comté de Shrop

اعضائه الرئيسية على تمام السلامة وقضى انه كان يمكنه ان يعيش سنين عديدة لولا
التخمة التي اصابته . وحقق الجوألون في هذا العصر ان طول الحياة ليس نادراً
في العرب سكان صحارى افريقية ويكثر وجود افراد يتجاوزون المائة من سنهم في
البلاد الباردة كروسيا وغيرها وربما كان الهواء قبل الطوفان اصاح منه للصحة
بعده فضلاً عما يوجد من البون الكبير بين المعيشة والاشغال قبلاً والان (عن
الوجيز الكتاني لفيكورو عدد ٢٩٤ بتصرف)

﴿ عد ٢٣ ﴾

— التطابق بين عدد الابهاء قبل الطوفان في الكتاب —

﴿ وبين عددهم في اثار القبائل ﴾

من المستغرب اننا نجد عند اكثر القبائل القديمة عشرة ابااء او ملوك اولين
طبق عدد الابهاء العشرة الذين ذكرهم الكتاب من آدم الى نوح وتزول الغرابة
اذا تذكرنا ان اصل الناس واحد وان التقليد الذي اودعه موسى سفر التكوين
حفظته هذه القبائل باثارها يمازجه شيء من التشوش او تغير الاسماء من جرى
كرور الاعوام واختلاف اللغات والجهل وعبادة الاوثان . فقد نبأنا تقاليدات
الكلدان تتابع عشرة ابااء قبل الطوفان سميتهم ملوكاً ونظم فرنسيس لانرمان
(في مجلد ١ من تاريخه صفحة ٤٣ طبعة ٩) عن فقر لباروز اسماءهم في جانب
اسماء العشرة الابهاء قبل الطوفان في جدول اختلفت فيه الاسماء وتطابق العددان
في الكتاب والاثار . وروى ان ابيدان (هو كاتب يوناني كتب تاريخ بعض
شعوب اسيا في عهد خلفاء اسكندر) جمع من تقاليدات الاشوريين ما يتبين منه
ان هذه القبيلة كان فيها في بدء امرها قبل بناء نينوى عشرة ابطال تولوا تدبيرها
ومن معتقدات الايرانيين القدماء انه قام فيهم عشرة ملوك يسمونهم باشدين

اي رجال السنة القديمة ويقولون انهم كانوا يقتاتون بشراب يسمونه (هوما)
اي شراب عدم الميتوتة اشارة الى طول اعمارهم . واعتقد الهنود وجود تسعة
اباء يسمونهم (براهمديكاس) ويضيفون اليهم براهما اصلهم واولهم ويسمون
الكل (اليتريس العشرة) اي الاباء العشرة . وقال الجرمانيون والاسكنديناف
(سكان اسوج ونزوج القدماء) بعشرة جدود (لاودين معبودهم) . واعتقد
الصينيون عشرة سلاطين اشتروا بالطبع الالهي قبل بزوغ انوار الاعصر
التاريخية . ومن تقليدات العرب تتابع عشرة ملوك من قبيلة (عاد) وهم
مع قومهم اول من سكن شبه جزيرتهم بين البحر الاحمر والخليج العجمي وعد
سنكونياتون عشرة مواليد للاباء الاولين عند الفينيقيين اولهم بروتوكونوس اي
المولود الاول وايون اي حواء . ذكر هولاء الاب فيكورو (في الكتاب
والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٢٤١ طبعة ٤) وروى لانرمان (في التاريخ
القديم مجلد ١ صفحة ٤٣ و ٤٤ طبعة ٩) مارواه فيكورو وزاد عليه ان ايدان
المار ذكره آنفاً عد عشرة ابطال عند الارمن القدماء تقدموا ارام (بن سام بن
نوح) جد هذه القبيلة على مذهبه الذي تابعه به علماء مدرسة الرها وغيرهم .
وان المصريين اعتقدوا ان الالهة حكموا في الارض في الاعصر الاولى للبشرية
على ان فقر مايتون التي تكلم فيها على هذه الاعصر الاولى بلغت الينا مشوهة
لا يهتدى بها الى توكيد عدد موالاء الحكام . لكن الباير التاريخي الكائن الان في
متحف تورين يستنار منه ان الالهة الذين تولوا سياسة الناس في البدء كانوا عشرة
طبق تقليدات سائر الامم فهذا التطابق في عدد الاباء العشري في الكتاب وفي
اثار هذه القبائل كلها يستحيل ان يكون مصادقةً واتفاقاً ولا وجه له الا انه عن
مصدر واحد هو التقليد الاولى الذي استودعه موسى سفر التكوين والقبائل

ان التقليد البابلي في عهد باروز كان يجعل لولاية الملوك الذين حكموا قبل الطوفان مدداً مديدة من السنين يقسمونها الى مائة وعشرين مدة ويسمون كلاً منها (ساراً) وجعل باروز كل سار منها ثلاثة الاف وستماية سنة فكان عدد السنين معظماً كثيراً . على ان سويداس (وهو مؤلف يوناني يظن انه كان في القرن التاسع او العاشر بعد الميلاد) افادنا في معجمه ان السار في عرف البابليين عبارة عن ثماني عشرة سنة وستة اشهر فالماية وعشرون ساراً تساوي في عرفهم ٢٢٢٢ سنة لان السار يساري ٢٢٢ شهراً قرئاً فيتألف منها ثماني عشرة سنة وستة اشهر فاذا ضربت في مائة وعشرين كان الحاصل الفين ومائتين واثنين وعشرين سنة . وعليه فكان للسار استعمالان احدهما فلكي يساوي ٣٦٠٠ سنة والاخر مدني يساوي ١٨ سنة وستة اشهر . وعلى مقال سويداس يلزم اعتبار المائة والعشرين ساراً قبل الطوفان بحسب الاستعمال المدني واذا حسبناها كذلك وجدنا بين تاريخ الكتاب وتاريخ الكلدان تطابقاً او تقارباً مدهشاً لا سيما اننا نتوصل الى ذلك بطريقتين مختلفتين فتؤدينا كلتاهما الى نتيجة واحدة فالطريقة الاولى اساسها السنة التي ولد فيها احد الابهاء ابناً كما هي في سفر التكوين والثانية اساسها المدة التي حكم فيها كل من الملوك العشرة عند الكلدان قبل الطوفان فهذه الاعداد تؤدينا على مبايبتها الى ظهور الاتفاق بين نص الكتاب والآثار الكلدانية كما ستري في الجدول التابع الذي يكشف لك ايضاً عن الفرق الكائن بين نسخ الكتاب العبرانية والسامرية والسبعينية وعن مواطنه كما وعدنا انفاً بذلك وهاك الجدول

اسماء	عن النسخة					الاباء قبل العبرانية الطوفان والعامية
مجموعها مضروبة ملك الكلدان	١٨ سنة ونصف	عدد المدات	السبعينية	السامرية	١٣٠	ادم ولد شيئاً
الوروس	١٨٥	١٠	٢٣٠	١٣٠	١٣٠	شيث
الاباروس	٥٦ ١/٢	٣	٢٠٥	١٠٥	١٠٥	انوش
المالون	٢٤٠ ١/٢	١٣	١٩٠	٩٠	٩٠	قينان
امينون	٢٢٢	١٢	١٧٠	٧٠	٧٠	مهلائيل
امكاروس	٢٢٣	١٨	١٦٥	٦٥	٦٥	يارد
داونوس	١٨٥	١٠	١٦٢	٦٢	١٦٢	اختوخ
ادورنكوس	٢٢٣	١٨	١٦٥	٦٠	٦٥	متوشالغ
امباسينوس	١٨٥	١٠	١٦٧	٦٧	١٨٧	لامك
اتيرتس	١٤٨	٨	١٨٨	٥٣	١٨٢	نوح سنة الط
كيسوترس	٢٢٣	١٨	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠	
١٠	١٢٢١	١٢٠	٢٢٤٢	١٣٠٢	١٦٥٦	١٠

فالظاهر من هذا الجدول ان مجموع السنين الحاصل من المائة والعشرين ساراً مدد ملوك الكلدان الى الطوفان محسوبة على مذهب سويداس يوافق عداد السنين التي خلت من خلق الانسان الى الطوفان بموجب النسخة السبعينية وليس من فرق بينهما بسوى احدى وعشرين سنة مع ان النسخة السبعينية تزيد على العبرانية ٥٨٦ سنة وعلى السامرية ٩٤٠ سنة والكنيسة لم تقطع في القول بشئ من هذه الاعداد ولو كان هذا الاتفاق بين الكتاب واثار غير الكلدان لربما امكن تخريج وقوعه على المصادفة ولكن وقوعه في اثار الكلدان الذين كثيراً ما تساوت تقليداتهم وتقليدات العبرانيين يصبون لنا حسب ان هذا التوافق حقيقياً واقعياً انتهى ما خصاً عن فيكوروا في مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٢٤٥ طبعة ٤

﴿ عد ٢٤ ﴾

﴿ في الجبارة ﴾

جاء في سفر التكوين (ف ٦ عد ١ وما يليه) « ولما ابتدأ الناس يكثر
على وجه الارض وولد لهم بنات رأى بنو الله بنات الناس انهن حسنات فاتخذوا
لهم نساء من جميع من اختاروا . . . وكان على الارض جبارة في تلك الايام
وايضاً بعد ان دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم اولاداً اولئك هم
الجبارة المذكورون منذ الدهر ، وقد مرّ ان المراد ببني الله ابناء شيث وانوش
الذين ابتدأوا يدعون باسم الله واستمروا يحفظون سننه وان المراد ببنات الناس
ذرية قايين الذين سلكوا طريق الاثم . وقد ورد ذكر الجبارة في آيات اخرى
عديدة من الكتاب بعد الطوفان ايضاً كجبارة بني عناق الذين ذكرهم
جواسيس موسى في ارض الموعد (سفر العدد فصل ١٣ عد ٣٣) وكهوج ملك
باشان (نشيد فصل ٣ عد ١١) وكجليات الذي صرعه داود (ملوك ١ فصل
١٧ عد ٤) وقد وافقت اثار القبائل وتقليداتها ايات الكتاب في ذكر الجبارة
فقال باروز سنداً الى تقليدات الكلدان ان الاناس الاولين كانوا ذوي قامة
وقوة عجيبتين وانه استمر مثل هولاء بعد الطوفان ايضاً وترى الاثار الكلدانية
تعبر عن الجبارة بكلمة (كبرو) او (جيبور) كما يعبر الكتاب عنهم . وترى
اثار اليونان واشعار شعرائهم طافحة بذكر الجبارة واعمالهم ومن تقليداتهم ان
جنوب جزيرة رودس وجزيرة كوس كان اول سكانها من الجبارة وروى مار اباس
كاتينا مؤرخ الارمن حروب هولاء الجبارة في ارمينيا وما بين النهرين وقد فشا
في كتب العرب واثارهم وصف الجبارة في قبيلتي عاد وثمود وبني عناق والعمالقة
وترى مثل ذلك في اثار المصريين والهنود وغيرهم من القبائل العريقة في القدم
(روى ذلك لانرمان في تاريخه مجلد ١ صفحة ٤٧ وفيكوردو في الكتاب

والاكتشافات مجلد ١ صفحة ٢٤٦) وما من ناكر انه وجد ويوجد في بلادنا
وغيرها اعضاء بشرية تتجاوز في طولها وضخامتها اعضاء البشرين في هذه
الايام

على ان كلمة الجابرة في الاصل العبراني في اية التكوين هي نوفل او نيفليم
ومعناها رجل مرعب او قدير وترجمها اكويل في اليونانية بكلمة معناها الرجال
المحاربون او المعتدون وسيماخوس بكلمة معناها الرجال القساة او المحبو الاعتداء
والسبعينية بجيكاس او جيبور ومعناه الرجل القدير المحارب ولذلك ذهب بعض
العلماء القدماء والحدثاء ان الجابرة الذين ذكرهم الكتاب كانت شهرتهم باعتدائهم
وشراسة اخلاقهم واثامهم اكثر منها بقوتهم وطول قاماتهم على ان الاكثرين
من الاباء والعلماء علموا بانه كان جابرة امتازوا لا باعتدائهم وسطوهم فقط بل
بقوتهم وطول قاماتهم ايضاً وقد اسهب كلمت (في معجم الكتاب في كلمة
جابرة) بايراد الحجج الدامغة والبيانات الوضعية على وجود جابرة ضخام الجثث
طويلي القامات دلت عليهم بقايا اجسامهم العديدة فضلاً عن آيات عديدة من
الكتاب لا يمكن تخريجها الى معنى الاعتداء والمعاصي وفضلاً عن شهود عدل
من المؤرخين وعمما ذكرناه من اثار القبائل بل لا يمكن اصحاب الزعم المضاد ان
يقيموا نكيراً على انه يوجد في هذا العصر وقد وجد في كل عصر اناس غير
عاديين في طول قاماتهم وقوتهم ووجود بقايا بشرية لا تريد على اعضاء اهل
عصرنا لا يثبت ولو مهما كثرت تلك البقايا انه لم يكن جابرة بل يقتصر
اثباتها على انه لم يكن كل الناس جابرة وعلى كلا الرائيين يبقى صدق الكتاب
كاملاً سالمًا فان فهم بالجابرة قبل الطوفان الاثمة واصحاب المعاصي او طوال
القامات والمقتدرون فسيان في صدق الكتاب وربما كان المعنى الاول انسق
واكثر التحاماً مع كلام الكتاب في اترال الله الطوفان عقاباً لمعاصي الاشرار

واي محال في وجود اشخاص غير عادين قبل الطوفان او بعده وقد وجد
مثل هولاء في كل عصر بالنسبة الى سائر اهله

الفصل السابع

(في الطوفان)

﴿ عد ٢٥ ﴾

— روية الكتاب خبر الطوفان —

جاءنا سفر التكوين في الفصول السادس والسابع والثامن والتاسع منه باخبار
الطوفان وما تعلق به فكانت الخلاصة انه لما فسدت الارض اي اهلها امام الله
وملئت اثماً وجوراً استأى الله من الناس استيآءً عبر عنه الكتاب بالندم والاسف
على انه خلقهم وعزم ان يمحوهم من الارض مع ما ابدعه من الحيوان والطيور
الا نوحاً واسرته فامر ان يصنع فلكاً ويقسمه الى طبقات ومواضع ويطلبه من
داخل ومن خارج بالقار ويجعل طوله ثلثماية ذراع وعرضه خمسين وعلوه ثلاثين
ذراعاً والذراع عبارة عن نصف المتر في ايامنا على الصحيح وان يدخل الفلك
باهله اي امرأته وبنوه ونساوهم وان يدخل معه من الحيوانات الطاهرة سبعة
سبعة ذكوراً واناثاً ومن الحيوانات الغير الطاهرة اثنين ذكراً وانثى مع ما يلزم
من العلف والقوت فصنع نوح كما امره الرب وفي سنة الستمائة من عمره في
السابع عشر من الشهر الثاني (الذي يظهر انه تشرين الثاني) تفجرت حينئذ عيون
الغمر العظيم وتفتحت كوى السماء وكان المطر على الارض اربعين يوماً واربعين ليلة
حتى حمل الماء الفلك وكثرت المياه حتى غطت جميع الجبال الشامخة التي تحت السماء
كلها وعلت على الارض خمسة عشر ذراعاً وتقطت الجبال فهلك كل ذي جسد

يدب على الارض والطيور والناس كافة وتعاضمت المياه على الارض مائة وخمسين يوماً فإرسل الله ريحاً على الارض فتناقصت المياه وانسدت عيون الغمر وكوى السماء واحتبس المطر واستقر الفلك في السابع عشر من الشهر السابع (نيسان على ما مر) على جبال اراراط ففتح نوح كوة الفلك بعد مدة واطلق الغراب فجعل يتردد الى ان جفت المياه ثم اطلق الحمامة فلم تجد مستقراً لرجلها فرجعت اليه . ثم اطلقها بعد سبعة ايام فعادت وفيها ورقة زيتون خضراء فعلم ان قد جف الماء فخرج نوح وامرأته وبنوه ونسوتهم من الفلك في السابع والعشرين من الشهر الثاني فتكون مدة اقامتهم في الفلك سنة وعشرة ايام وخرجت ايضاً الحيوانات وبنى نوح مذبحاً وقدم عليه ذبيحة للرب من الحيوانات الطاهرة والطيور فتقبل الرب ذبائحهم ووعد بان لا يكون طوفان اخر مثل هذا على الارض وقال له ولبنيه انموا واكثروا واملأوا الارض وفرض عليهم بعض السنن وابعدهم عن اكل لحم الحيوان والطيور وجعل القوس في الغمام علامة لعهدهم معهم . فهذه خلاصة ما في الكتاب في هذا الباب وجعله القوس في الغمام علامة لعهدهم لا ينتج منه ان هذه القوس لم تكن قبلاً فتكونها طبيعي كلما وقعت اشعة الشمس على غمام غير متكاثف فقد جعل تعالى ما كان علامة لما سيكون من انه لا يسمح بحصول طوفان كهذا في ما بعد كما يجعل احد الصخور الكائنة في محل علامة وتحملاً لملك مالك

﴿ عد ٢٦ ﴾

مباحث في الطوفان واولاً اعاماً كان او خاصاً

أعم الطوفان الارض كلها وابد الناس على اخرهم الاً نوحاً واهله ام اقتصر على المعمور حينئذٍ فقط ولم يعم الارض بكليتها ذلك مبحث اعتاص امره على الاباء والعلماء فكان لهم فيه ثلثة اقوال اولها قول بعض الاباء والعلماء ان

كلام الكتاب على اطلاقه اي ان الطوفان عمّ الارض كلها لا المأهولة حينئذٍ فقط بل ما كان منها اهلاً للسكنى ايضاً . والثاني قول بعضهم ان كلام الكتاب ليس على اطلاقه بل يلزم قيده بالارض المأهولة حينئذٍ فقط وعلى القولين ان الناس اجمع بادوا بالطوفان لا يستثنى منهم الا نوح واهله الذين ذكرهم الكتاب . والثالث قول قوم من اهل العلم المتأخرين من ان الطوفان لم يبد الناس كافة وبالاولى انه لم يعم الارض كلها واقام كل من اصحاب هذه الاقوال حججاً وبيانات على مدعاه فن حجاج اصحاب القول الاول ان نص الكتاب صريح « بان المياه غطت جميع الجبال التي تحت السماء كلها » وانها اهلكت كل ذي جسد يدب على الارض من الطير والبهائم والوحوش وجميع الزحافات التي ترحف على الارض والناس كافة ، ومن حججهم ايضاً ان جميع القبائل حفظت ذكر الطوفان وافترضته عاماً ومنها ايضاً على زعمهم وجود الاودية والجبال في كل ارض فينسبون وجودها الى الطوفان ومنها وجود الصدف وبقايا الحيوانات البحرية في الجبال على ان هاتين الحجيتين الاخيرتين قاصرتان فان الجبال كانت قبل الطوفان وهذا ثابت بنص الكتاب نفسه ووجود الجبال يستلزم طبعاً وجود الاودية واما وجود البقايا البحرية في الجبال فيسهل تخريجه بان هذه البقايا من قبل الطوفان في العصر الاولى لتكوّن العالم . ومع هذا فقد استمسك بهذا القول اكثر القدماء وكثير من الحدّثاء ايضاً ومن جملتهم كلمت في معجم الكتاب في كلمة طوفان وبرجيا في معجم اللاهوت في هذه الكلمة

ولاصحاب القول الثاني بان الطوفان لم يعم الكرة كلها حجج اولها ان كلام الكتاب الدال على التعميم لا يفهم دائماً على اطلاقه . مثلاً جاء في سفر التكوين نفسه (فصل ٤١ عد ٥٤) « وشمل الجوع جميع وجه الارض » وقدم اهل الارض باسرها الى يوسف ليمتاروا لان الجوع كان شديداً في الارض كلها ،

وليس من قائل ان مجاعة مصر حينئذٍ عمت البسيطة كلها بل كانت مقصورة على مصر وما جاورها من البلاد . وجاء في سفر تثنية الاشتراع (فصل ٢ عد ٢٥) « وانا في هذا اليوم ابدأ بايقاع زعرك وخوفك على وجه الامم الذين تحت السماء » ومن يقول ان خوف موسى وقع على وجه كل الامم التي تحت السماء . وجاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٤) « وكانت كل الارض تلتبس مواجهة سليمان لتسمع حكمته » ومن يفهم كلمة الارض هنا على اطلاقها وفي الابركسيس (فصل ٢ عد ٥) انه كان في عيد البنديكستي في اورشليم « يهود رجال اتقياء من كل امة تحت السماء » ومن الين ان التعميم في هذه الايات كلها لا يفهم على اطلاقه . فاي الموانع اذاً من فهم قول التكوين في الطوفان على غير اطلاقه

وحجتهم الثانية ان من الاصول المفروضة لتفسير الكتاب ان يراعى في نصه العصر الذي كتب فيه وكيفية فهم الكاتب والمكتوب اليه معنى كلامه . ففي وقت الطوفان لم تكن الارض ملاءى بالسكان فلم يفهم نوح ولا موسى بالارض كلها الكرة برمتها كما عرفت الان بعد الاكتشاف عن امركا وغيرها بل فهما من ذلك الارض المأهولة حينئذٍ ويؤيد هذه الحجة ان الداعي الى الطوفان انما هو اهلاك الناس الاثمة ولم يكن حينئذٍ اناس على وجه البسيطة باطلاقها . وحجتهم الثالثة ان مذهبهم اسلم من النقد واعون على رد الاعتراضات الواردة على الطوفان ومن جملتها كيف استطاع نوح ان يجمع كل الحيوانات من اقاصي الارض وكيف وسعها فلكه مع اعلافها سنة وكيف امكنه ان يرسلها بعد الطوفان الى جميع الافاق وكيف اتى بالحيوانات التي كانت الابحر المحيطة (الاوقيانوس وهو متعدد) يفصل بينه وبينها وكيف امكن الحيوانات التي تعيش في الجزر ان تعود اليها بعد الطوفان فكل هذه الاعتراضات لا يبقى لها قوام ولا محل اذا سلمنا

بان الطوفان لم يشمل الا الارض المعروفة حينئذ وبانه لم يدخل السفينة من الحيوانات الا ما كان في الاصقاع المأهولة حول نوح ولا يبقى مشكل في جمعها ولا في وسع الفلك لها ولا تبقى حاجة الى القول بسلسلة معجزات لنقل الحيوانات من وراء الابحر المحيطة وردها الى هنالك والى الجزر الشاسعة فقد انزل الله الطوفان ليبيد الناس لشركهم ولم يكن لازماً من وجه ان يبيد انواع الحيوان كلها واية حاجة لله ان يوحى الى نوح وجود حيوانات لم يكن عرفها ولا سمع بها . ولا يلزم الالتجاء الى المعجزات الخارقة الطبع في ما يمكن بيانه دون خرق شرائع الطبيعة فالحيوانات العائشة في البلاد الغير المأهولة بالناس استمرت في موطنها ولم تحتج النجاة بالفلك اذ لم يتصل الطوفان اليها على هذا المذهب

ان للاطبيعيين معضلات اخرى منها ان الماء الذي على الكرة كلها لا يكفي لتغطية كلها فيلزم عندهم لذلك قدر من المياه فوق قعر البحر يساوي عمقها علو اعلى الجبال كحملايا الذي يساوي ارتفاعه نيف وثمانية الاف وخمسمائة متر فمن اين الماء ليغمر الارض كلها ويرتفع خمس عشرة ذراعاً فوق الجبال العالية . ومنها ان تغطية سطحي الكرة معاً مستحيلة مع حفظ شرائع الطبيعة الحالية فيلزم خرقها من اوجه . ومنها ان الاسماك العائشة في المياه العذبة يمتها ماء البحر الملح ولم يذكر الكتاب ان نوحاً ادخل فلكه نوعاً من الحيوانات التي تعيش في الماء فمن اين الان الاسماك التي تعيش في الماء العذب . فهذه المعضلات وان التمس لها اصحاب القول الاول اوجهاً لبيانها كأن الارض كانت مغطاة بالماء قبل ظهور اليابسة وان في قلبها مستودعات ماء يسلم بوجودها بعض علماء الجيولوجية وان حالة الجو كانت في ايام نوح غير ما هي في ايامنا الا ان هذه الاوجه لا تزال الاشكال ويضطر اصحاب القول الاول ان يعزو كل ذلك الى قدرة الله القادرة على كل شئ يخرقها شرائع الطبيعة وابدأها معجزات عديدة

معاً فإذا سُلمَ بالقول الثاني ان الطوفان لم يعم من الكرة الا ما كان مأهولاً زالت هذه العضلات بالاهتداء الى وجهها ولم تبقى حاجة الى قدر الامواه اللازمة لتغطية الارض بكاملها بل يكفي المطر العرمم وفيضان امواه البحر في بعض الاماكن وانفجار احواض الماء التي في قلب الارض كما اشار الكتاب. ولا يتغطى حينئذٍ سطح الكرة معاً وتبقى امواه عذبة يعيش بها السمك غير البحري

ان هذا القول الثاني لا يصاد الايمان ولا وسمته الكنيسة الكاثوليكية بسمة ضلال فقد بُحث في هذه المسألة في رومة سنة ١٦٨٥ بداعي كتيبات نشرها اسحق فوسسيوس (١) يثبت بها ان الطوفان لم يكن عاماً فاكثر مجمع فحص الكتب التحري في هذا الشأن واستوضح العلامة مايلون الشهير (٢) ما يراه في اقوال فوسسيوس هذه فاثبت انها لا تخالف الكتاب بوجه من الوجوه بل هي اعون على تفسيره واورد بعض ما اوردا آنفاً واستشهد باقوال بعض الاباء لرأيه فلم يته هذا المجمع حينئذٍ ولا الكنيسة بعداً عن اتباع هذا المذهب واما القول الثالث بان الطوفان لم يهلك الناس كلهم ايضاً فقال به بعض اهل العلم عن عهد قريب زاعمين ان بعض قبائل المنقول في الصين والاحباش والسودان هي من اصل قبل الطوفان ومن قالوا بهذا المذهب العالم دي كاترفاج والعالم شوبال الذي جعل (في المجلة تاريخ الفلاسفة المسيحية في كانون الاول سنة ١٨٧٦) قان اصلاً لذرية السودان وان الطوفان لم يهلكهما وجنح فرنسيس لانرمان (في تاريخ المشرق مجلد ١ صفحة ٥٦ وفي موجز هذا التاريخ) الى هذا المذهب بحجة عدم وجود اثر للطوفان عند السودان خلافاً لسائر الامم. وقد دافع عن هذا المذهب العالم اوماليوس دي هالوى البلجيكي في خطبة القاها

(١) وهو عالم الماني ولد سنة ١٦١٨ وتوفي سنة ١٦٨٩ ysac Vossius (١)

(٢) وهو احد مشاهير رهبانية القديس مبارك ولد سنة ١٦٣٢ وتوفي في بريس سنة ١٧٠٧

(٢) Mabilion (2)

في المجتمع العلمي في البلجيك سنة ١٨٦٦ وتابع هولاء بعض العلماء الالمانين الكاثوليكين . وصرح الاب بالينك اليسوعي البلجكي بان هذا المذهب يمكن تأييده وان لم يتمسك هو به لانه قال (كما ورد في المجلة الدروس الدينية في نيسان سنة ١٨٦٨) « ليس من قصدنا ان ندافع عن هذا المذهب اذ لا نرى الدفاع عنه لازماً في حالة العلم الحاضرة لكننا لاندد بمن يظن هذا المذهب سيتغلب يوماً ما ، على ان ما صرح الكتاب به انما هو ان الله اراد ان يفرق جميع الناس لان جميعهم غرقوا في لجة الاثم ما خلا نوحاً واهله . وصرح بطرس الرسول (في رسالته الاولى فصل ٣ عد ٢٠) انه خلص بانفلك « نفر قليل اي ثمانية نفس ، وقال ايضاً (رسالته ٢ فصل ٢ عد ٥) « ولم يشفق على العالم القديم وانما وقي نوحاً كارز البر وهو ثامن ثمانية واتي بالظوفان على عالم المنافقين » (ملخص عن الوجيز الكتابي لفيكورو عد ٣٢٣)

﴿ عد ٢٧ ﴾

— هل يثبت علم الجيولوجية (١) حصول الظوفان —
 وضع الاب فيكورو في كتابه الوجيز الكتابي (عد ٣٢٢) فصلاً في هذا المبحث فلخص هنا ما كتبه هناك . قال ظن علماء الجيولوجية الاولون انهم وجدوا حججاً بينة تثبت نصاً تعريق جزء من الارض على الاقل بظوفان حصل في العصر التاريخي اي بعد ان اهلت كرتنا بالبشر . على ان عامة العلماء هجروا هذا القول الان لانه لا يظهر قريباً من الصدق ان طغيان ماء على سطح الارض سنة واحدة يترك فيها اثاراً يمكن تحقيتها بعد قرون وتميزها عن اثار طغيانات اخرى سابقة . فقالوا اولاً ان بين طبقة الارض المعروفة عندهم بالثالثة وبين ارضنا

(١) معنى اللفظة الكلام في الارض وهذا علم يبحث فيه عن تكون الارض وطبقاتها الى غير ذلك من متعلقاتها

الان في اكثر انحاء البسيطة طبقة مؤلفة من حصى وتراب خزفي ورمل بحري وحصى ملساء فاعتبروا ذلك راسباً من ماء الطوفان وسموا طبقة الارض هذه طوفانية . اما علماء الجيولوجية الان فيسمون هذه الطبقة طوفانية لكنهم لا يرون ان طوفان سنة كونها بل هي نتيجة طفانيات وثورات عديدة جرت بحسب سنن الطبيعة في قرون ولا يبعد ان يكون طوفان نوح من فواعل هذه الانقلابات لكنه ليس الفاعل الوحيد بها بل يلزم اعتزاً كثير منها الى الاعصر الاولى قبل خلق الانسان

قالوا ثانياً ان مما يثبت الطوفان الصخور الدخيلة اي الصخور الكائنة في غير مواطنها منتقلة من محل اخر ويرى مثل هذه الصخور في انكلترا والمانيا وروسيا ثم في آسيا على جبال حملايا وفي لبنان وطورسينا ومحل اخرى عديدة فحسب هؤلاء العلماء ان هذه الصخور حملها ماء الطوفان من مواطن اصلها الى مواطنها الحاضرة ولكن تعسر على علماء هذه الايام ان يصدقوا بنقل ماء الطوفان صخوراً كبيرة تبلغ مساحة بعضها اربعين الف قدم مكعب من محل بعيدة الى مواضعها الحالية ولا حظوا ان سطوحها غير ملساء وزواياها غير مكسرة كما كان يلزم ان تكون لو قلبها الماء في مسافات من حيث كانت الى حيث استقرت ولذا رأوا الاولى نسبة نقلها الى انقلابات في الاعصر الاولى ولم يروا بها بينة قاطعة في اثبات طوفان نوح . ثالثاً اثبت كثير من العلماء الاولين حصول الطوفان النوحى بما يرى في بعض المغاور والكهوف في انحاء كثيرة من بقايا عظام بشرية يخالطها احياناً بقايا عظام حيوانات ونسبوا ذلك الى الطوفان ولا ننكر انه يحتمل كثيراً ان يكون بعض هذه البقايا من مفعولاته بل ليس لعالم ان يجزم بخلاف ذلك الا انه لما كان ممكناً ان تكون لهذه البقايا علل اخرى كطفانيات خاصة وكسكنى الناس الاولين في المغاور فلا يمكن ان

تكون احداها حجة قاطعة تجيء مثبتة الطوفان النوحى وعليه فعلم الجيولوجية يثبت الطوفان ضمناً ولا يناقضه البتة فانه يظهر منه جلياً انه قد طرأ على سطح الكرة انقلابات وثورات مسببة عن حركة الامواه بعد ان وجدت الحيوانات والانسان ويلزم ان يكون الطوفان النوحى من جملة العمل التي بدلت وجه الارض . وان لم تكن طبقة الارض الطوفانية كلها من مفاعيل الطوفان فلا اقل من ان يكون بعضها وان لم يكن الطوفان ناقلاً كل الصخور الدخيلة فلا اقل من ان يكون ناقلاً بعضها والحاصل ان علم الجيولوجية يؤيد الطوفان وان لم يثبته اثباتاً قاطعاً لوجود علل اخرى تصدر ما كشف هذا العلم عنه وقد اجاد الكاردينال ويزمن الشهير باثبات الطوفان بهذه الاثار في خطبه الشهيرة في العلاقات بين العلم والدين الموحى وترى خلاصة من كلامه في الحواشي المعلقة على معجم اللاهوت لبرجيا في كلمة طوفان الا ان ذلك كان قبل الاعتبارات الاخيرة التي ذكرناها

﴿ عد ٢٨ ﴾

— اثار الاقدمين الدالة على الطوفان —

ليس كالطوفان امر اجمعت اثار الاقدمين من كل قبيلة على تبيانه . ونبدأ باثار الكلدانيين فهم اقرب القبائل من الاصل الذي رواه موسى عن اجداده الذين عاشوا في بلاد الكلدان . فمن اثار هولاء ما هو قديم وما هو اقدم فنجتزى من الاقدم بما اكتشف عنه في مكتبة اشور بانيبال التي وجدت في نينوى ونقل اكثر صفحاتها الى المتحف البريطانى . فمن ذلك اثنا عشرة صفحة من الاجر خُطت عليها اشعار عُقد بعضها على تاريخ الطوفان وكان في هذه المكتبة ثلث نسخ من هذه الصفائح لكنها مشوهة مكسرة فارسل العلامة جرج سميت على نفقة الجريدة الانكليزية (دالى تلغراف) الى بلاد الكلدان للبحث عنه يجد فقرات اخرى من هذا التاريخ تملء فارغ ما سقط من النسخ التي في المتحف

البريطاني فوفق الى وجدان ما كاد يجعل نسخة هذا المتحف كاملة . والنسخ الثالث
خطت بامر ملك نينوى في القرن السابع قبل الميلاد لكنها أخذت عن اصل
متناه في القدم حتى لم يتردد سميت بان يثبت ان هذا الاصل كتب لا لاقل
من القرن السابع عشر قبل الميلاد فهو اقدم من موسى مستدلاً سميت على ذلك
باستعمال كتاب اشور بانيبال احرفاً قديمة جداً في كلمات صوروها على الاصل
ربما لعدم ادراكهم معناها ثم باختلاف الرواية بين بعض فقرات النسخ الثالث
حتى يظهر ان بعضها عن اصل اقصى قدماً

اما موضوع هذه الاشعار فتاريخ بطل يسمى ايزدوبار كان مشهوراً بالصيد
والمحاربة ولم يكن يملك اولاً الاً على بابل وضواحيها الى ان انبسط حكمه
فعم كل ما بين دجلة والفرات من جبال ارمينيا شمالاً الى الخليج العجمي
جنوباً . وقد حسب سميت وفريدريك داليتش وفرنسيس لانرمان ان ليس
هذا البطل الا نمرود الذي ذكره سفر التكوين (فصل ١٠) مستدلين بانه كان
يتولى كنمرود بابل واراك وشوريباك ونيبور فلدينتان الاوليان تطابق الكتاب
والاثار في اسميهما ونيبور على قول كاتي التلمود هي كنهه التي ذكر الكتاب
انها من مملكة نمرود وليست شوريباك الا اكد مدينة نمرود الثالثة وقد وصفه
الكتاب بانه كان جباراً وصياداً كما وصف الاثر ايزدوبار في الصحيفة الحاوية الكلام
في الطوفان يقال ان ايزدوبار سمع برجل نجا من الطوفان والموت اسمه
هز يردرا (ويظن ان اصل الاسم عزيزدورا لقرب هذا الاسم من لفظ سرياني
يراد به قديم الايام) فعزم ان يراه فتوصل اليه بعد مشاق لاعتزاله في محل
بعيد صعب المسلك وسأله عن اخبار الطوفان فيجيبه عزيزدورا عن سؤاله في
الصحيفة الحادية عشرة قاصداً عليه اخبار الطوفان كما في الكتاب حتى يمكن في
فقرات عديدة وضع الروايتين الواحدة في جانب الاخرى ليظهر الطباق . وهالك

ترجمة هذه الاشعار عن فيكورو في مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة وعن لانرمان في تاريخه القديم للمشرق مؤثرين ما كان منهما اظهر « فلكم عزيزدورا ازدوبار قائلاً ها أنذا انبتك يا ازدوبار بتأريج نجاتي (من الطوفان) واطلمك على ما قضى به الالهة . ان مدينة شوريباك (المار ذكرها) التي تعرفها والواقعة على الفرات هي مدينة قديمة ولم يكن اهلوها يكرمون الالهة وكنت انا وحدي خادماً متعبداً للالهة العظام فدعا (انوا) الالهة ففقدوا مشورة فعرض عليهم (بعال) انزال طوفان فرأى رأيه (نابو وتركال ونيبيب) واثبت امرهم الاله (هيا) رب الحكمة غير المدركة فسمعت انا بالرؤيا (او الحلم) القضاء المبرم وقيل لي يارجل شوريباك . . .

فقال الله لنوح قد دنا أجل كل بشر
 . . . فهانذا مهلكهم مع الارض اصنع
 لك فلكاً من خشب قطراني واجعله
 مساكن . . . وكذا تصنعه ثلاثماية ذراع
 طوله وخمسون ذراعاً عرضه وثلاثون
 ذراعاً سمكه وتجعل طاقاً للفلك والى حد
 ذراع تكمله من فوق (تك ف ٦ عد
 ١٣ وما يليه)

دع بيتك واصنع لك فلكاً ومكله عاجلاً
 فاني سأبدي كل ما فيه نسمة حياة وادخل
 كل ما فيه نسمة حياة في الفلك واجعل
 طول الفلك الذي تصنعه ستمائة ذراع
 وعرضه ستين ذراعاً وكذلك ارتفاعه
 واطلقه في لجة الامواه وغطه بسقفٍ ولما
 سمعت هذا قلت (لهيا) يا سيدي اذا
 صنعت الفلك الذي امرتني بصنيعه سخر
 مني الشبان والشيوخ ففتح (هيا) فاه وقال
 لي انا عبده ان سخر وامنك فقل لهم من
 احتقرني حل عليه العقاب فان الالهة
 تذب عني . . . فاني ادين من علا ومن
 سفلى ولا توصلد الباب الى ان يأتي

الزمان الذي سأبثك به وحينئذ ادخل
 داخلاً واوصد باب الفلك ٠٠٠ وادخل
 اليه قحك واثائك وذخائرک واموالک
 وخدام امرأتک وخداماتک وخداميک
 وحيوانات البرية ووحوش البرية وكل ما
 اجمعه وارسله اليک فليکن محفوظاً
 داخل باب الفلك ٠٠٠ وفي اليوم الخامس
 ارتفع جانباه (اي الفلك) ٠٠٠ وصنعت
 سقفه واكتمته ودخلت داخله في السادس
 وقسمته في السابع الى طبقات (لا يعلم
 اليوم ام الشهر هو المراد باسماء العدد
 هذه) واقمت المساكن الداخلة في الثامن
 وفتحت احواضاً لجمع الماء وسددت كل
 ثقب يدخل الماء منه وصببت ثلثة سارات
 (اسم مكيال او وزن) من القار على خارجه
 وثلثة سارات على داخله ٠٠٠ وثلثة الاف
 وستماية حمال كانوا يحملون على رؤوسهم
 صناديق الزاد وحفظت ثلاثة الاف
 وستماية صندوق مؤونة لاسرقي ثم يصف
 ما اذخره وما ادخله السفينة من مقتني
 وذخائر وحيوانات الى ان يقول « ان الاله
 شمس (اي الشمس) » قال لي في المساء

وانت فخذ لك من كل طعام يؤكل
 وضمه اليک فيكون لك ولهم ما كلاً (ف
 ٦ عد ٢١)

فتدخل الفلك انت وبنوك ونسوة بنيك
 معك ومن كل حي ٠٠٠ من الطير
 باصنافها ومن جميع البهائم باصنافها
 ومن دبابات الارض باصنافها (عد ١٨
 وعد ٢٠)

واجعل الفلك مساكن واطله من داخل
 ومن خارج بالقار (ف ٦ عد ١٤)

« وبعد سبعة ايام كانت مياه الطوفان على

انزل المطر من السماء مدراراً فادخل السفينة واطبق الباب فقد دنا الحين المعين فكان هذا الطوفان الذي قال انه سيكون في المساء فخفت ذلك اليوم ودخلت السفينة واقفلت الباب وسلمت السفينة الى الربان فكان في افق السماء ظلام حالك وارعد بين (اله العواصف) ومشي نابو وشارو (الالهان) فزلزلا الجبال والبطاح وجرّ نرغال القدير

العصيف وراه واجرى اذار الاقنية دون انقطاع . . . فبلغ طوفان الاله بين السماء وانقلب كل نور ظلاماً فباد عن وجه الارض كل موجود حي . الى ان يقال ،

وفي اليوم السابع احتبس المطر وسكن العصيف الشديد الذي كان دمر الارض كزلزال . . . فتفرست حزيناً في البحر

. . . والجثث تخفق كالقصب . . .

وتولتني الكآبة فجلست وبكيت وفاضت

مدامعي على خدي واشرفت على البلاد

فلم اجد يابسة بل صارت بحراً وقد

حمل الفلك الى ما فوق بلاد نيزير فوقف

جبل نيزير الفلك فلم يتجاوزه فقي اليوم

وذكر الله نوحاً . فتناقصت المياه . . .

واحتبس المطر من السماء وكانت المياه

تراجع عن الارض (ف ٨ عد ١ وما يليه)

واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم

السابع عشر منه على جبال اراراط . . .

الاول ٠٠٠ الى السادس استمر جبل
 نيزير على ما كان عليه وفي اليوم السابع
 اخرجت حمامة واطلقتها فذهبت الحمامة
 وعادت فلم تجد محلاً تقرر عليه فعادت
 واخرجت خطافاً واطلقتها فعاد اذ لم يجد
 محلاً يستريح به. فاخرجت غراباً واطلقتها
 فذهب ورأى الجثث التي على الماء
 فاكل واستقر عليها ثم لم يعد. واخرجت
 ايضاً الحيوانات وسرحتها الى الارياح
 الاربع وقدمت ذبيحة وجعلت نار
 الذبيحة على قمة الجبل ورتبت الآتية
 سبعة سبعة فاشتم الالهة رائحة الذبيحة
 الطيبة واجتمعوا فوق مقدم المحرقة
 ويستتبع عزيزدورا كلامه الى ازدوبار
 قائلاً ان الالهة ارتضوا بمحرقة الآله
 الاكبر الذي ترجم فيكورو اسمه بكلمة
 ايل او ايلو وترجمها لانرمان بكلمة بعل
 او بعال فهذا اظهر السخط على الالهة
 لانه بقي بعض الانسان حياً فخاطبه هيا
 قائلاً «كيف لا ترضى يا امير الالهة ورجل
 الحرب وقد انزلت الطوفان فاوقر الاثيم
 ائمه والشريير شره ولتأخذك الشفقة على

وفتح نوح كوة الفلك التي صنعها واطلق
 الغراب وجعل يتردد الى ان جفت المياه
 عن وجه الارض ثم اطلق الحمامة من عنده
 لينظر هل غاضت المياه عن وجه الارض
 فلم تجد الحمامة مستقراً لرجلها فرجعت
 اليه... ولث سبعة ايام اخر وعاد
 فاطلق الحمامة فعادت اليه وقت العشاء
 وفي فيها ورقة زيتون خضراء (ف ٨
 عد ٧ وما يليه)

فخرج نوح وبنوه وامراته ونسوة بنيه
 معه وجميع الوحوش والديابات والطيور
 ... وبني نوح مذبحاً للرب واخذ من
 جميع البهائم الطاهرة ومن جميع الطير
 الطاهرة فاصعد محرقات على المذبح
 فتنسم الرب رائحة الرضى (ف ٨ عد ١٨
 الى عد ٢١)

الانسان كيلا يباد وكن رحيمًا... وبدلاً
 من ان تنزل الطوفان بعداً مُرّتات الاسد
 فتنقص البشر وبدلاً من الطوفان...
 مُرّتات مجاعة فتدمر بعض البلاد
 وبدلاً من ان تنزل طوفان اخر مُر يكن
 الوباء فينقص الناس... فحمد غضب
 امير الالهة وصعد ايلو الى السفينة واخذ
 بيدي واقامني واقام امرأتي وادناها منه
 وتحول نحونا وقام في وسطنا وباركنا
 وعززدورا هو رجل عرضة للموت الى
 الان

وقال الرب في نفسه لا اعيد لعن الارض
 ايضاً بسبب الانسان... ولا اعود اهلك
 كل حي كما صنعت وابدأ ما دامت الارض
 فالزروع والحصاد والبرد والحر والصيف
 والشتاء والنهار والليل لا تبطل (ف ٨
 عد ٢١ وعد ٢٢)

فكل من طالع هذه الرواية دُهِش ولا جرم بما يراه من مماثلتها لما جاء في
 الكتاب من حيث النسق والمبنى والاتفاق في اكثر المعاني واذا استثنت تعدد
 الالهة فيها لان كاتبها من المشركين وبعض المبينة في الاعداد كمدة ايام الطوفان
 واذرع السفينة وذكر ربان لها وخادمين وخادمات لنوح وامرأته وجدت بين
 سائر اجزاء الرواية وبين كلام الكتاب ما يشبه الطباق التام ولا عبرة للايجاز
 والاطالة اذ لم ينشأ عنهما خلاف في الخبر واما تسمية الكتاب الجبل الذي
 استقرت عليه السفينة اراراط وتسمية الرواية له نيزير فيمكن حملها على ان لذلك
 الجبل اسمين . ومهما يكن فهذه الرواية التي سبق عهدها موسى قد نزلها العلماء
 حتى الملحدون منهم منزلة بينة قاطعة لاثبات حصول الطوفان اثباتاً علمياً بغير طريقة
 الوحي ايضاً

ومن الاثار الكلدانية القديمة الدالة على الطوفان نجتزى بذكر ما رواه باروز

عن النصوص المقدسة في بابل وضمه الى تاريخه الذي كتبه الى اليونان فبعد ان فرغ من كلامه في الملوك التسعة الذين كانوا قبل الطوفان قال انه في زمان العاشر منهم كان الطوفان طبق ما جاء في الكتاب عن الاباء التسعة من آدم الى نوح وفي زمان العاشر منهم وهو نوح كان الطوفان وهالك ترجمة نص باروزة ان كيسوثروس (عزيزدورا) ملك ثمانية عشر ساراً (كجار) وعلى عهده حصل الطوفان العظيم الذي جاء تاريخه في النصوص المقدسة هكذا. ان كرونوس (الاله هيا) ظهر له في الحلم وانذره بانه سيهلك الناس اجمع بالطوفان في الخامس عشر من شهر داشيوس وامره ان يأخذ البدء والوسط والنهاية من كل ما كتب وان يفر الى مدينة الشمس الى شيبارا وان يبني فلكاً يدخل اليها مع اسرته واصدقائه الاعزاء وان يعد في الفلك زاداً ما كولاً ومشروباً وان يدخل اليها ايضاً الحيوانات والطيور والدبابات ويتأهب للسفر... فاطاع كيسوثروس وبني فلكاً طولها خمس غلوات (الغلو في عرف العبرانيين مائة وخمس وعشرون خطوة) وعرضها غلوتان وجمع كل ما أمر بجمعه وادخل الفلك امرأته واولاده واصدقائه الاعزاء فنزل الطوفان ولما شرع الماء ينضب اطلق بعض الطيور واذ لم تجد هذه قوتاً ولا محلاً تستقر فيه عادت الى الفلك وبعد ايام اطلقها ثانية فعادت الى الفلك ايضاً والوحول على ارجلها واطلقها ثالثة فلم تعد الطير بعد فعلم ان الارض جفت وفتح كوة في اعلى السفينة فرأى فلكه استقر على جبل فنزل هو وامرأته وبنوه والربان فسجد على الارض ونصب مذبحاً وقدم عليه محرقات للالهة وتوارى مع من صحبه واما من لبثوا في السفينة فلما رأوه لم يعد نزلوا الى الارض ينشدونه فسمعوا صوتاً من السماء يامرهم ان اتقوا الالهة... وقد رست فلك كيسوثروس في ارمينيا وجزء منها باق في جبال كورديا (كردستان الان) ومن يحجون اليه يأخذون شيئاً من القار يتزعونه من بقاياها ويستعملونه وقاية من مفاعيل السحر.

انتهى مترجماً عن التاريخ الشرقي للانرمان (مجلد ١ صفحة ٥٨) وعن الكتاب
والاكتشافات الحديثة لفيكورو (مجلد ١ صفحة ٢٥٠) ولا حاجة الى ان نقول
شيئاً في المماثلة الكائنة بين هذه الرواية وما جاء في الكتاب في هذا الصدد
فهي بينة مصرحة . بل نأتي الى الكلام في اثار غير السكدان
ان مؤلف المقالة في الآلهة السورية انبأنا بما كان عند الاراميين من اخبار
الطوفان كما كانت تروى في هيكل ايرابوليس الشهير قال . خبر الكثيرون ان
باني هذا الهيكل هو دوكليون سيدستاس وهو الذي حصل في عهده الطوفان
الاكبر وقد سمعت ما يرويه اليونان ايضاً من قصة دوكليون فيحدثون ان ذرية
البشر الحالية ليست الاولى بل كانت ذرية قبلها هلك اناسها كلهم ونحن من ذرية
ثانية اصلها دوكليون ثم نمت وكثرت بكرور الايام . اما الناس الاولون فيقال
انهم كانوا ذوي كبرياء وقحة ارتكبوا المعاصي ولم يكونوا يبرون ايمانهم ولا
يعملون بسنن الضيافة ولا يترأفون بالمعوزين فعوقبوا لانهم بداهية طامة فقد
انفجرت بقعة امواه هائلة من الارض وانهمرت من السماء عليهم امطار غزيرة
وخرجت الانهر عن مجاريها وتجاوز البحر حدوده فغطى الماء كل شيء وهلك
الناس كافة ونجا دوكليون وحده سالمًا ليكون اصلاً لذرية حديثة جزاء تفضيلته
وتقواه . وهاك وجه نجاته فقد دخل مع اولاده ونسائهم في تابوت كبير كان
له ولجأت اليه في اثرهم خنازير وخيول واسود وحيات ومن كل حيوانات
الارض فقبلها كلها عنده والههما ذاؤس (الاله) كل مدة اقامتها في التابوت وداً
متبادلاً جذبها ان يسطو بعضها على بعض واستمرت على ذلك في التابوت ما
دامت الامواه في طغيانها . فهذه اخبار اليونان عن دوكليون . على ان اهل
ايرابوليس يزيدون على ما يتابعون اليونان فيه قصة اخرى عجيبة هي انه فتح
في بلادهم وهدة فسيحة غامضة ابتلعت مياه الطوفان على اخرها فاقام دوكليون

حينئذٍ مذبحاً ودشن هيكلًا لها (الآلهة) حذاء الوهدة وقد رأيت أنا هذه
 الهواة الواقعة تحت الهيكل فاذا هي ضيقة حجرة ولا اعلم ان كانت قبلاً وسبعة
 فضاقت الان وذكرًا للحدث الذي يروون خبره يحتفلون في العام مرتين بجلب
 ماء البحر الى الهيكل ولا ينقله الكهنة فقط بل يأتي جم غفير من الحجاج من
 سورية كلها ومن بلاد العرب وعبر الفرات حاملين الماء فيصبونه في الهيكل
 فيجري الى الهواة فتبتلع على صغرها امواهاً غزيرة وينسبون سر ذلك الى سنة
 دينية افترضها دوكليون تخليداً لذكر الطوفان واحسان الآلهة اليه فهذا هو التقليد
 القديم في هذا الهيكل .

وللهنود في الطوفان تقليد يشف عن تاريخ الكتاب له ويحاكي تقليد
 السكندان واقدم الروايات عندهم جأت في اثارهم المسماة « سانا باتا برهانا »
 القديمة العهد واول من ترجمها مكس مولر وهي « جي ذات صباح يوم الى مانو
 (هو في عرف الهنود اصل البشر) بقاء ليغتسل فعلمت بيده بعد الاغتسال
 سمكة ناجته قائلة نجني فانجيك فقال بم تعجني . قالت سيكون طوفان عرمرم
 يهلك الخلائق كلها فاقبك منه فقال وكيف انجيك انا قالت كلما كنا صغاراً
 تعرضنا لخطر كبير فالسمك يتلع السمك فضعتني اولاً في انا فاذا كبرت فاحتر
 حوضاً والقني فيه واذا تناهيت في الكبر فاطرحني في البحر المحيط انج من
 الهلكة ولما كبرت السمكة بلغت مانو ان الطوفان سيأتي سنة تبلغ هي معظم
 الكبر وقالت اصنع لك فلكا واسجد لي واذا غزت المياه فادخل الفلك
 فاقبك . . . فصنع مانو الفلك وسجد للسمكة ولما اتى الطوفان دخل الفلك
 فوافته السمكة تشق الماء فاوثق فلكه بذنبها فعبر بهذه الوسيلة فوق جبل
 الشمال فقالت له السمكة قد انجيتك فاوثق السفينة بشجرة كيلا يقلبها الماء
 فنزل مانو عندما تناقص الماء وهذا ما يسمى نزول مانو على جبل الشمال وابد

الطوفان كل الخلائق الا مانو فبقي حياً ، فهما يكن من الحرافات التي اشتملت عليها هذه القصة فيتحصل منها صراحة اعتقاد الهنود حصول الطوفان اذ يفسرونها بان احد الالهة اخذ صورة سمكة فانجى مانو وهو نوح عندهم من الطوفان واتخاذ الالهة صورة السمك امر مستفاض عند القدماء وترى كثيراً من صور الالهة القديمة مؤلفة من هيئة بشر وسمك واصل ذلك اعتقاد القبائل العام ان وجود الكائنات ابتدأ بالماء اي بالغمر الذي كان عليه الظلام وكان روح الرب يرف عليه والارض خاوية خالية كما في الكتاب وللهنود اثار اخرى عديدة تدل على اعتقادهم حصول الطوفان ذكرها لانرمان (مجلد ١ فصل ٤ في الطوفان)
أضربنا عن اثباتها لتوسع محلاً لغيرها

ومن معتقدات اهل الصين ان (فحاً) الذي يعزون اليه اصل حضارتهم نجما من الطوفان العظيم مع امرأته وبنيه الثلاثة وبناته الثلث (رواه فيكورو في الوجيز الكتابي عد ٣٢١) ومن تقليدات الايرانيين القديمة المودعة في كتبهم المقدسة الحاوية تعليم زورواستر (يسميه العرب زاردشت) ان هرمزدا اله الخير انذر (ايما) اول البشر ان طوفاناً سيخرب الارض ويبيد ما عليها وان يشيد ملجأً منه جنة مربعة يحيطها باسوار ويدخل اليها اصول البشر والحيوانات والنبات وقاية لها من الملكة فنزل الطوفان فلم ينبج منه الا جنة ايما وكل ما كان في داخلها وارسل هرمزدا طائراً يبشره بالنجاة . فهذه الرواية تخالف غيرها من حيث وسيلة النجاة وتطابق ما سواها في حلول الطوفان والنجاة منه . وقد مر ذكر معتقد اليونان الطوفان ويزاد عليه ان اهل اتينا كانوا يحتفلون لذكر الطوفان ونجاة دوكليون منه بحفلة يسمونها (ايدروفوريا) اي حفلة الماء وهي اشبه بما كان يصنعه اهل ايرابوليس في سورية كما مر اي انه كان تجاه هيكل ذائوس الاولبي وهدة في الارض يقولون انها ابتلعت ماء الطوفان وذكرنا لذلك يجتمعون

في بعض الايام فيصبون امواهاً في تلك الوهدة مدوقاً بها طحين وعسل .
وهذا مشعر بتطرق هذا التقليد من سورية الى بلاد اليونان . (عن لانرمان في
التاريخ الشرقي مجلد ١ صفحة ٧٣)

ومن اقاصيص الفينيقيين في المهتم ان (بون) الذي يعبرون به عن البحر قد
تغلب على (داموروس) الذي هو الارض في عرفهم . وكان قدما مدينة
اباميا في اسيا الصغرى يعتقدون ان مدينتهم كانت مهبط سفينة نوح وينازعهم في
ذلك سكان قونية وقد ضرب كهنة اباميا في نحو القرن الثاني للميلاد نقوداً
نقشت عليها صورة السفينة مفتوحة وصورة الاب الذي نجا من الطوفان مع
امراته يتناول حمامة آتية اليه بغصن زيتون وعلى وجه الصكة الاخر صورة
شخصين خارجين من السفينة ليمتلكا الارض وقد كتب على السفينة اسم نوح
بصورته اليونانية تلقوها عن النسخة السبعينية

ومما يدهش وجدانا في امركا نفسها اثاراً دالة على الطوفان اقرب مما سواها
لما جاء من اخباره في التوراة وتقليدات الكلدان حتى اقر بعض البرهانيين
انفسهم بهذه المقاربة والاطهر ان تقليد الطوفان تطرق الى هنالك مع من
هاجروا من اسيا مجتازين بجزر كوريل الى امريكا الشمالية ونجتزى من هذه
الاثار بذكر التقليد الذي وجد عند سكان المكسيك قبل اختلاط الاورباويين
بهم فان (كوسكس) الذي يسميه بعض قبائلهم (تربي) ايضاً يعتقدون انه نجا
من الطوفان بسفينة دخل اليها مع امراته وولده وكثير من الحيوانات والحبوب
المستزمنة لحياة الانسان ولما امر الاله الاكبر بان ينضب الماء اطلق طائراً يقتات
بالجيف فلم يعد لكثرة ما غطى الارض منها فاطلق طيوراً اخرى فلم يعد منها
الا الحمام حاملاً بمنقاده غصناً مورقاً فعرف ان الشجر عاد يورق . ووجدت
عندهم صور تمثل الطوفان والسفينة ونجاة البعض بها والطير الحاملة الغصن

المورق . وفي المكتبة الوايكانية درج قديم أُوتي به من امركا يشتمل على اربع صور رمزية تشخص اربعة اعصر في العالم سابقة هذا العصر والعصر الرابع منها ينتهي بطوفان هائل عاد به كل الناس سمكاً ما خلا رجلاً وامرأته خلاصا بسفينة مصنوعة من خشب السرو ويشار الى ان هذا الطوفان كان اخر داهية خربت الارض . ومن تقليدات سكان جزر فيدجي ان وطنهم بعد ان اهل بولد الرجل الاول والمرأة الاولى حل فيه مطر عرمرم غرق الارض برمتها ولكن قبل ان تعشى الامواه اعلى الاعالي اقبلت سفينتان فالتجتا ثمانية اشخاص (فيكورو في الوجيز الكتابي عد ٣٢١)

اما الاثار المصرية فلم تبثنا انباءً صريحاً بالطوفان بل صرحت بابادة الالهة للناس عقاباً لمعاصيهم وعثوهم ولما كان طغيان الماء في بلادهم حياة لها ومنبعاً لثروتهم اضربوا عن ذكر طوفان الماء واكتفوا بذكرى اهلاك الالهة للبشر الا قليلين منهم . ومن هذه الاثار ما كتب على مدفن ساتي الاول في طيبة (تاب) وترجمه ادوار نافيل ونش سنة ١٨٧٥ ومحصله ان الاله (رع) استدعى سائر الالهة واعلمهم بما يجدف به الناس عليه وعليهم وما يركبون من المعاصي وحض على اهلاكهم فاسرعت آلهة فقتلت الناس على الارض فحمد غضب الاله (رع) بعد مقتلهم واخذ يأسف على ما امر به فقدمت له ضحية عظمية فسر بها ورفع يده واقسم انه لا يبيد الناس بعداً . وما من منكر للمقاربة بين هذه الرواية وخبر الطوفان في غير طوفان الماء والسفينة لاعراض المصريين عن ذكره لما مر . ولولا خشية ملل المطالع لاطلنا الكلام في هذا الباب ومن احب هذا التطويل فليطالع الفصل الرابع من المجلد الاول من التاريخ القديم للمشرق للعلامة لانرمان (من صفحة ٥٥ الى صفحة ٩٢ من الطبعة التاسعة) فانه استقرى هناك اثاراً وتقليدات اخرى عديدة واثبت ان تاريخ الطوفان لا تخلو قبيلة من اثره الا السودان خاصة وهذا

ما جعله ينجح الى التسليم بقول من زعموا ان الطوفان لم يعمهم وانهم من ذرية
قائن كما رأيت آنفاً

﴿ عد ٢٩ ﴾

﴿ في مستقر السفينة ومهد البشر بعد الطوفان ﴾

جاء في الكتاب (تك ف ٨ عد ٤) « استقر التابوت ٠٠٠ على جبال اراراط ،
وفي رواية باروز المار ذكرها ان سفينة كيسوثروس استقرت في ارمينيا . وقال
لانرمان (في كتابه المعنون موجز تفسير باروز صفحة ٢٩٩ (١) ما ملخصه)
« ان النص البابلي الاصيلي الذي اخذ عنه باروز لا بد من ان حوى كلمة اراراط كما
في التكوين لان اسم ارمينيا المتعارف والمستطرق في الاثار المسمارية انما هو
اورارطي او ارارطي ، وهذا الاسم يعرفه العبرانيون ويجهله الجغرافيون اليونان
واللاتينيون والقديس ايرونيوس لخبرته باصطلاحات العبرانيين ترجم اراراط
بارمينيا في الاية المار ذكرها وفي سائر الآيات التي حوت هذا الاسم . والكتاب
لم يعين جبلاً بل بلاداً اذ لم يقل جبل اراراط بالمفرد بل جبال بالجمع فكان
مؤدى كلامه ان السفينة استقرت في ارمينيا . وعلى ذلك مشى تقليد عامة
القبائل . على ان بعض اهل العلم في هذا العصر رأوا خلاف ذلك ومنهم
لانرمان (مجلد ١ من تاريخه الشرقي صفحة ٩٢ طبعة ٩) فانه قال اذا تحرينا
آيات الكتاب لزمنا ان نهجر القول بان اراراط في ارمينيا لان الكتاب قال
بعيد ذلك (تك ف ١١ عد ٢) ان بني نوح ارتحلوا من المشرق نحو المغرب
فوجدوا بقعة في ارض شنعار فاقاموا فيها وشنعار هي ارض بابل وعليه فيلزم ان
يكون الجبل الذي استقرت السفينة عليه سلسلة جبال الهند وكوش حيث محل
يسمى ارياورتا (اي الارض المقدسة) او في الجبال التي يخرج منها نهر الهند

المسمى هندوس واقام على قوله بعض الحجج منها تقليدات الهنود والفرس الذين هم من اقدم الامم وقد حفظوا ذكر العصر الاولي على سلامته ومن تقليداتهم ان اصل البشر كان مقره جبل مارو وهناك مهبط الالهة . وقال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٢٥٣) لانكر على هذا القول درجة ما من احتمال الصحة لان الكتاب لم يصرح الا بذكر اراراط وكثيراً ما يسمي محل او جبل باسمين ومن عادة المهاجرين ان يسموا اماكن وجبالاً وانهرًا باسماء آفوها في مهاجرهم الاولي على ان ورود اسم اراراط في اسفار الانبياء المتأخرة كاسفار موسى المتقدمة يؤيد القول بان اراراط في ارمينيا ويزيده ايدياً اجماع تقليدات العبرانيين والارمن وغيرهم على ان السفينة استقرت في ارمينيا وهذه التقليدات صريحة وليست اقل اعتباراً من تقليدات الهنود والفرس انتهى مقال فيكورو . فان لم يحق لثلي ان يكشف عن رأيه بين هولاء العلماء الاعلام فيحق له ان يعارض اقوالهم بعضها ببعض فاقول ان لانرمان نفسه مهد لرأيه الذي لحضناه آنفاً بقوله « ان بعض العلماء في صدر النصرانية اثروا الاعتماد على رواية باروز بجعلهم مهبط السفينة في الجهة الجنوبية في جبال اراراط نفسها اي في جبال كورديا وهي كردستان الان في الشمال الشرقي من اشور وجبل نيزير الذي ورد ذكره في اشعار ازدوبار الانفة الذكر هو القسم الجنوبي من هذه السلسلة وقد ذكره اشور تزيربال احد ملوك اشور في احدي كتاباته القديمة متكلماً في غزوته لهذا الجبل قائلاً انه اجتاز بنهر الزاب السفلي سائراً ابداً نحو المشرق . وعليه فان لم تكن ارمينيا مع ما اتصل بها من جبال كردستان في الشرق الصريح من ارض شنعار فلا اقل من ان تكون في الشمال الشرقي منها وهذا بين وصرح به لانرمان نفسه فيصح اذاً ان يقال ان المسافر منها الى شنعار يسير من المشرق الى المغرب

كقول الكتاب « ولما ارتحلوا من المشرق وجدوا بقعة في ارض شنعار ، وعليه
فما الحاجة » الى التوغل في الاتجاه نحو الشرق للتفتيش عن قمة عالية جداً كاتي
قرت عليها السفينة ليتصل المفتش الى سلسلة الهند وكوش او الى الجبال التي
فيها منبع الهندوس ، كما يقول لانرمان (في المحل المذكور نفسه) فعلى اجلاي
المزيد لهذا العلامة المفضل على العلم لا ارى حججه كافية لهجر التقليد الذي
حفظته عامة القبائل وايدة اباة وعلماء قدماء وحدثاء ويطابق الكتاب على
اختلاف الرواية في الاسم فالاقرب اذاً الى الصواب كثيراً ان مستقر الفلك
النوحية ومهد البشر بعد الطوفان كانا في ارمينيا او في الجبال المتصلة بها

﴿ عد ٣٠ ﴾

— تمة اخبار نوح بعد الطوفان —

لم ينبئنا الكتاب من اخبار نوح بعد نجاته من الطوفان الاً انه عاد ، يحرث
الارض ، كما كان يصنع اباؤه « وغرس كرماً ، ولا يفهم منه ان شجر الكرم لم
يكن قبل الطوفان بل ذكره الكتاب تمهيداً لخبره ان نوحاً شرب من الخمر
فسكر غير عالم قوة الخمر والاظهر ان استعمال الخمر لم يكن معروفاً قبل الطوفان
واما بعده فهو عند الساميين اقدم منه عند اليافتيين على ما روى العالم بولس
كلاتر في مقالته في الكرم والخمر عند الساميين واليافتيين القدماء المثبتة في
مجلة اللغات الرومانية الصادرة في تموز سنة ١٨٧٠ (١) واتبع الكتاب
الخبر بان نوحاً تكشف داخل خبائه فسخر حام من عرية ابيه واخبر اخويه وهما
خارجاً فاخذوا رداءً ومشياً مستديرين وغطيا عرية ابيهما واوجههما الى الورا ، ولما
علم نوح بعد اغاقته ما صنع حام فقال « ملعون كنعان عبداً يكون لعبيد اخوته
وقال تبارك الرب اله سام وليكن كنعان عبداً له ليرحب الله ليافت ويسكن في

(1) m. Paul glaize La vigne et le vin chez les Semites

اخية سام ويكون كنعان عبدًا له ، لا يعلم لم لعن كنعان بن حام بدلاً من ابيه
 والظاهر ان الابن كان شريراً واشترك في جرم والده فلغنه جده واللعن لابن
 يقهر الاب ايضاً . وهذه اول مرة ورد فيها ذكر العبد في الكتاب على ما قال
 القديس اغسطينوس (في كتابه في مدينة الله ف ١٩) وكلام نوح هذا نبوة
 جاءت الحوادث مصداقاً لها فان بني حام وان فازوا بنجاح كبير وسريع وادرك
 بعضهم الحضارة قبل غيرهم كما كان المصريون والفينيقيون والحيثيون الا انهم
 لطخوا شرفهم بوحول معاصيهم وفساد اخلاقهم واقتضحوا بخلاعاتهم وشركهم
 وكل ما كان عند اليونان والرومان من الشرك والمعتقدات السيئة قد تلقوه
 عن الحاميين او عن تلقاه عنهم ولذا تغلب عليهم بعد ذلك الساميون وانتزعوا
 ما كان لهم من الولاية والسطوة في بلاد السكندان واشور وسورية ثم في مصر
 والحبشة ايضاً وقهرهم الياقيون في الهند وبلاد فارس وفي مستعمرات الفينيقين
 في اوربا وغيرها وحتى اليوم لا تجد في القبائل الحامية دولة مستقلة معززة واما
 بنو سام فنالوا البركة والنماء وتقووا كما مر على ابناء عمهم حام وحفظ العبرانيون
 منهم وديعة الوحي المقدس والايمان الصحيح ونما الياقيون وبلغوا اوج الحضارة
 واقبلوا بواسطة الساميين الى معرفة الاله الحق والدين الصحيح واشتركوا في
 بركتهم وصح فيهم لذلك القول انهم يسكنون في اخية سام . وما احسن ما
 قال فم الذهب في هذا الشأن (خطبة ٢٩ في التكوين) « ارى ان نوحاً بمباركته
 ساماً وياث اراد ان يعبر عن دعوة ذريتهما الى الايمان فاراد بسام اليهود
 لانه جد ابراهيم وامة اليهود واراد ببركة يافت دعوة الامم فانه قال بهذه البركة
 (ليرحب الله لياث ويسكن في اخية سام) وهذا تم بالامم فقوله ليرحب يشير
 الى الامم كافة وقوله يسكن في اخية سام يدل على ان الامم تنعم مشتركة بما
 اعد لليهود ، فيعد نوح بني يافت بالسعة في املاكهم والمنافع المادية ثم بالاشترك

خلوا

في منافع بني سام الروحية. وانبأنا الكتاب اخيراً ان نوحاً عاش بعد الطوفان ثلثماية وخمسين سنة وسيأتي انه يكون على ذلك قد بقي حياً في بعض سني ابرهيم

الفصل الثامن

(في ابناء نوح وتفرق ابناءهم في الافاق)

﴿ عد ٣١ ﴾

— في اهمية الانساب التي ذكرها موسى —

قال الكتاب « وكان بنو نوح الذين خرجوا من التابوت ساماً وحاماً ويافت وحام هو ابو كنعان ومنهم انبث الناس في الارض : (تك ف ٩ عد ١٨ و ١٩) ثم ذكر موسى (في الفصل العاشر من هذا السفر) انساب بني نوح وبني ابناءهم مييناً ذرياتهم واي البلاد قطنوا في المعمور المعروف حينئذ فكان ليسان هذه الانساب اهمية كبرى من وجوه اخصها ان ذلك اقدم بينة على انساب اقدم الشعوب فهو محور تدور عليه مقالات النسابين ومصدر يرجع اليه كل من يتكلمون في اصول الشعوب القدماء ومواطنهم سواء كانوا ممن اعتقد التوراة والتزويل او ممن كذبوا بالكتاب ايضاً ولا مرأ بان هذه البينة منذ عهد موسى على اقل نسبتها اي منذ نحو خمسة عشر قرناً قبل التاريخ المسيحي ولا يعرف حتى الان اثر تين منه انساب القبائل القديمة يشاكل ما رواه موسى بقدمه واتساع اشتماله بل يظهر ان الانساب التي ذكرها موسى تلقاها عن تذكرات او تقليدات سبقت ايامه وقد حفظتها ذرية عابرواتي بها ابرهيم من بلاد السكدان الى فلسطين وتطرت باسحق ويعقوب وذريته الى موسى وعلى ذلك ادلة اولها

الاثار التي ذكرت بها اكد كتابة سنحاريب المنقوشة في بافيان حيث ذكر ملكاً لاكد كان في عهد تجت فلاصر الاول ملك نينوى نحو سنة ١١٣٠ ق م . فقال اخذ جنودنا الالهة التي كانت تسكن هناك وكسروها وغنموا بكنوزهم والهة الهيكل التي كان اخذها مردوخ نادين اخي ملك اكد من تجت فلاصر وجلاها الى بابل رددتها انا من بابل من بعد ٤١٨ سنة وركزتها في محلها الاول . اي في هيكل نينوى . وهذه الكتابة تدلنا على ان اكد كانت ذات سطوة وصولته من اقدم الايام حتى قبل عهد تجت فلاصر الاول

وبقي كنهه فقد قال اكثر مفسري الكتاب واهل التدقيق بان موقعها على الضفة الشرقية لدجلة في مملكة بابل في الجنوب الشرقي من بغداد حيث اقيمت بعد ذلك قطيسفون وهي المدائن تجاه سلوقية ولا يمكن القطع بذلك لكنه كالمؤكد ويؤيده التقليد الكلداني القديم وقد اعتمده اوسايوس القيصري والقديس ايرونيوس والقديس افرام وابو الفرج ابن العبري ويزيده ايذاً ان البلاد الواقعة فيها قطيسفون كان يسميها اليونان كئوتيس اي بلاد كنة والاثار المسمارية لم تنبئنا حتى الان بما يثبت هذا القول او يخالفه انتهى ملخصاً عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو وعليه فالمدن الاربع في العراق العربي وجاء في الكتاب بعد ذلك (تك فصل ١٠ عد ١١) « ومن تلك الارض

(يريد ارض شنعار) خرج اشور فبنى نينوى وساحات المدينة وكالحو وراسن بين نينوى وكالحو وهي المدينة العظيمة « قال فيكورو (مجلد ١ من الكتاب والاكتشافات صفحة ٣٠٩) ان قول الكتاب ومن تلك الارض خرج اشور فبنى نينوى يتحمل معنيين فقال بعضهم ان الكلام في شخص غير نمرود وهو اشور وان هذا بنى نينوى فاستمسكوا بظاهر اللفظ وقال غيرهم ما هذا الكلام إلا تمة تاريخ نمرود فلا يراد باشور رجل بل بلاد ومعنى الآية عندهم خرج

نمرود من تلك الارض الى بلاد اشور فبنى نينوى الخ وقول هولاء اثبت وهو الذي يقتضيه المعنى ومساق الكلام وليس فيه تكلف الا لتقدير حرف الجر اي خرج الى اشور او تعدية خرج بنفسه وكذا رأي لانرمان (مجلد ٤ من تاريخه القديم صفحة ٦٤) قائلاً ان تقليد الساميين بجملته يثبت ذلك وان ارض نمرود من قول ميخا النبي (ف ٥ عد ٦) « فيرعون ارض اشور بالسيف وارض نمرود بمدخلها » يراد بها بلاد الكلدان وبلاد اشور معاً وان النبي يعتبر نمرود باني بابل ونينوى وهذا اطبق لما استرى من الاثار . وترى ابداً اسم اشور في الكتاب علماً لاحد ابناء سام ولبلاذ لكنه ورد في الاثار علماً لمدينة مخصوصة ولبلاذ ولاله ليس هو الا اشور ثاني ابناء سام الهوه على جاري عادتهم وباسمه سميت البلاذ التي هي الان الجزيرة فنمرود من ذرية حام ولي قومه اولاً ثم خرج من الجنوب الى نحو الشمال فولي بلاد اشور وسكانها الساميين ومما يثبت ذلك وجداننا لغة نينوى سامية كلغة بابل الا في اختلافات طفيفة ثم تصرح تقليدات نينوى بان اصلها كلداني بابلي فانك تجد على شواطئ دجلة والفرات الطباقي التام في المعتقد والمعبودات ونوع عبادتها وفي اللغة والكتابة وانواع الحضارة والعادات . وقد برهن العالم فيكتور بلاس (١) (في كتابه في نينوى واشور مجلد ١ صفحة ٢١٤) هذا الامر ببناء المساكن في اشور بالاجر مع ان الحجارة في جهات الموصل حيث كانت نينوى يسهل استحضارها بخلاف جهات بابل فلا وجه للبناء بالاجر في اشور وعلى هيئة ابنية بابل الا استمسك المرتحلين من بابل الى نينوى بعبادات مهاجرهم الاولى وعليه فالحضارة الاشورية بنت الحضارة البابلية الكلدانية

ان اسم نينوى معناه في لغتهم المسكن او المدينة وهي اول مدينة بنيت في

(١) Victor Place. Ninive et l'Assyrie

بلاد اشور بعد الطوفان ولكن تغلبت عليها منذ اقدم الايام مدينة راسن التي ذكرها ثم سقطت راسن من ذرى عظمتها فخلقتها نينوى في دورها الثاني والى هذا الدور تعزى الاثار المسمارية الوارد بها ذكر نينوى وقد بينت الاثار الاشورية ان موقع نينوى كان في المحل المسمى الان كوينجيك في الشرق الجنوبي من الموصل

واما مدينة كالح فوقعها في محل نمرود الان في جنوبي الموصل فلم تكن في الشمال من نينوى في جوار خرشباد كما توهم بعضهم بل في الجنوب من نينوى حيث الان خرابات نمرود كما حققت ذلك اكتشافات لا يرد فانه وجد هناك كثيراً من الكتابات والاثار الدالة عليها . وكانت هذه المدينة عاصمة الملك في عهد سلمناصر الاول وبني فيها هو وبعض خلفائه قصوراً شاهقة ووجد في خراباتها تمثال سلمناصر الثالث . روى ذلك الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٣٠٠ و٣١٢) وقال اوبر (١) (في رحلته في ما بين النهرين مجلد ١ صفحة ٣٠٩) ان موقع كالح كان في محل خرابات نمرود وهذا امر غنمه العلم من الاثار ولم يحدث فيه بعد خلاف

واما راسن فقد صرح الكتاب بان موقعها بين نينوى وكالح اي بين نمرود وكوينجيك لا على ضفة النهر بل في داخلية البلاد على مسافة ست ساعات من خرشباد ويرجح ان يكون موقعها حيث الان كركوش على ما روى اوبر في المحل المذكور وكانت هذه المدينة عاصمة اشور بعد نينوى في دورها الاول كما مر ولذا وصفها الكتاب بانها المدينة العظيمة فالوصف لها لا لنينوى كما توهم بعض المفسرين بل لا يمكن عوده على نينوى الا بتعسف ظاهر وعليه فوصف راسن بالمدينة العظيمة مع انها دمرت منذ اقدم الاعصر دليل ساطع على قدم

تاريخ موسى فعظمة راسن اقدم كثيراً من عهد عظمة نينوى في ايام ملوكها
الاشوريين المعاصرين ملوك يهوذا واسرائيل . وكفى بهذا مؤونة لرد مزاعم
بعض المنادين الالمانيين الذين وهموا ان انساب موسى كتبت في عهد ملوك
اسرائيل

﴿ عد ٣٥ ﴾

— مصرائيم بن حام واعقابه —

ولتعد الى الانساب التي اشغلنا الكتاب عنها بذكر نمرود وملكه ومدنه .
قد سمي الكتاب ابن حام الثاني « مصرائيم » وتجده يسمي ابدأ وادي النيل مصراً
والاثار الاشورية تسميه مُصراً او مِصرَ والفارسية مودريا بابدال الصاد بالدال .
والاسم في العبرانية بصيغة المثني او الجمع لقسمة هذه البلاد من اقدم الايام الى
مصر العليا ومصر السفلى . ثم ذكر الكتاب ابناء مصرائيم فقال « ومصرائيم
ولد لوديم ، وذرية لوديم هم المصريون بحصر اللفظ وكانوا الفصيلة المتغلبة
ويسمون انفسهم لوت او روت وابدال اللام بالراء مستفاض عندهم واكثر منه
ابدال التاء بالدال وعكسه فتكون لوت بدلاً من لود كتسمية الكتاب لهم
« وغانيم » وقد كثر في الاثار المصرية ذكر عانو مراداً بهم شعب مشتت في
اكثر انحاء وادي النيل وقد حفظ اسمهم ايضاً في اسما بعض المدن في مصر
فان السيولي وندرده كان اسمهما عان في لغتهم وكان لبطين من هذه الفصيلة
نوع من الاستقلال سكن احدهما في شبه جزيرة سينا والاخر في بلاد النوبة
وسمتهما الاثار المصرية عانوكنس ولعلمهما المقصودان في كلام موسى . ومن
كلام ابن خلدون « ومن ولد مصر غناميم وكان لهم نواحي الاسكندرية » وابن
مصرائيم الثالث « لهايم » ولا اشكال بان المراد بهذا الاسم سكان ليبيا وهي
البلاد الواقعة في غربي مصر وتسمى الان المغرب على ان اسم ليبيا كان

يشمل قديماً كل الاعمال الواقعة في الغرب من مصر الى بوغاز جبل طارق
فسكن هولاء يلزم حصره على المغرب الشرقي وهو من برقة الى تخوم مصر
وشعب هذه الاعمال تسميه الاثار المسمارية لابو ولا يخفى القرب بين لهايم
او لايم بالتخفيف ولابو « وفتوحيم » ويراد بهم سكان بلاد منف واسمهم في
الاثار المصرية الكهنوتية « نافتاح » اي ملك الاله فتاح احد معبوداتهم .
« وفتروسيم » وهم سكان الصعيد واسمهم في لغة مصر القديمة بتورس ومعناه
البلاد الجنوبية « وكسلوحيم » وفي عرفان هذه الفصيلة غماضة ناشئة من عدم
وجود اسم يقرب من هذا لا في الاثار المصرية ولا في الاثار المسمارية ولذا
كان في هولاء لاهل العلم احداس ضعيفة المبنى على ان النسخة السبعينية
لا تسميهم كسلوحيم كما في العبرانية بل هسمونيم ومعناه سكان بلاد النطرون
(احد الاملاح سلفات الصود معرب) وفي اللغة المصرية هسمن ولا يخفى ان
في غربي مصر السفلى عملاً يسمى وادي النطرون فيه بعض بحيرات يستخرج
منها هذا الملح والاثار المسمارية تسمي هذا العمل مالوحي اي بلاد الملح وعليه
فيظهر ان هذه الفصيلة اقامت هناك والاطهر ان موسى لم يعين هذا العمل
وحده بل اراد سكان شطوط مصر البحرية من ليبيا الى فلسطين

وقد اتبع الكتاب كلامه في كسلوحيم بقوله « الذين خرج منهم الفلسطينيون
وكفتورييم » قلنا وفي النسخة السريانية « وخرج من هناك الفلسطينيون
والكفتوريون » والحير يعلم كم عنت هذه الاية العلماء والمفسرين في تفسيرها
وكم تضاربت الاقوال فيه وفي اصل الفلسطينيين قبل الاكتشافات الحديثة واما الان
فنتقول سيجي ما كشفته الاثار المصرية عن اصل الفلسطينيين من انهم قدموا
الى مصر من جزيرة اكرت وغيرها من جزر الارخبيل وما جاورها من البلاد
نحو القرن الحامس عشر قبل الميلاد فاسرهم المصريون واقاموهم في البلاد التي

سميت فلسطين نسبة اليهم وهم من قبيلة البلاسج اصلاً وبين الاسمين مقارنة ظاهرة
 فعلى القراءة ان الفلسطينيين وكفتوريم خرجوا من الكسلو حيم تكون اشارة الى ان
 الغزاة الآتين من الشمال اختلطوا بالسكان القدماء الحاميين في مصر فخرج من
 الكسلو حيم الفلسطينيون لا ولدوا منهم على ان قراءة نسختنا السريانية « ومن
 هناك خرج الفلسطينيون » هي اظهر وانسب لتأدية المعنى وليبان الحقيقة التي
 كشفت لنا عنها الاثار المصرية اذ يتبين منها ان الفلسطينيين خرجوا من بلاد
 الكسلو حيم التي هي الشطوط المصرية على البحر المتوسط حيث أسر الغزاة
 وجلوا الى فلسطين / وقد كان من تقاليد عامة العلماء ان البلاسج الاولين
 ومنهم سكان اكريت وما جاورها من الجزر واليابسة هم من ذرية يافت ومن
 اعقاب ابنه ياوان ابي اليونان على ان الاب دي كارا ينشر الان فصولاً متتالية (في
 المجلة المعنونة بالتمدن الكاثوليكي) يبين بها ان البلاسج الاولين من قبيلة
 الحثيين ولد حث بن كنعان وعليه فيكون الكسلو حيم والفلسطينيون جميعاً من
 ذرية حام فهم ابناء اعمام الاولون من ولد مصرائيم والثانون من ولد كنعان اخيه .
 وسترى تفصيل هذه الامور في كلامنا على الحثيين وعلى بني اسرائيل وحرورهم
 مع الفلسطينيين

واما كفتوريم او الكفتوريون على ما في نسختنا السريانية فنسبتهم الى
 كفتور وهي جزيرة اكريت وقد ورد اسم هذه الجزيرة ونسبة الفلسطينيين اليها
 في ايات عديدة من الاسفار المقدسة فكان الغزاة المار ذكرهم انفاً كان قسم
 كبير منهم من اكريت فخصه موسى بالذكر

﴿ عد ٣٦ ﴾

— في فوط بن حام —

واما فوط الثالث من ابناء حام ويسمى بوت وبوت ايضا فلم يذكر الكتاب

اعقابه ولا جرم ان كان له ذرية فاين اقامت . قال فيكورو (مجلد ١ من الكتاب
 والاكتشافات صفحة ٢٩٠) ذهب كـنوبل وكايل وغيرهما ان هذه القبيلة
 توطنت لـيبيا . وذهب ابار (في كتابه مصر واسفار موسى مجلد ١ صفحة ٦٣)
 انها توطنت بعض بلاد العرب وسومال الواقعة في الجنوب من خليج عدن
 وفي الشرق من الحبشة على ما ظهر من اكتشافات ماريات الاتي ذكرها واما
 لانرمان فبعد ان ذكر (مجلد ١ من تاريخه القديم صفحة ٢٧١) ان مواطن
 هذه القبيلة لا يبعد ان كانت في لـيبيا جنح الى قول ابار بانها كانت في بلاد العرب
 وسومال وقال ان من تقليدات اهل سومال الان انهم من اقارب اقدم الشعوب
 الذين توطنوا اليمن وحضر موت وحرر رأيه بان هذه القبيلة انقسمت الى فصيلتين
 يفصل بينهما السودان فساكن احدهما في سومال وجوارها على الشاطي الشرقي من
 افريقيا ومساكن الثانية في لـيبيا ممتدة في شمالي قارة افريقيا من تخوم مصر
 حتى الاتلتيك وجزائر كاناريس فيه . على ان الذي اطال واجاد في ذكر قبيلة
 فوط هو الاب دي كارا (في الفصل الثامن من كتابه في الملوك الرعاة) وملخص
 ما قاله ان المصريين القدماء كانوا يسمون بلاد العرب الجنوبية فوطاً وان
 اكتشافات ماريات في الكرنك (مصر) عن جريدة الاسماء الجغرافية افادتنا
 ان ارض فوط التي كان يحصرها اهل العلم بالاثار المصرية في العربية السعيدة
 واليمن تمتد الى قسم من قارة افريقيا وهو ما يقابل مضيق باب المنذب الى
 ارض الحبشة اعني سومال وذكر ان احد ملوك مصر المسمى سنكسارا من الدولة
 الحادية عشرة ارسل قائداً اسمه حانو الى بلاد فوط ليأتيه ببعض حاصلات
 هذه البلاد وان الملكة ماكارا ابنة توتمس الاول احد فراعنة الدولة الثامنة عشر
 ارسلت قائداً اخر الى بلاد فوط ونقش تاريخ سفره على جدران دير البحارى
 (مصر) وان رعمسيس الثالث احد فراعنة الدولة العشرين ارسل جيوشاً تغزو

بلاد فوط وكتب تاريخ هذه الغزوة في باير مصري والمتحصل من كل ما ذكر في هذه الاثار ان بلاد فوط ليست في قارة اسيا وحدها ولا في قارة افريقيا فقط بل هي في القارتين معاً قسم في اليمن وما جاوره من العربية وقسم في افريقية لجهة الحبشة اي في سومال المار ذكرها

﴿ عد ٣٧ ﴾

﴿ كنعان بن حام وذريته ﴾

بقي من ولد حام كنعان والكلام في ذريته اهم منه في غيرها لان ابناء كنعان توطنوا ديارنا هذه . قال فيكورو (مجلد ١ من الكتاب والاكتشافات ٢٩٣) لم نجد اسم كنعان حتى الان في الاثار الاشورية مع انها اكثر من ذكر البلاد التي سكنها اباؤهم وكان الاشوريون يسمون هذه البلاد « مات احارى » وتأويله الارض التي الى الورا او البلاد الغربية فكان من عاداتهم انهم اذا ارادوا تعيين الجهات الاربع التفتوا الى جهة مشرق الشمس فسموا الشرق الامام والغرب الورا وقد فصل في كتابة لنيرار الثالث احد ملوكهم ما تشتمل عليه هذه البلاد فانه ذكر الاعمال التي تؤديه الجزية فقال من جملتها « ارض احارى كلها » اعني ارض صور وارض صيدا وارض عمري (اي مملكة اسرائيل) وارض ادوم وارض بلاسطاف (اي فلسطين) حتى الى بحر مغرب الشمس » (رواه اوبر في كتاب رحلته بين النهرين مجلد ١ صفحة ٣٣٣)

قال الكتاب « وكنعان ولد صيدون بكره » وتوطنت ذريته في صيدا وما جاورها وسمتها باسمه وسنفرد مقالة خاصة بتاريخ القينيين نسهب فيها الكلام في صيدا وصور وما يليهما . « وحثاً » ومواطن الحثيين البلاد التي بين العاصي والفرات وجبل اللكام وفصيلة منهم سكنت حبرون اي الخليل الان وجوارها قبل ان ياتيها ابراهيم وسنفرد لهذه القبيلة الكبرى مقالة مخصوصة ايضاً تريكم ما

كان لها من السطوة وامتداد السلطة والحروب مع المصريين والاشوريين ولم يكن في حطام المؤرخين شيء من هذه الامور قبل الكشف عن كنوز الكتابات الهيروغليفية والمسمارية وقبل الاهتداء الى الاثار الحثية منذ بضع سنين فقط « واليابوسيين » اي ولد يابوس وقد سكنوا اولاً المحل الذي سُمي بعداً اورشليم « والاموريين » وكانوا يسكنون جبل افرايم ويهوذا عند استيلاء بني اسرائيل على ارض الموعد وكانوا قد امتدوا حتى غربي البحر الميت وعبروا قبيل عهد موسى الاردن وشيدوا مملكة باسان وحشبون وفي الاثار المصرية ذكر لفصيلة امورية تسكن جهة قادس وعند منبع العاصي في الشمال من بعلبك « والجرجاشيين » وكان مركزهم في عبر الاردن وتمتد بلادهم الى الجليل وجبل الكرمل على الاظهر وجاء ذكرهم في الاثار المصرية ويظن ان بحيرة الجرجسيين (وهي بحيرة طبرية) تنسب اليهم « والحويين » ويظهر من الكتاب عند كلامه في استيلاء بني اسرائيل على فلسطين انهم كانوا يسكنون في جوار جبل حرمون (جبل الشيخ الان) وفي سيخام وجبع والرامة وقرية يعريم (ابو غوش الان) وقد ترجم اسمهم في الترجمة (الترغوم) الاورشليمية بالطرابلسيين كانهم بعد ان طردهم يشوع بن نون من فلسطين ارتحلوا الى طرابلس او انحأها « والعرقين » وكانوا يسكنون عرقا وجوارها في عمل عكار في الشمال من طرابلس الى النهر الكبير « والسينيين » وكانوا يسكنون مدينة سين في الشمال من عرقا. كذا روى لانرمان في المجلد الاول من تاريخه (صفحة ٢٧٤) ولا يبعد ان تكون املاك هذه الفصيلة توصلت الى نهر السين او السن بين جبلة شمالاً والمرقب جنوباً لكن لانرمان قال في المجلد السادس (صفحة ١٢٠) انهم كانوا يسكنون في جبل لبنان وان استرابون ذكر مدينة اسمها سينا او شينا واقعة في هذا الجبل فوق البترون ولا يعلم محلها الى الان « والاروايين » وهم

سكان جزيرة ارواد وما قاربها في اليابسة خاصة طرسوس وعمريت « والصماريين »
 قصبتهن سيميرا وذكرها استرابون بين المدن الواقعة بين النهر الكبير في عكار
 جنوباً واللاذقية شمالاً فقال « ارتوسيا (طرسوس) وسيميرا » وفي معجم الكتاب
 لكلمت ان موقعها بين النهر الكبير جنوباً ونهر مرقية شمالاً وهناك بلدة
 تدعى ^{سيميرا} صمره وناحية تسمى ناحية زميرين او صمرين « والحمايتين » وهم سكان
 حماه على العاصي وباسمهم سميت سكان هولاء بين الحثيين في الشمال
 والاراميين في الجنوب

﴿ عد ٣٨ ﴾

﴿ في ابناء سام ﴾

فرغ موسى من ذكر انساب بني حام فاخذ في تسريب بني سام متبعاً فيه نظاماً
 جغرافياً مرتباً فقال « وبنو سام عيلام واشور وارفكشاد ولود وارام » فعيلام
 سميت باسمه البلاد التي سكنها اعقابه والكلمة في اللغة السامية تأويلها البلاد
 المرتفعة او الجبلية فيظهر انها سميت كذلك تمييزاً لها عن سهول بلاد الكلدان
 وكان الاشوريون والebraيون يسمون هذه البلاد سوسيانا وموقعها بين دجلة
 وبلاد فارس وهي خورستان الان ومنها الاهواز . ويظهر من بعض الاثار
 المسمارية ومن بعض صور تمثل حروب ملوك نينوى في بلاد عيلام ان العيلاميين
 اختلطوا من اقدم الايام بقباائل اخرى ولكن استمرت السيادة لهم . واما « اشور »
 ثاني ابناء سام فاليه ينسب الاشوريون وبلاد اشور وهي الجزيرة كما مر اي القسم
 الشمالي من بين النهرين ومن كلام ابن خلدون عن ابن اسحق « ان بني اشوذ
 (اشور) هم اهل الموصل وبني غليم (عيلام) اهل خورستان ومنها الاهواز »
 وقد رأيت انفاً ما بين الكلدان البابليين والاشوريين من وحدة اللغة والمعبودات
 والحضارة الى غير ذلك مع كون اولئك حاميين وهولاء ساميين وهيئات

القبيلتين الظاهرة من صور قديمة تدل صريح الدلالة على انها من ذريتين كل ذلك يزيد صحة الكتاب ثبوتاً علمياً ايضاً . وقد توهم يوسفوس وغيره ان العيلاميين هم الفرس سكان فارس وهو خطأ ظاهر لان الفرس يفتيون والعيلاميين ساميون بلا مرأ

والثالث من بني سام « ارفكشاد » ويروي ارفخشاد وارفخشذ ومعنى الكلمة جار الكلداني ومتاخمه على ما روى لانرمان (مجلد ١ من تاريخه صفحة ٢٨٣) فذلك ناطق بان مهد ذرية ارفخشاد التي منها العبرانيون والعرب معاً كان في جوار ابناء عمهم الكلدان الذين هم ذرية كوش بن حام كما مر في الكلام على نمرود . واما « لود » رابع ابناء سام فزعم بعضهم ان ذريته اقامت في ليديا القديمة حيث ولاية ازميز الان مغترين بالمقاربة بين الاسمين لود وليديا . لكن وحدة الاسمين او تقاربهما لا يكفيان وحدهما للدلالة على ان الاصل واحد . فقدماء ليديا يفتيون ومحلهم من حيث موقعه الجغرافي لا يمكن ان يقرب الى محل ابناء لود لانهم ساميون والكتاب جعل مساكن بني سام متناسقة تباعاً فيلزم ان يكون مقر ذرية لود بين بني اشور وارفكشاد من جهة وبني ارام من الجهة الاخرى ومن كلام ابن خلدون في تاريخه « ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ (لود) قال ابن اسحق كان للاوذ اربعة من الولد وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس » وفي تاريخ ابي الفدا في ذكر العمالقة « وهم من ولد عمليق بن لاوذ بن سام « وبقي « ارام » خامس ابناء سام وتأويل الكلمة العالي او المرتفع ولا شك ان ابناءه اقام بعضهم في سورية الجنوبية اي في دمشق وانحاءها حتى لبنان وبقي بعضهم بين النهرين كما سيجيء عند ذكر كل منهم . وكثيراً ما ورد اسم ارام في الاثار المسمارية مراداً به طوراً مساكنهم في سورية وطوراً بين النهرين او في الاقليمين معاً

لم يذكر الكتاب ولدًا لعميلام واشور ولود بل اجتزأ بذكر اعقاب ارفكشاد وارام فقط لان العبرانيين من ذرية ارفكشاد وجل غرض موسى ان يكتب لهذا الشعب تاريخه ولان الاراميين اقاربهم الادنون وجيران مواطنهم وكانت بين الشعبين علاقات تاريخية كثيرة كما سترى . ومما يستوجب الالتفات ان اسما من ذكرهم الكتاب من بني ارفكشاد جميعها تاريخية جغرافية دالة على استجاع هذه القبيلة من المشرق نحو المغرب فقال « ارفكشاد ولد شالح » وشالح تأويله البعث بالشئ الى الامام وتلك اشارة الى تقدم هذا الفرع من ذرية ارفكشاد من محل اقامته الاول نحو الغرب ثم قال « وشالح ولد عابر ، بمعناه بالعربية اي العابر او المجتاز فانه عبر الفرات الى الغرب وعنه اخذ سكان سورية قبل ابراهيم يسمون ذرية عابر عبرانيين او بني عابر يريدون انهم اتوا من عبر الفرات . ثم قال الكتاب « وولد لعابر ابنان اسم احدهما فالج او فالغ) لانه في ايامه انقسمت الارض واسم اخيه يقطان ، فقالج او فالغ معناه القاسم او المقسّم ففي السريانية **فَلَج** بمعنى قسم وشق وفي العربية فلج الشئ فلجين شقه نصفين وفلج الشئ قسمه وفلغ رأسه شدخه فكان موسى يقول ان بني عابر انقسموا بعد عبورهم الفرات الى فصيلتين اقامت الاولى منهما في اور الكلدانيين (وسيجيء الكلام فيها عند ذكر ابراهيم) وارتحلت الثانية اي بنو يقطان الى بلاد العرب

﴿ عد ٣٩ ﴾

— في يقطان وولده جدود العرب —

ان يقطان هذا يسميه العرب قحطان وهو ابو العرب العاربة وسموا كذلك على ما قال ابن خلدون « اما بمعنى الرساخة في العروية كما يقال ليل أليل وصوم صائم او بمعنى الفاعلة للعروية والمبتدعة لها بما كانت اول اجيالها »

واما العرب البائدة فكثرهم من ولد ارام ومنهم عاد وثمود وجرهم الاولى
 وسموا بائدة لانهم بادوا فلم يبق لهم ذرية مستقلة بل اختلطت بغيرها ، واما
 العرب المستعربة فهم على ما قال ابو الفدا (في تاريخه) ولد اسماعيل وقيل لهم
 العرب المستعربة لان اسماعيل لم تكن لغته عربية بل عبرانية ثم دخل في العربية
 فذلك سمي ولده العرب المستعربة ، وقد ذكروا ان اسماعيل نزل في جرهم
 الثانية وزوجوه امرأة منهم ومن هولاء العرب المستعربة آل قريش
 اخذ الكتاب في تعداد بني يقطان فقال « ويقطان ولد الموداد ، ان ال
 الداخلة على هذا الاسم هي اداة التعريف العربية بلا مرآء ولكن هل الاسم
 المأخوذ هنا عن لغة اعجمية هو في العربية كذلك ام هو المرذاذ بن قحطان
 على ما روى ابن خلدون او هو مضاض او المضاض وقد كثر هذا الاسم في
 قبيلة جرهم الثانية التي هي من ولد قحطان كل ذلك لا سبيل الى تحقيقه الان .
 وفي تواريخ العرب ان من نسل قحطان من ملك في اليمن واول ملك منهم
 يعرب بن قحطان ثم يشجب ابن يعرب الى غيرها ومن ملك في الحجاز واول
 ملك منهم جرهم بن قحطان ثم عبدياليل بن جرهم الى غيرها ثم ذكر الكتاب
 من ولد يقطان « شالف » وعن ابن خلدون « سالف وهم اهل السلفات ، وفي
 التاج السلف كصرد بطن من ذي الكلاع من حمير وهو السلف بن يقطن وقال
 لانرمان ان هذا العمل اي السلفات او سلفية هو في الجنوب الغربي من صنعاء
 في اليمن ثم « حضرموت » وقد بقي هذا الاسم حتى الان علماً لاقليم حضرموت
 على الطرف الشرقي من شبه جزيرة العرب ثم « يارح » وعن لانرمان انما هذا
 الاسم مترجم الى العبرانية عن كلمة هلال العربية ولذلك وقف المفسرون بين
 ان يكون المراد به بني هلال وهم شعب قديم في شمالي اليمن او جبال القمر
 الواقعة في حضرموت نحو الشرق . قال ابن خلدون في يارح هذا ومن تبعه من

غلط

لم يسم
 الجنس
 اليهودي
 قد وجد
 بعد

ولد يقطان بعد ان ذكر خمسة منهم « هولاء » خمسة وثمانية اخرى نتقل اسماءهم وهي عبرانية ولم نقف على تفسير شئ منها ولا يعلم من اي البطون هم . وهم يياراح واوزال ودقلا وعودال وافيميل وايوفير وحويلا ويوفاف ، والجملة ثلاثة عشر نقلاً عن الكتاب بتغير ما وهوذا ما امكن التوصل الى معرفته في هذه الايام من شان هولاء

ذكر الكتاب بعد يارح « هدورام » قال لانرمان (صفحة ٢٨٥) لاريب ان هولاء هم الحضارمة Adramites الذين جعل الجغرافيون منازلهم في جوار قبيلة حضرموت وكان في الشام قبيلة الحضارمة بعد الاسلام اتوا اليها من العجم وفي التاج الحضارمة قوم من العجم خرجوا في بدء الاسلام فسكنوا الشام . وفي الصحاح فترقوا في بلاد العرب فمن اقام منهم بالبصرة فهم الاساودة ومن اقام منهم بالكوفة فهم الاحامرة ومن اقام منهم بالشام فهم الحضارمة ومن اقام منهم بالجزيرة فهم الجراجمة ومن اقام منهم باليمن فهم الابناء ومن اقام منهم بالموصل فهم الجرامقة . ثم « اوزال » وبهذا الاسم عمل في اليمن كان حيث صنعاء الان واستمر يسمى ازال او عزال الى ان غزا الاجباش هذه الديار في القرن الخامس للميلاد فسموها صنعاء وفي التاج ازال كسحاب اسم صنعاء اليمن في الجاهلية الجهلاء . . . او ازال اسم بانيتها وهو ابن يقطن ابن عابر وهو والد صنعاء كانت امرأة ملكة . ثم « دقله » قال لانرمان ما من عمل في بلاد العرب يقرب اسمه من هذا الاسم على ان معنى دقلة في العبرانية النخل فيراد بدقلة عمل كثر فيه النخيل او كان فيها نوع من العبادة لهذا الشجر كما كان عند قدماء نجران في اليمن وموقع نجران هذه يناسب كثيراً ان يكون موطننا لفصيلة دقلة من حيث الجوار لمساكن اخوانه على انه جاء في التاج نقلاً عن الصائب قال ابو حنيفة الدقل المجهول من النخل كله الواحدة دقلة وفيه عن

القاموس دقلة محرّكة موضع في اليمامة . ثم « عوبال » ويقرب هذا الاسم من اسم بني عييل الذين كانوا يسكنون في الغرب من صنعاء على شاطي البحر وكانت عاصمة بلادهم ثمنه مدينة كبرى حوت من الهياكل خمسة وثلاثين هيكلاً . وفي التاج بنو عييل بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قبيلة من العرب العاربة قد انقرضوا وهو اخو عاد بن عوص . وذكر ابن خلدون عييل من شعوب العرب العاربة . وذكر الكتاب بعد هولاء « ايمائيل » وكان هذا الاسم علماً لعمل في بلاد مهرة من اليمن واخص حاصلاته البخور وروى ثيفورست اليوناني المشهور بعلم الطبيعة ان احسن البخور كان يؤتى به في ايامه من عمل مالي الذي لا يبعد ان يكون مائيل او ابي مائيل . ثم « شبا » او سبا وهذه القبيلة مشهورة وكان منها اكثر سكان اليمن غير ان بعض المؤرخين العرب لا يجعلون سبا بن قحطان كما في الكتاب بل يقولون ما قال ابو الفدا « واسم سبا عبد شمس فلما اكثر الغزو والسبي سمي سبا وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . . . وكان لسبا عدة اولاد فمنهم حمير وكهلان وعمرو واشعر وعاملة بنو سبا » الى ان قال ان من بني حمير التابعة ملوك اليمن ومن بني كهلان قبائل طي ومن بني عمرو نجم ومن بني اشعر الاشعريون ومن عاملة بنو عاملة من القبائل اليمانية التي ارتحلت من اليمن ونزلت بالقرب من دمشق في الجبل المعروف بجبل عاملة . انتهى ملخصاً عن تاريخ ابي الفدا واصح من ذلك قول ابن خلدون في جدول بني سام سبا بن يقطن بن عابر كما مر في التوراة وقوله هناك ان من بني يقطن « سبا وهم اهل اليمن من حمير والتبابعة وكهلان »

اما « اوفير » فلا شك ان في بلاد العرب الجنوبية محلاً يسمى باسمه سكنه ابناءؤه بجانب ابناء اخوته ولكن توفرت الاقوال وتضاربت في ما اذا

كانت اوفير علماً لمحل واحد او لمحلين اذ ورد ذكر اوفير هنا ثم في سفر الملوك الثالث عند الكلام في ارسال سليمان سفنه الى اوفير لاستحضار الذهب وغيره . والاظهر على ما حقق الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ فصل ٨) ان اوفير هذه غير اوفير محل تجارة سليمان فهذه في بلاد العرب الجنوبية في بلاد عمان على بعد نحو من خمسة عشر كيلومتراً من مدينة سوهار وتلك في بلاد الهند وان سفن سليمان كانت تسير حتى اوفير الهندية ومما قاله لانرمان (مجلد ١ من تاريخه صفحة ٢٨٥) ان اوفير التي في بلاد العرب كانت محطة للتجارة بما يرد من اوفير التي في الهند فكانت السفن الهندية تقل البضائع والحاصلات الهندية الى مرفأ عدن فتنقلها سفن اخرى او قوافل الى مصر وبلاد العرب وسورية

« وحويلة » الثاني عشر من ابناء يقطان استوطنت ذريته في بلاد خولان في شمالي اليمن على تخوم الحجاز حيث امتدت بعد ذلك ذرية اسماعيل كما جاء في التكوين (فصل ٢٥ عد ١٨) « ويوباب » قد رأيت انه يسمى في كلام ابن خلدون يوفاف . قال لانرمان (في المحل المذكور صفحة ٢٨٦) يظهر ان هذا الاسم مكسر والصواب ان يقال « يوبار » فقد ذكر بتولماس قبيلة اليوباريين في جنوبي العربية . وجاء في تواريخ العرب ان وَّبر من ولد قحطان وان فصيلة وَّبر كانت تسكن شرقي عدن الى تخوم حضرموت

واختتم موسى كلامه في ولد يقطان بقوله « كل هولاء بنو يقطان وكان مسكنهم من ميثا وانت آت نحو سفار جبل المشرق » فيشأ عند مصب الفرات ودجلة في الخليج العجمي مع البلاد التي تسمى الان مساليك وهي البرية التي يسكنها الان قبيلة بني لام من العرب وتتصل بالعراق العربي وسفار هي التي كانت عاصمة بني سبا وتسمى الان زعفر . وجبل المشرق يظهر ان المراد به جبل نجد وعليه

فكان بنو قحطان يسكنون منطقة فسيحة تبدي من مساليك من طرف العراق العربي وتمتد الى جبل شومر ونجد وجنوبي الحجاز واليمن وحضرموت ومهرة

﴿ عد ٤٠ ﴾

﴿ في ابناء ارام ﴾

ذكر الكتاب ابناء ارام قبل بني ارفكشاد فقال « بنو ارام عوص وحول وجائر وماش » فقد مر ان بني ارام اقاموا في دمشق وانحائها وقد حفظ اسم ارام لهذه الاعمال عند كل القبائل القديمة وفي كل اللغات اما ابنه عوص فاقام نسله في الارض التي سماها الكتاب باسمه اذ قال في فاتحة سفر ايوب « كان رجل في ارض عوص اسمه ايوب » وروى يوسفوس (في ك ١ من تاريخ اليهود فصل ٦) « ان عوص بكر ارام اقام في عمل تراخونيد (او تراكونيت) الواقعة بين فلسطين وسورية المجوفة » وقد ورد هذا الاسم في بشارة لوقا (ف ٣ عد ١) حيث قيل « فيلبس رئيس ربع على ايطورية وبلاد تراكونتس » فالكلمة يونانية من تراخوس معناها الوعر او الحزن او البلاد الكثيرة الحجارة وقد فهم بعضهم بها بلاد الشقيف وكلام يوسفوس مؤذن بشيء من ذلك والاطهر ان المراد بها اللجا التي كان القديما يسمونها ارجوب وليس معناها الا الصبرة بمعنى الحجارة الغليظة المجتمعة وايطورية هي مملكة يطور القديمة وهي الناحية المعروفة الان بالحيديور وكل ذلك في الشرق من الاردن والجزلان وفي الجنوب الشرقي من دمشق فهناك كانت قبيلة عوص وهناك كان ايوب يؤيده انه وجد في بعض الاثار المسمارية ذكر شعب يسمى عوصو ويظهر من الاثر ان مقره في جهة حوران واللجا . وفي كتب المؤرخين العرب ان عاد احدى قبائل العرب البائدة هي من ولد عوص وان ثمود وجديس من هذه القبائل ايضاً هما من ولد جاتر اخيه الذي يسميه العرب كاتر وان منزل ثمود كان بالحجر

بين الشام والحجاز كذا في تاريخ ابن خلدون وغيره وعن يوسفوس والقديس
 ايرونيوس ان عوص بن ارام هو الذي بنى دمشق
 اما « حول » فيظهر ان ذريته اقامت في البلاد الواقعة بين باسان والجولان
 ممتدة الى بحيرة الحولة وان هذا الاسم عن حول بن ارام واما « جائر » فكان
 مقام اعقابه في ناحية ايطورية المار ذكرها المعروفة الان بالجيدور في الجنوب
 الشرقي من دمشق وجعل بعضهم موقع ايطورية في الشمال من الجيدور وفي الجنوب
 من جبل الشيخ وانها مملكة جشور القديمة حيث الان بانياس وقسم من اقليم
 البلان ولا تخفى المقاربة بين جائر والجيدور وجشور . وبقي « ماش » الرابع
 من ابناء ارام وكان مفسرو الكتاب يترددون بين ان يكون مقام ذريته في ميسا
 مساليك المار ذكرها او في ماسيوس او ماشيوس في جوار نصيبين فجأت
 الاثار المسمارية قاضية بتبؤهم مساليك اذ ابانت هذه الاثار انه كان فيها شعب
 ارامي وربما كان هناك مقام بني ارام كلهم اولاً فنجع بعضهم الى سورية وبلاد
 العرب واستمر نسل ماش في مقرهم الاول

ان فصائل القبيلة الارامية قد استفحل امرها في وسط سورية وشرقيها
 وكان قطبها دمشق يليها عدة ممالك او ولايات كما ستري في محال عديدة من
 هذا التاريخ ويظهر ان ذرية لود اخي ارام التي كانت تسكن بعض شمالي سورية
 كما اشرنا آنفاً اختلطت بالاراميين من اقدم الايام فكان هذا ما حمل بعض
 المؤرخين العرب علي حسب ان لود الذي يسمونه لاوذ ابناً لارام مع انه اخوه
 ومنهم ابن خلدون عن ابن حزم اذ جاء في تاريخه (في المقدمة الاولى من مجلد ٢)
 « قال ابن حزم عن قدماء النسابين ان لاوذ هو ابن ارام بن سام اخو عوص »
 واهم من ذلك ان الاثار المصرية عند ذكرها الشعوب الذين عرفوا بعدئذ
 باسم اراميين تسميهم روتان او روتانو وتقسمهم الى روتان المغرب يراد بهم

سكان دمشق وبلاد كنعان منهم والى روتان المشرق او الاعلى وتريد بهم سكان شمالي سورية وجزء من غربي ما بين النهرين فمادة كلمة روتان الاصلية روت او لوت لا يبعد ان تكون تحريف لود كما حرف المصريون انفسهم اسم جدتهم لوديم بن مصرائيم بن حام بتسمية انفسهم لوت او روت كما مر في عد ٣٥ . وعليه فتكون القبيلتان اللودية والارامية المتميزتان اصلاً اختلطت احدهما بالآخرى وبعد اتقراض ملك الحثيين في القرن الثامن قبل الميلاد عم اسم ارام بلاد هولاء ايضاً فاصبح القسم الاكبر من سورية يسمى ارام

﴿ عد ٤١ ﴾

﴿ في بني يافت ﴾

ذكر الكتاب ابناء يافت (تك ف ١٠ عد ٢) اولاً فقال « بنو يافت جومر وماجوج ومداي وياوان وتوبل وماشك وتيراس » ولم يذكر من ولد هولاء الابني جومر وبني ياوان فتتكمم اولاً في الاصول ثم في الفروع التي ذكرها فجومر ويسميه العرب كومر هو اصل قبيلة الجيماريين او الكومريين القدماء الذين ذكرهم هيرودت وكانوا يسكنون على شاطي البحر الاسود في جهة اسيا وفي جهة اوربا . وربما أخذ عنهم اسم بلاد القرم وقد غزوا اسيا الصغرى مرات في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وتسميهم الاثار المسمارية جيميراي . واما « ماجوج » فتأول بعضهم اسمه بمعنى الجبل الكبير مركباً من كلمتين ما وجوج يريدون بذلك جبل قاف وان قبيلته سكنت هناك . لكن هذا التأويل لا يعتمد عليه واكثر المفسرين وفي مقدمتهم يوسفوس (في ك ١ من تاريخ اليهود ف ٦) ان قبيلة هذا يراد بها التتر ولا مرية بكونهم من ذرية يافت . وقد جاء في نبوة حزقيال (ف ٣٨ عد ٢ وما يليه) « وكانت اليّ كلمة الرب قائلاً يا ابن البشر اجعل وجهك نحو جوج ارض ماجوج رئيس روش وماشك وتوبل وتبأ عليه وقل . . . »

هانذا اليك يا جوج فاديرك ... واخرجك انت وجميع جيشك ومعهم فارس وكوش وفوط ... ومعك جومر وجميع جيوشهم وال ترجومة واقاصي الشمال ... فتأتي الى جبال اسرائيل ، ذكرنا كلام النبي مطولاً لتضمنه كثيراً من اسماء الشعوب الذين نتكلم فيهم وهو نبوة على غزوة التتر لبلاد فلسطين في القرن السابع قبل الميلاد . وجوج رئيس او ملك ارض ماجوج يريد النبي به ملك التتر الاوربيين على ما رأى لانرمان فهولاء التتر كانوا اجتازوا في اواسط القرن السابع قبل الميلاد من شمالي جبل قاف الى جنوبيه واقاموا بين ارمينية الشرقية وبلاد ماداي واستمروا على اسمهم فقد ورد في كتابات اشور بانبيال الذي لم يكن بعيداً عن عهد حزقيال ذكر كوج او جوجي ملك شخا او شتا (اي شيت Scythes الذين اعتاد العرب ان يسموهم تترًا) يسكن في الشمال من اراراط اي ارمينية فهذا هو جوج ارض ماجوج الذي ذكره النبي ووصفه برئيس ماشك وتوبل لان جيوش التتر كانت مستحوذة حيثئذ على هذين الشعبين الاتي ذكرهما (لانرمان مجلد ١ من تاريخه صفحة ٢٩٤)

واما « ماداي » ثالث ابناء يافت فلا اشكال ان ذريته هي قبيلة الماديين المتواتر ذكرها في الكتاب والاثار ومسماكنها بلاد مادي وهي الان ادريجان والعراق العجمي ومادي اصل شعوب ايران . « واما ياوان » فالتقليد العام انه جد اليونان في اسيا واوروبا فقد اتقسم هولاء الى فرعين اجتاز احدهما بوغاز الدردنيل واقام في تراسة Thrace ومكدونية وامتد في سائر بلاد اليونان وجزرها واستمر الفرع الثاني في اسيا الصغرى فكان منه من كان من اليونان فيها هذا وسترى في كلامنا على الحثيين تفصيل السكان الاولين في هذه البلاد . ثم ذكر الكتاب « توبل وماشك » وكلما ورد ذكرهما فيه ذكرهما معاً كانه لاتفاق نسلهما واقامة احدهما في جانب الاخر وذكرتهما الاثار المسمارية مراراً باسم « ماشكي

وتابالي ، وعامة العلماء على ان مقر قبيلة توبال في الجنوب من جبل قاف وجعل يوسفوس مسأكنهم بين بحر قزوين (بحر الخزر) والبحر الاسود حيث جورجية الان والاثار المسمارية تؤيد هذا . واما قبيلة ماشك فرأى الاقدمين ان موطنها كانت في الشمال من اشور بين البحر الاسود وبحر قزوين مع قبيلة توبل وهذا وجه ذكر الكتاب القيلتين معاً وقد ورد مرات ذكر تابال وموشكى في كتابات سرغون الملك في خرشباد حيث عدّ من جملة اقاليم ملكه « تابال الى موشكى » وقال في محل اخر انه انتصر على ميلا ملك الموشكيين . وذهب اوسان وغيره ان المسكوبيين هم من ذرية ماشك هذا (فيكورو مجلد ١ صفحة ٢٩٢)

واما « تيراس » الاخير من ولد يافت فاكثر مفسري الكتاب وفي مقدمتهم يوسفوس (ك ١ في تاريخ اليهود فصل ٦) على ان ذريته اقامت في تراسة (١) ولكن خالفهم لانرمان (مجلد ١ من تاريخه صفحة ٣٠٠) قائلاً بان مساكن ذرية تيراس كانت في جبل توروس وفي كيليكيا البلاد الفسيحة التي لم نر لها ذكراً في انساب موسى وبان بعض الفقهاء ارجع الى هذه القبيلة اسم ترسيس مدينة هذه البلاد وقد وجدت فيها بعض قطع مصكوكة كتب عليها اسم ترس وتسميها الكتابات الاشورية تارسي والحاصل ان قبيلة تيراس على قوله اقامت في ترسيس وفي كيليكيا حيث جبل توروس ايضاً . وسترى ان الاظهر نسبة ترسيس الى ترشيش بن ياون ثم ذكر الكتاب ابناً جومر فقال « وبنو جومر اشكناز وريفات وتوجرمة » اما اشكناز فقد جاء ذكر قبيلته مع غيرها من سكان ارمينية بقول ارميا النبي (فصل ٥ عد ٢٧) متكلماً في خراب بابل « نادوا عليها ممالك اراراط وميني واشكناز » وشبه هذا الاسم لاسم قبيلة

(١) هي حيث الاستانة الى البحر الاسود شرقاً والى جزر الارخيل جنوباً والى الرومي الشرقية شمالاً ومكدونية غرباً

الاشكينيين القدماء ظاهر وهؤلاء كانوا يسكنون بيتينيا حيث مدينة نيقية المسماة
الان ايسنيك وفي جنوبها وشمالها بحيرتان تسمى كل منهما ايسنيك والجزر
الواقعة تجاه تجمه تسمى جزر اشكانيا وعليه فيظهر ان قبيلة اشكناز بن جومر
سكنت اطراف اسيا الصغرى من جهة الاستانة العلية . واما ريفات فعلى تقليد
اليهود الذي حفظه يوسيفوس كان مقام ذريته بفلاغونيا وهي ولاية قسطنطيني
الان وهذا ينطبق مع مركز اشكناز في بيتينيا ومركز ذرية ترجومة في
ارمينية الغربية كما سيجي . فيكون مركز ريفات بينهما ويؤيده ان اليونان سموا
هذه البلاد ريفاس « وترجومة » ورد ذكر نسله مرات في الكتاب منها قول
حزقيال المذكور آنفاً حيث يجعله مجاوراً لنسل جومر وقريباً من اقاصي
الشمال ومنها قول هذا النبي ايضاً (فصل ٢٧ عد ١٤) في صور « آل ترجومة
بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك » فيحصل من ذلك ان بلاد هذه
القبيلة لا يمكن ان تكون بعيدة كثيراً عن فيثقي بحيث يمكن ان يؤتى منها الى
صور بالخيل والبغال براً . ومن تقليدات الارمن ان جدهم يسمى ترجوموس
او ترجوم وهو ابو هيك الذي ينتسبون اليه . وعليه فساكن ترجومة كانت في
ارمينية الغربية

ثم ذكر الكتاب بني ياوان فقال « وبنو ياوان اليشة وترشيش وكتيم
ودودانيم » فاليشة يراد به سكان بلاد اليونان في قارة اوربا وقد كثر ذكره
في الكتاب دالاً على هذه البلاد واما « ترشيش » فكان علماً لاسبانيا في ايام
الفينيقيين اذ كان تجارهم يأمون ترشيش اي اسبانيا طلباً للكسب على انه لا يظن
ان موسى اراد بترشيش اسبانيا في هذه الانساب فترشيش هو ابن ياوان
فيلزم ان يكون اقام بين قومه او في جوارهم وقد احله موسى بين اليشة
المراد بها بلاد اليونان كما مر وبين كتيم المراد بها قبرس على قول اكثرهم

فيلزم ان تكون ذريته توسطت بينهما اي كان مقامها في جزر الارخبيل او في الشواطئ الغربية من الاناضول هذا ملخص ما قاله لانزمان في المحل المذكور وجاء في تاريخ بن خلدون « ان ترشيش اهل ترسوس » اي ترسيس الان وارى هذا اقرب الى الصواب مما سواه لا لوحدة الاسم فقط بل للمجاورة في الاحتلال ايضا فكيليكيا وقبرس وبلاد اليونان متقاربة احداها من الاخرى « وكشم » والاكثر على ان المراد بهم سكان قبرس الاقدمون ويقويه ان اقدم مدن قبرس تسمى كيت او كيتون وكانت محطة للتجارة بين اهلها والفينيقيين وان الاكتشافات الحديثة في هذه الجزيرة تبين منها ان سكانها الاقدمين من اليونان البلاسج وان لغتهم فرع من فروع اللغة اليونانية ولكن احرفها مخصوصة بها هذا ما قاله لانزمان (مجلد ١ صفحة ٢٩٨) ولكنك ستري في كلامنا على الحثيين ان الاب دي كارا يرى ان كشم يراد به حثيم اي قبيلة الحثيين وان قدما قبرس حثيون لا يونان ويعقب على لانزمان وغيره في هذا الصدد . وبقي من ولد ياوان « دودانيم » كذا في النص العبراني في سفر التكوين وعنه ما في اللاتينية العامية ولكن في السبعينية والسامرية « رودانيم » وكذا في الاصل العبراني في سفر اخبار الايام حيث تعاد انساب موسى وعليه فيرجح ان صحيح الرواية رودانيم لا دودانيم ويظهر من ثم ان هذه الفصيحة كان موطنها رودس الشهيرة بقدمها والقريبة من قبرس فيتبادر الفهم اليها ولا يبعد ان تكون هذه التسمية تعم العمل المقابل لرودس في اليابسة . ومن اعتمدوا رواية دودانيم جعلوا محطة هذه الفصيحة في دودون في الابير او ان المراد شعب الدردنيين في ترويا

﴿ عد ٤٢ ﴾

— مجمل هذه الانساب —

ان المتحصل من هذه الانساب على سبيل الاجمال هو ان ولد حام كان

منهم اولاً الكوشيون وامتدت مساكنهم من بابل وعلى شطوط الاوقيانوس الهندي حتى بلاد الحبشة ومصر والاثار المصرية مؤيدة لذلك اذ تسمى شعوب اعلى النيل كوش كما مر وبقي من الكوشيين نمرود وقومه في بابل ومملكته التي ذكرناها . ثانياً ذرية مصرائيم وقد توطنت مصر واسمها في اكثر اللغات الشرقية حتى اليوم مشعر باصلها . ثالثاً ذرية فوط وقد سكنت شطوط افريقية الشمالية على قول بعضهم او بعض اليمن وسومال على قول الاخرين وهو الاظهر . رابعاً الكنعانيون وقد اهلت بهم سهول سورية الشمالية وشطوط البحر المتوسط الى جنوبي فلسطين ومن هولاء الفينيقيون واقاموا في وسط قبيلتهم والحثيون وامتدوا الى الشمال كما ستري

واما ذرية سام فمنهم اولاً العيلاميون سكان بلاد عيلام التي صارت بعد ذلك من اعمال الفرس . ثانياً الاشوريون سكان اشور وهي الجزيرة اي القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين وجواره . ثالثاً العبرانيون من ولد عابر بن شالح ابن ارفخشاد واستمر بعضهم في بلاد الكلدان وهاجر منها ابراهيم الى بلاد الكنعانيين فكان من نسله بنو اسرائيل . رابعاً العرب واصلهم يقطان او قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام وامتدوا في الحجاز واليمن وسائر اعمال بلاد العرب وهم العرب العاربة او العرباء . خامساً الاراميون وهم ولد ارام بن سام وكانت مساكنهم دمشق واعمالها وأضيف اليهم ولد لود بن سام ومن هذين الاصلين العرب البائدة ايضاً اي عاد وثمود وجديس وجرهم الاولي الخ اما ذرية يافت فمنهم اولاً الايرانيون وهم الماديون والفرس وغيرهم واصلهم مادي ومساكنهم بلاد فارس وجوارها وبعض الهند . ثانياً الكومريون او الجومريون واصلهم جومر بن يافت ومساكنهم على شطوط البحر الاسود من جهة اوربا وجهة اسيا ويظهر ان منهم السلت Celtes اصل بعض قبائل اوربا

كما سيجي . ثالثاً ذرية ماجوج وهم التتر Scythes وكانت مساكنهم في شمال
جبال قاف وانتقل بعضهم الى جنوبه ومن هولاء ايضاً اصل لبعض قبائل
اوربا . رابعاً الترك ونسبهم ابن خلدون الى كומר (او جومر) بقوله « وشعوب
الترك كلهم من بني كומר ولم يذكروا من اي الثلاثة هم والظاهر انهم من ترغما
(توجرمة) « ولكن في الكامل لابن الاثير « ومن ولد تيرش (تيراس) الترك
والخزر ، خامساً اليونان واصلهم ياوان وابناؤه ومساكنهم بعض اسيا الصغرى وبلاد
اليونان والجزر القريبة منها وبعض ايطالية ومنهم او هم البلاسج على رأي عامتهم
ولكن على رأي الاب دي كارا البلاسج لاسيا الاولين هم حيثيون . سادساً
الايباريون واصلهم توبل وماشك ومواطنهم الاولى بين بحر الخزر والبحر
الاسود اي بلاد الجركس وبعض شروان . سابعاً وقد كان تيراس بن يافت اصلاً
لبعض قبيلة السلاف اي الصقالبة

ان التقليد العام عند جميع سكان اوربا ان اصلهم من اسيا ارتحلوا اليها من
جهة اسيا الصغرى وبوغاز الدردنيل والبصفور ومن جهة البحر الاسود وجبل
قاف وبحر الخزر واكثرهم من ذرية يافت واصلهم خمس قبائل كبرى اولها
التتون ولها ثلاثة فروع الاول السكنديناف ويظن انهم ظعنوا من اسيا في القرن
الاول قبل الميلاد ومنهم سكان اسوج ونروج والدانيرك . والثاني الجرمانى ومنهم
اكثر سكان جرمانيا . والثالث الانكليزي ومنهم الانكليز بحصر اللفظ وسكان
سكوتسيا . والقبيلة الثانية السلت انتشرت من اقدم الايام من المشرق الى
المغرب في اواسط اوربا والسواد الاعظم منها حل في افرنسة فهم الغال سكان
افرنسة القديما او نزلوهم وجالية من هولاء اقاموا في بوهاميا وبافيارا وفي بعض
اعمال ايطالية وانكثرة ايضاً حيث بلد غال . والثالثة اللاتين ومنها الافرنسيون
من غير الاصل السابق ثم السواد الاعظم من سكان ايطالية واسبانية والبرتوغال

ورومانيا . والرابعة اليونان ومنها سكان بلاد اليونان والالبانيون وبعض سكان
ايطالية الجنوبية . والخامسة السلاف اي الصقالبة ومنهم خاصة سكان روسيا
والبشناق والسرب والبلغر والبولنيون وغيرهم

الفصل التاسع

(في برج بابل)

﴿ عد ٤٣ ﴾

— آيات الكتاب في برج بابل ثم من بناه —

بعد ان ذكر موسى انساب بني نوح وتفرق قبائلهم في الافاق انبأنا بما كان
في بابل فقال (تك ف ١١ عد ١ وما يليه) وكانت الارض كلها لغة واحدة
وكلاماً واحداً . وكان انهم لما رحلوا من المشرق (نحو المغرب) وجدوا بقعة
في ارض شنعار فاقاموا هناك وقال بعضهم لبعض تعالوا نصنع لبناً ونضجه طبخاً
فكان لهم اللبن بدل الحجارة والحمر كان لهم بدل الطين وقالوا تعالوا بنين لنا
مدينة وبرجاً رأسه الى السماء ونقيم لنا اسماً كيلا نتبدد على وجه الارض كلها ،
قبل ان نشيد لنا اثراً نتفاخر به فاستكبروا واغاظوا الرب فقال « هوذا هم شعب
واحد ولجميعهم لغة واحدة وهذا ما اخذوا يفعلونه والان لا يكفون عما هموا به
حتى يصنعوه هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض فبدرهم
الرب من هناك على وجه الارض كلها وكفوا عن بناء المدينة ولذلك سميت
بابل لان الرب هناك بلبل لغة الارض كلها ، فهذا ما جاء في الكتاب وهو شامل
امرين الكلام في برج بابل ثم بلبال لغة الارض فتكلم في هذا الفصل على

برج بابل وفي التالي على اللغة وبلبائها

واما من هم الذين اخذوا يبنون هذا البرج فذهب بعضهم الى انهم جميع الاحياء حيثئذ من نسل نوح وانهم اجتمعوا في ارض شعار يتعاضدون ويتنافسون بتشيد مدينة و برج . وذهب غيرهم ان هولاء كانوا بني سام فقط وبعض ولد حام وايد هولاء مذهبهم بحجج عديدة منها ان التعميم المتحصل من قوله « وكانت الارض كلها لغة واحدة » لا يراد به كل الارض المأهولة يومئذ بل كل الارض التي اجتمع فيها المرتحلون اي ارض شعار ولا يستفاد من نص الكتاب البتة ان كل الاحياء حيثئذ اجتمعوا في هذه الارض . ومنها ان موسى ذكر اخبار تفرق ابناء نوح قبل خبر برج بابل وبلبال الالسن ومن خاتمة الفصل العاشر من سفر التكوين وهي « هولاء عشائر بني نوح ومنهم تفرقت الامم في الارض بعد الطوفان » يتلخص ان هذا التفرق كان بعيد الطوفان وقبل بناء البرج . ومنها ايضا ان قوله انهم ارتحلوا من المشرق لا يستلزم انه لم يبق منهم احد حيث كانوا ولا انه لم يتخلف احد منهم في اثناء الطريق ومن حججهم ايضا ان الظاهر من النص العبراني ان بلبله الالسن كانت بعد سنة ١١٧ من الطوفان ولكن يؤخذ عن الترجمة السبعينية ان ذلك كان بعد ٤٠٠ سنة من الطوفان واذا اعتمدنا هذه الرواية الاخيرة كان اجتماع نسل نوح برمته في بابل مستحيلاً . ويظهر من الاثار المصرية ان بني مصرايم كانوا مقيمين في وادي النيل قبل القرن الرابع بعد الطوفان . والحاصل من ذلك كله ومن قرائن النص المقدس ومجموعه ان الذين هموا بتشيد المدينة والبرج في ارض بابل وبلبلت لغتهم لم يكونوا جميع الناس على اخرهم واذا فهم كلام الكتاب بهذا المعنى سقط كل ما يعترض به على رواية موسى من حيث وحدة اللغة او غيرها كما

﴿ عد ٤٤ ﴾

﴿ في موقع برج بابل ﴾

لاجرم ان ارض شنعار التي تُسَيِّد البرج فيها هي ارض بابل لتصریح الكتاب بان ما بنوه سمي بابل اخذاً عن بليلة الستهم ويظهر ان العلامات المسماوية الدالة على شنعار تشير الى معنى ما بين النهرين لانها على ما روى اوبر (في كتاب رحلته ما بين النهرين) « مات مات را » فعلامة مات تدل على اسم البلاد ورا معناه ري الماء او السقي اي النهر فكان المعنى البلاد المسقية بنهرين اي ما بين النهرين . واما اين كان موقع هذا البرج من ارض بابل فاختلف القدماء في تعيين محل بابل ادى باولى حجة الى الاختلاف في موقع البرج والاطهر الان ان موقع بابل انما هو مدينة الحلة الان موطن الشيخ صفي الدين الحلي صاحب البديعة المشهورة واما موقع البرج فجعله بعضهم في الشمال من بابل في محل الهرم القديم الذي ذكره استرابون وسماه قبر بالوس وجعله غيرهم في بورسيبا القديمة التي هي الان برج نمرود في وسط الطريق بين بغداد وبابل على بعد اثني عشر كيلومتراً في الجنوب الغربي من الحلة حيث خرابات كبيرة من اجرّ بعضها متزجج بالنار وهناك صرح بقي من ارتفاعه ستة واربعون متراً ومحيطه سبعمائة وعشرة مترات وقد اثبت العالم اوبر (١) الافرنسي ان هذه الخرابات هي في موقع برج نمرود حتى افضل على العلم بابلاغ هذا المبحث الى درجة من التوكيد فقد جمع (في كتابه الدروس الاشورية وفي كتاب رحلته بين النهرين) شهادات المؤرخين وفقرات الخطوط المسماوية التي جاء فيها ذكر الهرم القديم و برج نمرود واستخلص مثبتاً ان برج نمرود هو برج بابل الذي بلبت الالسن عند بناءه

(١) Oppert Etudes Assyriennes P 192 et Expédition en Mesopo.

اننا كافياً بالايجاز نكتفي عن ذلك بايراد بعض فقرات من كتابة مسمارية
 خطها بختصر على هرم قديم في محل برج نمرود وكان اول من ترجمها اوبر
 المشار اليه وشرحها في كتابه الدروس الاشورية فبختصر بعد ان يستغث
 بالاهلين مروداخ و نابو يقول « ان هيكل انوار الارض السبعة المعلق عليه اقدم
 ذكر لبرسيديا بناه ملك قديم (يحسبون من عهده الى اليوم اثنين واربعين عمراً
 بشرياً) لكنه لم يكمل قته فتركه الناس منذ ايام الطوفان متكلمين كلاماً مشوشاً
 وزلازل الارض والرعود زعزعت اللبن (الاجر الغير المشوي) وشققت الاجر
 المشوي الملبس به البناء فتهدم اللبن فتكون منه تلول فلهم مروداخ الاله العظيم قلبي
 لاجدد بناءه فلم امسس الاساس بل اخترقت في شهر الخلاص واليوم المسعود
 اللبن والاجر بقناطر اقتتها وكتبت اسمي المجيد على وجه القناطر وغنيت
 بتجديد بناء البرج ورفع قته كما كان يلزم ان تكون وكذا اعدت تشييده كما كان
 يلزم ان يكون في العصر الحالية القاصية وكذا رفعت اعلاه ، وقد يقن اوبر
 وغيره من اهل العلم بالاثار ان خط بختصر هذا مشعر بلا شك ببرج بابل
 الذي ذكره الكتاب على ان لانرمان تابع اوبر على هذه الترجمة في موجز
 تاريخه القديم ثم عاد في مطول هذا التاريخ وفي موجز تفسير فقر باروز يشبهه
 بصحة الترجمة خاصة في الفقرة « تركه الناس منذ ايام الطوفان متكلمين كلاماً
 مشوشاً » مترجماً لها بمعنى اخر ولما كانت الخطوط المسمارية عرضة لتأولات
 عديدة ولقرآت مختلفة فلم نحصل حتى الان على التوكيد المطلق ان برج نمرود
 هو برج بابل حقيقة وان كان رأي اوبر هو الاقرب الى الصواب والظاهر
 خاصة لاستمساكه بحجج قوية واسناد قوله الى بينات عديدة ولانه يتبين من
 اي تفسير كان لخط بختصر انه جدد بناء برج كان من اقدم الايام ولم يتم
 صناعوه سقفه او قته ولا يخفى ما في ذلك من الاشارة الواضحة الى برج بابل

سواء ذكر الطوفان في ذلك الخط ام لم يذكر

﴿ عد ٤٥ ﴾

﴿ في الاثار المثبتة تاريخ برج بابل ﴾

ان عالمًا اسمه ابيدان يظن انه كان كاهنًا مصريًا في هيكل ازوريس في مصر على عهد خلفاء اسكندر الف كتابًا اعتمد فيه التاريخ البابلي لباروز الشهرير وضمنه اخبار السكندان والاشوريين الا ان غير الزمان لم تبقى منه الا فقرات رواها اوسايوس في الاستعداد الانجيلي والقديس كيرلس الاسكندري في كتابه ضد يوليانوس وجرج سينسال في تاريخه ومنها فقرة رواها اوسايوس وغيره قال ابيدان فيها «رووا ان الرجال الاولين استكبروا بقوتهم وارتفاع قاماتهم فاخذوا يحتقرون الالهة ويظنون نفوسهم اسمى واعظم منهم فحملتهم كبرياؤهم على ان يشيدوا صرحًا عجيبًا في ارتفاعه وهو الان بابل وبينما كاد رأسه يناطح السماء عصفت الارياح بامداد الالهة فحطمت مراقي البناء وكفأتها على البنائين وسميت هذه الخرابات بابل . والناس الذين كانت لهم لغة واحدة الى ذلك الحين شرعوا منذ حينئذ يتكلمون لغات مختلفة بامر الالهة » وقد حفظ اسكندر بوليستور (اي العلامة وهو كاتب يوناني توفي في القرن الاول قبل الميلاد) رواية اخرى اشبه بهذه اخذها عن باروز

ان التقليدات البابلية التي بلقتها الينا فقرات باروز وغيره في شأن برج بابل وبلبال اللغة فيه تشبه كل الشبه ما رواه موسى في سفر التكوين بهذا الشأن حتى لم يجد توش ورنان وغيرهما من كفرة عصرنا مفرًا من قوتها فاجأوا الى الزعم ان باروز لم يتلق ما كتبه في برج بابل عن اثار كلدانية بل تلقاه عن كتب اليهود واهمهم ميلهم السيء انه كان لليهود سكان بلاد السكندان صولة وسطوة في هذه البلاد ايام كان باروز يكتب تاريخه على عهد اسكندر الكبير

وسلوقوس . مع انه لم يكن لهم شيء من ذلك بل كانت مدارس بلاد الكلدان لم تزل عامرة زاهرة تعلم قراءة الخطوط المسمارية وتفسيرها حتى كان كل ما بقي من فقر باروز وامكن معارضته بالاثار المكتشفة حديثاً قاضياً علينا ان نوقن انه تلقاه عن اثار قديمة في وطنه وانه كان على غاية من الدقة في ما يتقله ولا وجه لاستثناه روايته في برج بابل وبلبله الالسن من هذا الحكم وليس في ذلك ما يشرف قبيلته او يعود عليها بنفع

ويزيد ذلك تحقيقاً ما اكتشفه عن قرب جرج سميت من صفائح نقش عليها بالخط المسماري تاريخ برج بابل وهي الان في المتحف البريطاني الا انها لسؤ الحظ مشوهة ممحو قسم منها والصحيفة الاولى التي يظن انه كان مكتوباً فيها خبر تكبر من شيدوا البرج لم يهتد اليها بعد على ان الباقي من هذه الصفائح يشف ظاهراً عن الغرض وهوذا ترجمة ما كان منه كذلك . كانت افكار قلبه سيئة . . . وكان ترك ابا كل الالهة . . . فبلبلهم كباراً وصغاراً على البرج . . . كان يبني الجدران النهار بطوله وفي الليل عقاباً لهم . . . لم يترك بقية . . . في غضبه جاهر برأيه الخفي بان يبلبل سنتهم فحول وجهه وامر فتلبلت اروهم . . . سر - تولي - ايلي (تأويله اله البرج السامي وهو انو) اباد (او عاقب) . . . فالتقوه مرتعدين فنظرهم . . . ولما لم يتوقفوا وعصوا الالهة . . . فبكوا بكاءً مرّاً على بابل وانتحبوا وقلبهم . . . فالحاصل من هذا الكلام المتقطع ان شعب تلك الايام عصى الالهة واراد بناء برج غير مبالي باسخطهم فبلبل الالهة السنة الشعب واراءهم ودمروا ليلاً ما كانوا يبنون نهراً فشق عليهم ذلك وناحوا على بابل وما كانوا بنوه فيها وهذا مؤذن ببناء برج بابل ودكه وبلبله السن من بنوه بل لا يمكن تخريجه او صرفه الى معنى غير هذا

روى لانرمان (مجلد ١ من التاريخ صفحة ١١٥) ان التقليد الدال على

بناءً برج بابل وبلبال الالسن به وجد عند الارمن ولم تخلُ عنه كتب اليونان
لانه جاء في قصصهم عن الالباد (اي الجبابرة) انهم شرعوا يبنون برجاً
يبلغ رأسه الى السماء فعاقبهم الالهة على قحتهم واهالوهم بالصواعق واهبطوهم
الى الجحيم وروى مارونيا آناً وقال لم نجد أثراً لذلك في الهند ولا في ايران
لانه خص بسكان بابل او بمن كانوا مجتمعين في شنعار او بمن تفرع منهم
بعد ذلك

الفصل العاشر

(في اللغة)

﴿ عدد ٤٦ ﴾

﴿ في اللغة الاولى ﴾

لما كان جميع الناس من ولد ادم وحواء اولاً ثم من ولد نوح بعد الطوفان
لم يكن اشكال ولا ريب في انه كان للاولين في الدورين لغة واحدة يحسن
تسميتها اللغة الاولى وجاء الكتاب ينبئنا انه عند بناء برج بابل كانت الارض
لغة واحدة وكلاماً واحداً ، وقد ابنا مفهوم هذه الالية على ان الاختبار في كل
اين وان حقق لنا انه لا يمكن ان تكرر اعوام عديدة على لغة الا وتدخل عليها
تديلاً في الفاظها وتغيراً في صورها وزيادة عليها وتحريراً وتصحيحاً في حروفها
لا سيما اذا كانت تلك اللغة غير مكتوبة وعليه فليس لنا ان نقضي بان اللغة التي انطق
الله ادم بها استمرت محفوظة على سلامتها الى ايام الطوفان واذا سلمنا بقاء
اصلها وجوهرها فلا اقل من تبدل هيئتها الخارجية ودخول بمض التغير فيها الا
ان يكون ذلك بمعجزة ولم ينبئنا الكتاب بشيء من هذه المعجزة . ثم اذا كانت

المدة التي تخللت بين الطوفان وبناء برج بابل اربعة قرون على ما في النسخة السبعينية فلا بد ان يكون قد طرأ على اللغة التي كان نوح تكلم بها مثل تلك التبدلات والتغيرات والزيادات الحديثة وعليه فالظاهر ان اللغة التي كان يتكلم بها من بنوا برج بابل هي اللغة الاولية مهذبة ومكاملة ومزاداً عليها الفاظ جديدة وصور حديثة . وان بني سام تيسر لهم اكثر من سواهم حفظ اللغة التي نطق بها ابائهم لانهم استمروا ادنى من غيرهم الى مهد النوع البشري وان طرأ على لغتهم ما طرأ ويطرأ على كل لغة كما ابناه

ذهب بعض الاباء منهم اوريجانوس (في مقالة ١١ في سفر العدد) والقديس اغوستينوس (في كتابه مدينة الله فصل ١٦) وغيرهم وكثير من العلماء حتى ايامنا ان اللغة العبرانية هي اللغة الاولى التي تكلم بها آدم في الفردوس وذهب كثيرون غيرهم ايضاً انها لغة اخرى سامية كالسريانية او الكلدانية او العربية على انه قد تبين من العلم الحديث النشأة وهو علم معارضة بعض اللغات ببعضها ان كل اللغات القديمة تعاقبت عليها ثلثة ادوار ففي دورها الاول كان كل من كلماتها ذا هجاء واحد فتوضع الكلم احداها بعد الاخرى بحسب نظامها المنطقي لتأدية المعنى المقصود وما برحت لغة الصين ولغات بعض القبائل في داخلية افريقية وغيرها من هذا النوع . وفي الدور الثاني أخذ بالحاق كلمة الى اخرى فيؤدي اللفظان المعنى الاول مضافاً اليه معنى جديد او يحصل من تركيب الهجائين او اكثر معنى اخر . وفي هذا الدور ايضاً اخذ بزيادة احرف على الاصول في اولها او اخرها او بين حروفها للدلالة على معانٍ ترافق المعنى الاصلي مثال ذلك في لغتنا العربية زيادة الالف في مثل قاتل للدلالة على المشاركة وزيادة الالف والسين والتاء في مثل استغفر للدلالة على طلب الفعل ومن ذلك تشديد اوسط الفعل للدلالة على المبالغة او ادخال الهمزة او التشديد على الافعال للتعدية ومثال

ذلك في غير العربية لا يخفى على الخبير بها فمنه زيادة بعض الحروف في اللغات الاوربية للدلالة على تجديد عمل الفعل مثل Recommencer ابتداء Commencer مثل ابدأ Recommencher ابتداء ثانية او استأنف ومثل honorer كرم ووَقَّرَ Dëshonorer عاب واحتقر . وفي الدور الثالث اکتسبت كلم اللغات التصريف وهو تغيير الاصل الى هيئات متعددة للدلالة على معانٍ منها تصريف الافعال في الازمنة ومع الضمائر وبنائها للمجهول والحاق الضمائر بالاسماء والافعال ومثل النسب والتصغير وما اشبهه واذا علمت ذلك ظهر لك ان اللغة العبرانية وغيرها من اللغات السامية لا يمكن ان تكون في حالتها الحاضرة اللغة الاولى التي تكلم بها آدم فان نحو كل منها ومعجماتها تنبئنا انها في دورها الثالث ولكن يمكن ان تكون احدى هذه اللغات السامية لغة آدم او لغة نوح من حيث جوهرها واصلمها وقد قدر لانرمان ان اللغات ذات الهجاء الواحد يتكلم فيها نحو ٤٤٩ مليوناً في العالم واللغات المركبة غير المتصرفة يتكلم بها نحو ٢١٦ مليوناً والمتصرفة ينطق بها نحو من ٥٣٧ مليوناً (مجلد ١ من تاريخه القديم صفحة ٣٣١)

﴿ عدد ٤٧ ﴾

— ببللة اللغة —

واما كيف كان بلبل اللغة في بابل فللاباء ومفسري الكتاب في ذلك قولان قال بعضهم انشأ هذا البلبل عدم ادراك بناء البرج ما يقوله احدهم للاخر بارادة الله عقوبة لكبريائهم ففترقوا فنشأ عند كل فريق منهم لغة تقدمت شيئاً فشيئاً وممن استمسكوا بهذا القول القديس غرينغوريوس نيصص ومما قاله (في رده مزاعم او نيموس ك ١٢) « لما كان موسى ولد بعد قرون من بناء برج بابل فاستعمل لغة من اللغات المتأخرة » اي التي نشأت بعد البلبل وجرت في مدارج التقدم وجنح اهل العلم بمعارضة اللغات الى تأييد هذا القول . وقال آخرون

وهم كثير من الاباء والمفسرين ان الله غير بعثة لغة بناء البرج حتى استحل
 على احدهم ان يدرك كلام الاخر وانطق كل فريق بلغة تلك معجزة لا يعجز
 الله صنعها . قال فم الذهب (مقالة ٣٠ في التكوين) « ان وحدة اللغة دعت
 الى الاجتماع واختلاف اللغة اوجب التفرق » وقال القديس افرام السرياني (في
 تفسيره سفر التكوين مجلد ١ من كتبه السريانية صفحة ٥٩) « يظهر ان الله
 محا من ذاكرتهم اللغة القديمة التي كانت تعمهم جميعاً وبدلها بلغة خاصة بكل
 فريق منهم واستمرت اللغة القديمة عند اسرة واحدة فقط » وعلى كلا
 القولين كان بلبلال الالسن معجزة خارقة ناموس الطبيعة لا ينكر امكانها الا من
 ينكر قدرة الله على تغيير سنن الطبيعة وهو على كل شيء قدير على ان المعجزة
 في القول الثاني مضاعفة اي انشاء اللغة الاولى وانطاق كل فريق بلغة

﴿ عد ٤٨ ﴾

علم معارضة اللغات

هو علم حديث النشأة عني وما برح يعني به كثير من اعلام اهل العلم
 في هذا العصر والغرض منه معرفة اصل اللغات واشتقاق بعضها من بعض وما
 دخل من احداها في الاخرى وردها الى اصولها والبحث في ما اذا كان لها
 اصل واحد ترد اليه سائر اللغات وقد ردوا حتى الان كل اللغات التصريفية
 المعلومة الى اصلين خاصة الاول السامي والاوولى على رأي بعضهم ان يسمى
 السرياني العربي واخص فروعه الكنعانية بفروعها والارامية اي السريانية بفروعها
 والاشورية والعربية بفروعها ولغة بعض اهل الحبشة بفروعها ومن هذا الاصل
 ايضاً اللغة الحامية وهي ذات ثلاثة فروع المصري القديم المكتوب بالحروف
 الميروكليفية ولغة بعض سكان الحبشة غير المار ذكرها ولغة سكان ليبيا وهي
 المغرب اي الاقاليم الواقعة في غربي مصر فقد اثبت لانرمان (مجلد ١ من تاريخه

صفحة ٣٧٠) ان اصل هذه اللغات واللغات السامية واحد بدليل ان اصولها النحوية واصول الضمائر فيها وصيغة التأنيث والجمع ونحو نصف اصول الكلمات جميعها واحدة في اللغتين والنصف الثاني من اللغات الحامية حتى ان الفرع المصري نفسه هو من لغات افريقية يتكلم بها شعوب السودان ويظهر ان انفصال اللغات الحامية عن السامية قديم جداً وقد سبق تقدم اللغات وتحسينها .

واما الاصل الثاني فهو السنسكريت ويقسمونه الى الهندي الايراني والهندي الاوروباي ومن فروع الاول الفارسي والارمني ومن فروع الثاني اليونانية بفروعها واللاتينية بفروعها والجرمانية بفروعها والسلافية بفروعها الى غير ذلك من اللغات او الفروع المستعملة في اوربا ومستعمراتها وسنأتي على بيان ذلك كله وقد اسند هولاء العلماء نتائجهم الى مقدمات هي قرب الفروع من الاصل والمشابهة بين الاصول النحوية وازمنة الفعل وتصاريفه ونوع الكتابة واستعانوا بتواريخ القبائل وارتحالهم وانسابهم الى غير ذلك من الادلة المقررة عندهم

واما مرجع هذين الاصلين الى لغة واحدة اولية فهو ما يبني اهل هذا العلم وقد تقدم كثيراً على حداثة نشأته وان لم يتمكن ذووه حتى اليوم من الاهتداء الى كل حلقات هذه السلسلة المتقطعة وايصال احداها بالآخرى وما ادركوه حتى الان وليس هو باليسير اثباتهم اثباتاً علمياً امكان وجود لغة واحدة اولية هي اصل سائر اللغات واهدائهم الى قرائن قوية دالة على ان اللغات مشتركة في الاصل ولها اصل واحد يعم جميعها خاصة اذا روعي دورها الاول اذ كان كل اصل ذا هجاء واحد حتى قال بعضهم ان بعض ما كان في اللغات السامية من ثلاثة احرف اصله حرفان فقط . هذا واذا تعذر الوصول الى التيقن بوحدة الاصل في جميع اللغات فيبقى قول الكتاب « وكانت الارض كلها لغة واحدة » على سلامته وتنزهه عن كل خلاف اذ ابناً ان الاظهر من معنى الاية

ان المراد بالارض كلها ارض شنعار كلها لا الارض باطلاق لفظها فسيان في
صدق الكتاب ثبت وجود لغة واحدة هي اصل كل اللغات ام لم يثبت والراجح
الان ثبوته

﴿ عد ٤٩ ﴾

﴿ اللغات السامية ﴾

قد مر ان اصل اللغات الذي سمته عامة اهل العلم سامياً رأى بعضهم ومنهم
لان زمان ان الاولى تسميته بالسرياني العربي لانه اصل لبعض لغات الحاميين
ايضاً فتسميته سامياً لا تشمل هذه اللغات ولان اخص فروع السريانية والعربية
فكانت السريانية والعربية فرعين عامين يسمى الاول منهما شمالياً والثاني
جنوبياً ولكل منهما فروع تأتي على ذكرها كفاً بتوفر القوائد فالفرع العام
الشمالي الذي هو السرياني تفرع منه اللغات الارامية والاشورية والكنعانية
فالارامية لغة الشعوب الذين سماهم الكتاب ارام فكانت لغتهم في سورية
ثم اوصلتها ولاية الاشوريين والفرس الى كل ما بين النهرين حتى خليج العجم
وفلسطين وبلاد العرب الشمالية واستمرت الارامية اللغة المتغلبة في هذه الاقاليم
الى ان نسختها وخلقها العربية بعد ظهور الاسلام . ومن فروع الارامية
الفرع الذي كتبت فيه بعض اجزاء من اسفار الكتاب المقدس كنبوة دانيال
وسفرا عزرا ونحميا وسفر استير وقد بقيت فقرات منها مكتوبة من القرن
الخامس الى القرن التاسع بعد الميلاد يتبين منها حالة هذه اللغة وقئد

ومن فروع الارامية ايضاً اللغة السريانية التي كان يستعملها سكان الرها
ونصيبين وقد كانت زاهرة خاصة من القرن الثاني الى القرن التاسع بعد الميلاد
وهي المكتوبة فيها ترجمة الاسفار المقدسة المسماة بسيطة وكتب القديس افرام
السريانية وكتب طقوس طائفتنا المارونية وقد دخلها كثير من الالفاظ

اليونانية وكانت موصلاً للعلوم بين اليونان والعرب فكثر ترجمات الكتب من اليونانية الى العربية عنى بها علماء السريان او اخذت عن ترجمات سريانية واستمرت هذه اللغة في بعض قرى جبل لبنان كحصر وون وجوارها الى امد غير بعيد اعني نحواً من قرنين فقط . ومن الفرع الارامي اللغة التي استعمالها اليهود وغيرهم في سورية وفلسطين في ايام المخلص وقد كتب الريون بها التلمود الاورشليمي والتلمود البابلي وتسمى السريانية السكلدانية وسماها بعضهم عبرانية نسبة الى العبرانيين الذين تكلموا بها بعد عودهم من السبي البابلي . ومن هذه الفروع ايضاً الفرع التدمري الذي كان مستعملاً في تدمر ونواحيها وفي شمال سورية في ايام دولة تدمر وبقي منه كتابات عديدة قديمة . ومنها ايضاً الفرع النبطي وكان لغة اهل العربية الحجرية يداخله كثير من الالفاظ العربية وبقيت منه ايضاً كتابات قديمة . ثم الفرع السامري انتشر في السامرة في عهد ولاية الاشوريين والبابليين والفرس عليها وقد حفظ بحالة لغة علمية عند السامريين والنسخة السامرية مكتوبة به

ولغة الكنعانية فرعان خاصة اولهما اللغة العبرانية وهي كقطب يدور عليه درس اللغات السامية وقد كتبت بها اكثر اسفار العهد القديم وقد انبأنا الاكتشافات الحديثة والاثار القديمة انها كانت لغة الموابين والعمونيين من نسل لوط ومن المؤكد انها لم تكن لغة ابراهيم ونسله قبل ان زایل بلاد الكلدان بل تلقاها عن الكنعانيين بعد ان توطن بين اظهرهم وسماها اشعيا النبي لغة كنعان . والفرع الثاني هو لغة الفينيقين على انه وان كان الفينيقيون من ولد كنعان فقد كان لهم لغة مخصوصة قريبة من اللغة العبرانية لكن بين الفرعين فروقاً تجعل كلاً منهما فرعاً ممتازاً عن الاخر فيظهر ان العبرانية كانت لغة الكنعانيين سكان جبال فلسطين والفينيقية لغة السواحل وقد دلتنا اثار هذه

اللغة انها كانت ذات ثلث لهجات او فروع فرع جليل وهو الاقرب الى العبرانية
 وفرع صيدا وهو الالهة والاكثر انتشاراً ويمكن اعتباره مثلاً لهذه اللغة . ثم
 الفرع البوني وهو لغة الفينيقيين الذين هاجروا الى قرطاجنة كما سترى في تاريخهم
 واما الفرع الثاني العام من اللغات السامية فهو اللغة العربية وهي ذات
 فرعين احدهما الفرع القحطاني او اليقطاني والثاني الفرع الاسماعيلي نسبة الى
 اسماعيل بن ابراهيم من هاجر امته فان اسماعيل عاش بين قبيلة جرهم كما قال
 ابن خلدون في تاريخه « وشب اسمعيل بينهم (اي بين جرهم الثانية) وتعلم
 اللغة العربية منهم واعجبهم وزوجوه امرأة منهم وماتت امه هاجر فدفنها في
 الحجر » ومن جرهم قریش والحاصل ان هذا الفرع هو صحيح المستعمل في
 كتبنا وبلادنا وهو لغة الامصار من العراق والجزيرة الى اطراف مراکش
 ومن شطوط البحر المتوسط الى الحجاز واليمن وقد انتشرت بالمسلمين العرب
 وهي الان ذات اربع لهجات خاصة اي لهجة بلاد العرب ثم لهجة سورية ثم
 لهجة مصر ثم لهجة المغاربة ولا حاجة الى القول ان هذه اللغة من اغنى اللغات في
 اصولها واذا عورضت قواعدها النحوية بغيرها من قواعد اللغات السامية ظهر انها
 ركن لكتب الاصول في باقي هذه اللغات وقد اخذت بعض لغات اسيا واوربا
 الفاظاً كثيرة من العربية فمنها في اللغات الايرانية لاسيما الفارسية الفاظ لا يدركها عاذاً
 واللغة التركية نحو النصف من الفاظها عربي ومنها الفاظ عديدة في بعض لغات الهند
 الان وفي الاسبانية والبرتوغالية كلمات كثيرة اخذت عن العرب مدة اقامتهم في
 اسبانيا ولا تخلو الافرنسية عن كلمات منها يعرفها من علم اللاتين وفي علم الفلك
 كثير من الفاظها منها السميت والديران والطير وبنات نعش والمغز الى غيرها .
 واما الفرع اليقطاني فيشمل اللغات الميتة التي كانت في بلاد العرب الجنوبية
 وبعض اللغات الحية الان في بلاد الحبشة وحفظت لنا الاثار القديمة بعض فقرات

من تلك اللغات الميتة وقد جمع العالمان ارنو ويوسف الافى (١) صور كتابات قديمة عديدة بهذه اللغة كانت كافية لمعرفة اصولها وظهر ان لهذه اللغة اربعة فروع السباوي او الحميري وكان لغة اليمن خاصة وبها كتبت اكثر الاثار المذكورة فعرفنا اصولها اكثر من غيرها وهي مثال لباقي الفروع . ثم الفرع الحضرموتي وهو لهجة حضرموت القديمة والضماير فيه اشبه بضمائر لغة اشور والفرع الميناوي وكان لغة سكان الشمال الشرقي من اليمن والفرع العقيلي (نسبة الى عقيل احد بطون العرب القدماء) وهو لغة مهرة من اعمال اليمن

﴿ عد ٥٠ ﴾

— في السنسكريت وفروعها —

ان الاصل الثاني العام للغات يسمى مع فروعها اللغات الياقنية لان كل من نطقوا بها من نوع الانسان الابيض هم من ذرية يافت والاصل الذي ترد اليه هذه اللغات يسمى السنسكريت ومعنى هذا اللفظ عند الهنود « ما هو كامل بنفسه » فكانهم سموا هذه اللغة كذلك لان تصاريضها كاملة وكان موطنها الهند وكانت اللغة العامة في نحو من عشرين قرناً ثم امتت لغة العلم والدين هنالك وهي اس لمجموع اللغات الهندية الكثيرة الفروع والتي لاوجه لنا لتبينها بل حسبنا ان نبين ان السنسكريت اصل لفرعين شاملين الاول الهندي الايراني والثاني الهندي الاوروباي وللايراني مثالان قديمان الزند والفارسي فالزند هو اللغة المكتوبة بها انكتب الدينية المنسوبة لزورواستر واضع دين الفرس القدماء او مصلاحه . والفارسي نجد في الكتابات المسماة التي خطها ملوك الفرس القدماء . واللغة الكردية تقرب كثيراً من هذه اللغة الفارسية فهي مكسرة عنها ويداخلها كثير من الالفاظ الاجنبية . ومن فروع الايرانية

(1) D. Arnaud et Joseph Halevy

اللغة الارمنية ولم يتجدد من الاثار ما يكشف لنا عن حالتها القديمة والمعلوم ان
 القديس مسروب هو الذي وضع احرف هجائها في القرن الخامس للميلاد عند
 تنصر الارمن واللهجات بهذه اللغة عديدة

واما الفرع الثاني الشامل وهو الهندي الاوروباي فله خمسة فروع وهي
 اليوناني واللاتيني والسلتي والجرماني والسلافي اي الصقلي . ولكل منها فروع
 ايضاً وكان يُظن قبلاً ان اليونانية ام اللاتينية فظهر الان ان الصحيح انهما اختان
 حتى يمكن تنزيل اللاتينية منزلة البكر وهي ام للايطالية والفرنسية والاسبانية
 والبرتغالية والرومانياوية وكان لها في اقدم الايام فروع كالسايينية وغيرها من
 اللهجات التي استغرقتها سطوة المملكة الرومانية . واما الفرع اليوناني فقد طرأ
 عليه تبديلات وتغيرات لكنها لم تبعد الفروع عن الاصل بعداً كثيراً وهذه
 الفروع هي الايولياني والدوري والاتيكي والمكدوني . وقد اعتبر كثيرون لغة
 الالبانيين الان من فروع لغة البلاسج وان داخلها كثير من الكلمات اليونانية
 والسلافية وبعض صيغها اقرب الى السنسكريت منها الى اليونانية والفرع السلتي
 امسى الان محصوراً في اعمال قليلة من افرنسة وجزائر بريطانيا وله فرعان
 خاصة احدهما يسمى الغالي لغة سكان عمل غال في جزائر بريطانيا والثاني يسمى
 بروتون وهو لغة بعض سكان شمالي افرنسة ومن هذا الفرع لغة ايرلندا

واما الفرع الجرمني الشامل فله فرعان خاصة الغوتيك اي الغططي (نسبة
 الى قبيلة جرمانية اصلاً) والالمني فالغوتيك لانعلم منه الا ما بقي منه على
 الاثار ومن جملتها فقر من ترجمة للكتاب المقدس عني بها اسقف يسمى ولفيلا
 Vulfila في القرن الرابع للميلاد . ومنه تفرعت اولاً لغة الدانيمرك واسوج . ثانياً
 الفرع المعروف بانكلو ساكسون الذي نتجت منه ومن الافرنسية القديمة اللغة
 الانكليزية . ثالثاً الالمني السافل وفيه عدة لهجات . واما الفرع الالمني العام فله

عدة فروع منها اللغة الالمانية واللغة النمساوية

واما الفرع السلافي او الصقلي الشامل فله فرعان عامان ايضاً السلاف بالخصوص واللاتيك والسلاف قسمان ايضاً شرقي وغربي فمن السلاف الشرقي اللغة المكتوبة فيها الكتب الطقسية في جميع كنائس الصقالبة ومنذ القرون الوسطى لم تعد اللغة العامة بين الشعب وتقرب منها اللغة البلغارية وهي مشتقة من لغة الصقالبة الجنوبيين اخذها البلغاريون عنهم عند احتلالهم اعمال الدانوب السفلي ومن هذا الفرع ايضاً اللغة الروسية وقد انتشرت كثيراً بامتداد املاك دولة روسيا ثم اللغة السربية التي يتكلم بها السكان بين بحر الادرياتيك ونهر الدانوب .
واما الفرع السلافي الغربي فهو لغة اهل بولونيا وبوهاميا وغيرها من الفروع غير المشهورة . والمقاربة بين اللغات السلافية اكثر منها بين فروع لغة اخرى فمن عرف احداها فهم الكلام في باقىها الا لغة بولغاريا لانه طراً عليها تبديلات وتغييرات في اصولها .
واما الفرع الثاني المسمى اللاتيك فكان من فروع لغة قديمة في بروسيا نسخها الالمانية ولغة اخرى كان يتكلم بها شعب قرصه البولونيون .
قد اخذنا عن لانرمان (في المجلد الاول من تاريخه) اكثر كلامنا في اللغات ونختتمه بما اختتم به كلامه وهو انا خرجنا بعيداً عن غرضنا في كتابة تاريخ سورية او مقدمة له ولكن اذا تبصر المطالع بتوفر الفائدة مما اتينا به احل عذرنا لديه محل القبول والاستحسان

الفصل الحادي عشر

(لمحة في الكتابة)

— ❧ عد ٥١ ❧ —

❧ الكتابة بالصور ❧

مذ اخذ الانسان يكسب المعارف اللازمة لتقدمه في مدارج الحضارة
شعر باحتياجه الى ما يعاون ذاكرته على حفظ تلك المعارف والى ما يبلغ
افكاره ورغائبه الى غيره اذا تعذرت عليه المشافهة. وكان له في ذلك وسيلتان
الاولى ان يرسم صورة لما يتصوره ويرغب فيه والثانية ان يرسم صورة لاصوات
كلامه والصورة في الوسيلة الاولى اما ان تكون حقيقية ان كان الشئ المرغوب
في بيانه مادياً يمكن تصويره اما ان تكون مجازية دالة في سبيل الكناية والرمز
على المقصود والصورة في الوسيلة الثانية تدل اما على الكلمة برمتها او على
بعض حروف هجائها فكان الناس في بدء نشأتهم وحضارتهم يرسمون صورة
لما رأوه او فكروا به وارادوا تذكره فينقشونها على حجر او خشب او مادة
اخرى صلبة ولما لم يكونوا يحسنون التصوير كانوا يحفرون او يجسمون
خطوطاً كما تسمح قريحتهم القاصرة لتذكرهم تلك الخطوط ما ارادوا وقد
وجدت اثار دالة على مثل ذلك في محال عديدة فهذا اول طور للكتابة

ثم تدرج الناس الاولون بحسب حضارتهم الى التعبير عن افكارهم برسم
صور دالة على مسمياتها بحقيقتها او مشيرة الى الغرض بقريئة ما فاذا ارادوا
مثلاً التعبير عن حرب رسموا صور رجال متعاركين وادوات حرب او عن
حيوان او طائر او شئ اخر مادي صوروه للدلالة عليه او دلوا بصورته على

امر اخر متعارف عندهم فكان من ذلك الغاز لا يجلها الا من عرف اصطلاحهم او اهتدى اليها ببعض القرائن من ذلك رسم المصريين صورة رجل ويده الى فمه كناية عن الاكل . ونجح بعض القبائل بهذا الفن فكان منه ستة انواع هيروكليفية اي تمثل صور اشياء مادية يراد بها مسمى الصورة او شئ يقرب منه او يشير اليه واول هذه الانواع الميروكليف المصري ثم العلامات الصينية ثم المسمارية في بلاد السكدان ثم الحثية عند الحثيين في شمالي سورية وفي اسيا الصغرى ثم المكسيكية عند قدماء المكسيك ثم الكانوتية في امركا والاطهر ان كلاً من هذه الاصطلاحات كان مستقلاً لا علاقة له بغيره وبقي الى الان اصطلاحان منها هما الحثي والامركاني لا تعرف حقيقة مدلولهما وقد اهتدى سايس الى كاهنتين او ثلث من الاصطلاح الحثي

على ان الاصطلاح على رسم الصور كان قاصراً لا يمكنه ان يؤدي الاً بيان تصورات قليلة العدد ومادية ويتعذر ان ترسم به التصورات المجردة عن المادة كتصور الفضيلة والعدل وما اشبه من التصورات التي يسميها المنطقيون مجردة ولذلك الجأت الحاجة من تقدموا في الحضارة ان يبحثوا عن طريقة اخرى يتيسر بها بيان افكارهم فكانت اولى خطاهم جعلهم ما كانوا ينقشونه من الصور دالاً لا على مسميات الصور بل على الهجاء الاول من اسمها اي على اللفظ المصطلح عليه لها فاصبحت تلك العلامات صوتية بعد ان كانت تصويرية ولكي تمثل بما يدركه ابناء العرب تقول ان صورة الشمس التي كانت تدل على الشمس في اصطلاحهم الاول جعلوها في اصطلاحهم الثاني تدل على الهجاء الاول من كلمة الشمس اي الشين مع حركة لها . وصورة الهلال الدالة عليه في اصطلاحهم الاول اصبحت في اصطلاحهم الجديد دالة على حرف الهاء مع حركة له وكان هذا الاصطلاح الجديد في اللغات ذات الهجاء الواحد لكل كلمة اكثر ملائمة منه في اللغات

المؤلفة كما انها من تهجيات متعددة وتقدم تدريجاً الاصطلاح على تصوير التهجيات الا انه ما برح في ذلك صعوبات وتطويل وحاجة الى مهارة في صناعة التصوير واستمرت الفاظ كثيرة ترسم بصور دالة على تصور ولذلك استمر عدد العلامات يتصل الى الوف فكان هذا الاصطلاح على تقدمه اخرى ان يكون نوعاً من التصوير من ان يكون كتابة

﴿ عد ٥٢ ﴾

﴿ في الكتابة بالحروف ﴾

اجمع القدماء على ان الفينيقيين اول من اوجد الكتابة بالحروف فقد كان منهم جم غفير يقيم في مصر او يكثر التردد اليها للاتجار فاخذوا العلامات الصوتية من اصطلاح المصريين معاضين بخطوط عن الصور فوضعوا الاثني والعشرين حرفاً هجاء لغتهم واخذوا يكتبون بهما ما شاؤا من الفاظها وعنهم اخذ سائر معاشريهم فلم يجد العلماء حتى الان حروف هجاء قبل حروف الفينيقيين وكل ما وجد مكتوباً بالحروف على الاثار او محفوظاً بالاستعمال يرد عن قرب او بعد الى الحروف الفينيقية وقد عارض كثير من العلماء هذه الحروف بغيرها من حروف جميع اللغات فبين ان الاصل هو الفينيقي طرأت عليه تدريجاً تحسينات واختصارات في اللغات الاخرى وسنين عند كلامنا في الفينيقيين كيف اوصلوا حروفهم مع بضائعهم الى الافاق القاصية من العالم المعروف حينئذ . على انه لا يعلم في اي عصر بالخصوص اوجد الفينيقيون هذا الاختراع الوفير الالهية ولا شك بانه كان قبل عصر موسى

الفصل الثاني عشر

(في سكان سورية الاولين)

﴿ عد ٥٣ ﴾

— في سكان سورية قبل الطوفان —

لامرية بان سورية كانت قبل الطوفان ايضاً مأهولة بولد ادم . ولا نعتمد في هذا على التقليدات العامة التي روى كثيراً منها الاب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان الذي نشرت جريدة البشير بعض مقالاته حيث روى التقليد ان الفردوس كان في انحاء دمشق او لبنان وان آدم عاش في سورية وان مقتل قاين هاويل كان في صحارى دمشق وان قبر قاين هناك وان مدفن هاويل في الجبل الشرقي وان مدفن نوح في سهول البقاع وان المدينة الاولى التي بناها قاين هي بعلبك وما اشبه من تقليدات العامة التي ركن اليها بعض الجواله وكذا لا نعتمد بما رواه يوسفوس (تاريخ اليهود ك ١ فصل ٢) من ان بني شيت نصبوا عمودين من حجر ولبن وكتبوا عليهما ما علموه حتى اذا حصل الطوفان وغرق عمود اللبن يستمر عمود الحجر حافظاً للخلف ذكر ما كتبوا وقال انهم يؤكدون بقاء هذا العمود الى الان في سورية وايضاً لا نعتمد في هذا الحكم على اقوال بعض اهل العلم في هذا العصر كقول دي لامرتين بان بعلبك شيدتها الجبارة قبل الطوفان فان هذه التقليدات والآراء على احتمال صحة بعضها لا تصلح ان تكون بينة علمية على ان سورية كانت مأهولة بولد ادم قبل الطوفان بل الحجبة القاطمة في ذلك هي موقع سورية الطبيعي فان اخص الاقوال في مهد النوع البشري وواجهها واقربها الى الصدق ان هذا المهد كان في ما بين النهرين او

في ارمينية كما ابناً (ارجع الى عد ١٣) ولا جرم ان الناس على طول حياتهم قبل الطوفان تكاثر عديدهم فالحقبة التي هي ١٦٥٦ سنة بحسب النسخة العبرانية او ٢٢٤٢ سنة بحسب الترجمة السبعينية كانت فوق ما يكفي لتفرق ذرية آدم وانتشارهم في اصقاع عديدة ويثبت ذلك تفرق ذرية بني نوح في الافاق لاقل كثيراً من هذه الحقبة وما بين النهرين متاخماً لسورية ولا يفصل بينهما الا الفرات غرباً وارمينيا ايضاً لا تبعد كثيراً عن سورية وليس بين سورية وارمينية وما بين النهرين بحوراً او جبال يستعصى مسلكها بل سهول خصبة طيبة الهواء جيدة المرعى تعري القلوب بالانتجاع اليها والتوغل فيها وعليه فقد كانت سورية بلا مراء مأهولة قبل الطوفان بعدد عديد من الناس لا نعلم من اخبارهم ولم نغز من قصص احداثهم الا بما ذكرناه في الكلام على آدم والاباء الاولين قبل الطوفان

﴿ عد ٥٤ ﴾

﴿ في سكان سورية بعد الطوفان ﴾

قد مر في كلامنا على انساب موسى ان سورية سكنها اولاً الاراميون ولد ارام بن سام بن نوح وكانت مواطنهم في سورية المجوفة وما يليها في الجنوب وفي دمشق وما يليها وسيجيء في كلامنا على الفينيقيين ان من توطن من الاراميين في سهول بعلبك وحمص اتصلوا الى لبنان الشمالي والى انحاء اطرابلس والبترون وجبيل وبيروت ايضاً على قول بعضهم . ثانياً بعض قبائل الجبارة والاطهر انهم ساميون من اقارب الاراميين ومن هولاء الرافائيم اي الرافائيون وقد ورد ذكرهم في سفر التكوين (فصل ١٤ عد ٥) بين القبائل التي ضربها كدرلاعومر ملك عيلام وكانوا يسكنون ما وراء الاردن في بلاد باسان ثم الزوزيم اي الزوزيون وجاء ذكرهم هناك وفي سفر تثنية الاشتراع (فصل ٢

عدد ٢٠) وكانوا يسكنون في عبر الاردن ايضاً في الارض التي سكنها بعداً العمونيون اذ جاء في الآية المار ذكرها من التثنية ان هذه الارض « تحسب من ارض الجبارة لان الجبارة اقاموا بها قبلاً والعمونيون يسمونهم زمزميين » ثم الايمون قد جاء ذكرهم في سفر التكوين والتثنية (في الفصلين المذكورين) وكانوا يسكنون في شرقي البحر الميت في الارض التي سكنها بعدهم الموايون اذ قال موسى في سفر التثنية في هذه الارض « وكان الايمون قد اقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طوال القامات كالغناقين ٠٠٠ والموايون يسمونهم ايميين » ثم بنو عناق ويظهر انهم المسمون نيفيليم اي الجبارة وكانت مساكنهم في قرية اربع وهي حبرون في ايام ابراهيم والخليل في ايامنا ثم اليفيم وكانوا يسكنون السهول الواقعة في الجنوب الغربي من فلسطين الى غزة ويظهر انهم العويون الذين قال فيهم موسى (تثنية ف ٢ عد ٢٣) « العويون المقيمون بالقرى الى غزة ابادهم الكفتوريون الخارجون من كفتور واقاموا مكانهم » ويظهر ان هذه القبائل توطنت في سورية قبل ان يصلها الكنعانيون

ثالثاً الكنعانيون وقد سكنوا شمالي سورية الى حماه ثم بعض الشطوط البحرية والبلاد التي سميت بعد ذلك فلسطين وقد مر بك ذكر المواضع التي اقامت فيها كل فصيلة منهم (ارجع الى عد ٣٨) . رابعاً العبرانيون واولهم في جنوبي سورية ابراهيم الخليل وابن اخيه لوط . خامساً شعبان اصلهما لوط من بنتيه وهما الموايون وكانت بلادهم في الشرق من البحر الميت والعمونيون وكانت مساكنهم في عبر الاردن كما مر آنفاً . سادساً ذرية اسماعيل بن ابراهيم ولكن اكثر هولاء من سكان بلاد العرب . سابعاً المدنيون ذرية مدين بن ابراهيم من قيطورا ويحسبون من سكان بلاد العرب . ثامناً الادوميون ذرية ادوم وهو عيسو بن اسحق وكانت مساكنهم في جبل سعير في جنوب سورية

وشمال بلاد العرب وكان الحوريون يسكنون قبلهم هذا الجبل فطردهم منه
 الادوميون كما في سفر التثنية (فصل ٢ عد ١٢) تاسعاً الفلسطينيين وكانت
 مساكنهم البلاد التي سميت باسمهم وقد اتوا اليها من اكريت وغيرها من
 الجزر ومن اسيا الصغرى بعد ان اسرهم المصريون واحلوههم في فلسطين واصلهم
 يافتي او حامي على احد القولين وسوف ترى تفصيل اخبارهم في الكلام على
 بني اسرائيل . عاشراً السامريون وقد جلاهم ملوك اشور من بلاد السكلدان
 الى السامرة وانحأها بعد جلاهم الاسرائيليين الى بابل

فهذه اخص القبائل التي سكنت سورية الى عهد اسكندر الكبير . وان
 نتكلم في كل منها على حدة امر طويل المجال رابك موجب لاعادات يمكن
 تنكبها . وان نتكلم في سورية كأنها مملكة واحدة ينافيه انقسامها في تلك الاعصر
 الى ممالك عديدة ولذلك اثرنا ان تقصر كلامنا على اشهر قبائلها فنضع مقالة في
 الحثيين سكان شمالي سورية ومقالة اخرى في الفينيقيين سكان وسطها واخرى
 في العبرانيين سكان جنوبها الذين انتشروا بعداً في اكثر ارجائها ونضمن تاريخ
 باقي القبائل في المقالات الثلث ونضع فهرستاً هجائياً في اخر هذا الكتاب يتبين
 منه تاريخ كل قبيلة في سورية وكل مملكة ومدينة فيها الى ايام اسكندر الكبير
 المكدوني فيكون ذلك وافياً بالمقصود ومصيباً الغرض على ما رأينا . وعلى الله
 الاتكال في كل حال

مقالة
في الحثيين

الفصل الاول

(في اصل الحثيين وموطنهم وما يظهر من تاريخهم في الكتاب المقدس)

﴿ عدد ٥٥ ﴾

﴿ في الحثيين الجنوبيين ﴾

قد رأيت في المقالة السابقة ان كنعان هو الرابع من ابنا حام وانه ولد له احد عشر ابناً اولهم صيدون وثانيهم حث الى سائر اباء الفصائل الكنعانية وعليه فأصل الحثيين حث بن كنعان بن حام بن نوح وبعد ان هاجر الكنعانيون الى سورية وجدنا لولد حث بطنين او فصيلتين سكنت احدهما وادي ممرا وحبرون (الخليل الان) في جنوبي سورية والاخرى بين القران والعاصي في شماليها . وكان الحثيون في حبرون قبل ان ياتيها ابراهيم بشاهد انه عند وفاة سارة امراته « كالم بني حث قائلاً انا غريب وتزيل عندكم اعطوني ملك قبر عندكم فادفن ميتي » (تكوين فصل ٢٣ عدد ٤) فابتاع من عفرون الحثي مغارة المكفيلة اي المغارة المضاعفة وما بجانبها من الحقل فكانت مدفناً لسارة وله ولاسحق ابنه ويعقوب حفيده . ويظهر ان هولاء الحثيين كانوا يوثرون حينئذ التجارة وامتلاك الحقول على الحرب والغزو لاننا نرى الكتاب ذكر

انهم وزنوا اربعمائة المثقال من الفضة التي دفعها ابرهيم لعفرون ولم يذكر ان ابرهيم استجدهم عند محاربتة كدرلا عومر بل استجار بالاموريين وقد وفرت العلائق بين الحثيين والبرانيين فاننا نقرأ في سفر التكوين (فصل ٢٦ عد ٣٤) « ولما صار عيسو ابن اربعين سنة اتخذ يهوديت بنت بئري الحثي وبسمة بنت ايلون الحثي امراتين له ، ويظهر ان اطوار الحثيين وادابهم كانت تخالف اداب البرانيين لاننا نرى رفقة تقول لاسحق « قد سئمت حياتي من اجل ابنتي حث (اللتين تزوج بهما عيسو) فان تزوج يعقوب (ابني) بامرأة من بنات حث مثل هاتين او بنات سائر هذه الارض فما لي والحياة ، (تكوين فصل ٢٧ عد ٤٦)

ويظهر ان فصيلة الحثيين هذه كانت أمست قليلة العدد واهية القوة يسطو عليها جيرانها فتلجأ الى الفرار وتبديل منازلها لاننا لا نرى لهم اثرًا ولا عينًا في حبرون وما جاورها من البلاد عند عود بني اسرائيل من مصر وغزو يشوع بن نون فلسطين بل نرى مكانهم في حبرون بني عناق فالظاهر ان الحثيين كانوا استحوذوا على حبرون في زمان غير معلوم قبل ابرهيم طاردين منها سكانها القدماء بني اربع اذ كانت تسمى قرية اربع (١) باسم اول من بناها وهو اربع ابو عناق اصل العناقين فاسترد هولاء مدينتهم واستمرت في حوزتهم الى ان افتتحها يشوع بن نون وخص بها كالب بن يوفنا من سبط يهوذا . فقد جاء في سفر يشوع (فصل ١١ عد ٢١) انه « جاء في ذلك الوقت وقرض العناقين من الجبل من حبرون ، ثم قال (فصل ١٤ عد ١٣) « واعطى حبرون لكالب بن يوفنا ميراثًا ، وقد اقام الحثيون بعد طردهم من حبرون في الجبل والمراد به جبل افرائيم على الاظهر فقد ورد ذكر الحثيين في اسفار

الخروج والعدد وتثنية الاشتراع مع الجرجاشيين والاموريين واليابوسيين وسائر فصائل الكنعانيين وفي سفر العدد (فصل ١٣ عد ٢٩) أكثر تفصيل حيث قيل ان جواسيس موسى قالوا عند عودهم اليه « رأينا ثم ايضاً بني عناق العمالقة مقيمون بارض الجنوب والحثيون واليوسيون والاموريون مقيمون بالجبل والكنعانيون مقيمون عند البحر وعلى عدوة الاردن »

وكان الحثيون من جملة الكنعانيين الذين تألبوا على يشوع بن نون فبدد شمل المتألبين في جبعون في جنوب فلسطين ثم في شمالها عند بحيرة الحولة كما سترى في تاريخ العبرانيين . ويستدل من قول حزقيال (فصل ١٦ عد ٣) في اورشليم « ابوك اموري وامك حثية » ان الحثيين شاركوا الاموريين واليابوسيين في بناء اورشليم . والظاهر من الكتاب ان الحثيين لم يقرضهم بنو اسرائيل بل بقيت في فلسطين منهم بقايا اذ جاء في سفر الملوك الثاني (فصل ١١) ان اوريا احد قواد عساكر داود كان حثياً وقتل بامر داود فتزوج الملك بامرأته بتشمع فولدت له سليمان فكانت جدة بعيدة للمخلص . قال سايس ان نسبة اوريا هذا الى حثي حبرون حيث ملك داود سبع سنين اولى منها الى الحثيين الشماليين . وانباً اسفر الملوك الثالث (فصل ١١) انه كان بين نساء سليمان العديديات نساء حثيات ولا يمكن القطع بانهن من الحثيين الجنوبيين او الشماليين والراجح انهن من الفصيلة الشمالية اذ كان لها ملوك وكان بينهم وبين سليمان علاقات وداد وتجارة منها استجلابه لهم الخيل من مصر كما في سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٨) هذا في الحثيين الجنوبيين

﴿ عد ٥٦ ﴾

— في الحثيين الشماليين —

اما الحثيون الشماليون فالارجح انهم والجنوبيون من اصل واحد هو حث

بن كنعان وكانت منازلهم اولاً في جبل امانوس المعروف الان باللكام ثم انتشروا
بكرور الايام من الفرات الى حماه وحمص ومن دمشق وبرية تدمر الى الكبادوك
وقد جاء في سفر يشوع بن نون (فصل ١ عد ٣) ان الرب قال له « قم فاعبر
هذا الاردن انت وجميع هولاء الشعب الى الارض التي انا معطيها لبني اسرائيل
... من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع ارض الحثيين والى
البحر الكبير الذي في جهات مغارب الشمس تكون تخومكم ، وكانت هذه
الاية من معضلات الكتاب على مفسريه لاطلاقها اسم ارض الحثيين على ارض
الموعد كلها ومن المستغرب ان يكون الحثيون سكان حبرون القدماء تغلبوا على
كل هذه البلاد حتى نسبها الكتاب اليهم ولذلك قال بعض المفسرين ان اسم
الحثيين هنا بدل من اسم الكنعانيين وقال اخرون ان هذا الاغلط ركه النساخ
وقد اغفلت بعض نسخ الترجمة السبعينية ذكر الحثيين في هذه الاية على ان
الاكتشافات الحديثة جلت لنا مدلول هذا النص اذ علمتنا الاثار المصرية ما
كان حينئذٍ للحثيين الشماليين من الصولة والسؤدد في سورية كلها لانهم كانوا
قبل عهد يشوع قد حاربوا رعمسيس الثاني فرعون مصر مترأسين على الكنعانيين
وسائر شعوب سورية كما سترى وعليه فحق لسكاتب سفر يشوع ان يسمي
وقتيئذٍ ارض الموعد ارض الحثيين

وقد جاء في سفر القضاة (فصل ١ عد ٢٣ وما يليه) ان آل يوسف
ارسلوا جواسيس الى بيت ايل وكان اسمها قبلاً لوز فدلهم رجل منها
على مدخل المدينة فضربوا اهلها بحد السيف واطلقوا الرجل وعشيرته فانطلق
الى ارض الحثيين وبني مدينة وسموها لوز وهو اسمها الى اليوم . وقد اعتاصت
هذه الاية ايضاً على المفسرين خاصة لعدم علمهم باعمال تعرف في تلك الايام
بارض الحثيين فذكر اوسايوس مدينة باسم لوز على بعد تسعة اميال عن نابلس

وظن بعضهم ان لوز الجديدة كانت في قبرس لتسميتها كيتيم او حيتيم كأن المراد بلاد الحثيين وغيرهم انها كانت في بلاد العرب حيث مدينة تسمى ليزا او لوزا واما بعد ان دلتنا الاكتشافات الحديثة على بلاد الحثيين في سورية الشمالية فيرجح ان لوز الجديدة كانت هناك

وفي سفر الملوك الثاني (فصل ٢٤ عدد ٥ وما يليه) ان داود اراد ان يحصي الشعب فارسل يواب قائد جيشه وغيره من الروسا٠ يجولون في البلاد ويحصون الشعب فعبروا الاردن وزلوا بعروعر (عراير الان في شرقي البحر الميت) واتوا الى جلعاد (السلط) الى الارض السفلى في حدشي ، ثم اتوا الى دان (بانياس) ثم الى صيدون (صيدا) والى حصن صور ثم خرجوا الى جنوبي يهوذا الى بئر سبع (في الطرف الجنوبي من ارض الموعد) انتهى كلام الكتاب . فطريق هولاء معلوم وتخطيطه سهل فانهم اجتازوا الاردن وتجولوا في شرقيه حتى انتهوا الى بانياس في الشمال قرب منبع الاردن ثم انحدروا غرباً الى صيدا وصور وعادوا جنوباً الى اخر فلسطين ولا غموض الا في قوله الارض السفلى في حدشي وفي العبرانية « ارز تحتيم حدسي » او حدشي وقد كاد مفسرو الكتاب يأيسون من تفسير هذه الكلمات وتعيين المحل المحكى عنه فيها حتى قال العالم كايل سنة ١٨٦٤ (في كلامه في سفري صمويل) ان بيان المراد بها ضرب من المستحيل . على ان ما كان كايل يحسبه من امد قريب مستحيلاً لم يبق الان كذلك لان ارض تحتيم هي ارض حثيم اي ارض الحثيين والفضل بهذا ايضاً للاكتشافات الحديثة فان قرائن كلام الكتاب تدل على ان هذا المحل يلزم ان يكون في شمالي فلسطين وقد حققت الاكتشافات ان شمالي فلسطين ارض الحثيين الشماليين وقد ابانا الكتاب (ملوك ٢ فصل ٨ عدد ٩) ان توعي ملك حماه خضع لداود ويظن انه كان حثياً والحثيون المقيمون في

قادس كانوا في جنوبي حماه وشمالى فلسطين فاذا تحرير معنى الاية ان وفد داود اتوا ارض الحثيين في قادس او ارض حثي قادس وما هذا مجرد تقدير وحدث بل حقيقة مثبتة بما يأتي فقد روت بعض نسخ السبعينية الاية هكذا « واتوا الى جلعاد وارض حثي قادس » وطبعت الاية كذلك في جامعة نسخ الكتاب التي نشرها الكردينال سيانس المعروفة بالكملوتية وفي جامعة لجاي البريسية وفي جامعة انفر . ثم ليس بين كلمتي تحميم وهحتم في العبرانية الا ابدال الماء بالتاء وصورة الحرف الواحد تقرب كثيراً من صورة الاخر في هذه اللغة ولم تكن فيها حينئذ حركات ولم يكن النسخ يعرفون الا حثي الجنوب فتصحفت عليهم الماء بالتاء للمقاربة بين صورتيهما فكتبوا ارز تحميم التي ترجمت الارض السفلى بدلاً من ارز هحتم ارض الحثيين ومثل ذلك قل في كلمة حدشى فهي قدسى او قدشي اي قادس مدينة الحثيين الشهيرة وسيأتي الكلام فيها قد جاء ذكر الحثيين الشماليين على عهد سليمان ايضاً قفي سفر الملوك الثالث (فصل ١٠ عد ٢٩) ان تجار هذا الملك كانوا يشترون له الخيل من مصر « ويجلبون على يدهم لجميع ملوك الحثيين وملوك ارام ، ولا جرم ان ملوك الحثيين هولاء لم يكونوا في فلسطين التي استقل سليمان في ملكها وكان « يسخر الشعب الذين بقوا من الاموريين والحثيين ، الجنوبيين وغيرهم من فصائل الكنعانيين في ما بينه من المدن والحصون (ملوك ٣ فصل ٩ عد ٢٠) بل كانوا ملوك الحثيين الشماليين الذين كانوا بسطوا ولاياتهم في سورية الشمالية واعمال اسيا الصغرى . ويظهر من الاثار المصرية انه لم يكن لهم ملك واحد بل كان لكل فصيلة منهم ملك فجاء ذلك مصداقاً لقول الكتاب « جميع ملوك الحثيين » وكان من رأي بعض المفسرين قبل الاكتشافات الحديثة ان اسم الحثيين في الاية بدل من اسم الكنعانيين فظهر الان بطلان ما وهموا

وجاء في سفر الملوك الرابع (فصل ٧ عد ٦) ان الاراميين بينما هم يشدون الحصار على السامرة في ايام يورام بن احاب اسمعهم الرب اصوات مراكب وخيول وعسكر عظيم . فقال كلُّ منهم لصاحبه هوذا ملك اسرائيل قد استجار علينا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا علينا فقاموا وهربوا ، وكانت هذه الاية ايضاً قبل بضع سنين لغزاً يستعصي حله حتى زعم بعض اهل العلم انه لا يمكن التصديق بها على ظاهر حروفها اذ لا يتصور ان ملك الحثيين الضعيف يروّع ملك ارام القدير او يتهياً له ان يحالف فرعون مصر . قال سايس (في كتابه في الحثيين) تعقب احد علماء هذا العصر كاتب السفر المقدس قائلاً انما الحليف الطبيعي لملك اسرائيل هو ملك يهوذا فلم يأت الكاتب بذكره بل بدله بالحثيين الحثاملي الذكر وهذا مشعر بجهله تاريخ عصره فلا صدق لروايته وردّ سايس على المندد سهام قدحه مييناً انه الاولي بالانتساب الى الجهل وان الاكتشافات الحديثة اثبتت ان الحثيين الشماليين كانوا حينئذٍ دولة اقوى من ملك يهوذا وكانوا حلفاء مصر ويعادلونها قوة وبأساً . انتهى ملخصاً عن كتاب الاب فيكورو المسمى مباحث مثورة كتابية Mclanges Bibliques مع زيادات عليه

﴿ عد ٥٧ ﴾

— في اصل الحثيين بالخصوص —

بقي علينا ان ننظر في اصل الحثيين أمن اصل واحد هم ام من اصلين رأى جمهور العلماء ان للفصيلتين اصلاً واحداً هو حث بن كنعان كما مر لكن لانرمان بعد ان تابع رأي الجمهور هذا في المجلد الاول من تاريخه (صفحة ٢٧٣ طبعة ٩) عاد في المجلد الثاني (صفحة ٢٢٠) يقول ان الحثيين الشماليين ليسوا من ولد سام ولا من ولد حام بل هم من ولد يافت وعليه فلا قربى بين الجنوبيين والشماليين بل بين الشعيين مشابهة الاسم ليس الا . واسند ذلك الى اختلاف

بينهما من قبيل اللغة والهئية الطبيعية على ان لغة الحثيين الشماليين موضوع البحث حتى الان بين العلماء فلا تصالح ان تكون حجة حتى لو ثبت انها تخالف لغة الشماليين لم يكن ذلك حجة ايضاً فعلاقة اللغة بالمسكن اكثر منها بالاصل فلغات قدماء سورية كاهم سامية مع انهم من اصلين سام وحام وكذا قل في الهئية الطبيعية فلم يثبت حتى الان اختلاف فصيلتي الحثيين هئية وهب ثبت فلا يثبت شيئاً كما سترى في كلامنا في الملوك الرعاة وخاصة لان الفريقين من نوع واحد هو الابيض . قال الاب فيكورو (في كتابه مباحث مثورة صفحة ٣٣٠ طبعة ٢) انه يسلم بان اصل فصيلتي الحثيين واحد وانهم من ذرية واحدة لان الكتاب لم يفرق بينهما ولكن بما ان الكتاب لم يصرح بانهما اولاد اب واحد فتبقى القربى بينهما موضوعاً لبحث العلماء

قد صرح الاب قيصر دي كارا اليسوعي (في كتابه الملوك الرعاة Hyksos Gli فصل ١٠) بان الحثيين حاميون لا ساميون وبان فصيلتهم الجنوبية والشمالية استوت فيهما الهئية الطبيعية وكانت صناعة الحرب وانواع الاسلحة والملابس واحدة عندهما وروى ما كان من الخلاف بين سايس Sayce وهلافي Halévy في اصل الحثيين فقال سايس ان الحثيين غير ساميين مسنداً قوله الى اسماء كثيرة جمعها وهي اعلام رجال وشعوب ومدن حشية وليس فيها ما يشعر بانها سامية . وقال هلافي ان الحثيون ساميون لان اكثر الاسماء نفسها التي جمعها سايس سامي وبقاياها لا يختص بالحثيين بل بغيرهم من الشعوب فقال دي كارا خلط العالمان مسألة الاصل بمسئلة اللغة وعندني انه لم يصب احد منهما ولم يخطئ احد منهما فقد يكون احد الشعوب حامياً ولغته سامية اكتسبها من محل سكناه فلا تدل اللغة على الاصل الا ان يصحبها ادلة اخرى فالحثيون حاميون اصلاً لا ساميون سواء كانت لغتهم سامية ام حامية . كل هذا من كلام

دي كارا وقد رجح ان لغة الحثيين حامية اكسبتها المجاورة للساميين والتجارة معهم الفاظاً وجملاً واصولاً نحوية سامية وقد تكون اللغة المكتوبة بها الاثار غير لغة الشعب العامة . كما اعتاد سكان ايطالية مثلاً ان يكتبوا اثارهم باللاتينية لا بلغة عامة الشعب الايطالية

زعم شباس (في كتابه سفر مصري الخ) (١) سنداً الى مثل هذا البرهان اللغوي ان الكاتاس او الحاتاس الوارد ذكرهم في الاثار المصرية غير الحثيين الذين ذكرهم الكتاب مدعيًا ان اعلام الحثيين الواردة في الكتاب من اسماء رجال ونساء ومدن انما هي سامية اي عبرانية والاسماء الواردة في الاثار المصرية ليست من هذه اللغة في شيء ولا تقرب منها فرد العالم ليا بلان Lieblein

اعتراضات شباس في خطبة القاها في مجتمع العلماء بامور المشرق في بطرسبورج سنة ١٨٧٦ وقال الاب فيكورو (في كتاب المباحث المذكور صفحة ٣٣٢) « لو سلمنا بصحة برهان شباس لما نتج عنه ان الحاتاس الذين ذكرتهم الاثار المصرية غير الحثيين الشماليين الذين ذكرهم الكتاب بل جل ما ينتج من ذلك ان الحثيين الشماليين والحثيين الجنوبيين لم تكن لهم لغة واحدة » وقال هناك ايضاً اجمع العلماء بالاثار المصرية ان الحاتاس في هذه الاثار هم الحثيون الوارد ذكرهم في الكتاب ولا اقل من ان يكونوا الشماليين . وما احسن وما اقوى برهان الاب دي كارا حيث قال (في المحل المار ذكره) ان الاثار المصرية على عهد ساتي الاول ورعمسيس الثاني اعلمتنا بقبيلة سمته كاتاس او حاتاس ووصفتها بانها كانت محبة للحرب ممتدة في شمالي سورية وفي ارض الحثيين التي ذكرها يشوع بن نون وقد حاربها هذان الملكان وغيرها من فراعنة مصر فكيف يمكن ان يكون في بلاد واحدة وفي وقت واحد قبيلتان مختلفتان مع

ان اسم الواحدة لا يزيد على اسم الاخرى الا حرفاً واحداً فحشو الكتاب اذا هم الحاتاس او السكاتاس الوارد ذكرهم في الاثار المصرية وهم الحتي او الحنا الوارد ذكرهم في الاثار المسمارية

الفصل الثاني

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار القديمة)

﴿ عد ٥٨ ﴾

— في مصادر تاريخ الحثيين —

قد رأيت ان ما جاء في الكتاب المقدس من تاريخ الحثيين قليل غير واف لان غرض كتبة الاسفار المقدسة ديني وروحي لم يتخطأ تاريخ شعب الله الا في ما كان له علاقة بهذا التاريخ المقدس وقد قلت علائق اليهود مع الحثيين ولم يذكر المؤرخون القدماء من تاريخهم الا نزراً يسيراً ولم تكن الاثار المصرية والمسمارية الا طلائع خفيت رموزها واستعصت معمياتها على الحل الى اواسط هذا القرن ولذلك كان تاريخ الحثيين ميتاً مدفوناً قد انبعث من امد قريب فهو حديث النشأة وقد اخذ يشب وينمو ويتقدم سنة فسنة بل شهراً فشهراً او ما برح الامل معقوداً ببلونه الكمال خاصة متى فتح الله باب الكشف عن اصطلاح علاماتهم الكتابية الذي ما زال مغلقاً الى اليوم ولكن يرجى فتحه من شهر الى اخر وما عُرف الى الان من تاريخهم كأن له ثلثة مصادر الاول الاثار المصرية الهيروكليفية فمنها علمنا ما كان للحثيين مع دول مصر من حرب وصلح

واين كانت مساكنهم وما كانت قوتهم وسطوتهم واي المعبودات عبدوا الى غير ذلك من تاريخهم . والثاني الاثار السكديانية المسمارية ومنها تبين لنا ما كان لهم مع ملوك نينوى واشور من الحروب والمغالبات وما افضت اليه هذه الحروب واين كانت مدنهم وحصونهم الى غير ذلك . والثالث اثار الحثيين انفسهم فقد دلتنا (وهي بكماء لانستوضح الى اليوم ما كتب فوقها) على مستعمراتهم وجالياتهم وصنائعهم وكشفت لنا عن نوع بناياتهم واسلحتهم وملابسهم الى غير ذلك مما ستره في كلامنا الاقبي

قد انبأنا فرنسيس لانرمان (مجلد ١ من تاريخه القديم لشعوب المشرق صفحة ١٣٠ طبعة ٩) كيف اهتدى الى الاثار الحثية ومتى كان ذلك فقال ما ملخصه ان جوالاة انكليزيا اسمه بوركرد Burckhardt مرّ في حماه سنة ١٨١٢ فابصر على جدار ازقتها خطوطاً قديمة هيروكليزية تختلف عما يشاهد في الاثار المصرية فعلق ذلك بين اخبار رحلته فلم يكن لصوته صدى يوقظ اهل العلم بالاثار القديمة او يحمل المجتهدين والجوالين على التنقيب في هذا الاثر الى ان زار حماه جوالان امريكان هما جونسون Johnson وجاسوب Jessup فعنيا بنسخ تلك الخطوط التي كان بوكرد اشار اليها واكتشفا خطوطاً اخرى فنسخها ايضاً فتنبه العلماء الى اهمية هذه الخطوط وكلفت لجنة الاكتشاف في فلسطين العالم شرال دراك Charles Drak بالتنقيب عن هذه الاثار في حماه واعتقبه العالم وريكت wright احد اعضاء جمعية الرسائل الانكليزية فنهياً له بمساعدة صبحي باشا والي سورية حينئذ ان يأخذ من حماه خمس كتابات ذات اهمية وهي محفوظة الان في متحف الاستانة العلية ثم اخذ العلماء في التنقيب عن امثال هذه الاثار فعثروا على كثير منها في حماه وحمص وحلب ومرعش وكرميش (ايرابوليس الان) وفي الكبادوك ومحال اخرى عديدة في اسيا

الصغرى سنأتي على بيان كثير منها وقد برع بالعلم بهذه الاثار سايس ودريكت وباروت Perrot وغيرهم ستمر بك اسماؤهم وتغنم بمطالعة بعض اقوالهم في كلامنا الاتي حيث نفرد لكل من مصادر تاريخ الحثيين الثلاثة فصلاً مخصوصاً

الفصل الثالث

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار المصرية)

— ❧ عد ٥٩ ❧ —

﴿ في هيئة الحثيين ونوع حكومتهم وبسطة ملكهم ﴾

ترى في الاثار المصرية صور عديدة تمثل كثيرين من الحثيين الشماليين وهيئة وجوههم الطبيعية اقرب الى الروتانو (كذا تسمى الاثار المصرية شعباً كان يسكن سورية الشمالية قبل الحثيين او في جانبهم) منها الى سكان فلسطين ولون وجوههم ابيض ضارب الى الحمرة فيمتازون عن العمو (يراد بهم في هذه الاثار الساميون) الذين لون وجوههم مائل الى الصفرة . ولا يطلق الحثيون لحاهم خلافاً للساميين بل يحلقون لحاهم وشواربهم وشعور رؤسهم ويتركون في اعلاها ناصية وشعورهم سوداء ولباسهم قميص مستطيل يتصل الى العقب وصورتهم الاثار المصرية حفاة كأنه للدلالة على اسرهم وذلمهم لكن اثارهم في اوطانهم تصور احذيتهم معكفة او معظفة الى ما فوق كما كانت الاحذية في القرون الوسطى وبقي شيء منها في بلادنا الى عهد قريب ويرى في صورة احد الحثيين في مدينة ابو حلقة مدورة في اذنيه فكان رجالهم كانوا

يتحلون بمثل هذه الخي

وكانت حكومة الحثيين ملكية يتخلف فيهم الملك للاخر بحق الارث وكان الملك يلقب بلنتهم بكلمة سار او سيرا على ما يظهر من اسماء ملوكهم وكان لهذا الملك ولاية على ملوك آخرين او اقيال منهم يعدون العساكر تحت امرته ابان الحرب وكانت اهم اشغالهم الحرب والتجارة وكانوا يكثرون من الخيول كسائر سكان السهول وقد مرّ نقلاً عن سفر الملوك الثالث ان تجار سليمان كانوا يجلبون لهم الخيل فجأت الاثار المصرية مصداقاً لآية الكتاب وكان معظم قوتهم الحربية في الخيل والمركبات وكانت جيوشهم ذوي بسالة في الحرب محنكين في القتال يتوفر فيهم الانقياد لقوادهم منقسمين الى فرسان ورجالة وكان الفرسان يحاربون في المركبات ايضاً ومركباتهم خفيفة صغيرة تدور على دولابين فقط ويجرها فرسان وتقل ثلاثة رجال سائقاً ومقاتلين فقي اثار مصر صور عديدة لمركباتهم هذه

واول محل احتلوه اودية جبل امانوس (الاسكام) ثم اخذوا يبسطون ولايتهم شيئاً فشيئاً نحو الشرق والجنوب حتى اتصلوا شرقاً الى الفرات فاستحوذوا على كركميش وغرباً الى وادي العاصي فاستولوا على حماه ثم على قادس في جانب حمص ثم غالبوا الاراميين على دمشق نفسها فحكموا فيها مدة ومدوا استيلائهم في وقت غير معلوم الى الشمال والشمال الغربي حتى ضبطوا اسيا الصغرى كلها كما تبين اثارهم الباقية هناك وسنأتي على ذكرها وقد شهدت لهم الاثار المصرية بذلك باحصائها شعوب هذه البلاد ابداً بين محانفي الحثيين ومنجديهم ويحتمل ان يكونوا الكيتيوا الذين ذكرهم اوميروس الشاعر اليوناني في اشعاره وامنع حصونهم في الجنوب مدينة قادس التي طارت شهرتها بحروبهم مع المصريين ولما كان ذكرها كثير الورود في هذه المقالة رأينا ان نبسط الكلام فيها

﴿ عد ٦٠ ﴾

— في قانس مدينة الحثين —

ان اسم قانس هذه نفسه كان مجهولاً قبل الكشف عن الكنوز
 الهيروكليفية عما قريب . واما الان فكل من له الملم بالاثار المصرية يعلم انها كانت
 في بركة حمص فقد كثر ذكرها في هذه الاثار بل حفظت لنا صورتها ومناظرها
 في اطلال هياكل مصر ومن جملتها صورة ناتئة على جدار هيكل الاقصر مثل
 فيها حصار رعمسيس الثاني لهذه المدينة (انظر الصورة السادسة) ترى حصن
 قانس في جزيرة تحيطها امواه العاصي وحامية الحثين على اسوار المحصن وترى
 يمتد فريقاً من الحرس خارجاً من الحصن يهاجم العدو ويسره رجالاً يعنون بانقاذ
 قائد غرق في النهر وفي اسفل الصورة فرسان الحثين يمتد وفرسان المصريين
 يسره . وفي مصر ايضاً في الكرنك صورة اخرى ناتئة من عهد الفرعون ساتي
 الاول تمثل حصار عساكر مصر لقانس ولا شك بان البحيرة التي صورها
 مصورو رعمسيس الثاني هي التي زارها روبنسون عام ١٨٥٦ واطال الكلام
 فيها وهاك ما كتب هذا الجوّالة الاميركاني الشهير « يتكون من نهر العاصي
 على بعد من نحو ثلث ساعات من ربله نحو الشمال بحيرة تسمى بحيرة قانس
 وبحيرة حمص طولها مسافة ساعتين وعرضها مسافة ساعة واطرفها الشمالي
 يبعد عن حمص مسافة ساعتين واكثر اجزاء البحيرة (حتى لا نقول كلها) صناعة
 فهي مؤلفة من سد قديم يعترض جريان ماء النهر وطول هذا السد من اربعمائة
 الى خمسمائة يرد وعلوه لا يتجاوز الاربع عشرة قدماً وعلى طرفه الشمالي الغربي
 برج صغير وفي جهة الشمالية جزيرة صغيرة وتل . . . و ذكر ابو الفدا هذه
 البحيرة وسماها بحيرة قانس واعتبرها صناعة لانه لو هدم السد لجري الماء ولم
 تبقى ثم بحيرة بل نهر وكانت العامة على عهد ابي الفدا تنسب هذه البحيرة

الصناعية الى اسكندر الكبير ، والصحيح انها قبله قرونًا ولا بد ان كانت مدينة قادس على جانب هذه البحيرة كما حقق كثير من اهل العلم ومنهم اخيراً الاب جوليان اليسوعي في تذكرة تطوافه في سورية المجوفة سنة ١٨٩٠ التي طبعت في المجلة المعنونة الدروس الدينية الفلسفية التاريخية في شهر حزيران من السنة المذكورة فموقع قادس في المحل المذكور كان يجعلها حصناً منيعاً يوقف العدو عن مسيره في الشمال في سهول حمص وحماه ولذلك كثر عدد الوقائع هنالك كما سترى في هذه المقالة وما يليها

اما الكتاب فذكر عدة مدن باسم قادس فمنها قادس برنع في العربية احدي محطات بني اسرائيل في طريقهم من مصر الى الاردن وقادس يهوذا في نصيب سبط يهوذا وقادس نفتالي في نصيب سبط نفتالي بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية (المعروفة الان بقادس محولة) وستتكمم في موقع هذه المدن في المقالة في العبرانيين ولم يذكر الكتاب قادس مدينة الحثيين الا مرة واحدة في سفر الملوك الثاني (ف ٢٤) على ما ذكرنا في عدد ٥٦ بحسب رواية بعض نسخ الترجمة السبعينية في طريق الوفد الذي سيره داود لاحصاء الشعب على ان النص العبراني يسميها هناك حدشي او حدسي او حدثي . قال الاب فيكورو (في كتابه المباحث المنشورة صفحة ٣٥٢ طبعة ٢) ان كان كاتب النص العبراني لم يحرف سهواً (كما قدمنا) اسم مدينة الحثيين هذه فينتج من ذلك انها كانت تسمى اسماً يختلف عن اسماء باقي المدن التي سماها الكتاب قادس فيتبدى اسم هذه بحرف الحث (الحاء) واسم تلك بالقاف وعليه فيكون تأويل قدسي بالقاف المقدسة اي المدينة المقدسة وتأويل حدثي بالحاء الجديد (فكلمة **مههلا** في السريانية معناها الجديد) وكانوا يعبرون بذلك عن اول الشهور القمرية فيسمونه المستجد اي المستهل او ظهور الهلال فتسمية المدينة بهذا الاسم يشير الى جعل المدينة معبداً

لستوث الآلهة وهي القمر عندهم ، فتكون حدشي بهذا المعنى ايضاً اي المقدمة
لجمعها معبداً للالهة المذكورة

﴿ عد ٦١ ﴾

— في الروتانو والحثين في سورية الشمالية —

نجد في الاثار المصرية ذكر قارس قبل ذكر الحثين فيظهر من ثم ان هذه
المدينة كانت قبل الحثين من املاك الشعب الذي تسميه هذه الاثار روتانو
ويراد بهم سكان سورية الشمالية وتسمى بلادهم روتان ويرجح على ما مر
انه مكسر لودان اي بلاد ذرية لود بل ان بعض اهل العلم بالاثار المصرية
يقراون العلامة الدالة على هذا الاسم لودانو لا روتانو فيظهر ان اللوديين
والاراميين سكان دمشق وما يليها نحو الشرق والشمال اختلط بعضهم ببعض
فسمتهم اثار مصر روتانو اي لوديين ومن بعد انقراض الحثين وتقلب الاراميين
في القرن الثامن قبل الميلاد عادوا يسمون اراميين هذا ما رواه لانرمان في
المجلد الاول من تاريخه (صفحة ٢٩٠) على انه قال في المجلد الثاني من تاريخه
المذكور (صفحة ١٧٦) ان اسم الروتانو كان احياناً شائعاً يراد به سكان سورية
على اختلاف الاصول ومن رأي الاب دي كارا (في كتابه في الملوك الرعاة
فصل ٩) ان اطلاق هذا الاسم على سكان سورية في اثار غزوة توتمس لها كما ترى
بعيده لم يكن الا لان قيادة عساكر السوريين حينئذ كانت لقبيلة الروتانو
فهولاء الروتانو كانت سلطتهم منبسطة في سورية الشمالية على عهد ابرهيم
الخليل وفي اكثر المدة التي اقام فيها بنو اسرائيل في مصر واستمرت سيادتهم
عليها الى عصر الدولة الثامنة عشرة في مصر قبل خروج بني اسرائيل منها وكان
الحثيون ينتزعون املاكهم مدينة مدينة مضمين ان يظفروا يوماً ما باسيادهم
الاراميين الروتانو الذين كانوا يادوتهم الجزية الى ان ادركوا ما كانوا يتبعون

فأذلوا الروتانو واستأثروا بملكهم فهذا ما أنبأنا به الاثار الهيروكليفية لاننا نرى
 الخطوط المنقوشة على جدار هيكل الكرنك والمسماة «توارينخ توتمس الثالث»
 لم تأت بذكر الحثيين البتة في اخبار حملة هذا الملك الاولى على سورية بل
 ذكرت الروتانو وحدهم لكنها في اخبارها عن حملته الاخيرة ذكرت تقادم
 الحثيين له كما سترى بعينه وتوتمس هذا كان قبل مولد موسى وبعبكس ذلك
 نرى الخطوط التي أرخت بها حملات رعمسيس الثاني على سورية تذكر الحثيين
 ولا تتعرض لذكر الروتانو الا من حيث الجغرافية لانها تسمى البلاد التي كان فيها
 الحثيون بلاد الروتانو ورعمسيس الثاني هذا هو الذي فرَّ موسى من وجهه بعد
 قتله الرجل المصري آخذاً بثار الاسرائيلي

﴿ عد ٦٢ ﴾

— غزوات توتمس الثالث ملك مصر للروتانو والحثيين —

قد كان لفرعنة الدولة الثامنة عشرة بعد طرد الملوك الرعاة من مصر
 غزوات في سورية فان امون هوتبو اول خلفاء احمس اصل هذه الدولة غزا
 بلاد الكنعانيين واخضع ملوكها المتعددين وتوتمس الاول خليفته اتم اخضاع
 الكنعانيين في فلسطين واتصل الى انحاء دمشق وانتصر على الروتانو وتوغل في
 شمالي سورية الى الفرات واقام عليه بمقربة من كركيش نصباً يذكر الخلف
 بغزوته وتوتمس الثاني ابنه لم يملك الا زمناً قصيراً وخلفه اخوه توتمس الثالث فكان
 له في سورية غزوات اكثر اهمية نقشت تواريخها على جدار هيكل الكرنك
 كما مر فجادت علينا بكثير من الفوائد في تاريخ بلادنا فآثرنا ان نلخص منها ما
 كان مهماً . ارتقى توتمس منصة الملك طفلاً فكانت اخته المسماة هاتشبو
 تدبر الملك فسول صغر سنه لسكان سورية الذين كانوا يؤدون الى ملك مصر الجزية
 ان يابوا اداها وعمت الثورة فلسطين ولم يبق على طاعة ملك مصر الا سكان

غزة ولما شب توتمس واستتب له الامر خرج في فصل الربيع لسنة الثالثة والعشرين من ملكه الى غزة وولي بنفسه قيادة جيوشه وكان ملوك سورية والكنعانيين المتحالفين عليه القوا قيادة عساكرهم الى ملك قانس واقاموا معظم جحافلهم في مجدو وهي المعروفة الان باللاجون في جانب جبل الكرمل فزحف بجحافلهم اليهم فانتشبت الحرب بين الفريقين في ظاهر المدينة فانهزمت عساكر المتحالفين وسعت جنود توتمس في اثرهم الى اسوار المدينة وكان حرسها وصد الابواب خيفة فالجى ان يذلى حبالا يسحب بها المنهزمين من اعلى السور وحاصر توتمس المدينة مضيقاً عليها فاستسلمت اليه ودان له الامراء المتحالفون الذين لجأوا اليها فاجتاز توتمس بعساكره مرج ابن عامر وما يليه الى لبنان واعمال سورية حتى الفرات ولم يكُ ثمة من يقاومه فان لم يشهدوا حرب مجدو تسابقوا في الخضوع واطهار الامانة والانتقياد له وفتحت الحصون ابوابها ومن جسر على النزال اكره على الاستسلام وقد عدت على جدران الكرنك المدن التي سلمت الى توتمس فكان عديدها مئة وتسع عشرة مدينة منها باروتا (بيروت) وتماسكو (دمشق) فانهما سلمتا الى توتمس قبل وصوله اليهما ثم اكثر المدن الواقعة في فلسطين وعبر الاردن من بلاد الموابين الى دمشق واتصل بحملته هذه الى سورية الشمالية حتى ما بين النهرين وعاد الى مصر ظافراً تحف به الوف من الاسرى ومن رغبوا في ان يتطوعوا في جنديته ومن اخذهم رهنية الانتقياد له وذكرت تواريخ توتمس غنائم حربه هذه فتين منها انها كانت تسعمائة واثنين واربعين مركبة وعديداً من الصفائح الذهبية والفضة وواحداً واربعين فرساً وظهر منه ان معظم قوة العساكر الكنعانية كانت منذ وقتئذٍ بالمركات الحربية كما كانت في عهد يشوع والقضاة (طالع سفر يشوع فصل ١١ عد ٤ وفي سفر

ثم في ربيع السنة التالية زحف توتمس بعساكره الى سورية فاتم اخضاعها
لسلطته واجتاز الفرات ثانية وشيد حصناً على نهر الخابور بقيت اثاره الى الان
وقد وجدت ثمة صفائح صغيرة كتب عليها اسمه فدان له الروتانو في عبر الفرات
وارسل اليه ملك اشور وملك بابل جزيتهما قبل ان يدخل بلادهما. وعبرت اربع
سنين لم تتخللها حرب فجد فيها ملك الروتانو في قادس بلم شعث قومه واصلاح
شؤون بلاده واعداد معدات الحرب واستمال اليه سكان شمالي سورية ولا بد
ان كان الحثيون بينهم فهب توتمس للتكامل بهم لاسنة التاسعة والعشرين من
ملكه ويظهر انه سير جنود حملته هذه في طريق سواحل البحر ففتح اراتو
(ارواد) وحيلبون (حلب) وغيرها ودخل بلاد زاهي التي يراد بها على ما
روى لانرمان (في صفحة ١٩٥ من المجلد الثاني من تاريخه) قسم من لبنان
بين مدن فينيقي وسورية المجوفة وحاصر في السنة التالية قادس فافتتحها عنوة
وغنمت جنوده بما كان فيها ودك بعض حصونها فاسرع ملوك الروتان السفلي
(يراد به ما بين النهرين) فادوه الخضوع وثار ارواد عليه فاخذها ثانية وعاد
الى مصر ظافراً ومعه ابناء الملوك واخوانهم ليكونوا رهينة الامانة له ، وحتى
اذا مات احد الملوك او الولاة ارسلت جلالتة من لديها من يتخلف له ، (ترجمة
الاصل) فكان من دأب الفراعنة حينئذ ان يستبقوا في كل مملكة ملكاً من
سكانها يقر لهم بالسودد ويفهم الجزية وينجدهم برجاله ابان الحرب

ثم عاد توتمس للسنة الثالثة والثلاثين من ملكه فحمل على بلاد الاشوريين
وبلغ نينوى فعظمت سطوته واشتد بأسه وعم الروع كل من ناواه ولذا التقاه
عند عوده وفود من قبل شعب زاهي ولمنون (لبنان) واسو (وهي على رأي
لانرمان عمل في شمالي لبنان كانت مشهورة بمعادن الحديد فيها) ولعلها جبة
بشري والضيئة) وغيرها فقدموا للملك الظافر جزيتهم وقد عدت على جدران

الكرنك تقادم الملوك وجزيات البلاد ومن جعلتها جزية بلاد الحئين حيث قيل
 « جزية سكان بلاد الحاتاس الوسيعة كانت هذه السنة ثمانى حلقات من فضة
 وزنها ٣٠١ ليبرا Livre وحجرًا ثمينًا كبيرًا ابيض ومركبات واخشابًا ، الى غير
 ذلك فهنا نجد اسم الحئين لاول مرة في الانار المصرية . ولما كان اللبنايون
 لم يخلصوا الطاعة لتوتمس اضطر ان يبعث في السنين التابعة الى بلادهم والى
 بعض المدن الشمالية عسكريًا يتكفل باستتباب الراحة والسكينة وقد حمل حملة
 اخرى على بلاد الروتانو اى سورية لسنة ٣٩ من ملكه فانتصر ايضا وادى اليه
 الحئون الجزية اذ قيل في تواريخه المذكورة « من ملك بلاد الحاتاس القسيحة
 اربعون ليبرا ذهب وواحد وعشرون عبداً وامة وثيران وقبر »

وعاد ملك قادس فحصن مدينته وحمل غيره من ملوك سورية على الخروج عن
 طاعة توتمس فاضطر في سنة ٤٢ لملكه ان يجيش الجيوش مرة اخرى للتنكيل
 بالروتانو والسوريين حلقاهم فافتتح قادس عنوةً وبدد شمل التالين وقطع
 دابر ثوراتهم عليه فعاش بعد ذلك اثنتي عشرة سنة ناعم البال طيب القلب من
 قبل ملوك سورية فتكون مدة ملكه اربعاً وخمسين سنة كل ذلك كشفت لنا
 عنه الخطوط المنقوشة على جدار هيكل الكرنك وكان اول من ترجمها
 اغوسطوس ماريات ومن انباء هذه الخطوط ايضا ان توتمس في ٣٣ و ٣٤ و ٣٨
 من سني ملكه اخذ الجزية من سكان جزيرة اسابي وهي قبرس بلا ريب وقد
 وجدت ايضا في الكرنك صفيحة كتبت عليها اشعار فصيحة منبثة بنزوات
 توتمس هذه فترجمها الفيكنت دي روجه de Rougé وهي منبثة باخضاعه سكان
 زاهاي المار ذكرها والروتانو وشعب فينيقي وقبرس وسكان مدين وغيرهم . ومن
 بعد توتمس الثالث لم نجد اثرًا ينبي بان احد الفراعنة الستة او السبعة الذين
 تخلفوا له حارب الحئين او الروتانو سوى توتمس الرابع فانه حمل على الحئين

حملة لا نعلم من امرها الا ما وجد مكتوباً على صفيحة من حجر وجدت في هيكل امون في تاب (طيبة) جل ما كتب فيها « غزوة الملك (توتمس الرابع) في بلاد الحثيين » وقد ظهر بأس الحثيين وسطوتهم في عهد دولة الرعمسيسيين وهي الدولة التاسعة عشرة

﴿ عد ٦٣ ﴾

﴿ في الحثيين ورعمسيس الاول ﴾

ابتدأت دولة مصر التاسعة عشرة برعمسيس الاول فان هوراً مهب الملك الاخير من الدولة الثامنة عشرة توفي ولم يعقب فرقي منصة الملك رعمسيس الذي كان قائداً للجنود واشتهر بخدماته لوطنه ولم يكن من نسل الملوك بل لم يكن مصرياً اصلاً فان سمات وجهه ووجه ابنه ساتي الاول وحفيده رعمسيس تظهر في تماثيلهم جميلة لا شبه فيها لوجوه ذرية مصرائيم فدل ذلك على انهم من شعب غير مصري وايد هذا ان العلامة ماريات اكتشف صفيحة قديمة في تانيس كتب فيها ما يثبت ان رعمسيس الثاني جدد عبادة الاله سوتك او سوتخ وهذا هو معبود الملوك الرعاة في تانيس عاصمتهم ويسمى رعمسيس هناك ستمابتي احد الملوك الرعاة ابا او جداله ويجعل ارتقاء هذا الملك سدة مصر مبدأ تاريخ يؤرخ به اعمال الملك فكان ذلك دليلاً على انه وملوك دولته من سلالة الملوك الرعاة السوريين اصلاً وبقي بعض نسلهم في مصر بعد طردهم منها وكان حصل في اخر سني الدولة الثامنة عشرة شغب سياسي وديني اضعف قوة مصر عن ضبط املاكها الخارجية فبذت سورية وفلسطين طاعتها وكان الحثيون في هذه الاثناء تغلبوا على الروتانو في شمالي سورية وازاحوهم من مراكزهم وانضموا في مملكة واحدة فسيحة الارحاء تبسط من شاطي الفرات الى جبل طوروس والى البحر المتوسط وتمتد جنوباً الى قادس بل الى دمشق

ايضاً ولما كان هولاء من قبيلة الملوك الرعاة على الارجح هاموا ان يستحوذوا على سورية كلها ليشأروا باجدادهم الرعاة من المصريين الذين طردوهم من مصر بانتزاعهم منهم املاكهم في سورية (ملخص عن لانرمان في مجلد ٢ صفحة ٢١٩ من تاريخه) وكان ملك الحثين حينئذ يسمى سابالت وهو اول من نعرفه من ملوكهم ففني رعمسيس اولاً باصلاح شؤون مملكته في مصر وهم باعادة سكان سورية الى طاعته ولكن لم يكن خصماً في سورية هذه الدفعة كما كان خصوم اسلافه الروتانو الذين كانوا ضعفاء لا تقسامهم الى عدة قبائل مختلفة الاغراض والنزعات لا تجتمع كلمتها بل كان الحثيون حينئذ ذوي دولة قديرة فسيحة الارحاء تهيم بالحروب وتعادل مصر قوة فدخل رعمسيس الاول فلسطين فلم يصادف شديد مقاومة فقد اعتاد اهلها ان يستسلموا الى كل غاز اقبل على بلادهم لكنه لم يبلغ نهر العاصي الا وقاتلته جيوش لم تكن له في الحسبان ولم نطلع على تفاصيل هذه الحرب فرما اضرب المصريون عن ذكرها لانها لم تكن مشرفة لهم لان الظاهر من قرآن الحال ان رعمسيس لم يقوَ على اخضاع الحثين بل ألقى ان يعقد مع ملكهم عهدة صلح تشترك بموجبهما كاتا الدولتين بالدفاع والمهاجمة على من يناوي احدهما ليتقي رعمسيس غائلة الحرب التي اوقد نارها وقد لاحظ مسبرو (في تاريخ المشرق) ان القراغة لم يكونوا الى تلك الايام يعتبرون ملوك سورية بمنزلة ملوك مساوين لهم او يتنازلون لعقد صلح معهم بل كانوا يحسبونهم اعداء ينكلون بهم او عصاة يجرون عقابهم وكانت نهاية الحروب معهم خضوعهم صاغرين دون شرط او تدميرهم التام ، ولم يملك رعمسيس هذا الا ست سنين او سبعا

﴿ عد ٦٤ ﴾

﴿ في الحثين وساتي الاول ﴾

خلف رعمسيس ابنه ساتي الاول ويسميه اليونان ساتوس وهو الذي بدأ
 يضطهد العبرانيين في مصر كما في سفر الخروج وقد بنى هذا الملك اثاراً مدهشة
 اغربها واجملها الردهة الشهيرة المعروفة بردهة الاعمدة في هيكل امون في
 الكرنك التي ما برحت على كرور القرون آية تحمل الجوالين والمتفرجين بها على
 العجب العجاب وقد نقشت على جذره صور غزواته وتاريخها مطولاً فمن
 هذه الصور ما يمثله محارباً الشاسو وهم العرب الرحل في جانب خليج السويس
 ومنها ما يمثّل اهل لامون اي سكان اعالي لبنان يقطعون اخشاب الارز والسرو
 لابنية الملك الذي ظفر بهم ومنها ما يمثّل مدينة قادس وحصنها يحاصرها
 المصريون ويفتحونها على الحثين ومنها ما يمثّل مركبات الحثين وعلى كل منها
 ثلاثة رجال ويجرها فرسان ومنها ما يمثّل هذا الملك عائداً من الحرب ظافراً
 محفوقاً بكثير من الاسرى يلتقيه عظماء مملكته عند تخوم مصر فيقدم الاسرى
 لاله امون في (طيبة) وفي جوانب هذه الصور خطوط كثيرة تأخذ عنها ما
 نذكره هنا بتصرف

حارب ساتي في السنة الاولى لملكه العرب الذين كانوا اكثروا من السطو
 والاعتداء في تخومه الشرقية فشنت شملهم في البرية وزحف في السنة التالية
 بعساكر جرارة الى سورية فقلّ من قاومه في فلسطين لان ملوك الكنعانيين
 ولاسيما الفيقيين لم يكن لهم همّ الاّ بأرباح تجارتهم فاستسلموا اليه وادّوا اليه
 جزيتهم وقدموا الذخائر لجنوده . ثم دان له الاراميون دون شديد نزاع .
 وانقاد اليه من كانوا لبثوا قبلاً على استقلالهم في بلاد دمشق وفي السهول التي
 بين الفرات ولبنان الشرقي لجهة تدمر وفي اعالي جبل لبنان حتى ارتاع منه ملوك

ما بين النهرين والعراق العربي وارسلوا اليه هدايا يسترضونه بها فحسبها جزية لكن الطامة الكبرى ادر كته عند بلوغه تخوم مملكة الحثيين في قرب العاصي فقد استعرت نار الوغى على قلعة قادس وطال اجيها وتعددت المواقع الى ان افتتحها المصريون فلم يكن فتحها ختام الدفاع بل كان الحثيون يذبون عن مواطنهم قدماً قدماً وكلما كثر عديد المواقع اشتدت حميتهم وبسالتهم حتى اعيوا فرعون فاضطراً ان يوقع على عهدة صلح مع موتار ملكهم ضمننت لهم سلامة املاكهم حتى ردت عليهم قادس مدينتهم ولم يلزموا انفسهم الا الانكفاف عن الاعتداء على الاعمال المصرية وان لا يثيروا ثورة على سلطة ملك مصر بل يكون بين المملكتين عهدة دفاع وهجوم . ان خطوط الكرنك لا تصرح بانخذال ساقى بل تحاول اخفاء ما تبديه قرائن الحال وتقرّ بسالة الحثيين بتعظيمها نفسه مشاق الانتصار عليهم وتشبه ساقى بالالهة وتدعوه تارة جقلا يطوف البلاد سحراً وتارة اسداً ضرغماً يعرف الطرق الخفية في كل بلاد وتارة ثوراً شديداً لاقتدار قوي القرون . وقد كتب على الصورة الممثلة هذه الحرب . ها هي تي ذرية الحثيين وقد صنعت جلالاته فيها ملحمة .

ان نجاح الحثيين بهذه الحروب زادهم جسارة فقطعوا على المصريين طريق حلب والقرات الذي كانت عساكر توتمس الاول وتوتمس الثالث تمر به ظافرة او لا تجد فيه من مقاوم واصبحت املاك مصر في سورية مقصورة على فلسطين وما جاورها من بلاد ارام الجنوبية وعلى فينيقي التي كان تجارها يؤثرون اعطاء ملك مصر الجزية على فوات ارباح تجارتهم البحرية وضياع كسبهم في مصر . واجتزأ ساقى بان يحسن سياسة ما بقي من املاكه في مصر وسورية موثراً ثبوت هذه الاملاك والانتفاع بها على انبساط سلطته ونفقات الحرب لضبطها . وبدل الحكام الوطنيين بممال مصريين واقام حرساً مستمراً في اخص

الحصون كغزة وعسقلان وما كتا وهي مجدو المعروفة الان باللاجون وتوفي
ساقى بعد ان ملك نحواً من ثلاثين سنة على الاظهر وخلفه ابنه رعمسيس الثاني

﴿ عد ٦٥ ﴾

— في الحثيين ورعمسيس الثاني —

سمى اليونان رعمسيس الثاني سيسوستريس وعزوا اليه حروباً وانتصارات
على الحثيين وغيرهم اكثر مما كشفت عنه الخطوط المصرية بعد استطلاع سرها
وقد فضل غيره في ما اتت به اثاره من اخبار الحثيين وعنها اخذنا ما نرويه هنا
فقد رقي رعمسيس منصة الملك في اواخر القرن السادس عشر واوائل الخامس
عشر . فلم يتجشم حروباً مهمة في السنين الثالث الاولى للملكه . بل بدت اثار
ثورات في بعض اعمال فلسطين يترجح ان يداً حثية اثارها فحملت رعمسيس
ان يغشي هذه البلاد مرتين بلغ في احداها الى بيروت وترك صورته منقوشة
على صخر عند مصب نهر الكلب (اثبت لانزمان مثلاً لها في مجلد ٢ من
تاريخه الشرقي صفحة ٢٥١) على ان العدو الذي كان يروعه انما هو الحثيون
فكان موجساً منهم خيفة لانهم حافظوا على عهدة الصلح مع ابيه ما حيي
واخذوا بعد موته يتأهبون لثورة هائلة وكانوا حيثئذ في اوج سؤددهم
وصولتهم وكانت املاكهم منبسطة من قادس الى اطراف اسيا الصغرى ومن
لبنان الى الفرات وقد ابقت لنا اثار رعمسيس على اسماء الشعوب الذين تألبوا
مع الحثيين لمناوأة ملك مصر فمنهم سكان حلب وكرميش والجرجاشيون احدى
فصائل الكنعانيين والاراميون سكان سورية المجوفة والارواديون من الفينيقيين
واما اهل صيدا وجبيل فكانوا يمالئون رعمسيس ولا يعلم كم كان عدد جيوش
المتحدين ويظهر انه كان كثيراً يشد عن الحصر فان ملك حلب وحده كان اتى
بثمانية عشر الف جندي وبيئت الاثار ان عدد المركبات الحربية لم ينقص عن

الفين وخمسمائة مركبة ودرى رعمسيس ما يدبره عليه اعداؤه فزحف في فصل الربيع للسنة الخامسة من ملكه بجيش جرار وسورة الشباب وحميته وصلفه تأخذ برأسه فاجتاز فلسطين حيث كان الحرس المصري الذي اقامه ابوه كما مرّ وبلغ الى محل يسمى شبطون . قال لانرمان ان موقعه عند ينبوع النهر السبتى في جهة الحصن الى الغرب من حمص فوقف جيوشه ثمة ليستجس مراكز عداته ويدبر حركات جنوده بما تقتضيه الحال وكان موتار ملك الحثيين رجلاً مدرباً في امور الجندية والحرب يؤثر الحيلة على استعمال القوة فاعلمه جواسيسه موقف رعمسيس فعزم ان يأخذه بوهق احتياله فارسل اليه اعرابين متكررين يقولان له « ارسلنا اخواننا روساء القبائل المتحدة مع ملك الحثيين الحثيس لنسراً الى جلالة الملك انا ناثيقون ان نخدم فرعون ونعادر رئيس الحثيين الحثيس وهو الان في حلب في شمال المدينة حيث ازوى بغتة خائفاً بطش الملك ، فاغتر رعمسيس بالخدعة واقبل على قادس بعدد قليل من جنوده مطمئناً . وصف ملك قادس جنوده في شمالي المدينة وغربها ليثب على فرعون في حين غفلة فيهلكه وجيشه على ان رعمسيس قبض حينئذ على جاسوسين فاستنطقهما معذباً لهما فباحا اليه بسر المكيدة فعظمت دهشته وحيرته وعلم الخطر العظيم الملم بنفسه وجيشه وبينما هو على عدوة العاصي يفكر بما يتسول به لنجاته اذ وثب ملك الحثيين بغتة على قلب جيشه فشتته وشر جنود رعمسيس شطرين فعظم الخطر على رعمسيس في موقفه ولم توجه الا شدة شجاعته وقد كتب في خطوط آثاره انه اخترق صفوف العدو المحدقة به ثماني مرات الى ان اقدرته العناية على ضم صفوف جيشه واصلاء نار الحرب على العدو النهار كاه ان شاعراً مصرياً اسمه بنتاور نظم تاريخ هذه الموقعة باشعار نقشت على جدران هيكلي الكرنك والاقصر ووجدت مكتوبة في باير محفوظة الان في

المتحف البريطاني فنثبت هنا شيئاً من ترجمتها لما بها من الفائدة والفكاهة . كنت
 وحدي لا يصحبي رئيس ولا قائد ولا آمر ولا ضابط انهمزمت الجنود والفرسان
 ولبت احارب العدو منفرداً فصرخت حينئذٍ اين انت يا ابتاه امون هل ينكر
 ابُ ابنه او يغادره في ضيقه هل اقدمت على عمل دون رضاك او مشيت او
 وقفت ولم اشخص ابصاري اليك هل خالفت او امر فكك او نبذت مشوراتك
 هل تحتمل ان يُذل ملك مصر وسيدها امام شعوب يعاندونك فمن هولاء
 العمو (يريد بهم الاسياويين المتحالفين عليه) بعيشك يا امون بدد من لم يقرؤا
 بالوهيتك . اما شيدت لوجهك اثاراً لا اعداد لها . اما افعمت هيكلك بالفنأم
 التي احزتها من الاعداء . اما بنيت لك معابد تدوم الوقاً من السنين . فبك
 استجير واياك ادعو يا ابتاه امون فقد احدثت بي جماعات لا اعرفها وتألبت
 عليّ قبائل وانا وَحْدٌ لا احد معي فادعو وليس من يجيب عليّ انني موقن بان
 امون خيرٌ لي من الوف جنود تجتمع معاً ٥٠٠٠ . وقد أستجيب دعاء رعمسيس
 وتداركه العون فان الشاعر يقول بلسانه . قد استجابني رع (وهو امون ايضاً
 ويراد به الشمس) لما دعوته ومدّ اليّ يده فطفح قلبي سروراً وناجاني من
 ورائي قائلاً لا تخف رعمسيس ميامون (لقب له تأويله محب امون) انا معك
 انا ابوك رع يدي تعضدك انا خيرٌ لك من الوف الجنود انا ربُّ النصر وعاشق
 الشجاعة فاذا رأيت شجاعاً مثلك هممت بحبه وامتلاً فؤادي سروراً وكل ما اردته
 كان فارمي سهمي يميني مثل مُونت (اله الحرب) وتقبض شمالي على الاعداء
 مثل بار (يريد به بعللاً باعتبار كونه الهماً للحرب) في ثورة غضبه فأرى الان
 الفين وخمسمائة مركبة وانا في وسطها وقد قلبتها خيولي وليس من ركبها من
 يمد يداً الى القتال قد تولى الرعب والذعر قلوبهم وشلّت ايديهم فلم يعلموا كيف
 يرمون السهام فارقهم قلبهم فلم تضبط ايديهم الحراب فاغرقهم بالماء كما يغرق

التمساح فيتهافت بعضهم على بعض قتلى ، ثم يطرى الشاعر بسالة بطله هذا
واختراقه صفوف العداة دفعات ولّه شعث جيشه وانتصاره . على انه لا بدّ في
ذلك من مبالغة على عادة الشعراء فالصحيح ان رعمسيس عرض نفسه للهلكة
لانفراده مخفوراً بعدد قليل من الجند فوثب عليه العدو فدافع عن نفسه مدافعة
الكيمي بجنده القليل الى ان ادركه عسكره فكان ذلك دليلاً على عظم بسالته
وقلة دربه معاً لانخداعه بكلام اعرابيين مجهولين

وبعد نجاة الملك تسعرت نار الحرب النهار كله فاضطر موتار ملك الحثيين
ان يلوي غير يأس من الظفر فخدمت جذوة الحرب مساءً وجدّ شوبها
صباحاً فكانت موقعة هائلة دارت فيها الدوائر على الحثيين ففرقت صفوفهم
في نقط عديدة وقتل حامل سلاح الملك وقائد الرّجاله ورئيس الحصيان
وكاتب الوقائع الرسمي وغيرهم كثيرون وحاول بعض المهزمين ان يعبروا النهر
سابقين فراراً من لحاق المصريين ففرق كثيرون ونجا اخو ملك الحثيين المسمى
ميسرائيم وغرق ملك نينا واستخرج ملك حلب من الماء وفيه رمق ويرى في
الصورة الممثلة لهذه الموقعة ملك حلب معلقاً برجليه يندفق من فيه الماء الذي
كان يظن انه ابتلعه ولولا خروج حرس المدينة للذب عن المهزمين لم يبق
منهم باقٍ

فعول ملك الحثيين على طلب الاستئمان فسيرّ وفداً الى رعمسيس يقول
له على ما في الاثار المصرية : ان شعب الحثيين مشترك مع المصريين مقدماً
خدماته امام اقدامك فان رع (الشمس) اباك السعيد ولاك امرهم فاكفف عنا
سخطك فانك شديد البأس فتكت بسالتك بامة الحثيين فهل يحسن بك ان تقتل
عيدياً انت سيدهم فارى محياك مفضباً مكفهرًا ولا تشأ اخاد غضبك . وصلت
امس فتلت ميئات الوف فان عاودت القتال اليوم فلا يبقى من يخضع لك فلا

تمَّ ما اعترفته ايها المليك المظفر فيا روح تسر بالقتال تكرم بان تمنحنا نسمة الحياة ، فاستشار رعمسيس ارکان حربيه فمقد صلحاً مع ملك الحثيين وعاد الى مصر ظافراً وكان ذلك للسنة الخامسة من ملكه

على ان ذلك الصلح لم يكن الا هدنة على دَجْنٍ فان ملك الحثيين لم يلبث ان همَّ بتجديد الحرب آخذاً بشاره على انه لم يقتحم بادىء بدء مواقع كبيرة بل اجتزأ اولاً ان ينفخ نار الثورة على مصر مهيجاً القبائل الخاضعة لها للخروج عليها ففي السنة الثامنة لرعمسيس هيج الشر بينه وبين الكنعانيين في الجليل فترى عساكره تحارب عند بحيرة ميروم اي في الحولة وفي جبل طابور لترد العصاة الى طاعة مصر وفي السنة الحادية عشرة للملكه تقوى الاسياويون على المصريين حتى خيل انهم حصرورهم في وادي النيل وقد خرجت اكثر اعمال فلسطين عن طاعة رعمسيس الى ان تمكن من استرداد عسقلان بعد حصار عنيف وحسب ذلك فوزاً كبيراً ثم استرد شلاما (اورشليم) والكرمل واسعدهم الحظ في اخضاع مدن اخرى بل وفق ايضاً في طرد عساكر المتحدين من فلسطين وفينيقي وسورية المجوفة (سهول البقاع وبعلبك) ثم وصل بعد ذلك الى قادس وافتتحها مرة اخرى وتوغل في وادي العاصي الى وسط بلاد الحثيين واتحفنا آثاره بجريدة اسماء مدن افتتحها عليهم وتمثله احدى الصور المنقوشة في تاب (طيبة) جالساً بعد حرب مع الحثيين وحلفائهم وقواد جيشه يكردسون امام قدميه ما قطعوه من ايدي الاعداء ودامت هذه الحروب اربع عشرة سنة او خمس عشرة سنة ولم تخمد جذوتها الا بعد ان قتل موتار ملك الحثيين غيلة في احدى معامع الحرب

وخلفه اخوه كيتاسار وقد تأول كثيرون هذا الاسم بمعنى ملك الحثيين اي ان سار معناه ملك وكيتا او حيتا الحثيون ولكن لاحظ العالم بليكس ان هذا

التأويل غير صحيح اذا اعتبر اصل هذا الاسم سامياً لان اللغات السامية لا يتقدم فيها المضاف اليه على المضاف وعليه فيكون معنى الاسم خوف الملك او الخائف من الملك اي الله وتحرير المعنى خائف الله او مجل الله . وكانت الدولتان المحاربتان قد كاتتا من القتال وسمت نفوسهما الحرب فعولتا على عقد صلح نهائي مستمر ووقعتا على عهده وروى مسبرو (في تاريخ شعوب المشرق) ان نص العهدة كتب اولاً في اللغة الحثية ونقش على صفيحة من فضة وقدم لقرعون وهو في المدينة التي شيدها ودعاها رعسيس باسمه وهذه اول عهدة ظفرنا بنصها

﴿ عد ٦٦ ﴾

عاهدة الصلح بين رعسيس ملك مصر وكيثاسار ملك الحثيين —
قد نقش نص هذه العهدة على ظاهر جدار هيكل الكرنك حيث يشاهد حتى الان لكن اخره مشوه وهالك ماخصه

في السنة الحادية والعشرين واليوم الحادي والعشرين من شهر طيبي (هو الشهر الخامس من السنة عندهم) لملك رعسيس ميامون (محب امون) بينما كان جلالة الملك رعسيس في مدينة بيت رعسيس (هي المدينة التي شيدها وسمها باسمه) مقدماً التقدام استرضاء لابييه امون رع (ويعدد اسما باقي معبوداته ويتوسل الى هولاء الالهة ليقضوا له سنين عديدة يقضها ناعم البال ويخضعوا له القبائل والبلاد ابداً) وافاه مفوضان من قبل كيثاسار ملك الحثيين المعظم مصحوبين بصفيحة من فضة كتبت عليها شروط الصلح والاخاء الموبدين بين ملك مصر العظيم وكيثاسار ملك الحثيين العظيم وهذا هو الاتفاق الذي وقع عليه بينهما بصورة عهدة ابعد الله معاودة كل عداوة بينهما قد كانت في ايام اخي موتار ملك الحثيين المعظم حروب مع ملك مصر المعظم على انه

مذ هذا النهار فصاعداً يكون سلام واخاء مؤبدان بين بلاد مصر وبلاد الحثيين
 فلا تنشأ عداوة بينهما البتة بل يكون ملك مصر العظيم اخاً لي مستمراً على
 السلم معي واكون اخاً له مقيماً على السلم معه منضمّاً اليه كأن لكلينا قلباً واحداً
 وابناء ابناء ملك الحثيين العظيم يكونون بالاتفاق والاخاء مع ابناء ابناء رعمسيس
 ملك مصر العظيم وهكذا يكون خلفاء رعمسيس العظيم مع خلفاء كيتاسار
 العظيم ويكون سكان مصر وسكان بلاد الحثيين على وفاق واخاء مؤبدين لا تنشأ
 عداوة بينهم الى الابد . ولا يسطو ملك الحثيين على ارض مصر البتة لياخذ
 منها شيئاً اياً كان ولا يسطو ملك مصر على ارض الحثيين لياخذ منها شيئاً اياً
 كان . وارعى العهدة التي عقدت في ايام سبالات ملك الحثيين والعهدة التي وقع
 عليها اخي موتار واسلك بمقتضاها دون خلل ويرعى ملك مصر العهدين ويسلك
 بموجبهما دون خلاف فاذا غشا عدو ارض رعمسيس ملك مصر واوفد يقول
 لملك الحثيين تعالى فامجدني عليه لزم ملك الحثيين ان يأتي ويضرب العدو واذا
 تعذر عليه الحضور بنفسه لزمه ان يرسل رجاله وخيله للايقاع بالعدو . وكذا
 اذا غشا ارض الحثيين عدو واستنجد ملكهم ملك مصر لزمه ان ينجده بنفسه
 او برجاله وخيله . وكل جانٍ حاول النجاة من الجزاء الذي تفترضه الشرائع
 فقرر الى احدى المملكتين لزم تسليمه الى ضابطة قبيلته . وكل عبد ابق من
 احدى المملكتين الى الاخرى واضر بمولاه لزم رده على طالبه . وكل منتقل
 لغير داعي جناية من احدى المملكتين الى الاخرى وكل مأخوذ جبراً الى
 احدهما وكل صاحب صناعة او عمل اراد ان ينقل سكناه من احد القطرين الى
 الآخر هولا جميعاً يردون على شعبهم لدى طلبه اياهم . ولكن لا يسوغ احتساب
 انتقامهم من وطنهم جناية فمن رد على شعبه في هذه الصورة لا يمسه ضرر في
 بيته ولا تزعج امراته ولا اولاده ولا تضرب امه ولا يضرب هو على عينيه

ولا على فمه ولا على قدميه وفي الجملة فلا تقبل عليه لذلك شكوى جزائية .
 ويلزم ان تكون المساواة التامة والاشتراك الكامل بين الشعبين المصري والحثي .
 وتبرم عهدة الدفاع والهجوم هذه بين الملكتين . واخيراً يستدعي المملكان
 المتعاهدان آلهة كل قبيلة منهما ذكوراً واناثاً للشهادة عليهما وللانتقام من يخالف
 شيئاً مما أبرم الاتفاق والعهد عليه ويسالان الالهة ان يجزوا من يرعى بنود هذه
 المعاهدة بمنحه التوفيق والعافية له ولعياله ولمن يلوذ به .

وقد حافظ المصريون والحثيون على العمل بمقتضى هذه العهدة وجعلوها دستوراً
 للتعامل بينهما مدة قرن كامل فلم نثر على اثر نبوي حصول حرب او نزاع بين
 الامتين في تلك الحقبة ويظهر ان كل ما كان من جبيل نحو الغرب والجنوب
 خص المصريين بموجب هذه العهدة وكل ما كان منها الى الشمال والشرق
 خص الحثيين . فقد وجد بابير هو الان في المتحف البريطاني وترجمه العالم
 شباس معلقاً عليه بعض الشروح ينطوي على اخبار رحلة عامل مصري أوفد
 في ذلك العصر الى فينيقي فيذكر المدن الخاضعة لصولجان مولاه والتي تجول
 فيها فنما كابونا (جبيل) مدينة الاسرار وباروتل (بيروت) وصيدونا (صيدا)
 وسربوتا (صارفة صرفند) وتسار (صور وكانت حينئذ مأوى للصيادين)
 ومستتبع محطات سفره نحو الجنوب في فلسطين الى ان عاد الى مصر (ملخص
 عن رواية فيكورد ولهذه العهدة في كتابه المسائل المنثورة وعن لانزمان في المجلد
 الثاني من تاريخه الشرقي في فراعنة مصر)

﴿ عد ٦٧ ﴾

— زواج رعمسيس بابتة ملك الحثيين —

قد وطد رعمسيس وثاق الوفاق بتزوجه بابتة ملك الحثيين ودعا حماه
 كيتاسار الى زيارته في بلاده وقد جاء في البابير المعروف بانستازي المحفوظ

الآن في المتحف البريطاني ان كيتاسار استدعى احد محافظيه اميركاتي في اسيا
الصغرى ليصحبه في سفره الى مصر فقال له « هلم نذهب الى مصر فقد صرح
الملك بدعوته فلنطع رعمسيس فطاعته حياة لمن يحبه فتجلبه الارض كلها وهو
والحيون الآن واحد ، ومضى كيتاسار الى مصر فالتقاه رعمسيس الى مدينته
التي شيدها في ارض جاسان حيث كان بنو اسرائيل واتيا معاً الى تاب واقيم
هناك نصبٌ وعليه صورة رعمسيس وحميه وامرأته حيث يرى رعمسيس على
اريكته وحموه وزوجته يبديان التجلة له وقد توطد السلم بين المصريين والحيين
بعد تلك الحروب الدموية المديدة حتى اصبح الاعداء اخداناً والمحاربون اخواناً
قد لاحظ مسبرو (في تاريخ شعوب المشرق) ان المصريين اخذوا يدخلون
حينئذ في لغتهم كلمات من فروع اللغة السريانية وان يعلموا انباءهم بل عبيدهم
ايضاً هذه اللغة واستحسن علماءؤهم ان يرصعوا كلامهم بالفاظ وجمل من لغة
اجنية مثلاً بدلاً من ان يسموا الباب « رو » كما في لغتهم المصرية سموه ترعو
ماؤدا كما في السريانية وبدلاً من ان يقولوا في التحية « آو » كما في لغتهم
اخذوا يقولون شلم سلام بالسريانية فكأنه كان عندهم يومئذ ما هو
كائن عندنا الآن من ادخال الفاظ وعبارات اجنية في لغتنا العربية . وروى
لانرمان (في مجلد ٢ من تاريخه الشرقي صفحة ٢٦٥) ان التحاب بين دولتي
مصر وسورية حينئذ كان وسيلة لدخول عبادة كثير من المعبودات السورية
الفينيقية عند سكان وادي النيل فانتشرت عندهم وقتئذ عبادة بعل وعستروت
وغيرهما من الالهة والالهات على ان الظاهر ان هذه العبادة استمرت فردية
فلم نجد حتى الآن هيكلًا على اسم هذه المعبودات السورية الا سوتخ اله الحيين
الذي ادخل عبادته الملوك الرعاة وجدد له رعمسيس الهيكل العظيم في تانيس بعد
ان لبث متهدماً في عصر الدولة الثامنة عشرة

﴿ عد ٦٨ ﴾

﴿ في تيسير حرب المصريين والحثيين دخول بني اسرائيل ﴾
ارض الموعد

كانت هذه الاحداث بين المصريين والحثيين عندما كان موسى منهزماً من غضب رعمسيس في برية سينا بعد قتله الرجل المصري آخذاً بثار عبراني اهانته فكان الله يعد موسى لانتقاد شعبه من عبودية مصر ويهيئ بهذه الحروب ما ييسر تملك شعبه ارض الموعد بعد سنين فلو تيسر لملك الحثيين ان يقهر ملك مصر ويذله لاستحوذ على ارض الكنعانيين برمتها وتعذر على يشوع بن نون اقتاحتها على ملك الحثيين القدير الرهيب ولو تيسر للمصريين ان يبيدوا الحثيين لاستمروا متمكنين في ارض الموعد وعجز بنو اسرائيل عن امتلاكها والنجاة من غضب فرعون فيسرت العناية الصمدانية طريق العبرانيين الى ارض الموعد بان اضعف كلا العدوين قوة الاخر واعاقت بني اسرائيل في البرية اربعين سنة الى ان فقدت كاتبا المملكتين ما كان لهما من الصولة والاقطار فتهيأ لشعب الله ان يرث بسهولة الارض التي وعد بها ابراهيم واسحق ويعقوب

﴿ عد ٦٩ ﴾

﴿ بقية ما كان بين خلفاء رعمسيس والحثيين ﴾

مات رعمسيس الثاني بعد ان ملك ٦٧ سنة منذ وفاة ابيه وخلفه ثالث ابناؤه المسمى منفتح وهو فرعون الذي خرج في ايامه بنو اسرائيل من مصر ولم تهدنا الاثار علاقة لمنفتح مع الحثيين الا بانه ارسل اليهم مؤونات عند حصول مجاعة في بلادهم فقد كتب هذا الملك على هيكل امون وشحنت السفن مؤونات يعيش بها شعب الحثيين لانني الملك الذي اختاره الالهة ، ولما استفتح بنو اسرائيل فلسطين قاومهم الحثيون الجنوبيون منضمين الى سائر القصائل

سائر القصائل

الكنمانية ولكن لا يظهر ان الحثيين الشماليين اُتجدوا هذه الفصائل في حربها مع يشوع بن نون الذي قصر غزوته على سفح لبنان كما يظهر من سفر القضاة (ف ٣ عد ٣) فلم يمس الحثيين الشماليين بضر . ولم نجد في الاثار المصرية ذكراً للحثيين بعد ما مرّ الا في عهد رعمسيس الثالث احد فراعنة الدولة العشرين . فقد نبأنا آثاره انه لزمه في السنة الثامنة من ملكه ان يحارب الشعوب الذين حملوا على مصر من اسيا الصغرى وجزر اليونان براً وبحراً والظاهر ان سلطة الحثيين حينئذ على اسيا الصغرى لم تكن على ما كانت عليه فيها في ايام رعمسيس الثاني لان رعمسيس الثالث يقول في ما كتبه على هيكل النصر في مصر . ارتعدت فرائص الشعوب فان المتحالفين خرجوا من انحاءهم وجزرهم وانتشروا بقتة في اعمال عديدة فلم يناصرهم شعب فنهبوا واذلوا شعوب الحثيين وسكان كاتي (عمل في كيليكيا) وكرميش وارواد ، فاضطر الحثيون ان يصحبوا المتغلبين عليهم لقتال المصريين ولما انكسر هولاء العداة انكسر ملك الحثيين معهم . وقد نقشت جريدة اسماء الملوك الذين اذلهم رعمسيس الثالث على جدر مدينة ابو فسان بينهم « ملك الحثيين المنكود الحظ الذي أُسر حياً في الحرب » فهذا آخر ما ذكرته اثار مصر في الحثيين ونراها بكمت عن ذكر قادس وذلك اما لانها هُدمت واما لانها هُجرت واصبحت كرميش مركزاً لدولة الحثيين التي تقلصت شيئاً فشيئاً نحو الشمال وقامت مكانها دولة الاراميين التي سترى اخبارها

حاي

الفصل الرابع

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن آثار الاشوريين)

﴿ عد ٧٠ ﴾

— في الحثيين وتجلت فلاصر الاول —

ان تجلت فلاصر الاول هو اول ملك من ملوك نينوى انبأنا شيئاً من اخبار الحثيين فهذا الملك كان نحو سنة ١١٣٠ (او سنة ١١٢٠ على رواية لانرمان) قبل الميلاد في ايام قضاة اسرائيل ويتلخص من آثار تجلت فلاصر انه كان للحثيين حينئذٍ صولة كبرى في شمالي سورية خاصة حتى كانت البلاد تسمى باسمهم اي بلاد الحثيين وكانت ولايتهم تمتد من لبنان الى الفرات وكانت بلاد الاراميين خاضعة لسلطتهم وتبسط ولايتهم شمالاً الى مدخل البحر الاسود فتوذيهم الجزية قبائل الكبادوك (في اسيا الصغرى) وكانت عاصمة الحثيين كركميش (سيأتي تعريف موقعها) وهوذا ملخص ما كتبه تجلت فلاصر في احدي صفائحها « انا تجلت فلاصر المحارب الشريف ذلت بلاد سوبير الفسيحة ... قد استحوذ اربعة الاف رجل من فصائل الحثيين العصاة على مدن سوبرتا المتعبدة لاشور سيدي فروعتهم مخافة سلاحهم فاذعنوا دون حرب وذلت رقابهم لنيري فغنمت اموالهم واخذت مئة وعشرين من مركباتهم ووهبتها لرجال بلادي ... وبعد السجود لاشور الهي جمعت مركباتي وجيشت جنودي المظفرة ومشيت على بلاد ارام التي لم يجلب اهلها اشور ربي وسرت حتى مدينة كركميش في بلاد الحثيين (سورية) فعبرت الفرات وصنعت ملحمة كبرى وغنمت من عبيدهم واموالهم ما لا يدركه عدّ وبعد ان عبرت الفرات افتتحت

شيئاً من مدنها ونهبها واحرقها ودمرتها ، ويظهر من كلامه انه لم يفتح كركيش
وقال لانرمان (مجلد ٢ من تاريخه الشرقي صفحة ١٥٣) « لم يجسر تجلت
فلاصر ان يحاصر كركيش لتيقنه بان هذا المحصن المنيع لا تقوى عليه جنوده
ولو كثر عديدها وعظمت بسالتها . فاجتراً ان يضرب الجيوش التي كانت
تنتظره في معبر القرات ويفتح المدن الست المشار اليها وتابع تجلت فلاصر
غزوته في بلاد الحثيين حتى بلغ جبل امانوس (اللكام) فنكل باهله ونهب
اموالهم فدانوا للغازي صاغرين فحسب نفسه كريماً اذ عفا عن حياتهم وابتز
اموالهم لكنه لم يبلغ نينوى الا واحتشد عشرون الف مقاتل من اهل هذا الجبل
الحثيين مؤثرين الموت على ذل اوطانهم ولكن لم تقن ثورة هولاء شيئاً لانهم
كانوا افراداً غير مدربين في الحرب فان جيوش تجلت فلاصر عادت على اعقابها
اليهم فبسلتهم وشتت شملهم ودمرت هانوسا مدينتهم ودكت كل بناء فيها الا
بيتاً صغيراً تركته ذكراً واقام تجلت فلاصر منصباً هناك كتب عليه خبر حملته
وانتصاره ودكه المدينة وان لا يجترى احد على تجديد بناءها

﴿ عد ٧١ ﴾

﴿ كركيش مدينة الحثيين ﴾

كانت كركيش في محاربة الاشوريين للحثيين ما كانت قادس في محاربة
المصريين لهم فكانت قادس حصناً منيعاً يخفر طريق اسيا في وادي العاصي
وكانت كركيش مثلها على القرات وتفضلها بانها كانت محطة تجارة ايضاً بين
مغرب اسيا ومشرقها وقد ورد ذكر كركيش في نبوة اشعيا (فصل ١٠ عد ٩)
وفي نبوة ارميا (فصل ٤٦ عد ٢) وفي سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٣٥ عد ٢٠)
حيث قيل « صعد نكو ملك مصر لقتال كركيش عند القرات فخرج عليه يوشيا »
وفي السريانية لقتال مبوغ وفي العربية لقتال منبج عند القرات وكان موقع

كرميش نكرة لم تعرف الا في سنة ١٨٧٥ فكان بعض اهل العلم يقول انه بين نهري الخابور والفرات وجعله راولينسون من علماء الانكليز ومسبرو من علماء افرنسة في محل منبج في قرب حلب سندا الى رواية الترجمتين السريانية والعربية الأتفة الذكر الى ان اكتشف سكان قنصل انكلترا في حلب موقعها الحقيقي سنة ١٨٧٤ و ١٨٧٥ وصدقه في ذلك العلامة جرج سميت اشهير بعلم الامور الاشورية فقد اتفق ان مر هذا العلامة بحلب ماضيا الى نينوى فاخبره سكان انه وجد على ضفة الفرات الغربية خرابات مدينة كبيرة واسوار منيعة مؤذنة بانه كان هناك مدينة قديمة وان العرب تسمي هذا المحل جرابولس ويسميه الاتراك جرابيس وانه يرى ان ليس هذا الاسم الا مكسر هيرابولس اي المدينة المقدسة التي ذكرها علماء اليونان وان كثيرا من الجوالين ذكروا هذه الخرابات البعيدة مسافة ست ساعات عن بيره جك وانه يرى ان هناك كرميش الشهيرة فشخص سميت الى جرابولس وتفحص خراباتها ونسخ كل ما وجد من الكتابات واستوضح النقوش وسائر الاثار التي عثر عليها فتابع سكان في رأيه وكتب الى انكلترا ان قد اكتشف كرميش عاصمة الحثين ثم توفي سميت بعد اسبوعين على مقربة من تلك الخرابات ضحية في سبيل العلم واخذ بعده بعض علماء الانكليز يقبون في هذا الامر ويحفرون في تلك الخرائب فادى جهدهم الى ما رآه سكان وسميت. وايداه تين من اثار اشور نسيربال ملك اشور الذي كان سنة ٨٨٥ ق م واثار ابنه سلنناصر الذي ملك سنة ٨٦٠ او سنة ٨٥٨ ق م ان كرميش موقعها على الفرات في الشمال من نهر الساغور المعروف الان بالساجور وفي الشرق من حلماان او حلفان وهي حلب ومن خرزاز المعروفة الان باعزاز في قضاء كلس وفي الجنوب من بلاد كركوما المعروفة الان ببلقيس وكل هذه القرائن تدل دلالة صريحة على ان هيرابولس هي كرميش فهي نحو

الشرق من حلب واعزاز وعلى ضفة الفرات الغربية وعلى بعد ثلث ساعات تحت
 الساجور وست ساعات من بيهرجك . ثم وجدت في هيرابولس قطعة من
 اجر من اثار سرغون ملك اشور الذي كان سنة ٧٢١ ق م يتبين منها ان هذا
 الملك بنى هناك قصرًا وتبين من اثار اخرى له انه افتتح كركميش و اضافها الى
 مملكته وبنى فيها صرحاً لسكنى الحاكم الاشوري الذي اقامه هناك . وايضاً وجد
 في هيكل بلاوات في شمالي نمرود باب كبير من نحاس اصفر نقش عليه
 صور حروب سلمناصر الثالث والمدن التي افتتحها ومنها كركميش واذا عورضت
 خرائب هيرابولس وهيئة موقعها بصورتها على ذلك الباب قضى بلا مشاحنة ان
 جرابولس او هيرابولس هي كركميش وهذا الباب محفوظ الان في المتحف
 البريطاني . وروى سائس (في كتابه في الحثيين) ان اسم هيرابولس نقل وقتاً
 ما الى موبوغ او منبج ونقل اليها ايضاً هيكل عستروت الالهة (من هذا اسم
 هيرابولس اي المدينة المقدسة) وبعد خراب منبج رد اسم هيرابولس لكركميش
 وهذا وجه التوفيق بين تسمية المدينتين باسم هيرابولس

وقد كان افتتاح كركميش مخفرة الفرات مقدمة لا بد منها لكل غزوة في
 سورية من جهة المشرق كما كان افتتاح فلسطين ضربة لازب لكل من القراعنة
 عند حملاتهم على سائر ارجاء سورية والجزيرة . ومنذ زمان احاب ملك اسرائيل
 لم تكن مملكة السامرة لتأمن سبطو الاشوريين الا اذا كانت كركميش مستقلة
 عنهم غير خاضعة لهم ولما دمر سرغون ملك اشور مملكة السامرة وقرضها قرض
 هو نفسه دولة الحثيين في كركميش واخضع بلادها لثير سلطانه

﴿ عد ٧٢ ﴾

— في الحثيين واشور نسيربال —

ملك اشور نسيربال من سنة ٨٨٣ الى سنة ٨٥٨ ق م وقد اكتشف لايرد

تمثاله في اسوار حصن نمروود وهو الان في المتحف البريطاني وتجد مكتوباً على صدره « اشور نسيربال الملك العظيم الملك القدير ملك البلاد من ضفة دجلة الى بلاد لبنان (لبنان) اخضع لسطوته البحار الكبيرة وكل البلاد من مشرق الشمس الى مغربها » وقد نقش تاريخ غزوته لسورية على صفيحة من صخر فهالك ماله « في اليوم الثامن من شهر ايرو (نيسان) غادرت كالح وعبرت دجلة قاصداً مدينة كركميش في بلاد الحثيين (سورية) واجتزت نهر بورات (الفرات) على قطع من اديم واقتربت من كركميش وفرضت على سنغار ملك بلاد الحثيين عشرين وزنة من الفضة وحلى عديدة من الذهب ومائة وزنة من النحاس ومائتين وخمسين وزنة من الحديد والقصدير واللات من حديد ونحاس (ذكر اسماءها ولا تعرف مسمياتها) وغنائم بلاطه واثائه شيئاً كثيراً لا مثل لظرافته واثاناً من ابنوس واعراشاً من خشب السنديان ومائتي امرأة رقيقة وأنسجة من صوف وبرفير ومركبات مرصعة بالعاج وتماثيل من ذهب والمركبات والادوات الحربية التي كانت لقائد جيش كركميش حفظتها في مخازني « فن هذه الغنائم الثمينة العديدة الاصناف تبين عظمة غني سنغار ملك الحثيين واتساع نطاق التجارة في بلاده ونسبته ملك الحثيين لا ملك كركميش دليل على انبساط ملكه في سورية كلها ولا اقل من اشتماله على القسم الاكبر منها ولذا لا عجب من كون انخذه افضى الى استسلام الاقوال الخاضعين له الى الغازي في كركميش فان اشور نسيربال كتب ايضاً « ان ملوك هذه الاعمال ذلت اعناقهم لنيرسطوتي بعد ان تهبوا ولناواتي فقبلت رهائنهم ودانوا لسلطتي وتركت كركميش وصرت قاصداً بلاد لبنان » (لبنان) على ان اميراً حثياً كان يلي الشهول المجاورة نهر عبرا (هو المعروف الان بنهر عفرين) وبعض المدن الشهيرة منها هزاز (المعروفة الان باعزاز) نوى ان يعترض مرور الغازي لكنه

عند دنوه من املاكه ذلّ له وقدم له ائمن ما كان يملكه . ودوّخ هذا الملك بلاد امانوس (جبل اللكام) وجد المسير نحو العاصي فعبره وسار بجيشه على جانبه اياماً كانت له فيها حروب ليست بذات بال الى ان بلغ لبنان وملك سفحيه من جهة البحر وجهة سهل بعلبك والبقاع العزيز وقدم محرقة للالهة على صخر تتلاطم عليه امواج البحر شكراً لهم على احسانهم اليه وقد عدّد ملوك شاطيء البحر الذين اخذ الجزية منهم فكان منهم ملوك صور وصيدا وجبيل وارواد التي في وسط البحر وكانت جزيتهم فضة وذهباً ونحاساً وحديدًا وادوات من حديد ونسائج من صوف وكتان واخشاباً من الصندل والابنوس وجلود حيوانات بحرية . ولم يأتِ بذكر قادم مع انه سار في وادي العاصي كافة لانها كانت قد خربت او تقهقرت كثيراً وقال انه ركب السفن التي اخذها من ارواد متنزهاً في البحر فقتل دلفيناً وانه اكبّ على الصيد في لبنان فاصطاد خنازير برية وبقرًا وحشية وانه اخذ بعضها حياً وارسله الى اشور وانه قتل نموراً وضباعاً وثعالب واصطاد ايالاً وغزلاناً ونسوراً الى غير ذلك من الوحش والطيور

﴿ عدد ٧٣ ﴾

— في الحثيين وسلمناصر الثالث —

خلف اشور نسيربال ابنه سلمناصر الثالث فاستوى على سرير الملك سنة ٨٥٨ ودام فيه الى سنة ٨٢٣ ق م وكانت له حروب عديدة مع الحثيين الذين كانوا منقسمين على ممالك عديدة تضمها عهدة واحدة وكانت لهم مراكز مهمة وحصون منيعة منها كركميش وحب وحماء الا ان عرى الوفاق لم تكن بينهم متوثقة بل كان يفاير بعضهم بعضاً ولذا نراهم احسنوا الدفاع ولم يتيسر لهم الانتصار على عدو شديد البأس ودولة جبارية كالاشوريين وقد جدد سلمناصر حملات ابيه عليهم بل قضى اكثر مدة ملكه يحارب الحثيين ومن جاورهم

ويظهر ان سنغار كان استمر ملكاً عليهم وعصا سلمناصر فجهز عليه الحملة الثالثة من حملاته فانقصر عليه سنة ٨٥٤ فانه كتب على صفيحة في كورخ ما ملخصه ان سنغار ملك كركميش وغيره من الملوك وثقوا بقوتهم وهبوا لمحاربتهم فتوكلت على قدرة نزال السامية وعلى الجيوش المظفرة التي حشدتها لي اشور سيدي فحاربتهم وشتت شملهم وبسات جنودهم بالنبال كالاله بالي (اله العواصف والصواعق) وامطرت عليهم طوفان نبال وافعمت البرية من قتلاهم وذريت جثثهم كاتين في الصحراء واخذت كثيراً من مركباتهم وخيولهم المروضة لجر المركبات واقت رابية من رؤوس قتلاهم على مدخل المدينة ودمرت مدنهم ودفعها للهيب (فيكورو في مسائل منثورة صفحة ٣٩٦) وروى لانرمان (مجلد ٤ من تاريخه الشرقي صفحة ١٩٢) ان سلمناصر بلغ بغزوته هذه الى جبل امانوس (اللكام) واقام هناك نصباً ذكراً لانتصاره وسار حتى وادي العاصي فضرب جيش المتحالفين الذين تجمعوا هناك فلعبت بهم ايدي سبا وتجنبدل منهم في ساحة الحرب القان وستائة قتيل وقبض سلمناصر على اربعة الاف وستائة اسير استاقهم الى نينوى

ولكن لم يزايل ملك اشور بلاد الحسين ليضع غنائمه واسراه في مأمن الا وجيش لروساء الحسين عسكراً اخر وتعقبوا اثار الغازي مستردين المواضع التي كان يغادرها حتى بلغوا الفرات فعاد سلمناصر على اثره منكلاً بالملوك الذين جسروا على معاودة العصاوة وكان سنغار ملك الحسين قد حصن مدينة من املاكه تسمى سارازي لم نعلم حتى الان موقعها في بلاده فحاصرها سلمناصر وافتتحها عنوة فانه كتب على مسلته ان دنوت من مدينة سارازي احد حصون سنغار ملك كركميش فحصرتها وافتتحها وقتلت كثير من الرجال وغنمت غنيمة ثينة وخربت مدن ولايته واحرقتها وافترضت جزية على سنغار ثلث وزنة ذهب ووزنة من فضة وثلاثين

وزنة من النحاس ومئة من الحديد وعشرين وزنة من النسيج الابيض والبرفير وخمسة اعراش وابنته مع حلاها ومئة بنت من الاشراف وخمسمائة ثور وخمسة الاف خروف ، ثم يقول انه تقدم الى سفح جبل امانوس (اللكام) وفرض على كايانا ملكه وزنة من فضة ووزنة من نحاس ووزنة من حديد وثلاثمائة ثوب من صوف وكتان وثلاثمائة ثور وثلاثة الاف خروف ومئتي جائز (يراد به ما تسميه العامة عندنا المد والرومية فالجائز الحشبة المعترضة بين الحائطين والتي توضع عليها اطراف الحشب) من الارز وبناته مع حلاهن . وجاء في الحطوط المنقوشة على الثيران التي اقامها في قصره في نينوى انه افتتح في احدى حملاته سنة ٨٤٦ ق م سبعا وثمانين مدينة من بلاد سنغار ملك الحثيين

وبعد ان تشاغل سلمناصر مدة في الحرب في بلاد ارمينيا سولت له نفسه المغرمة بالفتح ان يخضع لملكه سورية الوسطى ايضا فعبث الفرات مرة اخرى واستوفى الجزية من ملك كركميش وباقي الولاة الخاضعين له في سورية الشمالية وسار الى وادي العاصي فتألب عليه ايركولينا ملك حماه وابن هدر الاول ملك دمشق وعصابة كبيرة من فصائل الحثيين فكان المتحالفون على سلمناصر اثني عشر ملكا من جملتهم احاب ملك اسرائيل فاستعرت نار الحرب في كركم (لم يتعين حتى الان موقعها) وكان النصر لسلمناصر وقد كتب في اثاره انه قتل من الاعداء حينئذ اربعة عشر الف قتيل ومع هذا جمع ابن هدر بقايا عساكره واضرمت نار الحرب ثانية فلم يصادف نجاحا ايضا بل ترك في ساحة القتال عشرين الف قتيل وخمسمائة قتيل وانهزم نحو البحر فاخذ سفنا فنزلها مع بعض قادته فاتبعه سلمناصر وقد تفاخر بانه لحقه مع جنوده في وسط ثيار البحر لكنه لم يدركه وسنجي على ذكر بعض غزواته عند الكلام في تاريخ فينيقي والعبيرانيين فان سلمناصر هذا هو الذي كسر احاب ملك اسرائيل واكره ياهو ملك السامرة

على اداء الجزية . ومن بعد موته استراحت كركميش والحثيون مدة لشغب
وقع في بلاد اشور عقبه وهن ملوكها فاغنم جيرانها هذه الفرصة فخلعوا نيرها

﴿ عد ٧٤ ﴾

﴿ في الحثيين وخلفاء سلمناصر حتى تجلت فلاصر الثاني ﴾

لم نر الى الان اثرًا لخلفاء سلمناصر واسلاف تجلت فلاصر الثاني يثبتنا
بشيء من اخبار الحثيين الا ما رواه لانرمان (مجلد ٤ صفحة ٢١١ من تاريخه
الشرقي) من ان رمان نيرار الثالث حفيد سلمناصر حمل بسلاحه على بلاد
الحثيين ثم فينيقي حتى صيدا وصور وبلاد عمرى اى مملكة اسرائيل وبلاد ادوم
وبلاط فلسطين وانه دخل دمشق واسر ملكها المسمى مرياه او مرياح فقد كتب
في اثره « قد راعه خوف سيدي اشور فوقع على ركبتى صاغراً خاضعاً فقرضت
عليه جزية الفين وثلاثمائة وزنة من الفضة وعشرين وزنة من ذهب وثلاثمائة
وزنة من نحاس وخمسة الاف وزنة من حديد ونسائج صوف وكتان واخذت
سريراً من عاج وعرشاً من عاج واثائه وخزينته وكل ما كان في دمشق قاعدة
ملكه وفي قصره » على ان خضوع هذه البلاد كلها للاشوريين لم يكن الا موقوتاً
فاذا عاد الغازي الى عاصمة ملكه عاد الحثيون وغيرهم الى استقلالهم واستفحل
امرهم في بلادهم لا سيما في هذه الحقبة التي استحوذ الوهن فيها على ملوك
اشور فاستمر الحثيون يعمون بالآب باستقلالهم الى ان رقى منصة الملك تجلت
فلاصر الثاني في ١٣ ايار (نيسان في عرفهم) سنة ٧٤٥ ق م وبعد ان ذلل صعاب
الامور في بلاد الكلدان وغيرها غزا سورية سنة ٧٤٣ وتلخص من فقررة وجدت
من اثاره انه عبر في سورية ظافراً فاكره ملك الحثيين الذي كان يسمى حينئذ
بيزيريس على الخضوع له واقام بعسكره على جبل يقرب من مدينة ارباد المعروفة
الان بتل ارفاد على بعد نحو ساعتين نحو الغرب الشمالي من حلب وكان سكانها

حينئذٍ حثين ومن هناك ارسل يستدعي جميع ملوك سورية ليأتوه بالتقادم دلالة على انقيادهم اليه وان ابوا عدَّ ابائهم مصارحة بالعداوة فوافوه وقطار مركباتهم وخيولهم وجمالهم ثقل هداياهم وتقادمهم فانصرف مظهرًا الرضى عنهم حينئذٍ على ان تلك التقادم الثمينة هيجت مطامعه وحملته ان يعاود غزواته في السنة التالية فلم يكن هولاء الملوك هذه المدة اوغادًا بل اخذتهم الحمية وضمتهم العصبية فقاوموا الغازي شديد المقاومة . فارباد وحدها تحملت الحصار سنتين لكن اقتاحتها يسر للغازي ان يقهر مدن سورية باسرها ففتحت حماه ابوابها للظافر فجلا من اهلها جمًّا غفيرًا ومن سائر مدن سورية الوقفا مؤلفة الى بلاده واداه الجزية ملوك سورية وقد عدَّ هولاء الملوك متفخرًا في احد اثاره فكان منهم بيزيريس ملك كركميش وانيال ملك حماه وراسن ملك دمشق ومخيم ملك السامرة وحيرام ملك صور وسديتي بعل ملك جبيل على ان تجلت فلاصر ترك الملوك الحثين وغيرهم من ملوك سورية على منصات ملكهم وعاد الى اشور واما هم فبدلاً من ان يعنوا بلم شعث شعوبهم واصلاح احوال بلادهم وتجديد قواهم بالاتحاد اتقلبوا الى المغامرة والانقسام ومعاداة بعضهم بعضاً فعاد تجلت فلاصر ينشي بلادهم بجحفل جرار سنة ٧٣٤ ق م فاستحوذ على مدنهم ونكل في اهلها وجلا كثيرين منهم وبسط غزوته وسطوته الى اطراف فلسطين الجنوبية ولما هم بالعود الى بلاده استدعى هولاء الملوك لمقابلته فكانوا خمسة وعشرين ملكاً منهم بيزيريس ملك كركميش وغيره من ملوك الحثين وسنأتي على ذكر هذه الحروب في تاريخ العبرانيين باكثر تفصيل ومات تجلت فلاصر سنة ٧٢٦ ق م وخلفه سلمناصر الخامس وعاد الشعب والقلق في بلاد اشور فانتز بيزيريس ملك كركميش الفرصة فثار بغية ان يتملص من ولاية اشور ويعود الى استقلاله الذي انتزعه منه سرغون خلف سلمناصر الخامس كما سيجيء (ملخص عن المجلد

الرابع من تاريخ لانرمان)

﴿ عد ٧٥ ﴾

— في الحثيين وسرعون ملك اشور —

لم يوجد حتى الان اثر مسماري يني بما كان من اعمال سلمناصر الخامس فكأنه لانه لم يملك الا خمس سنين من سنة ٧٢٦ الى سنة ٧٢١ لكن يوسفوس (في ك ٩ ف ٤ من تاريخ اليهود) حفظ لنا فقرات من تاريخ ميناندر يتكلم فيها على اعمال هذا الملك لاسيما حصاره صور والكتاب المقدس اشبع الكلام في محاربه مملكة اسرائيل وحصاره السامرة وسنأتي على ذلك في كلامنا على الفينيقيين والebraيين واما الحثيون فلا نعلم من احداثهم في ايامه الا محاولتهم التملص من استيلائه على ان خطوط سرقين او سرعون الذي تخلف له بعد موته حتف انفه او قتله افاضت بذكر الحثيين فنلخص منها ما يأتي

ان بيزيريس ملك الحثيين كان ولي امرهم في كركميش نيقاً وثلاثين سنة وكان يقاتل الاشوريين كلما تيسر له قتلهم فاذا انتصروا عليه اداهم جزية وان ثقيلة واستمر في منصة ملكه وافتتح سرعون السامرة وصور ودمشق واغضى على بيزيريس لقربه من بلاده وراه بيزيريس متشاغلاً في الحرب في ارمينيا وبلاد مادي فحسب الفرصة تلائمه للتشبث بملكه وتقويته تجاه الاشوريين ولم يكن له ان يتطلب حلفاء في دمشق والسامرة تعرض سرعون لملكهما فعن له ان يحالف ملوك الشمال لاسيما ميتا ملك الموشكيين (وهم من ذرية ماشك ابن يافت ومقامهم في بلاد الجركس) وامريس ملك توبال (وهو ابن يافت ايضاً ومقام قبيلته في جانب بني ماشك المذكورين ارجع الى عد ٤١) واودسا ملك ارمينيا فعقد عهدة معهم ودرى بذلك سرعون فدهمه على حين غفلة وهاك ما كتبه سرعون (نقلاً عن مينان في تاريخ ملوك اشور صفحة ١٦٢)

(١) • وفي حملتي الخامسة (سنة ٧١٧ وسنة ٧١٦ ق م) كان بيزيريس ملك كركميش عصي كبار الالهة واوفد سعاة الى ميتا ملك بلاد موشكى (ماشك) لاشهار العداوة للاشوريين وعقد على ذلك عهداً ومواثيق فرفعت يدي الى اشور سيدي خاشعاً فقيض لي ان اخرجته من مدينته واخذت خزائنه وكتبته بقيود الحديد وغنمت ما كان من الفضة والذهب في قصره وجلوته مع سكان كركميش الى بلاد اشور لانهم شاركوه في ثورته واخذت اموالهم وغنمت منهم خمسين مركبة واسرت مئتي فارس وثلاثة آلاف راجل ووسعت املاكي واسكنت قوماً من بلاد اشور في مدينة كركميش بعد ان نقلت اهلها الى بلاد اشور • واقام سرغون حاكماً اشورياً في كركميش فانه استطرق سياسة حديثة وهي ان لا يجتزى بضرب جزية على من يقهره من الملوك بل ان يعزل هؤلاء الملوك عن منصات ملكهم ويرفع اليها حكاماً اشوريين ويجعل بلادهم اقليماً من مملكته

وعليه فقد لحق الحثيون سكان كركميش ببني اسرائيل المسيبين الى اشور وبابل وكانت هذه الضربة قاضية وانقرضت بها مملكة الحثيين وكان بيزيريس آخر ملوكهم . وامست كركميش ولاية اشورية يليها حاكم من نينوى وتبدلت بسقوطها حالة المشرق كله وكان اشعيا النبي يهتف في احدى نبواته على اشور • اليست كلنة (مدينة في الجزيرة يظن انه كان موقعها حيث بنيت قطيسغون بعداً) مثل كركميش وحماه مثل ارفد (تل ارفاد في انحاء حلب كما مر) والسامرة مثل دمشق • (فصل ١ عد ٩) على ان استحواذ الاشوريين على كركميش اضر بالحثيين لكنه جداً بكبير النفع على المدينة فان انبساط سلطة الاشوريين في سورية زاد في حركة تجارتها فاصبحت مركز تجارة متوسطة بين مغرب اسيا

ومشرفها يتقاطر التجار اليها من كل افق وانبأنا الاثار المسماة ان « منه كركميش »
 اي وزنتها كانت معياراً لموازين اسيا كلها وما برح موقعها مفتاحاً لكل ما وراء
 الفرات غرباً فجعلها ذلك مطمحاً لعيون الملوك اليها . فقد جاء في سفر اخبار الايام
 الثاني (فصل ٣٥ عد ٢٠) « ان نكو ملك مصر صعده لقتال كركميش عند الفرات »
 كما مر . وجاء في نبوة ارميا (فصل ٤٦ عد ١) « كلمة الرب التي كانت الى
 ارميا النبي على الامم على مصر على جيش فرعون نكو ملك مصر الذي كان
 عند الفرات في كركميش الذي ضربه نبوكدنصر ملك بابل » ولم تتقهقر الا
 عند سقوط نينوى في القرن السابع قبل الميلاد على انه بقي لها شيء من الاهمية
 في مدة ولاية اليونان وسموها هيرابولس اي المدينة المقدسة كما رأيت

الفصل الخامس

(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن اثارهم)

﴿ عد ٧٦ ﴾

— في آثار الحثيين وخطوطهم وتعسر فهم رموزها الى اليوم —

ان كل ما رويناها حتى الان من تاريخ الحثيين اخذناه عن اثار غيرهم اعني
 الاثار المصرية والاشورية وتبين منها انه كان للحثيين دولة كبرى حاربت مصر
 واشور حروباً عتواً واكرهت مصر على عقد عهدة صلح مشرف لها ولم يقوَ
 الاشوريون عليها الا بعد قرونٍ من السنين . على ان اخبار هذه الاحداث
 كتبها اعداء يهوون طبعاً تخليد حسن الذكرى لهم ويأثفون من تخليد ذكرى

انخذ لهم ورواها كتبة ملاقون لملوكهم فلا اقل من ان سكتوا فيها عن كل ما
يشعر بمحطة شأنهم وزفعة شأن اعدائهم فلا تحسب اخبارهم على صدقها منزهة
عن المبالغة والتعظيم ولا يأتينا بصحيح اخبار الحثيين الا اثارهم ولا يحق لنا ان
نأتي بالحكم الفاصل الا بعد التروي بينات الفريقين . وقد أهتدي في هذه
الايام الى اثار عديدة للحثيين كان بعضها يظن مصرياً فتحقق الان انه حثي
فدلنا هذه الاثار على انبساط دولتهم وشدة صولتهم وكثرة مستعمراتهم وتوغل
منازيتهم في اقصى البلاد وما برحنا نحتاج الى الكشف عن رموز خطوطهم
وقبح الله علينا باب كنوزها فلم يهتد العلماء بعد الى مفتاح لها ونعلل النفس بأمل
الفوز بذلك عن امد قريب فنغنم منها ما غنمناه من الكنوز الهيروكليفية
والمسمارية

قال العالم سانس عن نفسه (في كتابه في الحثيين) انه عثر على مثال
قطعة مستديرة من فضة وجدت في ازмир نقشت عليها صورة بطل وبيميناه
رمح وشماله على صدره ولباسه قميص تملوه منطقة مطرزة وعلى رأسه قبعة
منطقة على اعلاه وفي رجليه حذاء يشمل الساق (جزمة) معكف الطرف وفي
نطاقه خنجر وعلى دائرة القطعة احرف مسمارية سهلت عليه قرائتها وحول
الصورة خطوط حثية يسر له ان يقرأ فيها « تركوديمة ملك بلاد ارمه ، وقد كان
ملك في كيليكيا لهذا الاسم وتكثر التسمية به في سكان اسيا الصغرى واما بلاده
فيترجع انها اريما في بلغارداغ في اسيا الصغرى فاذا وجدت اثار اخرى حثية
وقد كتب عليها بلغة اخرى مع لغتهم تيسرت قراءة لغتهم وتوسل بها لادراك
معانيها كما حصل في حل رموز الخطوط الهيروكليفية والمسمارية

ان الخطوط الحثية تختلف عن الخطوط الهيروكليفية المصرية وقد رأى
سانس (في كتابه المذكور) والاب فيكورو (في كتابه المسائل المنشورة صفحة

(٤١٦) ان الحثيين اوجدوها ولم يأخذوها عن غيرهم وتختلف عن الخطوط المصرية وان قُدر ان مشاهدتهم للخطوط الهيروكليفية نبهت افكارهم لاختراع خطوطهم ويحمل على القول بذلك ان في اقدم الكتابات علامات تمثل بعض المتاع المختص بالحثيين دون غيرهم كالحذاء المتكف الطرف والا كليل الحائطي واذا تتبعنا هذه الخطوط وجدنا هيئتها تتحسن بمرور الزمان فالخطوط المنقوشة على الاثار في اسيا الصغرى اشبه بخطوط كركميش لكن الخطوط التي ترى على الاثار في حماه ايسر واكل تلبكاً فهي احدث لان استيلاء الحثيين على حماه كان متأخراً . وقدر سأنس انه لا يبعد ان تكون الابجدية التي بقي استعمالها في جزيرة قبرس الى عهد اسكندر الكبير هي الحروف الحثية لعدم مطابقتها للحروف اليونانية الفينيقية الاصل ولا احتمال ان تكون فرعاً عن الحروف المستعملة في انحاء اسيا الصغرى القريبة من قبرس والتي سنيين ان السواد الاعظم من سكانها القدماء كان من الحثيين ويؤيده ان الآنية التي وجدت في ترويا كتب عليها بتلك الاحرف القبرسية فيظهر من ذلك ان هذه الحروف القبرسية كانت تستعمل في اسيا الصغرى قبل ان تخلفها الحروف الفينيقية . وكان من عادة الحثيين ان يرسموا خطوطهم نائفة لا محفورة فتطرق من الورا على صفائح معدنية لتنتأ الحروف في جهتها الاخرى فكذا كانت عهدتهم مع مصر مكتوبة على صفيحة من فضة وتقرأ هذه الحروف تارة من اليمين الى الشمال وتارة بالعكس فان كانت رؤوس الحيوانات المصورة بها متجهة الى اليمين فتقرأ منها وان الى الشمال فمنها ايضاً وتقرأ احياناً من اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى

﴿ عد ٧٧ ﴾

﴿ في لغة الحثيين وصناعتهم ﴾

واما اللغة المكتوبة فيها هذه الخطوط فيرجح انها ليست من اللغات السامية

فالاعلام المذكورة في الاثار المصرية والاشورية قلَّ فيها ما يمكن رده الى اصل سامي على ان الحثيين الذين توطنوا جنوب فلسطين فلا جرم انهم تركوا لغة اصلهم الحثي وتكلموا بلغة مواطنيهم من الساميين هذا رأي سانس وقد رأيت مخالفة هالاثي له ودعواه ان في لغتهم اسما كثيرة سامية والاصوب ما رآه فيكورو اي انه لا يلزم التعجيل بالحكم على لغتهم قبل الوقوف الكافي عليها وحل رموزها اما الصنائع فقد اشتهر وامننا بالنحت وتشهد لهم بذلك اثارهم الباقية لاسيما اطلال بونغاز كوي وايوق في اسيا الصغرى . وقد اتقنوا هندسة التحصين كما يرى في محاصن بونغاز كوي وخنادقها والحصن المنيع الذي في وسطها وقد مهروا في استخراج المعادن كما يظهر من مناجم بلغارداغ في اسيا الصغرى وتنسب اليهم صناعة تحويل الحديد فولاذاً وقد وجدت لهم اختام من حجار كريمة بديعة الصناعة تمتاز عن مصنوعات سائر الامم برسم ثلاث دوائر تتخللها رموز وصور مدهشة

قال الاب فيكورو (صفحة ٤٣٠ من كتابه المذكور) شرع عامة العلماء الان يقرّون ان قسماً كبيراً من الصناعة عند اليونان انتحلوه عن الاشوريين منتقلاً اليهم من اسيا الصغرى بواسطة الحثيين فان الصناعتين المصرية والاشورية اجتمعتا في كركيش مدينة الحثيين من اقدم الايام فقد رأينا الحثيين يحاربون المصريين والاشوريين من اقدم الالعصر ورأينا كيتاسار ملك قادس يزور صهره وعمسيس انثاني في مصر فالحروب والتجارة ادنت القبائل بعضها من بعض فاخذ كل فريق منها ما راق له من صناعة الاخر . ويظهر ان صناع الحثيين اتقنوا من صناعة مصر ونيوى وبابل اسلوباً خاصاً بهم واخترعوا اشياء منها النسرة ذا الرأسين الذي صار بعد ذلك شعاراً للسلطين السلجوقيين ولبعض ملوك اوربا وتطرفت صناعة الحثيين مرحلةً مرحلةً الى بلاد اليونان فاخذ هولاء

اشياء كثيرة عن الفيثيقين لكنهم لم يأخذوا عنهم كل شيء فين مصنوعاتهم اشياء كثيرة اشبه بصناعة الحثيين في اسيا الصغرى وليس فيها ما يدل على انها فيثيقية هذا ما رواه الاب فيكورو

على ان الاب قيصر دي كارا برهن في الفصول التي ينشرها في المجلة العلمية المعروفة بالتمدن السكاثوليكي وخاصة في عددها الصادر في ١٦ نيسان سنة ١٨٩٢ هذه ان صناعة الحثيين خاصة بهم لم يأخذوها عن غيرهم بل اخذ غيرهم عنهم وان دعوى اخذهم الصناعة عن المصريين او البابليين او الاشوريين لم تثبت حتى الان وان قال بها بعض المشاهير واطال البرهان على ذلك ومن اقوى حججه ان اثار الحثيين في بونغاز كوي وغيرها من اسيا الصغرى هي اقدم كثيراً من اثار الملوك الاشوريين بل روى ان تجلت فلاصر الثاني نفسه تفاخر في ما كتبه على بعض اثاره بانه بنى في كالح مدينته صرحاً اشبه بقصور بلاد الحثيين وان سرغون تفاخر بانه شيد ايواناً اشبه بقصر حثي وقال دي كارا ايضاً ان الاثار الحثية في اسيا الصغرى هي اقدم ايضاً من حروب المصريين مع الحثيين فلم يأخذوا صناعة التحصين وغيرها عن المصريين بل ربما اكسبوهم اموراً مهمة في صناعتهم على عهد الملوك الرعاة الحثيين اصلاً على مذهب دي كارا وغيره كما سترى . وعلى كلا القولين فاليونان اخذوا اشياء كثيرة في صناعتهم عن الحثيين . وقال سانس (في كتابه في الحثيين فصل ٦) ان مصدر فلاح اليونان هو الحثيون الذين افتتحوا اسيا الصغرى من اقدم الاعصر

﴿ عد ٧٨ ﴾

— في ديانة الحثيين —

اما ديانة الحثيين فيظهر انهم اخذوها عن بابل وبثوها في سورية واسيا الصغرى وتطرت من ثم الى بلاد اليونان فان معبودات قبائل البلاد المذكورة

واحدة وان اختلفت اسماً فمشتروت البابلية هي من معبودات الحثيين والكنعانيين
ايضاً وابن عشرتوت البابلية وعروسها هو تموز او ادونيس عند الفينقيين ويسميه
الاراميون في سورية هداد وهو في اسيا الصغرى انيس راعي النجوم الساطعة
وهو بلا شك الاله الشاب المنقوشة صورته على صخر في يازيلي كايا عند بوغاز
كوي وراء تماثيل الالهة الام مستويًا نظيرها على ظهر فهدا واسد. وجميع هذه
القبائل تبكيه كل سنة لانه قتل يافعاً ثم تحتفل بالمسرة لقيامته من الموت. وفي
لبنان صورته قتيلاً في قرية الغينة في القنوح على صخرة وصورة الزهرة معشوقته
على صخرة اخرى تبكيه واجمةً وصورته قائماً من الموت على صخرة في محل
قبالة الغينة يسمى المشنقة من عمل جيبيل وقد وجد هندرسون قنصل انكلترا
في حلب (الذي كلفته ادارة المتحف البريطاني ان ينقب في اطلال كركيش)
صفيحة من صخر في حائط صرح اكتشف هناك مصوراً عليها صورة الزهرة
السورية تسجد لها امرأة احد الكهنة والالهة عريانة مجنحة بجناحين وهذا اقدم
مثال لصورة هذه الالهة التي عمّت عبادتها اسيا وبلاد اليونان . فانات او نانا
البابلية وايستار الاشورية وعشتروت الكنعانية وفانوس الزهرة القبرسية ليست
الا اسما متعددة لالهة واحدة هي المعبودة والمصورة في كركيش (فيكورو
صفحة ٤٠٩ من كتابه المذكور) وعثر بعضهم على قطع نقود في ترسيس تمثل
الهاً يسمى في لغتهم سنداس او سندن وهو الاله الشمس في كيليكيا على ما برهن
ادوار ميار . وقد تبين من نص العهدة التي عقدت بين رعمسيس الثاني ملك
مصر وكيثاسار ملك الحثيين ان اخص معبودات الحثيين كان ستخ او شتخ
وعشتروت ويظهر ان الملوك الرعاة (الذين يرجح كونهم حثيين كما ستري)
اوصلوا الى مصر عبادة ستخ وسموه سات وكان اعظم الالهة عندهم وكانوا
يقيمون له المعابد في المدن فيقولون ستخ تاب وستخ ممف مثلاً والمعبود واحد

الى ان تغلبت على عبادته عبادة الالهة الام التي كانوا يسمونها عشروت او انتارانا وليست الا سميراميس الهة اسيا الشهيرة . وقد كان الهيكل الذي ترى اطلاله في منبج في انحاء حلب مفرداً لعبادة هذه الالهة الام العظيمة وقد بُني على مثال هيكلها في كركيش بعد انتقاضه . وقد وصفه لوقيانوس على ما كان عليه في القرن الثاني بعد الميلاد فقال انه كان اشبه بهيكل سليمان فكان مؤلفاً من دار خارجة وهيكل داخلي يحوى قدس اقداس ويفصله عن باقي الهيكل حجاب كبير ثمين وعلى جانبيه عامودان مخروطيان (اي يتنديان من سطح ويرتفعان مستدقين حتى ينتهيا الى نقطة) رمز الى آلهة الخصب وفي الدار الخارجة مذبح كبير من النحاس وعلى شماله صورة آلهة هي سميراميس ومن ورائها حوض ماء فسيح فيه السمك المقدس وفي داخل الهيكل عرش للشمس وتماثيل آلهة شتى ومن جملتها تماثيل آلهة اشبه بصورة الالهة التي في بوغاز كوي الاقي ذكرها منتصبة على أسد والاله بعلمها واقف على اظهر ثيران وهو ايضاً اشبه بما تمثله صورة الاله في المحل المذكور وتحت الهيكل الجب المار ذكره (في الكلام على الطوفان) الذي يزعمون انه ابتلع ماء الطوفان وتقليد الطوفان عند الحثين مطابق لما في التوراة اخذه اجدادهم من بابل (ملخص عن الفصل السادس من كتاب سانس في الحثين)

﴿ عد ٧٩ ﴾

﴿ في ملابس الحثين واسلحتهم ﴾

عدا الخدأ المتعكف الطرف الذي اصبح دليلاً على الحثين لانه يشاهد في آثارهم كلها كان لهم نوع من القفاز (الكفوف) يدفء الراحة ولا يشمل الا اصابع ليطلق لها العمل ولهم نوعان من القبعة احداها تنطبق على الراس كالعراقية والثانية كبيرة بشكل تاج مستطيل اعلاه مخروطي على الغالب

ويشاهد احياناً مدوراً ومزدان بعصائب على شبه من القرون . ويرى على رأس احد تماثيل الالهة في بوغاز كوي تاج حائطي اي اشبه بجناط او سور . وتشاهد ملابس النساء طويلة تشمل الرجلين فصورة امرأة الكاهن الساجدة لازهرة في الصورة التي وجدت في كركيش (كما مر) متشحة بثوب طويل يستر جسمها الا الذراعين وبعض الصدر محترمة بنطاق من حبل مشدود الى الورا . فهذا ولا ريب هو النطاق المقدس الذي اشار اليه ارميا (في رسالته التي رواها باروك في فصل ٦ من نبوته عد ٤٢) بقوله « والنساء يقعدن على الطرق متحزمت بالجبال » وترى مثل هذا المحزم في التماثيل الصغيرة التي وجدت في هيكل اناث في بابل وفي هيكل افروديت في قبرس . وكانت ملابس كهنتهم مستطيلة ايضاً متسعة الاكمام . واما ملابس رجالهم فمقيص تتصل الى الركبة فقط مشدودة على الوسط بنطاق يعلق به خنجر وكانت هذه الملابس من الصوف والكتان مصبوغين بالوان واعتادوا تزيين اثوابهم بنقوش وطرز على اطرافها وسلاحهم الرمح والقوس يُشد على الظهر والتماس ذو الحدين وهو من مختصاتهم وقد صار في ما بعد رمزاً الى الاله زفس وهو المشتري ووجدت لهم آنية واسلحة من حجر كانوا يستعملونها في بدء نشأتهم وقد عثر بعضهم على فأسين حجريين في ارفاد (تل ارفاد في انحاء حلب) وافسس يختلف شكلهما عن غيرها فكانهما كانا مختصين بخدمة الالهة (سائس في كتابه في الحسين فصل ٨ ملخصاً) هذا ما ادتنا اثارهم الى معرفته ولننظر ما تؤدنا اليه من معرفة مستعمراتهم وانبساط ولايتهم

الفصل السادس

(في اثار الحثيين الدالة على توطنهم اسيا الصغرى وولاياتهم فيها)

﴿ عد ٨٠ ﴾

تمثال نغفيو

ان اثار الحثيين التي كُشِف عنها في محال عديدة من اسيا الصغرى دللتنا على ان مستعمراتهم لم تنبسط جنوباً وغرباً فقط حتى دمشق ولبنان بل امتدت شمالاً ايضاً في اعمال اسيا الصغرى الى مدخل البحر الاسود وقد استفحل امرهم في هذه البلاد على هيئة معاهدة ضمت جميع ولايتهم . واثارهم المؤذنة بذلك كثيرة واول اثرٍ اكتُشف هو تمثال ملك حثي في قرية اسمها نغفيو على الطريق المؤدية من ازمير الى سرد (المعروفة الان بسرت وهي سرديس القديمة) في وادٍ يسمى الان قرَبال . فقد مرَّ في ذلك الطريق جوَّالان انكليزيان سنة ١٨٣٩ فشاهدا صورةً على صخرٍ وظهر لهما انها سابقة عهد اليونان وكان حينئذٍ في ازمير العالم تكسيا الافرنسي فذهب مع بعض الافرنسيين فاخذ رسم الصورة وارسله الى بعض اهل العلم في اوربا ولما كان هيروودت قد ذكر هذه الصورة (في كتابه ٢ صفحة ١٠٦) وقال انها صورة رعمسيس الثاني ملك مصر فاجمع رأي مجتمع العلماء (اكادمي) في بريس وبرلين على ان هذه الصورة ليست الا ما ذكره ابو التاريخ هيروودت لعدم العلم وقتئذٍ بتاريخ الحثيين الى ان اخذ بعض علماء الاثار الريب في صحة مقال هيروودت بناءً على ان الثوب المتقمص به التمثال قصير والحذاء الذي في رجليه معطَّف الطرف الى غير ذلك من العلامات المخالفة لعوائد المصريين ومع هذا لبث اكثر العلماء يقولون بمقال مجتمعي

العلماء في بريس وبرلين مغترين بالاحرف الهيروكيفية المنقوشة في جانب التمثال الى ان وجد العالم روزليني فرقاً بين الخطوط المصرية والخطوط المنقوشة على التمثال لكنه قال ان الكاتب لا يعرف الكتابة المصرية واراد ان يقلدها فقافته امور كثيرة وبقي امر هذه الصورة بين الشك واليقين الى ان كُشف عن الاثار الحشية فتحقق الان ان تلك الصورة لا تمثل رعمسيس الثاني بل ملكاً حثياً كان يلي تلك البلاد

وجاء في المجلة العلمية المعروفة بالتمدن الكاثوليكي في عددها المؤرخ في غرة تشرين الثاني سنة ١٨٩٠ انه عدا هذه الصورة قد كشف العالم هومان هناك سنة ١٨٧٦ عن صورة ملك آخر اصغر من الاولى لكنها تطابقها هيئة وقد انقطع الصخر المنقوشة عليه من الجبل ووجد سانس بعد ذلك في جانب هذه الصورة قطعاً كتبت عليها خطوط تطابق خطوط الحثيين التي وجدت في سورية وسمات هذه الصورة الثوب القصير والحذاء المتعطف الطرف والقوس والسيف والتصوير الناقى لا المحفور فتعين انها حثية

﴿ عد ٨١ ﴾

— آثار الحثيين في بوغاز كوي ويازيل كايا —

ان المجلة العلمية التمدن الكاثوليكي المار ذكرها شرعت منذ اوائل سنة ١٨٩٠ تنشر فصولاً متتالية موضوعها الحثيون وارتجالاتهم ومؤلف تلك الفصول هو الاب قيصر دي كارا اليسوعي صاحب الكتاب في الملوك الرعاة في مصر وقد اطال واجاد بذكر كثير من اثار الحثيين في اعمال اسيا الصغرى متعمداً غرضين احدهما ان يثبت توطنهم وولايتهم في هذا الاقليم منذ اقدم الاعصر والثاني ان يعارض اثارهم هذه بامثالها في بلاد اليونان وبعض ايطاليا وجزر بحر الروم لينتج من ذلك ان سكان هذه البلاد الاولين حثيون اصلاً ارتحلوا اليها

من اسيا الصغرى ففي هذه الفصول نلخص ما ترويه في هذه الاثار
فهذه المجلة ذكرت في عددها المؤرخ في ١٧ كانون الثاني سنة ١٨٩١ اطلال
بوغاز كوي من عمل الكبادوك حيث الان ولاية سيواس وقرمان فقالت ان
هذه القرية الحقيرة الان دلتنا اثارها انها كانت مدينة كبيرة لا ينقص مدار
اسوارها عن خمسة او ستة كيلومترات وقد بقيت منها اطلال حثة مدهشة اخذ
رسومها العالم برؤ واطال الكلام فيها في كتاب نشره سنة ١٨٦٢ موسوماً
« بالكشف عن الاثار القديمة في غلاطية وبيتينيا » (١) ثم في كتاب اخر نشره
سنة ١٨٨٧ سماه « تاريخ الصناعة في القدم » (٢) ومن هذه الاطلال ما
حسبه بعضهم هيكلًا والاظهر انه قصر ملكي طوله ٥٧ متراً وعرضه ٤٢ متراً
وبعض احجاره لا ينقص عن خمسة او ستة امتار طولاً ومترين عرضاً وهناك
اطلال ردهة لا ينقص طولها عن خمسة وعشرين متراً وعرضها عن واحد
وعشرين متراً وعرش قائم على اسدين من صخر وللردهة اربعة ابواب امام
كل منها رواق فسيح وفي جانبيها مخادع للخفر وفي داخل القصر غرف لسكنى
الملك وآله وحمامات وكل ذلك على غاية من الاتقان والزخرف، واسوار المدينة
غاية في المناعة والمتانة وقد بني هناك على صخرين حصنان يسميهما السكان الان
ساري قلعة (اي القلعة الصفراء) وينجي قلعة (اي القلعة الجديدة) وفي كلا
المحصنين اباراً للماء منقورة في الصخر وتُحانة السور المتوسطة اربعة امتار ونصف
واحجاره الخارجة ضخمة والداخلة اصغر منها والحشو بينهما حصى صغيرة .
وعلى مدار الاسوار من الخارج خليج فسيح يمنع الدنو منها وتحتها سراديب
وسيعة ذات مخارج خفية حتى اذا رأى الاعداء الابواب موصدة وهاجموا

(1) Perrot Exploration Archéologique de la Galatie et de Bithynie

(2) Histoire de l'Art dans l'Antiquité

المدينة خرج المحاصرون من ورائهم وجعلوهم في الوسط
ثم ذكرت المجلة المذكورة في عدديها المؤرخين في ٢١ شباط وفي ١٨
نيسان سنة ١٨٩١ اطلاقاً اخرى في القرب من بوزاز كوي على بعد كيلومتر
منها نحو الشرق في محل يسمونه هناك يازيلي كايا (اي الصخرة المكتوب عليها)
فترى هناك عرصة تحيطها صخور من جهة وبناء من اخرى طولها نحو خمسة
وعشرين متراً وعرضها نحو احد عشر متراً وعلى جدرانها سبع وستون صورة
ناتئة عجيبة الصناعة وفيها كل السمات الدالة على كونها من صنع الحثيين ولا مراء
بذلك لان على بعضها خطوطاً حثية. على ان غير الايام غيرت تلك الصور حتى تعسر
الان التمييز بين ما كان منها رجلاً وما كان منها امرأة فرأى برؤ ان اكثرها صور
رجال ورمساي ان اكثرها صور اناث واتفقا في ان المشهد يمثل حفلة دينية
واثبت رمساي انه كان للنساء في اسيا الصغرى المقام الاول في امر الدين كأنه
بسبب عبادة الالهة الام كما مر وقدّر مكاتب المجلة ان نقش هذه الصور لم يكن
قبل القرن الخامس عشر ولا بعد الرابع عشر قبل الميلاد وفصل هيئات اكثر
تلك الصور ومن جملتها صورة الاله الام وهو عستروت ومن ورائها صورة
ابنها او عروسها وهو انيس او تموز يستوي كل منهما على ظهر فهد او اسد
واجمل هذه الزخارف صورة على رأسها التاج المخروطي المطرز وفي رجلها
الحذاء المتعكف الطرف ويدها اليمنى ممتدة الى صورة طفل او رجل ويسراها
تحتضن صورة رجل آخر مارة على عنقه وقابضة على معصم يده ومن رأي
مكاتب المجلة ان هذه التماثيل يشار بها الى تملك الحثيين بلاد الكبادوك آتين من
سورية الشمالية بعون الهتهم المنقوشة صورها في هذا المحل وعليه فالصورة
المذكورة آنفاً تشير الى ستخ يحتضن ملك الحثيين وخاصة لانه كتب في صورة
المعاهدة مع ملك مصر ما نصه «وما في وسط الصفيحة الفضية هو صورة ستخ

محتضناً ملك الحثيين ، فاي العجب ان تكون صورة الكبادوك كذلك

﴿ عد ٨٢ ﴾

— في اثار اخرى للحثيين في اسيا الصغرى —

روت المجلة العلمية التمدن الكاثوليكي في عددها المؤرخ في ٢٠ حزيران سنة ١٨٩١ انه يوجد في قرية حقيرة تسمى ايوك او ايوق تبعد مسافة خمس ساعات عن بوغاز كوي نحو الشمال الشرقي اطلال بناء قديم وجد فيها صور عديدة ناتئة تمثل آلهة وآلهات وكهنة ونساءهم ورجالاً ونساءً ومسوخاً واسوداً وثيراناً معدة للتضحية بها ونسراً اذا رأسين وغيرها ولا مرية انها حثية لمطابقتها باقي اثارهم من حيث الهيئة والملابس والصناعة والصور الرمزية ويظهر انها اقدم قليلاً من اثار بوغاز كوي ويازيلى كايا . ومن رأي برُو ان تلك رسوم قصر ملك او امير ومسنده ان النقوش في هذه الاطلال اشبه بالنقوش التي على ابواب قصور الملوك الاشوريين لكن بناء ايوك كان نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد وقصور الاشوريين شيدت في القرن الثامن قبله فالاولى ان تكون هذه القصور على مثال ابنية الحثيين كما قدمنا والاوجه ان اطلال ايوك كانت معبداً للحثيين بدليل وجود صور الالهة والآلهات والمذبح واشخاص في حالة السجود والتعبد وثيران وغيرها مما تستلزمه الضحايا وقد وجد برُو اطلال حصن في الجنوب الغربي من انكورا على مسافة نسع ساعات ويسمى هذا الحصن بلنة اهل البلاد كاور قلعة سي (اي قلعة الكافر) ويظهر ان هذا الحصن كان فسيحاً منيعاً وقد نُقش على صخر في قرب مدخله صورتان ارتقاع كل منهما ثلاثة امتار وهيئة ملبسهما واحدة وعلى رأسيهما التاج المخروطي واحدهما ذات لحية والثانية لا لحية لها وملبسها الثوب القصير المتصل الى الركبة وهو مشدود على الوسط وفي النطاق سيف قصير والرجل مشدودٌ عليهما بالخذاء المعطف

فتعين بهذه العلامات انهما من صنع الحثيين ولعلهما صورتا ملك وابنه اقتضا
هذا العمل

وقد ذكرت المجلة المذكورة في عددها المؤرخ في ١٨ تموز سنة ١٨٩١
اثاراً وجدت في مرعش منها تمثال اسدهو الان في متحف الاستانة العلية نقله
اليها حمدي بك الشهير وهو من صخر اسود صلد طوله نحو متر وعلى صدره
وبطنه وذراعيه خطوط حثية (وترى صورته عد ٧) ووجد ايضاً في مرعش تماثيل
واثار اخرى عديدة ضربنا عن ذكرها خشية الملل هذا فضلاً عما وجد في اسيا
الصغرى وسورية الشمالية من الاختام المحفور عليها خطوط حثية حتى ألف
منها مجموعات عديدة من جملتها المجموع الكائن الان في متحف اللوفر في
بريس فكلما مررنا وما ضربنا عن ذكره حباً بالايجاز لا يدع محلاً للريب في ان
الحثيين ارتحلوا منذ اقدم الايام من شمالي سورية وانتشروا في اعمال اسيا الصغرى
وتولوا امرها

الفصل السابع

(في جاليات الحثيين الى بلاد اليونان وايطاليا وقبرس)

﴿ عد ٨٣ ﴾

— مذهب الاب قيصر دي كارا في اصل السكان القدماء —
في هذه البلاد

روى الاب دي كارا في فصله المثبت في عدد المجلة التمدن الكاثوليكي
المؤرخ في ١٧ ك ٢ سنة ١٨٩١ ان العالم يرؤ الآنف الذكر بعد ابداء اندهاشه
من صناعة الحثيين وحذقهم في تحصين مدنهم ومناعة اسوارهم تمنى ان يتجد

من يتجشم معارضة صناعة الحثين بصناعة اليونان ويبين ما بينهما من المشابهة او الفرق فلعل هذه المعارضة تكشف عن مشابهاة كثيرة ومهمة بين الحصون الكبادوكية واقدم الاسوار والحصون في بلاد اليونان خاصة في مدينة تيرنت (Tiryntes) في القرب من خليج ارغوس وينسب بناؤها الى تيرنس بن ارغوس (واطلال مدينة ميشان (Mycenes) وهي ايضا في عمل ارغوس) وينجلي التقليد الذي يحمل مشيدي هذه المدن ابطلاً اتوها من اسيا ولعل التنقيب والتروى بهذه الاثار يأتينا باثبات لشهادة الاقاصيص القديمة التي قلما حفل بها المؤرخون ولا اعاروها جانب التصديق فالاب دي كارا يصرح في الفصل المذكور ان جل عنايته مصروف في ما تمناه برؤ من المعارضة بين الاثار الحثية واليونانية وان المشابهة بين اثار الفريقين تامة وليست مقصورة على اثار المدن التي ذكرها في بلاد اليونان بل تمتد الى اثار في ايطالية خاصة في جنوبيها وفي جزر البحر المتوسط . وان الاقاصيص القديمة يتبين منها ان الابطال الذين اتوا من اسيا لم يشيدوا المدن التي ذكرها برؤ في عمل ارغوس فقط بل بنوا كثيراً غيرها ايضاً في اركاديا والمورة والابير وتساليا وايليريا وفي جزر البحر المتوسط وايطاليا وانه اذا كان المؤرخون لم يحفلوا بتلك الاقاصيص فلم يكن ذلك الالجهل العلماء قبل الخمسين سنة الاخيرة بحالة الممالك القديمة واثار الشعوب الشرقية خاصة في بلاد الكلدان واشور وسورية الشمالية ومصر فان الخطوط الهيروغليفية والمسمارية التي فتحت لنا كنوز المعارف كانت علامات بكما لا تنطق بشيء ولا يستدل بها على شيء فاصبحت الان لساناً فصيحة تنبئنا بحقائق مهمة . واقاصيص الالهة وان داخلها خرافات ومبالغات فعالبها مسند الى اصل تاريخي شوته الخرافات ولم يكن يهتدى الى اصلها للجهل بحقيقة تواريخ الشعوب فما جاء فيها عن الابطال الذين اتوا من اسيا فشيدها المدن في بلاد اليونان وجنوب

إيطاليا وجزائر بحر الروم انما هو عبارة عن ان جاليات من هولاء الحثيين اجتازت من اسيا الصغرى فبنت ثم المدن المذكورة واستقرى الاب دي كارا غرضه هذا مقيماً الحجيج عليه لا من المشابهة فقط في البنايات والتحصينات بل من ان المعبودات ونوع العبادة والاسلحة وصناعة الآنية وغيرها كل هذه واحدة عند الحثيين والسكان القدماء في البلاد المذكورة وسيريك كلامنا الآتي بيان ذلك مفصلاً

﴿ عد ٨٤ ﴾

— في اقوال العلماء في سكان بلاد اليونان وجزائر بحر الروم القدماء —
ذهب عامة العلماء القدماء وكثير من علماء هذا العصر ايضاً الى ان سكان بلاد اليونان وجزائر بحر الروم انما هم من نسل يوان الرابع من ابناء يافت بن نوح وخاصة من ذرية كتيم احد ابناؤه فقد جاء في سفر التكوين (فصل ١٠)
« بنو يافت جومر وماجوج وماداي وياوان ٠٠٠ وبنو يوان آيشه وترشيش وكتيم ودودانيم من هولاء تفرق اهل جزائر الامم في بلدانهم كل بحسب لغته وعشائره باممهم » وقال فرنسيس لانرمان (في كتابه اصل التواريخ تبعاً للتوراة مجلد ٢ قسم ١ من طبعة باريس سنة ١٨٨٢) « وكل يرى بناءً على البيئات التي عيننا بجمعها ان لاسم كتيم في اسفار العهد القديم معنى واحداً متفقاً عليه اعني جزيرة قبرس وبهذا المعنى يلزم فهم هذه الكلمة في الفصل العاشر من سفر التكوين وقد انبأنا التقليد القديم ان كتيم بن يوان يُعبر به عن سكان جزيرة قبرس وهذا التقليد حفظه لنا يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١ فصل ٦) والقديس ابرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين فصل ١٠) والقديس ايفانيوس (في كتابه ضد البدع) وتاودوريطوس (في تفسير نبوة ارميا) وزوناراس (في ك ٥ من تاريخه) « وزاد لانرمان على ذلك

ان الانساب التي ذكرها موسى في الكتاب ايدها الان اكتشافات العلم الحديثة لاسيما
الخطوط القديمة التي وجدت في قبرس وامكن حل رموزها في هذه السنين
الاخيرة فالاحرف الهجائية التي كتبت هذه الخطوط بها استعمالها القبرسيون
من اقدم الايام وقبل ان تبلغ احرف الهجاء الفينيقية الى اليونان ولا يعلم اصلها
ولعلها أخذت عن الحثيين الشماليين وقد كتب بها فرع من اللغة اليونانية القديمة
يقرب من لغة اركاديا التي كانت اللغة الطائفية في الجزيرة وكأما مرَّ يثبت ان
شعب قبرس كان يونانياً ولغتهم يونانية منذ الاعصر العريقة في القدم وان كتيم
هو ابن ياوان لا غيره

ثم ان العالم هالافي ذهب في المباحث الكتابية التي نشرها في المجلة المعروفة
بالمجلة اليهودية الى ان المراد باسم كتيم ابن ياوان وقبرس واحد فانه قال « واما
نظراً الى ياوان فيمكننا ان نسلّم بان كتيم ودودانيم يراد بهما قبرس ورودس
ونعتقد ذلك امرًا مؤكّداً » وقال بعد ذلك « ان اسم كتيم في التكوين يراد به
جزيرة قبرس لا غير » وفي محلّ اخر « ان جزيرة قبرس كتيم الكتاب وهو ابن
ياوان » وقال في مقالة نشرت بين مقالات مجتمع (اكادمي) الخطوط القديمة سنة
١٨٨١ متكلماً في اسم الحثيين ما ملخصه ان هذا الاسم يراد به سورية باسرها يعني
كل البلاد الواقعة في عبر القرات الغربي ممتدة من جبل امانوس (الاسكام) الى
تخوم مصر اي سورية وفينيقي وفلسطين واسم الحثيين في اثار تجلّت فلاصر الاول
(في اواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد) يشمل سورية التي بين القرات والعاصي
واما فينيقي فتسمى هناك عارو اي المغرب والمصريون كانوا في الدولة الثامنة عشرة
يعنون بالحثيين شعوب سورية الشمالية واسم حثيين في الكتاب المقدس يراد به سكان
سورية الشمالية ويُطلق ايضاً على بعض سكانها الجنوبيين اذا لاريب في القربي بين
الحثيين سكان فلسطين والحثيين الشماليين فالفصيلتان من ولد حث بن كنعان

ولاحظ هذا العالم في كلامه على الاثار الاشورية التي جاء فيها ذكر جزيرة قبرس ان هذه الجزيرة دُعيت فيها باسمين (بلاد يمنا او امنا وبلاد يتانا) اما الاسم الاول فان لفظ يونا او اونا ظهر قربه من ياوان الذي يسمي به العبرانيون احد ابناء يافت ويسميه اليونان ياون او يون ويطلقون هذا الاسم على البحر المتوسط. وكتيم في الترجمة العبرانية يراد به ابن ياوان وتسمى به جزيرة قبرس وهذا لا يشذ عن التاريخ بشيء اذ لامرية بان السواد الاعظم من قدماء القبرسيين يوناني اصلاً. واما يتانا الاسم الثاني فلم يرد الا في اثار الاشوريين وخاصة في اثر لسرعون اكتشف في اخربة شيشيوم او كيتيون في قبرس فهذا مقال هذين العالمين الحديثين وهو مطابق لقول جمهور العلماء القدماء

﴿ عد ٨٥ ﴾

— رأي الاب دي كارا في اصل سكان قبرس الاولين —

افاض الاب دي كارا في فصله المثبت في مجلة التمدن الكاثوليكي (في عددها المؤرخ في ١٧ ايار سنة ١٨٩٠) في الكلام في هذا الشأن فروى قولي العالمين المذكورين كما رويناها وبالغ في ردها وفي اثبات قوله الآتي بيانه . فانكر ان الكتاب يعني قبرس باسم كتيم بن ياوان لان كلمات الاية الرابعة من الفصل العاشر في سفر التكوين هي « وبنو ياوان اليشة وترشيش وكتيم ودودانيم » ولا شيء فيها يعني او يعين قبرس . وموسى عقب كلامه في كل من انساب بني نوح الثلاثة باية مترادفة فقال في بني يافت (عد ٥) « من هولاء تفرق اهل جزائر الامم في بلدانهم كل بحسب لغته وعشائره بامهم » وقال في بني حام (عد ٢٠) « هولاء بنو حام بعشائرههم ولغاتهم في بلدانهم بامهم » وفي بني سام (عد ٣١) « هولاء بنو سام بعشائرههم ولغاتهم في بلدانهم بامهم » فهذا الكلام لا برهان فيه على مواطن ابناء نوح بل لا بد من تميم مصادر اخرى للاستدلال

على اوطانهم وعشائهم ولغاتهم . فالكتاب ذكر كتيتم كما ذكر اليشه وترشيش ودودانيم وسائر بني سام وحام فكما لا تدل اسماؤهم على بلاد كل منهم كذلك لا يدل اسم كتيتم على بلاده . وما من جاهل بتضارب اقوال العلماء ومفسري الكتاب في تعيين البلاد والشعوب المقصودة بالاسماء التي ذكرها موسى في انسابه . فجزيرة قبرس اذا ليست معنية بنفسها باسم كتيتم بن يوان الذي ذكره الكتاب بل لا مناص من اقامة غير هذا الذكر دليلاً على ان كتيتم يراد به سكان قبرس الاولون

وقد ردّ دي كارا برهان لانرمان بالتقليد القديم فقال ما هذا التقليد الا مقصور على شهادة يوسيفوس لان سائر من ذكرهم اخذوه عنه واعتمدوا فيه قوله بل ان القديس ابرونيموس لم ينسب القول بان المراد بكتيتم وقبرس واحد الى التقليد بل عزاه الى تفسير بعض المفسرين وعليه فيوسيفوس هو الشاهد الفردي لهذا التقليد القديم وهو من ذلك يجهل حقيقته اذ خلط بين الحثيين وكثيم وهذه عبارة يوسيفوس (زيدها نحن على ما في المجلة مأخوذة عن ك ١ فصل ٦ في تاريخ اليهود) « كتيتم (بن يوان) الذي اقام في الجزيرة المسماة الان قبرس وسماها باسمه ولذا يسمى العبرانيون كل الجزر والسواحل البحرية كتيتم وحتى الان تسمى احدى مدن قبرس كيتيوم سماها كذلك من يضعون لكل شيء اسماً يونانياً وهذا يختلف قليلاً عن اسم كتيتم ، وقال دي كارا ان اسم كتيما او حتيما التي سميت الجزيرة به منذ القدم هو من حثيم لا من كشيتم بمقتضى رواية يوسيفوس . واما على برهان لانرمان المأخوذ عن حروف الهجاء التي وجدت في قبرس وعن ان المكتوب فيها فرع من اللغة اليونانية يقرب من لغة اركايا وان تلك الحروف لم تكن يونانية بل ربما كانت خطوط الحثيين فيجب دي كارا ان صح قول لانرمان ان لغة القبرسيين كانت اركايدية او فرعاً يقرب

منها وان الحروف التي كانوا يكتبون بها لم تكن يونانية بل ربما كانت حروف
الحيثيين فيلزم من ذلك ان القبرسيين الاولين لم تكن لهم حروف كتابة خاصة
بهم بل تعين عليهم ان يستعملوا خطوط امة اخرى ربما كانت الحثية وعليه فلا
يخلو الامر باحد وجهين اما ان تلك الخطوط كانت في الجزيرة عند ما اخذ
القبرسيون يستعملونها اما انهم اتوا بها من الخارج عندما غشوا الجزيرة فان
كانت في الجزيرة فيلزم منه ان الحثيين اتوا قبرس قبل القبرسيين الذين ذكرهم
لانرمان لان الخطوط حروف الحثيين . وان كانوا اتوا بها من الخارج فيلزم ان
يكونوا اخذوها من اركاديا لان المكتوب بها اركادي بحسب زعم لانرمان
والحال ان لانرمان نفسه ايضا لا يسلم بحروف هجاء في بلاد اليونان قبل حروف
الفينيقين وسوف تقيم الادلة على ان الاركاديويين ايضا كانوا حثيين وكان بين
سكان قبرس فريق يتكلم باللغة الاركاديوية فاذا الخطوط التي كان القبرسيون
يستعملونها كانت حثية اصلاً في كل افتراض وسكان قبرس الاولون كانوا حثيين
لا من ولد كسيم بن ياوان اي يونان . ثم ينثني دي كارا باقامة البرهان على غرضه
قائلاً كان للجزيرة في اقدم الايام اسمان كشيما او حثيما وحماتوسيا والاسمان
مشعران بنسبتها الى الحثيين اما الاول فامر به بين واما الثاني فيؤذن ان هذا الاسم
اخذ عن حماء اخص مدن بني حث . الى ان يقول ان صح زعم من يقولون
ان القبرسيين يونانيون اصلاً فلا يلزم منه ان اليونان تقدموا الحثيين بتوطنهم
جزيرة قبرس بل غشوها بعدهم ولذا سلم بمقال هالافي في تسمية قبرس يمنا
او امنا مكسر يونا او يون ولكن انكر عليه ان هذا من اول اسماء الجزيرة
وحسب هذا الاسم متأخر الوضع وانكر ايضا ان السواد الاعظم من القبرسيين
يوناني اصلاً بدليل ان هيروودت ذكر (في ك ٧ راس ٨٩) الشعوب الذين
توطنوا قبرس فقال انهم « اثينيون واركاديون وشيتينيون وفينيقيون واحباش »

وليس من هولاء يونان الا مهاجري آينا ولا يمكن ان يكون هولاء السواد
الاعظم

﴿ عد ٨٦ ﴾

﴿ رأي الاب دي كارا ان سكان جزائر بحر الروم رودس وكريت
وساموس وغيرها وبلاد اليونان وبعض ايطاليا الى توسكانا
هم حثيون اصلاً ﴾

نبه دي كارا في اخر الفصل الآنف الذكر الى التمييز بين حثيم وهم الحثيون
وبين كشم وهم عشيرة ياقية من ذرية كشم بن يوان بن يافت بن نوح مثبتاً
انه على هذا التمييز يتعلق حل المسألة اي الفريقين سبق الاخر في الارتحال
من اسيا الصغرى الى بلاد اليونان وجزرها والى ايطاليا ايضاً وان مصدر
الاشكال في معرفة اصل اليونان والايطالين انما هو عدم التفرقة بين اسماء
القبائل القديمة ثم الاغضاء على مراعاة الوقت الذي كانت الارتحالات فيه وان
من هذا الباب لزوم التمييز بين البلاسج الاولين اقدم سكان بلاد اليونان وبعض
ايطاليا وبين البلاسج المتأخرين وهم اقوام من قبائل ياقية اتت بعد ذلك من
اسيا ايضاً فحلت في بلاد اليونان وايطاليا وانتصرت على البلاسج الاولين
وقاسمتهم السكنى في اوطانهم ويأخذ في تأييد قوله ان السكان الاولين في بلاد
اليونان وجزر بحر الروم وايطاليا الجنوبية الذين يسمون البلاسج الاولين انما هم
حثيون ارتحلوا من اسيا الصغرى ومن شمالي سورية فحلوا في قبرس وروودس
وكريت وساموس وغيرها من الجزائر وفي بلاد اليونان وجنوبي ايطاليا الى
وسطها وفي قسم من توسكانا فهم من ولد حث بن كنعان بن حام لا من ولد
ياوان بن يافت مستدلاً على ذلك بان اثار الصناعة واسلوب تشييد المدائن
والحصون القديمة التي ترى في بلاد اليونان وايطاليا هي اشبه باثار الحثيين التي ترى

في سورية واسيا الصغرى كما مر ذكرها. ومما يحتج به لرأيه ان التقاليد الدينية عند
 البلاسج الاولين كانت مخالفة لتقاليد الياقثيين وان لغتهم كانت حامية لا ياقثية
 وقد استأنف دي كارا اقامة البراهين لتأييد قوله في فصل اخر اثبتته مجلة
 التمدن الكاثوليكي في عددها المؤرخ في ١٩ تموز سنة ١٨٩٠ وخلاصة ما قال
 فيه ان من التقليد العام المعقود عليه اجماع المؤرخين ان السكان الاولين في قبرس
 ورودرس وكريت وساموس وسائر جزائر بحر الروم وفي بلاد اليونان وبعض
 ايطاليا هم البلاسج الاولون والحال ان البلاسج الاولين هم حثيون فاذا السكان
 الاولون في هذه البلاد والجزائر هم حثيون فكبرى هذا القياس ليس من يشدد عليها
 نكيرا لثبوتها بالتقليد المجمع عليه ولا مخالف وبانثار عديدة في هذه البلاد يرى
 عليها اسم البلاسج ورموز معتقدتهم واما صغرا فيثبها ان البلاد التي سكنها
 الحثيون والبلاسج اولاً هي واحدة اي سورية الشمالية واسيا الصغرى والصناعة
 عند الفريقيين واحدة كما شهدت اثارهم والعوائد والمعتقدات المذهبية واحدة
 الى غير ذلك من الادلة التي تراها مبسوطة في خطبة الاب دي كارا الآتي
 ذكرها

واما في تعيين وقت ارتحال البلاسج الاولين من اسيا الى الجزائر وبلاد
 اليونان فقدر دي كارا ان الاحتمالات ابتدء بها في قرب الزمان الذي شخص
 ابرهيم فيه من بلاد ما بين النهرين الى فلسطين وربما كان في الوقت الذي كانت
 فيه غارة الملوك الرعاة على مصر اي في القرن العشرين او الحادي والعشرين
 قبل الميلاد ومن مستنداته اثار قديمة تعزى الى سرغون الاول ذكر فيها تواريخ
 حروبه في سبعين صحيفة وقد استنسخها اشور بانيبال لمكتبة نينوى فقي احداها
 يقول سرغون انه غزا بلاد مغرب الشمس وبحر المغرب ثلث غزوات بلغ في
 الثالثة الى بحر المغرب ونصب ثمة تماثله فيحسب دي كارا بلاد مغرب الشمس

القرن
 عشر
 السابع

بلاد الحثيين وان سرغون انتصر عليهم فاجتازوا حينئذ الى جزائر بحر الروم
وببلاد اليونان والصحيح عنده ان سرغون الاول كان في القرن الثاني والعشرين
او الحادي والعشرين قبل الميلاد

﴿ عد ٨٧ ﴾

﴿ رأي الاب دي كارا في قدموس وزمان ارتحاله الى بلاد اليونان ﴾
خطأ دي كارا لان زمان في قوله (في كتابه في التقييدات الاولية) ان
قدموس اول المرتحلين من فينيقي الى بلاد اليونان كان ارتحاله في اواخر القرن
الرابع عشر او في النصف الاول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد قائلاً ان
لان زمان لم يفرق بين ارتحالين سبق الاول منهما الثاني في مدة ثمانية قرون او
تسعة وان قدموس لم يشخص الى بلاد اليونان بمهاجرين فينيين بل حثيين ولم
تكن مهاجرتهم في القرن الرابع عشر بل في نحو القرن الحادي والعشرين قبل
الميلاد وان العالم برؤ (في كتابه في تاريخ الصناعة في القدم المار ذكره) تابع
لان زمان في رأيه فتسكع في غلظه وان مصدر هذا الغلط اغفال بعض العلماء
ان يراعوا ان اسم فينيقي متأخر عهداً وان بعض الرجال والاحداث التي تنسب
الى فينيقي في اقدم الايام لم تكن في فينيقي بل في البلاد المتاخمة لها اي في
سورية وان اسم سورية يشمل فينيقي ايضاً وان ادخال الحروف الهجائية في
بلاد اليونان الذي ينسبه الجمهور الى قدموس حتى تسمى تلك الحروف فينيقية
وقدموسية وارامية ايضاً لا يخالف رأيه لان قدموس يمكن ان يكون فينيقياً
وسورياً وان سورية كانت في ايام تلك الارتحالات الاولى موطن الحثيين
وسائر القبائل المتحدة معهم ويستحصل من ذلك ان قدموس الذي يدعى فينيقياً
هو حثي وان المستعمرة التي جعلها في بواتسيا في بلاد اليونان وفي جزيرة كريت
وغيرها ان هي الامستعمرة حثية حتى قال ان اسم قدموس نفسه ليس الا

القرن
الى ص
حل

يوسيا

مكسر حتموس اي الحثي بابدال الحاء بالقاف كما جاءت امثال لذلك في ترجمة اليونان الاعلام الى لغتهم وبابدال الدال بالتاء للمقاربة بينهما فان حق لنا ان نقول شيئاً بين هولاء العلماء الاعلام قلنا اننا لانرى براهين الاب دي كارا كافية للعدول عن رأي جمهور العلماء القدماء وبعض علماء هذا العصر ايضاً وتقليدهم ان قدموس كان فينيقياً وارتحل الى بلاد اليونان في زمان غزوة يشوع بن نون لفلسطين وان الحروف التي ادخلها في بلاد اليونان هي الحروف الفينيقية لا الحثية وقد روى دي كارا نفسه انها تسمى فينيقية وقدموسية وارامية والمعلوم ان صور الحروف اليونانية القديمة واسماؤها اشبه واقرب الى صور الحروف الفينيقية واسماؤها من الخطوط الحثية ولو كانت الخطوط الحثية اصلاً للحروف اليونانية ليسرت قراتها ولم يعتص حتى الان حل رموزها ولا يخفى التعسف في قوله ان قدموس مكسر حتموس ومهما يكن من هذا الامر فقلك احداس يعرضها الاب دي كارا على اهل العلم في هذا العصر مصرحاً انه لا يقطع بصحتها على ان ما اورده من الحجج ليثبت به ان البلاسيج الاولين والحثيين قبيلة واحدة اصلاً لا يبعد ان يكون صحيحاً واشبه بالصواب . وقد اشار الاب فيكورو الى شيء من ذلك حيث قال (في كتابه المسائل المثورة صفحة ٤٣١) « ان حاصلات الحثيين وتصوراتهم تطرقت مرحلة مرحلة الى بلاد اليونان فقد اخذ اليونان اشياء كثيرة عن الفينيقيين لكنهم لم يأخذوا عنهم كل شيء فالمصنوعات اليونانية الاولية لا سيما ما اكتشف منها في ميشان (في بلاد اليونان) لا يرى فيها اثر لاصل فينقي بل هي اشبه خاصة بالمصنوعات الحثية في اسيا الصغرى وهذا مغزى الحكاية اليونانية الناطقة بان بيلوب استمد غناه من نهر بكتول الذي يروي سرد وليديا . (في اسيا الصغرى حيث ولاية ازмир الان) وقد جمع الاب دي كارا في خطبته الآتي ذكرها خلاصة كلما تضمنته

فصوله العديدة من البرهان على ان البلاسج الاولين والحثين قبيلة واحدة

﴿ عد ٨٨ ﴾

— في خطبة الاب دي كارا في الحثين والبلاسج الاولين —

بعد ان ذكر الاب دي كارا في فصول عديدة هيئات الابنية والاسلحة والآنية الخزفية التي اكتشفت في بلاد اليونان وبعض اعمال ايطاليا وبين قربها ومشابقتها للمصنوعات الحثية التي تُشاهد في سورية واسيا الصغرى تلا خطبة في المجتمع التاسع العام المنعقد في لوندرة في شهر ايلول سنة ١٨٩١ بحضرة جم غفير من العلماء الباحثين في تواريخ المشرق وآثاره اثبت فيها ان تلك الابنية والمصنوعات انما هي من اعمال الحثين وان قبيلة الحثين والبلاسج الاولين واحدة . وقد اثبتت مجلة التمدن الكاثوليكي هذه الخطبة في عددها المؤرخ في ٢٠ شباط سنة ١٨٩٢ وذيلتها بما روته في شأنها جرائد انكلترا المهمة من حيث يظهر ان هذه الخطبة كان لها احسن وقع في ذلك المجتمع الحافل وانه اعتبرها ذات اهمية كبرى وقضى بايلاء مؤلفها علامة الشرف وطلب منها مئات من النسخ ليوزعها على اعضائه . وهاك خلاصة ما انطوت عليه

اورد دي كارا اقوال العلماء في الآنية الخزفية التي توجد في امصار عديدة متباعد بعضها عن بعض وكلها متقاربة الشكل عريقة في القدم وابان تضارب هذه الاقوال حتى لا يمكن تصويب احدها لضعف مستنداتنا وايها انها بمستندات اخرى . ثم طفق يث رأيه فقال تراعى في هذا المبحث الحقيقة وعلتها فالحقيقة اننا نرى في اسيا وبلاد اليونان وجزرها وفي وادي النيل وايطاليا آنية خزفية ذات شكل واحد او متقارب ومثله شكل الاسلحة وهذه حقيقة لا يقيم احد عليها من تكبير وقد سلم كل عالم منصف ان الرسوم والنقوش التي تُرى على هذه الآنية لا مثيل لها الا في المصنوعات البابلية القديمة جداً لا في مصنوعات اشور

او نينوى . ومما لا يمتري فيه ان البابليين لم يهاجروا الى بلاد اليونان ولا الى
 جزائرها ولا الى ايطاليا باولى حجة فاذا قد كان مستحيلاً نقل الصناعة البابلية
 الى هذه الامصار بغير واسطة قبيلة تتاخم بلادها بابل وتتوفر العلاقات بينهما
 ويلزم ان تكون تلك القبيلة ذات اقتدار على بث هذه الصناعة في تلك الامصار
 بوسيلة انبساط قوتها وامتداد حكومتها وكثرة مستعمراتها وتجارها . فهذه هي
 الحقيقة وهذه هي الشرائط المستلزمة للكشف عن علتها فلا يبقى الا البحث عن
 اية قبيلة تستجمع هذه الشرائط للتوصل الى ادراك علة تلك الحقيقة فعلى
 رأيه ان هذه القبيلة لا يمكن ان تكون الا قبيلة البلاسج الاولين الذين هم
 الحثيون انفسهم فان هاتين القبيلتين لا يمكن ان تكونا في العصر القديمة الا
 واحدة . او يرد علينا ان نسلم بامر مستحيل وهو ان قبيلتين قديرتين اقامتا في
 بلاد واحدة في حين واحد حاكمتين في هذه البلاد نفسها وكل منهما ليست
 الاخرى وقال انه بين في فصوله العديدة ان الاثار القديمة الكائنة في محال
 عديدة من اسيا الصغرى ليست الا حثية والحال ان اكثر هذه الاعمال هي بلاد
 البلاسج الاسياويين باجماع رأي القدماء فاذا البلاسج والحثيون قبيلة واحدة
 واذن دي كارا الى ما مر براهين اخرى اثباتاً لغرضه منها ان صناعة استخراج
 مواد المعادن والعمل بها واحدة عند البلاسج والحثيين . ومنها ان تشييد المدن
 والحصون طريقة واحدة عند الفريقين فان اطلال بوغاز كوي وايوق وكاور
 قلعة سي وازمير المعروف انها من بقايا اثار الحثيين تشبه كل الشبه اطلال المدن
 والحصون البلاسجية الباقية في بلاد اليونان وايطاليا . ثم ان هذه الابنية في
 اسيا الصغرى متقدمة العهد وسابقة عصر اليونان فيستلزم انتسابها الى قبيلة
 توطنت هذه الامصار قبلهم وهذه القبيلة لا يمكن ان تكون الا البلاسج الاولين
 لان الابنية تعزى اليهم ويلزم ان تكون من صنع الحثيين لان العلامات المميزة

لهم وخطوطهم منقوشة على صخورها ولا مرية بان سكان البلاد الكائنة بها في ذلك العصر انما هم الحثيون فكل ذلك يجهر بالنتيجة المقصودة اعني ان البلاسج والحثيين قبيلة واحدة

وقال اننا نرى شيم القبيلتين واخلاقهما واحدة فقد ذكر استرابون ان من شيم البلاسج الحل والترحال وتبين مما مر ان الحثيين ارتحلوا من سورية وانتشروا في اسيا الصغرى وجزيرة قبرس ثم في جزر بلاد اليونان فان كانت الشيم واحدة والصناعة واحدة والبلاد التي سكنها الفريقان واحدة فلم لا تكون القبيلة المسماة باسمين واحدة . وايضاً ان اسما كثير من المدن والجبال والانهر والاعمال في اسيا الصغرى واسماء امثالها في بلاد اليونان وجزائرهم وفي ايطاليا هي واحدة اصلاً ولم يطرأ عليها تغير في بعض الاسماء الا من قبيل تيسير اللفظ وجعل اواخر الكلمات كصيغة نهاية الاسماء في اليونانية او الايطالية . وايضاً ان المشابهة بين العقائد الدينية والرموز المذهبية عند القبيلتين يحصل لنا منها برهان آخر على انهما قبيلة واحدة فالالهة الكبرى القديرة التي كان يعبدها البلاسج ان هي الا الالهة المحاربة التي نراها ممثلة على صخور يازيلي كايا في اسيا الصغرى مجنبة السيف معتقلة الرمح متنكبة القسي شبيهة بالالهة المحاربة الوارد ذكرها في عهدة الصلح بين ملك الحثيين ورعمسيس الثاني ملك مصر كما مر . والرمز بصور الاسد وغيرها نراه عاماً في اثار الحثيين في اسيا الصغرى واثار البلاسج في بلاد اليونان وايطاليا

ومن الحجج التي اقامها دي كارا اثباتاً لغرضه التقليدات واقاصيص الالهة التي يرى ويستشهد غيره من مشاهير علماء هذا العصر ان لها اصلاً تاريخياً على الغالب وان داخلتها احاديث خرافة ومن هذه الاقاصيص ان آباء شعوب سورية وفينيقي وكيلىكيا وغيرها من اعمال اسيا الصغرى هم من اقرباء بلاسكو

ابي البلاسج وهو ابو اجينور او اخوه وهذه الاقاصيص نفسها تجعل كيليك
وفينيق وقدموس ابناء اجينور وعليه فهم احفاد بلاسكو او بنوه وتجعل نيوب
اما لاجينور وبلاسكو وهؤلاء الاباء كانوا يسكنون ويلون الامصار نفسها التي
كان الحثيون يسكنون فيها ويلون امورها كما يظهر من الاثار الحثية في اسيا
الصغرى كل هذا بين في البلاسج الاسياويين واما البلاسج سكان بلاد اليونان
وايطاليا فقال فيهم ديونسيوس الايكارناسي انهم كانوا يُسمون آزيين والمقاربة
بين آزي وحثي بينة فابدال الحاء بالهمزة لسهولة اللفظ مستفيض وابدال الشاء
بالزاء لا تحصى امثاله فهذا معما تقدم ثبت لنا ان البلاسج في بلاد اليونان
وايطاليا هم ذوو قرابة البلاسج الاسياويين وان الفصيلتين مع الحثيين قبيلة
واحدة

وقد اختتم دي كارا كلامه بهذا القياس ذي الحدين لا يخلو ما اتينا به من
الادلة العديدة على الوحدة بين الحثيين والبلاسج من ان يكون اما مصادفة
واتفاقا اما واقعا وتاريخيا فان كان واقعا فيلزم اعتبار الوحدة بين الفريقين حقيقة
تاريخية ثابتة ذات اهمية كبرى. وان كان كل ما جئنا به اتفاقا ومنسوبا الى المصادفة
فيكون امرا لم يسبق له مثال ولا يبقى محل تصديق برهان كهذا مهما كثرت
ووضحت ادلته وهذا محال فالعتمد اذا على الاول وهو ان الحثيين والبلاسج
قبيلة واحدة سُميت باسمين. ان الاب دي كارا يهتم في فصوله التي نشرها في
هذه الايام ليعين ان اسماء المدن القديمة والانهر والجبال في بلاد اليونان وايطاليا
اصلها حثي ومن جملتها اسم اسيا فعلى رأيه اصله حاثيا بدلت الحاء بالهمزة للخفة والشاء
بالسين للمقاربة وان اسم البلاسج انفسهم مركب من كلمة بل معناها في لغتهم
الغريب او الدخيل ومن كلمة اسي او اسكي او اسجي ومعناها الاسياوي
فتحري معنى البلاسج عنده الغرباء الاسياويون او الاتون من اسيا

الفصل الثامن

(في غارة الحثيين على مصر اي في الملوك الرعاة)

﴿ عد ٨٩ ﴾

— في اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم —

ان مانيتون (وهو كاهن مصري كان في القرن الثالث قبل الميلاد) الف كتاباً جمع فيه شتات تواريخ مصر فاغتالت يد غير الزمان هذا الكتاب ولم نظفر منه الا بفقرات حفظت في كتب يوسفوس واوسابيوس ويوليوس الافريقي وغيرهم من القدماء فمن هذه الفقرات ما رواه يوسفوس في كتاب رده اقوال ايون (ك ١ فصل ٤) حيث قال « كان ملك يسمى تياوس دهننا في ايامه غضب الله فقاجانا من جهة المشرق على غير انتظار جيش اقوام اوغاد جسروا ان يمشوا بلادنا فاستحوزوا عليها دون حرب واثنخوا في ارضنا واذلوا اصحاب الامر فيها واحرقوا المدن بقساوة ودكوا هياكل الالهة وانزلوا بالاھلين ما استطاعوا من السوء فذبجوا بعضاً واسروا نساء البعض واطفالهم ، الى ان يقول « وكل هذه القبيلة دُعيت هييكسوس اي الملوك الرعاة لان معنى هيك في اللغة المقدسة ملك ومعنى سوس بلقة العامة رعاة »

فمن هولاء الملوك الرعاة ومن اين اتوا الى مصر ومن اية قبيلة هم اجتزأ مانيتون بان يقول فيهم انهم اتوا من جهة المشرق وهذا كلام شائع متسع اتساع المشرق لا يعلم منه من اية جهة من المشرق اتوا ولا من اي شعب تفرعوا ولذلك توفرت اقوال العلماء القدماء والحداث في اصلهم وفي مهاجرهم اي البلاد التي هاجروا منها فذهبوا في الامرين مذاهب عديدة متضاربة . وكتب

علماء عصرنا هذا في ذلك مقالات مسهبة وآلف الاب دي كارا كتاباً برمته سماه الملوك الرعاة نشره اولاً فصولاً في مجلة التمدن الكاثوليكي ثم ضم تلك الفصول في كتاب طبع في رومة سنة ١٨٨٩ حيث لم يألُ جدّاً ليثبت ان الملوك الرعاة حثيون اصلاً ومهاجرهم سورية الشمالية غاروا على مصر منضمّاً اليهم غيرهم من القبائل السورية وعليه عنواننا هذا الفصل بغارة الحثيين على مصر واودعناه الكلام في اقوال العلماء في اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم ثم في زمان غارتهم هذه واية دولة مصرية كانت منهم وما كانت اعمالهم وكم سنة ملكوا في مصر ومتى طردهم المصريون من بلادهم بما يمكن من الايجاز ملخصاً خاصة عن كتاب الاب دي كارا السالف الذكر

﴿ عد ٩٠ ﴾

— اقوال العلماء في اصل الملوك الرعاة ومنشأهم —

قال مانيتون في اثر كلامه الذي ذكرناه نقلاً عن يوسفوس « قال بعضهم انهم عرب » لكنه قال في محل اخر على ما روى يوليوس الافريقي « انهم رعاة اخوة فينقيون ملوك اجانب » فظهر انه لم يكن على يقين في اصلهم ومنشأهم بل يروى ما كان يقال عليهم في ايامه فين الحلاف في الاقوال ولم يصحح احدها . واما علماءنا العرب فقالوا انهم عمالقة من نسل عمليق او عماليق وهو عندهم ابن لود (يسمونه لاوذ) بن سام بن نوح قال ابن الاثير في الكامل « فمن ولد لاوذ بن سام فارس وجرجان وطسم وعمليق وهو ابو العماليق ومنهم كانت الجبابرة في الشام الذين يقال لهم الكنعانيون والفراعنة بمصر » وتعقبه ابو الفداء من قبل انه جعل الكنعانيين من ولد سام وتابعه في الباقي اذ قال « نقل ابن الاثير ان بني كنعان من ولد سام والله اعلم وولد لسام عدة اولاد منهم لاوذ ابن سام وولد للاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق الذي هو ابو العماليق ومنهم

كانت الجبارة بالشام والفراعة بمصر» وقال ابن خلدون « ولم يذكر في التوراة ولد لاوذ (وهو الواقع) وقال ابن اسحق وكان للاوذ اربعة من الولد وهم طسم وعمليق وجرجان وفارس ، وقال ياقوت ان العمالقة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكاً في سورية وفراعة في مصر . وذكر بعضهم اسما هولاء الفراعنة وقالوا ان اولهم في مصر يسمى الوليد . وتعقب بعضهم قول هولاء المؤرخين بان عماليق هو ابن اليفاز بن عيسو على ما في سفر التكوين (فصل ٣٦ عد ١٢ و ١٦) فكيف يمكن ان يكون فرعون ابراهيم كما قالوا من بني عماليق لكن هذا التنديد مردود بان سفر التكوين نفسه صرح بوجود العمالقة قبل عيسو اذ قال (فصل ١٤ عد ٧) ان كدرا لعومر ملك عيلام واحلافه « ضربوا كل ارض العمالقة وايضاً الاموريين ، ومن المعلوم ان هولاء الملوك هم الذين حاربهم ابراهيم وانقذ لوطاً ابن اخيه من ايديهم فلا يعاب على المؤرخين العرب قولهم ولكن هل كان الملوك الرعاة من هولاء العمالقة فهذا موضع الخلاف الذي نبسط الاقوال فيه

واما علماء عصرنا اهل البحث في الاثار المصرية والشرقية فلهم في هولاء الملوك الرعاة اقوال متباينة متضاربة فقال لبيسوس هم حاميون من بني كوش اتوا من بلاد العرب المجاورة البحر الاحمر المسماة فوط او بونظ والظاهر ان المراد بها عدوتنا البحر الاحمر من جهة العربية وجهة الحبشة . وتابعه مسبرو في هذا القول . وقال بروغش لا بل هم ساميون من سورية صحبهم اقوام من اقاليم عديدة . وذهب دي روجه وإبر الى انهم ممن تسميهم الاثار المصرية ساتي وعامو ويراد بهم رعاة اسياويون . وذهب ليلايين انهم من فلسطين ومريات وسأئس ولازيمان انهم حثيون واموريون وعيلاميون . ورأى القانوني را انهم ادوميون وعمالقة وحثيون وقال كوندرا وهامي ولازيمان (بعد هجره رأيه

الاول) انهم مغول من التتر . فصور التباين في هذه الاقوال ندور اليينات والاثار الدالة على اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم وغموض ما وجد منها وشيوعه فقد سمّتهم الاثار المصرية مان ومانتي وساتي وعامو وكلها اسما شائعة لا تعين القبيلة التي تفرعوا منها ولا البلاد التي نشأوا فيها ولهذا التباين مصدر آخر هو انه قد وجدت تماثيل في تانيس (سمنه وصيان في شرقي مصر السفلى) وحسب انها تمثل الهيئة الحقيقية لهؤلاء الملوك ولدى تفحص العلماء عنها قالوا انها اشبه بهيئة الصيادين الذين يسكنون الان في جانب بحيرة المنزلة في مصر السفلى وقدروا ان هؤلاء الصيادين من سلالة اولئك الملوك واخذوا ينسبون الرعاة الى القبائل التي خيل لهم ان هيئة فروعها تشبه هيئات التماثيل والصيادين المذكورين . وعليه فترد الاقوال المتباينة في هذا الشأن الى مصدرين اعني اقوالاً مسندها الاختلاف في تفسير الاسماء التي عبرت بها الاثار عن هؤلاء الملوك واقوالاً مسندها المشابهة بين هيئة هؤلاء الملوك في تماثيلهم وبين هيئات غيرهم من القبائل المعروفة فنسب اصحاب الاقوال الاولى هؤلاء الملوك الى سورية او العربية او فلسطين او الجزيرة او عدوتي البحر الاحمر . ومعظم الخلاف بينهم في ما اذا كان هؤلاء الملوك ساميين او غير ساميين . ومضى اصحاب الاقوال الثانية يفتشون على اصل الملوك الرعاة في شرقي اسيا او شماليها فجعلوهم من المغول والتتر ولا مستمسك لزعيمهم الا المشابهة في الهيئة الطبيعية وسمات الوجوه بين هؤلاء الشعوب وبين تماثيل الملوك وسكان القرى التي حول بحيرة المنزلة

واما العلامة الاب دي كارا فرداً اولاً الاقوال المسندة الى المشابهة في الهيئة والتكون الطبيعي مبيناً خاصة انه لا يمكن ان يتأكد كون التماثيل المذكورة تمثل كل السمات الحقيقية في هيئة هؤلاء الملوك ولا كون الملوك الرعاة كلهم كانوا بهذه الهيئة لان التماثيل التي وجدت انما هي لأربعة منهم فقط وزاد على هذا انه لا اثر

في التواريخ لغارة من التتر في تلك الايام على مصر فضلاً عما بين البلدين من
 البعد الشاسع وتوسط قبائل كثيرة بينهما . وايضاً ان الهيئات الطبيعية لا يمكن
 الاعتماد عليها وحدها في معرفة اصول الشعوب ونسبهم بل لا بد من قرائن اخرى
 ومن اساس تاريخي يُستمسك بها . وقال دي كارا ان مسبرو كتب اليه رسالة
 في ٩ ك ١ سنة ١٨٨٨ جواباً على الفصل الذي اثبت به ان منشأ الملوك الرعاة
 سورية الشمالية يقول له فيها ان رأيه هذا يحوز احسن قبول وان المشابهة في
 الهيئات كثيرة الوجود على اختلاف النسب والوطن وانه رأى منذ بضع سنوات
 في نابولي امرأة اشبه هيئة بصورة امرأة ماديووم الكائنة في متحف بولاق
 وتيسر له اخذ صورتها الفوتوغرافية بالزي الذي يرى التمثال به وان الصورة باقية
 عنده ويختتم مسبرو رسالته بقوله هـاك ايطالية يمكنها ان تدعي بانها مصرية
 وتثبت دعواها بتكونها وهيئتها الطبيعية فدونك ما يوقننا به من السخریات
 الاعتماد في النسب على الهيئة .

وعاد العلامة دي كارا الى تفصيل الاقوال المسندة الى الاختلاف في تفسير
 الاسماء المعبر بها عن هولاء الملوك في الاثار المصرية كما رويناها بالايجاز ومما
 يستوجب التفاتة مخصوصة ويتحفظا بفوائد اخرى قول سانس الذي اكثر
 الكلام هذه السنين الاخيرة في هولاء الملوك فقال اعتبرهم بعض العلماء غزاة
 حثيين وفي خطبة القاها في ٢٣ تشرين اول سنة ١٨٨٦ في مجتمع العلماء في
 لوندرد اظهر جنوحه الى التيقن بان قادة الرعاة كانوا حثيين مطانفي الاموريين
 وانه يُستلمح من الكتاب المقدس ان هذه العهدة كانت في جنوب فلسطين
 لان سكان حبرون (الخليل) كانوا حثيين واموريين وصرح بذلك حزقيال بقوله
 (فصل ١٦ عد ٤٥) لاورشليم ان امك حثية وابوك اموري . ولما كان مانيتون
 روي في الفقر التي حفظها يوسفوس ان الملوك الرعاة بنوا اورشليم بعد طردهم

من مصر اعتقد سائس سنداً الى ما قيل في سفر العدد (فصل ١٣ عد ٢٣) وهو « ان حبرون بُنيت قبل صوعن مصر (وهي تانيس الرعاة المعروفة الان بسان) بسبع سنين » ان مانيتون اعتمد في رأيه هذا في بناء اورشليم على شهادة التقليد ونتج سائس اخيراً ان قول مريات وغيره بان قادة الرعاة كانوا حشين هو قريب من الصحة والصواب واما ميل سائس الى تصديق رواية مانيتون بان الرعاة بنوا اورشليم فيقال فيه ان صدقت هذه الرواية لم يكن المفهوم منها ان الرعاة اول من اسس اورشليم اذ جاء في سفر التكوين (فصل ١٤ عد ١٨) ان ملكيصادق ملك شليم خرج للقاء ابرهيم وعامة المفسرين على ان شليم اورشليم وطرده الرعاة من مصر كان بعد نزول بني اسرائيل اليها

﴿ عد ٩١ ﴾

— تحرير رأي الاب دي كارا في الملوك الرعاة وحججه عليه —
 حرد الاب دي كارا (في الفصل الثامن من كتابه الملوك الرعاة) رأيه فقال ان الرعاة الذين غاروا على مصر لم يكونوا من بلد واحد ولا من امة واحدة بل كانوا من بلاد عديدة تضمهم عهدة واحدة وغرض واحد ويقودهم ملك واحد او اكثر للامة التي هي مركز العهدة وتنسب الغزوة اليها ويرى ان الامة الحثية هي مركز هذه العهدة وهي الفاعلة في الحملة على مصر بجنودها الخاصة وجنود المعاهدين لها ومن براهينه على رأيه ان من ذلوا دولة قوية رهيبة كما كانت مصر اذ ذاك وضبطوا زمام احكامها قروناً لا بد ان كانت لهم قوة تفوق قوة مصر عدداً واعدداً ومالاً ولا يتصور لاحدى قبائل اسيا الغربية او الشرقية قوة وسطوة مثل هذه الا باتحادها مع قبائل اخرى فيتنفق ان تشن قبيلة الغارة على قبيلة اخرى اقوى منها وتنصر مرة ولكن ان تستحوذ عليها وتضبط اعنة حكمها رغم انوف اهلها قروناً كما فعلوا الرعاة في مصر هذا يخالف الطبع

ولا نجد له في التاريخ مثلاً فمن افتتحوا مصرًا في ذلك العهد لم يكونوا إذاً امة واحدة بل اتفاقاً من قبائل شتى يرأسه ويقوده ملوك الحثيين ثم يثبت هذا اي انه كان للحثيين المحل الاول في هذه الغزوة وملكوكهم وامرائهم السيادة فيها بالحجج الآتية اولها ان الصفيحة التي وجدها مريات سنة ١٨٦٤ في هيكل سمناه (وهي تانيس القديمة) تثبت ذلك اذ نُقش في اعلاها ثلاث صور احداها صورة سات او شات وما هذا الا شتخ معبود الحثيين ويده الصولجان وعلى رأسه التاج والثانية مثال رعمسيس الثاني قائماً امام سات باسطاً يديه نحوه وفي كل منها كاس خمر والثالثة صورة من اقام هذه الصفيحة ساجداً وبين سات ورعمسيس عمود خطوط هيروكليفية وبين رعمسيس والصورة الاخرى عمودان من هذه الخطوط وفي اسفل الصفيحة اثنا عشر سطراً منها وهذا ملخص ما كتب هناك « في سنة ٤٠٠ في الرابع من شهر ميسوري لملك مصر العليا والسفلى أمر رعمسيس الثاني ملك مصر ان تقام هذه الصفيحة تكرمة للاله شات اجلالاً لاسم ابي ابائه (كثيراً ما سمي ملوك مصر الهتهم اباؤهم وكثير منهم دعا نفسه ابن الشمس معبودهم) ويحيي شات تحيات اله سام ويستمد منه التوفيق والاقبال في ايامه والثبات في ملكه ، وما من منكر ان الرعمسيسيين امتازوا باجلال الاله شات وباقامة الهياكل تعبدًا له وبتسمية بعضهم انفسهم باسمه تبركاً منهم شاتي او ساتي الاول . وعليه يحقق دي كارا ان تاريخ الاربعمائة سنة المثبت في الصفيحة يراد به تاريخ اتخاذ شات الهًا ساميًا في مصر سويًا لرع وامنون وان الاربعمائة سنة في عهد رعمسيس الثاني توافق ايام اباي احد الملوك الرعاة الذي عني بجعل شات او شتخ معبود الحثيين الهًا ساميًا في مصر وثانية الحجج التي اقامها دي كارا على عناية اباي بادخال عبادة شات معبوده في مصر ما ورد في البابير المنسوب الى سليار الاول والمحفوظ الان في المتحف

لر

١٧١٠
١٧١٠
١٧١٠

البريطاني وخلصته ، ان الملك ابابي اتخذ شات او شتخ رباً له ولم يعد يعبد الهماً في ارض مصر الا شات واقام له هيكلًا بديعاً على مقربة من قصره وكان ينهض كل يوم فيقدم له الذبائح اليومية مصحوباً باعوانه ، وجاء في هذا البابير ايضاً ان ابابي كان اوفد الى ملك تاب (في مصر العليا) ليتبعه في هذه العبادة وقال « اذا اجاب امير الجنوب (يريد ملك تاب الذي كان اوفد اليه) انه يعمل بما اقول فلا آخذ منه شيئاً ولا اعود اسجد لاله اخر في ارض مصر الا لامون رع ملك الالهة ولكن اذا لم يجب سؤلي بان لا يعبد الا شات فما العمل » وفي البابير ايضاً ان ملك الجنوب اطلع مستشاريه على رسالة ابابي فدهشوا ولم يأتوا اولاً بنت شفة . ويظهر انه منذ يومئذ بدأ القلق والشغب على الملوك الرعاة والمحافظة على طردهم . ويستخلص دي كارا قائلاً ان الواضح من اثار عديدة لاسيما عهدة الصلح بين ملك مصر وملك الحثيين ان شات او شتخ انما هو اله الحثيين فيحصل مما مر ان الملوك الرعاة حثيون وان الاربعمائة سنة التي ذكرها رعمسيس في هذه الصفيحة يراد بها تعميم عبادة شات وتفضيله في مصر بامر ابابي احد الملوك الرعاة . هذا على اختلاف الترجمة والتفسير لهذا الاثر ونرى رأي دي كارا فيه راجحاً وبرهانه واضحاً واطبق للظاهر . ومن رأيه ايضاً ان تاريخ الاربعمائة سنة يوافق القرن الثامن عشر قبل الميلاد وعليه فصفيحة رعمسيس نقشت نحو سنة ١٤٠٠ الى سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد اي نحو اربعمائة سنة بعد ابابي فيكون اتيان يوسف بن يعقوب مصر في ايام ابابي فان اضفنا اليها سني عبودية بني اسرائيل في مصر وهي اربعمائة وثلاثون سنة كان خروجهم منها في عهد دولة الرعمسيسيين فان القول الاعم والاطهر عند علماء الاثار المصرية ان خروج بني اسرائيل من مصر كان بعد وفاة رعمسيس الثاني في عهد ابنه منفتح الاول وسترى معارضة اقوال الكتاب في شان سني العبودية بما يظهر من الاثار المصرية والتوفيق بينهما

انتهى ملخصاً عن كتاب دي كارا في الملوك الرعاة (فصل ٣ من صفحة ٣٩ الى
صفحة ٦١)

﴿ عد ٩٢ ﴾

— اثبات ان الملوك الرعاة حثيون بما سميتهم به الآثار المصرية —
الحق دي كارا حججه الآتفة الذكر بحجج اخرى منها ان الاسماء التي
عبرت بها الآثار المصرية عن الملوك الرعاة تثبت كونهم حثيين فان هذه الآثار
تسميهم ساتي ومانتي وعمو فساتي يراد بهم على الاظهر الشعوب المتوطنون في
غربي اسيا ولاسيما سكان شمالي سورية بدليل انه جاء في الاثر وهو الدرج
المعروف « بمرسوم كانوبوس » ان الملك تولماوس افرجات الاول غشا بلاد الساتي
واسترد تماثيل الالهة التي كان الفرس انتزعوها من هياكل مصر ولا جرم أن
المضي من مصر الى بلاد فارس يستلزم العبور بسورية فهي اذا بلاد الساتي
والملوك الرعاة يسمون ساتي فهم اذا سوريون واشهر سكان سورية يومئذ الحثيون
فاذا الملوك الرعاة حثيون. وقد سميتهم هذه الآثار « مان ومانتي » مرات والحال
ان هولاء المانتي يراد بهم سكان سورية ايضاً. فقد جاء في جريدة اسماء القبائل
التسع التي نقشت على جدار هيكل ارفو في مصر « المانتي في بلاد اسور »
وفي الصفحة التي وجدت في سان (تانيس القديمة) مكتوباً عليها بثلاث لغات
عبر فيها عن هولاء المانتي في الهيروكليفية بانهم سكان بلاد الروتان الشرقية وفي
الترجمة اليونانية سكان سورية وفي لغة الشعب المصرية بلاد اسور فاذا المانتي
الذين طردهم ملوك الدولة الثامنة عشرة من مصر هم من سكان سورية التي
سميت في الهيروكليفية بروتان في اثار عديدة وسميت بلغة الشعب اسور وهو
اسم سورية عندهم (طالع العدد ٦) وفي الاثر القديم المنسوب لاحس ابن
ابانا يقال ان احس الاول الذي طرد الملوك الرعاة من مصر اثنخن في المانتي

ساتي مقصياً لهم عن مدينة آفاري فاذا لفظا مانتي وساتي استعملهما المصريون
علماء للملوك الرعاة الذين غشوا بلادهم من جهة مشرقها وسحوا بهما سكان
سورية ايضاً ولاسيما شماليها

وقد سمّتهم الاثار ايضاً عمو في محلات عديدة ومن جملتها الاثر الذي
اكتشف حديثاً على مقربة من قرية بني حسن حيث يقول احد الفراعنة الذي
يُظن انه توتمس الثالث « انا جددت ما كان آل الى الدمار انا اكلت ما بُدئ
به مذ كان العمو في مصر السفلى في جهة آفاري فان الغزاة تقضوا ما كان مشيداً
وحكموا ولم يعترفوا بالاله رع » ونرى اسم العمو بين عداد الشعوب الذين
قهرهم توتمس الثالث في سورية مع الساتي والروتانو اصحاب المعاهدة في مدن
سورية الشمالية والجنوبية وفي فينيقي . ونجد ايضاً اسم عمو في صفيحة كتبت
عليها ترجمة امنهاب واكتشفها العالم ابار في قرية قرنة من اعمال مصر واذا
ترجمتها سنة ١٨٧٣ ومما كتب في اعمال هذا القائد في حروب توتمس الثالث في
سورية انه قبض على اسرى من العمو واحضرهم احياء وذكر محال المواقع
فكان منها وان في غربي كالب (حلب) وكرميش وقادس ولا يختلف اثنان ان
هذه المدن في شمالي سورية وسمّت الاثار سكانها عمو كما سمّت الملوك الرعاة
بهذا الاسم نفسه . وليس اصحاب عهدة الرعاة الا المتحالفين الذين حاربهم
ملوك الدولة التاسعة عشرة ولاسيما ساتي الاول ورعمسيس الثاني في سورية
الشمالية كما مر وباتور شاعر رعمسيس الذي كتب اخبار واقعته مع قادس رطالع
العدد ٦٥) يسمي الحثيين عمو كما رأيت فاذا اسماء ساتي ومانتي وعمو التي
نراها في الاثار المصرية معبراً بها عن الملوك الرعاة نراها نفسها مراداً بها شعوب
سورية الشمالية ومن جاورهم من العشائر المتحدة معهم بل قال دي كارا ان
الحثيين الذين حاربهم رعمسيس كما مر من نسل هولاء الملوك الرعاة وانهم بعد

الصحة

عطف

M. A. M. F. I.

طردهم من مصر عادوا الى مواطنهم الاولى في سورية ومن الادلة التي اقامها على ذلك وجود عبادة الاله سات بينهم في سورية الشمالية كما كانت لهم في مصر ثم وجود بعض العوائد وآثار التمدن المصري في انحاء سورية التي عادوا اليها ثم تعاضم القوة والسطوة في سورية الشمالية في زمن وجزى حتى حارب سكانها ملوك الدولة التاسعة عشرة في مصر واكروهم على صلح مشرف لهم كما رأيت في تاريخ الحثيين عن الاثار المصرية

﴿ عد ٩٣ ﴾

﴿ في عصر غارة الرعاة على مصر ومدة ملكهم فيها ﴾

توفرت الاقوال وتضاربت في تعيين زمان غارة الملوك الرعاة على مصر ولا نرى كبير فائدة في استقراء هذه الاقوال وحجج كل من القائلين بها فنقتصر على ذكر الاظهر والاعم من اقوالهم وهو ان هذه الغزوة كانت بين القرن لعشرين والحادي والعشرين قبل الميلاد وكان من الملوك الرعاة ثلث دول في مصر هي الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة وذكر مانيتون هذه الدول واسماء ملوكها ومدة ملكهم ولكن لما كانت غير الايام لم توصل اليها كتاب مانيتون بل وصلت اليها فقر اقواله يرويها يوسفوس في كتاب رده على ايون ويوليوس الافريقي واوسابيوس وغيرهم فكان بين هذه الروايات بون كبير من قبيل الاسماء وعدد السنين للملوك وللدول الثلث وقد وفق العلامة ادولف ارمان (Erman) مدير المتحف المصري في برلين بين روايتي يوسفوس والافريقي بما ملخصه ان يوسفوس حسب مدة ولاية الملوك الرعاة في مصر ٥١١ سنة وقال انه عقب ذلك سنون عديدة دام بها الحرب والنزاع وروى الافريقي ان الدولة الخامسة عشرة من هولاء الملوك ملكت ٢٨٤ سنة ثم ذكر ملوك الدولة السادسة عشرة وضم سني ملك الدولتين فكان مجموعهما ٥١٨

سنة ولا تخفى المقاربة بين الروايتين على ذلك اذ لا يبقى من فرق الاسبوع سنين ثم ذكر الدولة السابعة عشرة وعين لملكها مدة ١٥١ سنة فكان ذلك كناية عن السنين العديدة التي ذكر يوسفوس انها اقتضت في الحرب مع الوطنيين وكان لهؤلاء ملوك يلون مصر العليا وبعض اعمال مصر السفلى على التدريج ، فكان بهذا التوفيق بين الروايتين

وسترى ان ابابي آخر ملوك الدولة الاولى من الرعاة ملك في اواسط القرن الثامن عشر قبل الميلاد اي من سنة ١٧٤٠ الى سنة ١٧٥٠ فان اضفنا الى ذلك ٢٥٩ سنة وعشرة اشهر مدة ملك الدولة الاولى من الرعاة بحسب رواية يوسفوس ظهر ان بدء ملك الرعاة كان في القرن العشرين قبل الميلاد واذا اضفنا الى ذلك ٢٨٤ سنة بحسب رواية الافريقي كان بدء ملكهم في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ويحصل من ذلك ان فرعون الذي كان يلي مصر وقت انحدار ابرهيم اليها قبل نحو مائتي سنة من انحدار يعقوب كان من الملوك الرعاة كما كان فرعون الذي استوزر يوسف

﴿ عد ٩٤ ﴾

﴿ بيان سني عبودية الاسرائيليين في مصر بسني الملوك الرعاة ﴾
 جاء في سفر التكوين (فصل ١٥ عد ١٣) ان الله ناجى ابرهيم قائلاً
 « ان نسلك سيكونون غرباء في ارض ليست لهم ويستعبدون لهم ويعذبونهم
 اربع مئة سنة » ثم جاء في سفر الخروج (فصل ١٢ عد ٤٠) « وكان مقام بني
 اسرائيل الذي اقاموه بمصر اربع مئة وثلاثين سنة ، كذا ورد في النص العبراني
 وفي نسختنا السريانية وفي اللاتينية العامية وغيرها من النسخ على انه يظهر من
 الترجمتين السبعينية والسامرية ان مدة الارب مئة وثلاثين سنة يراد بها مدة اقامة
 ابرهيم ونسله في فلسطين ومصر اي من خروجه من اور الكلدانيين الى

خروجهم من مصر . ولذلك قال يوسفوس (ك ٢ من تاريخ اليهود فصل ٦)
 ان العبرانيين خرجوا من مصر لسنة ٤٣٠ من بلوغ ايننا ابراهيم الى ارض
 كنعان ولسنة ٢١٥ من انحدار يعقوب الى مصر ، وقد حدا حدوه في هذا
 القول كثير من القدماء والحداثاء على ان الاكثرين اعتمدوا نص الاصل العبراني
 الصريح في الآيتين الانف ذكرهما وقد ايده سائر الترجمات القديمة غير السبعينية
 والسامرية . فاثبتوا ان مقام بني اسرائيل في مصر من انحدار يعقوب بولده
 اليها الى حين خروجهم منها انما هو اربعمائة وثلاثون سنة لا مئتان وخمس
 عشرة سنة فقط . وقد اقاموا على ذلك ادلة وحججا عديدة لا محل الان
 لاستقراءها ومنها ان مئتين وخمس عشرة سنة لا تكفي لتكاثر عدد بني اسرائيل
 بالمقدار الذي ذكره الكتاب اي ليكون منهم ست مئة الف مقاتل

على ان الاكتشافات الحديثة زادت في بيان هذا المبحث فان العلامة
 ارمان السالف ذكره اهتدى الى طريقة للتوفيق بين ما عينه الكتاب من سني
 العبودية وبين الاثار المصرية وخالصة ما قال . اجمع من ذكروا فقرات مانيتون
 علي ان يوسف كان في عهد ابابي اخر ملوك دولة الرعاة الاولى وصرح شنسلوس
 انه استوزره للسنة ١٧ من ملكه آخذاً ذلك بلا بد عن رواية الافريقي ومن
 المجمع عليه في ذلك العصر ان خروج بني اسرائيل من مصر كان في عهد
 اموسيس المسمى منفتح بن رعسيس الثاني فيلزم ان تكون سنو العبودية من
 عهد ابابي الى عهد منفتح . على ان الدولتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة
 حكمتا مصر على رواية الافريقي ٥١٨ سنة اي الدولة الخامسة عشرة ٢٨٤ سنة
 والسادسة عشرة ٢٣٤ سنة واعتبتها الدولة السابعة عشرة واستمرت ١٥١ سنة
 في الحرب مع الدولة الثامنة عشرة الوطنية فكان في مصر دولتان معا وعليه
 فيمكن حساب سني العبودية على هذه الصورة

سنة

٤٥ بقي من مدة ابابي بعد ان استوزر يوسف لانه ملك ٦١ سنة وبعض
اشهر واستوزره في ١٧ لملكه

٢٣٤ مدة الدولة السادسة عشرة

١٥١ مدة الدولة السابعة عشرة مع الثامنة عشرة الوطنية والى عهد منفتح

٤٣٠ فالمجموع اربع مئة وثلاثون سنة طبق ما في الكتاب عن سني العبودية
هذا ملخص ما رواه دي كارا (في صفحة ١١٢ وما يليها من كتابه في
الملوك الرعاة) عن ارمان ويترآى الى ان فيه نظراً من قيل ان الدولة الثامنة
عشرة كان منها عدة ملوك بعد طرد الرعاة وكذا كان بعض فراعنة الدولة التاسعة
عشرة قبل منفتح ولم يخرج بنو اسرائيل من مصر على اثر طرد الرعاة منها بل
بعد مدة وارى اننا لو اعتمدنا رواية يوسفوس لقرر مانيتون في ان مدة ملك
الرعاة كانت ٥١١ سنة ولبثوا سنين عديدة محاربين لكان البرهان اقوى واسلم
من النقد اذ تكون ١٥١ سنة او القسم الاكبر منها عبارة عن مدة ملوك الدولة
الثامنة عشرة بعد طرد الرعاة وبعض ملوك الدولة التاسعة عشرة الى منفتح
فرعون الخروج

على اننا لانستند الى هذا البرهان وحده في بيان سني العبودية باثار مصر
بل لنا غيره . فقد مر انه يتبين من صفيحة رعمسيس الثاني ان بين ملك ابابي
ورعمسيس هذا اربعمائة سنة وقد انقضت عبودية بني اسرائيل في عهد ابنه
منفتح وعليه فتكون مدة الثلاثين سنة انقضت بين حين كتابة الصفيحة وحين
خروج بني اسرائيل من مصر

قد اجاد بروغش العلامة في الاثار المصرية بملاحظات مهمة في هذا الغرض
فنلخصها هنا . قال (في كتابه تاريخ مصر صفحة ١٧٤ طبعة ٢) اذا جعلنا ملك

رعمسيس الثاني سنة ١٣٥٠ ق م اعتماداً على اصح الاقوال في هذه المباحث كان ملك ابابي سنة ١٧٥٠ (لجعل صفيحة رعمسيس بينهما اربعمائة سنة) ويزيد هذا الامر بياناً واهمية مطابقته لنص الاسفار المقدسة في عداد السنين التي اقام فيها بنو اسرائيل في مصر (وذكر الآيات التي ذكرناها آنفاً) ولما كان خروج بني اسرائيل من مصر بعد وفاة رعمسيس الثاني الذي جلس على منصة الملك نحواً من خمسين سنة فيكون منقح الاول فرعون الخروج ارتقى الى عرش الملك سنة ١٣٠٠ فاذا اضفنا اليها ٤٣٠ سنة مدة اقامة بني اسرائيل في مصر كان المجموع ١٧٣٠ سنة وانطبق ذلك ضرورة على عهد وزارة يوسف في مصر اذ اتى اليه ابوه واخوته من فلسطين وابتدأت سنو العبودية . وانطبق ايضاً على عهد ولاية الملوك الرعاة في مصر وخاصة على عهد احداهم ابابي المسمى نوب ايضاً وسماه اليونان ابوفيس . واختتم بروغش كلامه قائلاً ان هذا الطباق بين نص الكتاب والاثار المصرية لهو ذو اهمية كبرى واعتبار مزيد ويؤيده التقليد المسيحي القديم الذي حفظه لنا سينشولوس ولم يعبه احد وهو ان يوسف دبر شؤون مصر في ايام الملك ابابي الذي تسميه الاثار ابوبي وزادت ذلك بياناً وثبوتاً صفيحة اكتشفت في مصر من امد قريب اتضح منها حصول مجاعة في مصر دامت سنين عديدة ودأت قرائن الحال على ان وقوعها كان في مدة تدبير يوسف شؤون مصر (وسنأتي على ذكر هذه الصفيحة في الكلام على يوسف في تاريخ العبرانيين) فنسدي الله حمداً وشكراً لكشفه عن مثل هذه الاثار القديمة في هذا العصر الطامي بالغواية والعتو

﴿ عد ٩٥ ﴾

— في اعمال الملوك الرعاة في مصر —

شكى مانيتون هولاء الملوك تلك جبايات فظيعة حرق المدن وتقتض هياكل

الالهة والقسوة على الابرياء من المصريين اذ ابلسوا بعضاً وسبوا النساء والاطفال
وتابع كثير من القدماء والحدثاء ما يتون في بث هذه الشكايات وامثالها . على
ان الاب دي كارا عني ببرئة ساحتهم من هذه التهم مستمسكاً بان لا دليل في
الاثار المصرية على ارتكابهم مثل هذه الامور الفظيعة الا شكاية ما يتون التي
يلزم حملها على الشحنة والتعصب لقومه كما يظهر من وصفه الملوك الرعاة بالحسة
والوغادة ومن تذبذبه عليهم باستيلائهم على مصر دون شديد مقاومة والمصريون
اولى بنسبة هذا الذنب اليهم ثم من تسميته لهم وباء وتقمه وما اشبه من الاوصاف
الذميمة وقام دي كارا برهاناً وضعياً على غرضه فقال انه اكتشف في اخص
مدن الرعاة كتانيس (سان على مقربة من دمياط) و بوبست (تل البسطة الان
في جنوب الزقازيق) عن تماثيل وصور تمثل ملوكاً تقدموا عصر الرعاة وبعض
هذه التماثيل يشاهد الان في متاحف اوربا نقل اليها من المدن المذكورة ولم
ينقض الرعاة هيكل تانيس الذي كان قبلهم وبعض التماثيل التي كانت فيه حفظت
في ايام الرعاة وكشف عن بعضها ولم يزل بعضها على ما يُظن مطموراً بالاتقاض .
وقد اهتدى نافيل Naville في سنة ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ الاخيرة في بوبست الى اثار
عديدة للدول السابقة الرعاة لم ينقضوها في ايامهم ووجد بينها تماثيل للملوك
الرعاة منها تمثال ابابي اشهرهم وحسبك الاثار المكسدة في متحف بولاق
ومتاحف اوربا منقولة اليها من مصر السفلى وهي للملوك والهة قبل عصر الرعاة .
واذا كانت تهمتا ما يتون الاوليان غير صحيحتين فيحق لنا ان نمتري في الثالثة
وهي القسوة على الابرياء واضطهادهم وان صح شيء منها فيلزم حمله على عادة
الايام السالفة وعلى حاجة الرعاة اليه لتأييد ملكهم ذلك دأب كل الغزاة . ولهذا
قد اضرب بعض علماء هذا العصر بعد الاكتشافات الحديثة عما كانوا قد عابوا
الرعاة به استناداً الى ما رواه ما يتون

﴿ عد ٩٦ ﴾

— في ندرة اثار الرعاة —

واما الذي تركه الملوك الرعاة من الاثار المخددة لذكورهم او المشرفة لبلاد
 تولوا امرها وما الذي اتوا به من المنافع العامة او التجارة بترويح سوقها او بسط
 نطاقها بين مصر وفينيقي وسورية وبلاد العرب وغيرها فكل ذلك ندرت
 آثاره والاثاث الدليل عليه فترى استيلاءهم على مصر مدة خمسة قرون ابيكم لم
 يفصح عما اتوه او تأتي عليهم . وقد اشتغل اهل البحث في الاثار المصرية في
 بيان علة هذا الندور في اثار الرعاة فنسبه احداهم العالم فيادمان الالماني (في
 كتابه تاريخ مصر) الى عدم الاهتداء حتى الان الى اثارهم قائلاً ان كشف
 مريات في تانيس عن بعض تماثيل الملوك الرعاة يبغشنا على الظن ان لهم اثاراً
 اخرى في محال اخرى وانكر ما اوجبه بعضهم من ان الدول التابعة قد محت
 آثارهم بغضاً بهم وحاول ان يثبت ان هذه البغضاء لم تكن . علي ان العلامة
 دي كارا ردّ زعمه هذا مثبتاً وجود البغضاء والضعيفة بين الفريقيين وهو امر
 طبيعي لكنه انكر ان تكون هذه الضغائن حملت المصريين على ازالة اثار الرعاة
 ورأى ان هذه الاثار قليلة بنفسها لكنها غير معدومة وعلة ندرتها ما كان عليه
 حالهم فان الملوك الاولين منهم اشغلهم عن اقامة الاثار جدهم في بناء مدينة
 وجعلها قلعة حصينة تقيهم وثبات اعدائهم المصريين وغيرهم عليهم وهي مدينة
 افارى (يرجح ان موقعها في قرب المحل المعروف الان بتل الهر او فرما في
 شرقي خليج السويس) ولم تكن لهم حاجة الى بناء هياكل وقصور ملكية استغناء
 بما بناه قبلهم ملوك الدول السابقة ولا سيما الدولة الثامنة عشرة . واذا راعينا
 ان ملوك الدولة السادسة عشرة من الرعاة اصبحوا مصريين يستخدمون عملة
 ومهندسين مصريين في الابنية والتصوير والحفر والنقوش متقنين اثار المدارس

المصرية ظهر لنا انه لا يمكن تمييز آثار الرعاة عن آثار الملوك السابقين او التابعين لهم بل يلتبس بعض هذه الآثار ببعضها . واما ملوك الدولة السابعة عشرة فانقضت مدتهم في الحروب مع ملوك تاب الوطنيين فلم ينفسح لهم المجال للعناية بآثار مخلدة او منافع عامة

﴿ عد ٩٧ ﴾

﴿ في حروب الملوك الرعاة ﴾

يظهر ان قبائل سورية وبلاد العرب لم تقلق خواطر الملوك الرعاة ولا سطت على املاكهم في كل مدة ولايتهم على مصر لما كان لهذه القبائل من جر النفع والمغنم من قبل هولاء الملوك فان اشتراك الفريقين في اللغة والدم والوطن القديم كان ميسراً لمن جاؤا من سورية وبلاد العرب الى مصر كسب المآل ورواج سوق التجارة واسباب العمل والراحة وحسن المعاملة حتى هاجر جم غفير من سورية والعربية الى مصر خاصة في ايام المحن والمجاعات كما وقع لبني اسرائيل على ان الذين كانوا ينكدون عيش الرعاة ويسلبون راحتهم انما هم الملوك الوطنيين الذين استمروا في تاب يلون مصر العليا والصعيد . ومن اغلاط الملوك الرعاة جعلهم عاصمة ملكهم في مصر السفلى في الطرف الشرقي من القطر اي في تانيس (مر انها سان في ناحية دمياط) وفي بوبست (في جانب الزقازيق) فكانوا بذلك نائين ومنفصلين عن مركز الشعب المصري فلو اقاموا في مصر العليا لآكروها الملوك الوطنيين ان يتوغلوا في البرية بعيدين عن الاتصال بشعبهم يتعسر عليهم اجهاز العساكر واعداد الازودة والعلوفات لها فابتاؤهم في تاب (طيبة) كان كانه ابقاء مفاتيح البلاد في يدهم

واشهر الحروب بين الملوك الرعاة وملوك تاب الحرب الاخيرة التي استمر لظاها متسعراً قرناً ونيقاً وكانت اسبابها القريبة على راي جمهور المؤرخين مسائل

دينية ولا غرو فان هذه المسائل كثيراً ما كانت سبباً لحروب عديدة بين كثير من الامم كما انبأتنا التواريخ فقد كان الملوك الوطنيون يتأوهون ابدًا من استيلاء الاجانب على بلادهم ويفتصون كل وسيلة لاسترداد شرف وطنهم وكان يمالئهم على ذلك كثير من الولاة الوطنيين في مصر العليا والسفلى ايضا . وكان في بدء هذه الحرب ان اباي احد الملوك الرعاة الانف الذكر اوفد الى ملك تاب (طيبة) يطلب اليه ان يقر بشات او شتخ معبود الرعاة مقدماً اياه على الهة مصر فابى الاذعان لطلبه وجعل ذلك وسيلة تهيج قومه . وقد جمع الباحثون في الاثار المصرية الا مسبرو على ان البابير المنسوب الى ساليار الاول السالف ذكره ينطوي على ذكر صحيح الاسباب التي دعت الى هذه الحرب وقال مسبرو ان ما في هذا البابير حكاية لا تاريخ وقول جمهورهم اظهر واضح

قد انبأنا كاتب هذا البابير ان ملك تاب الذي ارسل اباي الوفد اليه كان اسمه ساكن انده وتأويله الشمس المحاربة او الظافرة وانه قد سمي بهذا الاسم ثلثة من ملوك تاب حاربوا جميعاً الملوك الرعاة لكن الحرب القاضية كانت في عهد الثالث منهم المسمى ساكن انده الاكبر وفي عهد احمس الاول من سلالة هولاء الملوك وهو الذي اذل الرعاة وطردهم من مصر وكان اول ملوك الدولة الثامنة عشرة التي انبسطت ولايتها على مصر كلها . وهاك ما كتب في بابير ساليار (صفحة اولى) . كان هذا لما كانت النقم حالة على بلاد مصر وعند هذه الاحداث لم يكن سيد ولا حيوة ولا صحة ولا ملك . ولما كان الملك ساكن انده هيكا اي ملكاً في انحاء الجنوب كانت النقم حالة في مدينة العمو (يراد بهم السوريون اي الرعاة) وكان الاور (اي السيد او الرئيس) اباي في مدينة آفارى وكان سكان البلاد كلها يحملون اليه حاصلاتها وكان اهل الشمال (يريد مصر السفلى) يأتونه باحسن ما عندهم . وجعل اباي الملك شت او

اباحو
شت

شئخ الهه وربه ولم يعبد احداً من الهة البلاد كلها واقام له هيكلًا بديع الصناعة يدوم قرونًا وجعل اعيادًا وعين ايامًا لتقدمة الضحايا كل يوم لشتخ ، (صفحة ثانية) « واراد ابابي ان يرسل وفداً الى الملك ساكن انده في بلاد الجنوب ودعا بعد ايام كتبته العلماء يستشيرهم في الوفادة الى ساكن انده الملك (وهنا عبارات محوطة في البابير الى ان يُقرأ) لا اريد ان اعبد احداً من الهة البلاد كلها الا امون رع ملك الالهة . وبعد ايام طوال ارسل ابابي الى رئيس الجنوب في بلاد الجنوب اعلاناً لقنه اياه كتابه العلماء فسار وفد ابابي الى رئيس الجنوب ومثل بحضرته فسال الوفد من بعثكم الى بلاد الجنوب ولم آتيم ألتجسوا البلاد فاجابه الوفد اوفدنا اليك الملك ابابي لنقول لك . . . لعمرى لم استطع ان اذوق طعم الوسن ليلاً ولا نهراً . . . ولبت رئيس الجنوب برهة مرتعداً لا يدري ما يجب به وفد ابابي الملك . . . » (صفحة ثالثة) « ودعا رئيس الجنوب كبار قواده وعماله والخبراء في بلاده يكشفهم بما بثه اليه وفد الملك ابابي فلم يفه احدهم بنت شفة واخذ الرعب والدهش منهم كل مأخذ ولم يدروا ما يجيبون به ايجاباً او سلباً الملك ابابي ارسل . . . » وهنا يقطع الكاتب الكلام ويأخذ في كلام آخر وعلى اختلاف الترجمة لهذا البابير لغموض بعض عباراته وتشويه بعضها يتين منه ما لا يمكن الامترآء بصحته وهو اولاً وجود ملك من الرعاة يسمى ابابي كما يقرأ اسمه على تمثاله الذي اكتشفه مريات في تانيس . ثانياً وجود ملك من ملوك تاب يسمى ساكن انده يقرأ اسمه في بابير اخر يعرف بابير ابوت ثالثاً اسم عموم مع اسم آفارى مدينة العمواي الملوك الرعاة وهذا يدل دلالة واضحة على ان هولاء الملوك من سورية الشمالية اصلاً لان خطوط الدولة الثامنة عشرة سمت به سكان سورية الشمالية . رابعاً ان عبادة الاله شت او شتخ خاصة بالرعاة وقد كانت قبلاً عند الحثيين في شمالي سورية واستمرت بعداً

اباحس

اباحس

عندهم هنالك . خامساً انه كان عند الملوك الرعاة صنائع وعلوم دلّ عليها اقامتهم
هيكلاً بديع الصناعة يدوم قروناً لئلا هتت ووجود كتّاب علماء في دولتهم .
سادساً ان الحروب بين الفريقين ابتدأت في ايام ابي ملك الرعاة وساكن انده
ملك الجنوب والظاهر من آثار اخرى ان هذه الحروب استمرت اعواماً متطاولة
وان لم نفر حتى الان بما يدل على تفصيل مواقعها وظروف مكانها وزمانها وقد
ظفرنا باثار تدل على نهايتها كما ستري

﴿ عد ٩٨ ﴾

— حصار افارى محصن الرعاة —

قد كُشف عن خطوط قديمة نقشت على جدار احد المدافن القديمة
الكائنة حذاء قرية الكاب في مصر تبين تلك الخطوط بمواقع الحرب الاخيرة
على الملوك الرعاة وحصار قلعة افارى وتشتمل على ترجمة رجل يسمى احمس
بن ابانا امير البحارة الذي شهد هذه الحرب وتوغل في معامعها وهاك ترجمة
ما كتب على مدفنه « احمس الربان ابن ابانا المغفور له اليكم ايها الناس اجمع
اسوق كلامي لاقص عليكم ما عرض لي . فقد نلت قلائد الذهب سبع دفعات
على مشهد سكان البلاد قاطبة وكسبت عبيداً واماءً عدداً عديداً وما حزته بالسلح
من الشرف والفخر يدوم مخلداً في هذه البلاد فقد جئت الى الوجود (ولدت)
في مدينة سوبان (الكاب) وكان ابي عاملاً عند الملك ساكن انزة وكان اسمه
بابا بن رونت ودونك ما فعلته انا اذ كنت رباناً مكانه في السفينة المسماة باماس
(الثور) في زمان الملك نباهتبرا (احمس الاول) المغفور له وكنت بعد شاباً
في سن لا اعرف النساء به والبس ملابس الشبان . . . اقتنا الحصار على مدينة
افارى وكنت احارب مترجلاً بحضرة جلالة الملك فأعلى رتبتي وبينما نحن
نحارب في جانب قناة بتكو في افارى قتلت عدواً وعلم بذلك مخبر الملك

فرفعه اليه فتفضل عليّ بقلادة ذهب وجاهدت مرةً اخرى في هذا المحل
 واخذت يداً (اي قتل عدواً واخذ يده) فثلت مرةً اخرى قلادة الذهب
 ويوم كان الوغى في نوكامي جنوب هذه المدينة اخذت اسيراً حياً والقيت نفسي
 في الماء بعيداً كي لا امرّ في طريق المدينة فعبرت الماء به ودرى ذلك مخبر
 الملك فتحليت بالذهب مرة اخرى وقد افتتحنا آفارى واخذت حينئذٍ رجلاً
 وثلاث نساء اربعة رؤس أسرى فوهبتهم جلالته لي عبيداً . وحاصرنا شاروحانا
 (في فلسطين لا يعلم محلها الى الان) في السنة الخامسة فافتحتها عظمتها واسرت
 منها امرأتين وقتلت رجلاً فأعطيت ثم ايضاً ذهباً ثميناً ووهب لي الاسرى
 عبيداً وبعد ان فتكت عظمتها بالماناساتي (اي الملوك الرعاة) عادت حالاً تستأصل
 الاعداء في بلاد النوبة فعمل بهم مذبحاً ، ويتبع كلامه في غارة احمس الاول
 على جنوب مصر الى الحبشة وهو بصحب الملك ويعدد انتصارات اخرى له
 وفوزه بقلائد ذهب اخرى ويقول ان الملك وهبه دفعتين في كل منها خمسة
 استا من الارضين (وهو مقياس للارض متعارف عندهم) وهذا مشعرٌ بشيء
 مما جاء في سفر التكوين من ان يوسف جعل ارض مصر ملكاً لفرعون يتصرف
 به كيف شاء الى ان يقول صاحب المدفن انه نال الحظ بان يصحب الملك امنوني
 الاول الى الحبشة لايساع تخوم مصر وان الملك اعلى مقامه وسماه محارب
 الملك ثم امير البحارين وانه صحب توتمس الاول الى بلاد النوبة الى ان يقول
 « وبعد هذا تحولت عظمته نحو الروتانو (سكان سورية) انتقاماً منهم (لعل
 اهلها انجدوا الرعاة او قبلوهم بالترحاب بعد طردهم من مصر) فبلغ نهرينا
 (لعل المراد البلاد التي بين العاصي والقرات كما ورد اكثر من مرة) حيث التقى
 بذلك الوغد الحسيس (لم يذكر اسمه) واعدّ نفسه للقتال فالتحنت جلالته في
 ارضهم واستاقت عدداً عديداً من الاسرى احياء وكنت انا ذاك على قيادة

لارو
 صين

جيوشنا وشاهد الملك اعمالى المشرفة واخذت مركبة مع خيلها ومن كانوا فوقها اسرى احياء وايتت بهم الى عظمته فتكرم علي بالذهب دفعة اخرى وقد طغنت في السن وبلغت الشيخوخة . . . فهذا ذكر اعمالى الخطيرة وساستريج في المدفن الذي اعدته لنفسى »

وقد وجدت خطوط اخرى نقشت في عصر الخطوط السالف ذكرها على صفيحة هي الان في متحف اللوفر في باريس اخذت اليه عن مدفن رجل اخر اسمه احمس ايضا فان هذا الاسم كان يسمى به كثيرون في عهد الدولة الثامنة عشرة التي ابتدأت بانتصارات احمس الاول على الرعاة ويعرف صاحب الصفيحة باحمس بنسوب وخلاصة ما كتب فيها « انه خدم احمس الاول وامانوفى الاول وتوتمس الاول وتوتمس الثاني وانه جاهد في حروبهم مع الرعاة وفي النوبة والحبشة وبلاد العرب وسورية وقتل واسر من الاعداء ونال قلائد الذهب » فهذه الخطوط وغيرها تثبت الحروب الاخيرة مع الرعاة وحصار قلعتهم آفارى وشدة دفاعهم امداً مديداً ولكن ليس فيها بينة قاطعة على اقتتاحه عنوه وقول احمس امير البحارة انهم افتتحوا آفارى لا يفهم على اطلاقه كما سترى

﴿ عد ٩٩ ﴾

— استسلام آفارى وخروج الرعاة منها —

قال لانرمان (مجلد ٢ من تاريخه الشرقى صفحة ١٥٧) قال مانيتون في فقرة حفظها لنا يوسفوس « وغلب الرعاة اخيراً وطردهوا من اعمال مصر فتألبوا في بقعة اتساعها عشرة الاف ارور (مقياس للارض) تسمى آفارى واحاط الرعاة هذه البقعة بسور رفيع منيع احتفاظاً على اموالهم ومقتناهم فحاول ابن الملك اخذ المدينة عنوة فحاصرها محققاً بها باربعمائة وثمانين الف رجل ولما يأس من اقتتاحها صالحهم على شرط ان يترك الاعداء ارض مصر ويذهبوا

أمين حيث شأوا فخرجوا باموالهم ومقتناهم وكان عددهم يبلغ الى مئتين واربعين الفاً واخذوا طريق البرية الى سورية ولخوفهم من دولة الاشوريين المستحوذة يومئذ على اسيا لبثوا في البلاد المسماة الان اليهودية ، وصوب لانرمان شهادة مانيتون هذه لمطابقة الاثار لجوهر الخبر الذي روته وذكر من هذه الاثار ما روياه انفاً مما كتب على مدفن احمس امير البحارين . وقد لاحظ الاب دي كارا (صفحة ٣٥٠ من كتابه الملوك الرعاة) ان استسلام الرعاة آفارى لم يكن الا لمضايقتهم بقطع طريق الذخائر عنهم اذ لم يبق لهم الا مدينة آفارى وقلعتها وان قول احمس امير البحارين انهم افتحوا آفارى وان الملك فتك بالرعاة فيه المبالغه المعتادة في بعض اثار الفراعنة فلو كان فتك بهم او قرضهم كما يمكن ترجمه كاملته لما اضطر بعد خمس سنوات ان يجيش الجيوش لاذلالهم في شروحانا وطردهم منها ولولا خشيته من معاودة سطوتهم على بلاده مع استفحال امره في مصر العليا والسفلى لما اضطر الى هذه الغزوة الحديثة فقد خرجوا اذاً من آفارى مكرهين ولكن غير مدللين ويؤيده شهادة مانيتون وهو من خصومهم كما مر على ان كثيرين من هذه العشيرة التي اقامت قروناً في مصر اثروا العبودية في مصر الخصبه على الارتحال والاعتراب فاستمروا في ناحية مصر الشرقية مع غيرهم من العشائر السورية وبني اسرائيل وسمح لهم احمس كلفاً بالانتفاع بهم ان يكتسبوا الحراثة الارضين المسلمة اليهم ولم يخرجوا بعداً كما خرج بنو اسرائيل ولذا ذهب بعضهم ولاسيما لانرمان في تاريخه الشرقي ان من بقايا عشيرة الرعاة سكان القرى التي حول بحيرة المنزلة مستدلين على ذلك بهيئتهم الطبيعية ايضاً الممتازة عن هيئة سائر المصريين بقوة شهرتهم وطول وجوههم الى غير ذلك من السمات المميزة لهم والتي يقولون انها اشبه بهيئة بعض الملوك الرعاة في تماثيلهم التي وجدت في تانيس كما مر

﴿ عدد ١٠٠ ﴾

— في موقع مدينة آفارى متحصن الرعاة —

اطال الاب دي كارا (في فصل ١٧ من كتابه الملوك الرعاة) الكلام في اسم آفارى وموقعها فقال ان اسمها ورد في فقر مانيتون وفي ترجمة احسن امير البحارين الانفة الذكر وعلى تماثيل الملوك الرعاة التي وجدت في تانيس واورد اقوال العلماء في اصل هذا الاسم وموقع المحل المسمى به فقال ظن شمبوليون ان تأويل آفارى في اللغة المصرية اللعن والتجديف اي المدينة الملعونة اشارة الى مقهم الرعاة وان اليونان سموها ايرابوليس فكانت عنده آفارى وايرابوليس واحدة وهذا خطأ ظاهر ولا عجب فقد قال شمبوليون به قبل حله الرموز الهيروكليفية . وقال لبيسوس ان بالوس ^{سيس} وآفارى مدينة واحدة موقعها في شرقي ترعة بوبست (تل البسطة) في جانب الزقازيق وان اسمها القديم آفارى ثم سميت بالوس وان كلمة بالوس ليست اللفظ اليوناني الذي معناه الطين او الوحل كما وهم علماء اليونان وتابعهم العرب بتسميتها طينة بل أخذ هذا الاسم عن البستين احد الابطال الذي ورد في الاقاصيص انه اتى من سورية فاقام بقومه هناك . ورأى لبيسوس ان اخربة المحل المسمى تل المر الممتدة الى بالوس هي اطلال آفارى وعليه قتل المر وآفارى مدينة واحدة في القدم ووافقه على قوله شباس وبروغش الذي قال ايضاً ان بالوس كانت في محل القرية المسماة الان فرما عن كلمة قبطية فرومى اي مدينة الوحل وفي اليونانية بالوس بمعنى الوحل . اما الاب دي كارا فبعد ايراده هذه الاقوال وغيرها وتنديده باكثرها ذهب على سبيل الحدس والتخمين الى ان آفارى وبالوس مدينة واحدة واسمهما واحد وان فرما قريبة منهما وليست احدهما وان كلمة وارا او فار معناها في لغة مصر الهارب او المرتحل وعليه فعنى آفارى بلد المرتحلين او الهاربين اشارة الى من

ارتحلوا من سورية الى هناك وان اسمها اليوناني بال مكسر فار ببدل الفاء
باء والراء بلام للقرب بين مخرج هذه الحروف وان موقع هذه
المدينة ذات الاسمين في شرقي خليج السويس وفي الجنوب
الشرقي من بورت سعيد وان موقع تانيس وهو سان
الان في الجنوب الغربي من بحيرة المنزلة
وفي شرقي المنصورة



مقالة
في الفونيقين

لما كان الفونيقيون فصيلة من قبيلة الكنعانيين استلزم مساق هذا التاريخ
وبيانه ان تأتي اولاً على كلام مجمل موجز في الكنعانيين نجعله تمهيداً لكلامنا
المختص بالفونيقين

الفصل الاول

(في الكنعانيين)

﴿ عدد ١٠١ ﴾

في اصل الكنعانيين ومهاجرهم الاولى وداعي ارتحالهم الى سورية
مرّ في عدد ٥٤ ذكر العشائر التي توطنت سورية قبل ان يغشاها الكنعانيون
واما هولاء فلا مزية انهم ولد كنعان بن حام بن نوح وعليه صريح نص الكتاب
(تك فصل ١٠) ولكن اين كانوا قبل ان هاجروا الى سورية واقاموا فيها رحلاً
في بادىء امرهم فما رواه هيرودت نقلاً عن تقليد الفينيقين الذي تلقاه في صور
نفسها وما ذكره استرابون من تقليد سكان بلاد العرب الجنوبية وما جاء في
بعض الآثار القديمة كل ذلك مجمع على ان الكنعانيين قطنوا اولاً بجانب
الكوشيين ولد عمهم كوش على شاطئ خليج العجم من جهة بلاد العرب .
وذكر بلين انه كان هناك في ايامه عمل يسمى بلاد كنعان . وروى استرابون
ان هناك جزيرتين تسميان صور وارواد وهما من الجزائر المعروفة الان بجزائر

البحرين وقال « ان فيهما هياكل اشبه بهياكل الفينيقيين واذا صدقنا قول السكان هناك كان سكان صور وارواد في فينيقي من منازيحهم » ويظهر منه انهم سموا صوراً وارواد باسم محال مهاجرهم الاولي ذلك شان كثير من المهاجرين الى الان

واما ما كان الداعي الى مهاجرة وطنهم وانتجاع سورية فقال هيرودت ان زلازل توات عليهم في بلادهم اكرهتهم على الاغتراب وجاء في الكتاب السرياني الكلداني الذي الف في بابل في صدر النصرانية موسوماً بالخرائفة النبطية (ذكره لانرمان في تاريخه مجلد ٦ صفحة ١٠٦ طبعة ٩) ان الكنعانيين طردوا من اوطانهم لنزاع وقع لهم مع الملوك الكوشيين حكام بابل من ذرية نمرود . وتؤيده اقوال كثير من المؤرخين العرب الذين ذكروا مهاجرة الكنعانيين الى سورية وسموهم العمالقة من نسل حام تمييزاً لهم عن العمالقة من نسل سام وجعلوا سبب انتزاحهم حرباً تلظت بينهم وبين سلالة نمرود رواه العالم برسفال في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام (١) وقال لانرمان (في المحل المذكور) اما مهاجرة الكنعانيين اوطانهم لداعي خصومة ونزاع فامر قريب من الصواب ويرجح الظن صحته فان اكثر احتمالات الامم كان لها مثل هذا الداعي واما ان هذا النزاع كان مع ابناء عمهم الكوشيين فامر يحق الامتراء فيه وصوب ان تكون علة هذه المهاجرة غارة الملوك العيلاميين على بابل نحو سنة ٢٢٥٠ ق م وقرضهم دولة الكوشيين القديمة فهذا من الاحداث التاريخية المهمة التي يرجح ان كان من نتائجها اكرام العشائر الكنعانية الحامية على الرحيل من جانب الخليج العجمي الى سورية وسترى ان هذه المهاجرة كانت معاصرة لتاريخ الغارة السالفة الذكر

﴿ عد ١٠٢ ﴾

﴿ في زمان ارتحال الكنعانيين الى سورية ﴾

روى هيرودت في تاريخه ان هيكل ملكرت الشهير في جزيرة صور مضى عليه الى ايامه ٢٣٠٠ سنة بحسب اخبار الفينيقيين له . لكن هيرودت ولد سنة ٤٨٤ ق م ونشر تاريخه سنة ٤٥٦ ق م وعليه فيكون ذلك الهيكل بني نحو سنة ٢٧٥٠ ق م وقد بناه الكنعانيون وهذا غير صحيح بل هو محمول على تعظيم الفينيقيين قدم هيكلهم او على حساب هيرودت السنين بحسب الموالييد فلا يستقيم حسابها فقي ذلك زيادة قرون . واصح منه ما يظهر من البابير المحفوظ الان في متحف برلين وقد ترجم اكثره العالم شباس الافرنسي فهذا البابير ينطوي على تقرير رفعه عامل مصري ارسل في ايام الملك امون امهات الاول من ملوك الدولة الثانية عشرة في مصر الى بلاد ادوم وجرار وغيرها من الاعمال في جنوبي فلسطين ليتجسس اخبار هذه البلاد ويسبر حالة سكانها فقي هذا التقرير لا تجد أثراً لوجود عشائر الكنعانيين في فلسطين بل يظهر منه ان سكان هذه البلاد كلهم من الساقى الذين كان يراد بهم في ايام الدولة الثانية عشرة قوم ساميون يسكنون هذه البلاد مع الرافائيم اي الجبابرة وان اطلق هذا الاسم في عهد الدول المتأخرة على سكان سورية على اختلاف اصولهم . وقد وجدت اثار اخرى منذ ايام الدولة الثانية عشرة ايضاً تصرح انه لا مجاور للمصريين من جهة سورية في ذلك العهد الا العشائر التي من ذرية العمو فكان بنو مصرائيم يسمون ولد عمهم سام عمو وهي كلمة سامية معناها الشعب وفي السريانية **حدا** على ان الكتاب المقدس انبأنا بان انتجاع الكنعانيين سورية كان قبل ان يحتلها ابرهيم آتياً من اور الكلدانيين فانه قال (تك فصل ١٢ عد ٦) . واجتاز ابرام في الارض الى موضع شكيم والى بلوطة ممره والكنعانيون حيثئذ في

الى الجنون والعمودين

الارض ، وسترى ان مهاجرة ابراهيم الى سورية كانت في القرن العشرين او الحادي والعشرين قبل الميلاد ولم تبين آية الكتاب أمن زمان مديد ام وجيز كان الكنعانيون في الارض التي بلغها ابراهيم والذي حدس فيه لان زمان وغيره ان حلول الكنعانيين في سورية كان بين سنة ٢٢٥٠ وسنة ٢٣٠٠ قبل المسيح وقالوا ان هذا يطابق عصر ثورة العيلاميين على الملوك الكوشيين في بابل وانحائها اذ جعلوا مهاجرة الكنعانيين من مسببات تلك الحوادث

﴿ عدد ١٠٣ ﴾

﴿ في المحال التي توطنها الكنعانيون في سورية ﴾

قد سلف في عدد ٣٧ ذكر المحال التي احتلتها عشائر الكنعانيين الاحدى عشرة في سورية وتزيد على ذلك هنا ان الكنعانيين لم يكونوا اول السكان في سورية بل سبقهم اليها الاراميون وغيرهم من العشائر السامية وعند احتلال الكنعانيين هذه البلاد اذاحوا بعض السكان الاولين عن مواطنهم واستمر بعضهم في محالهم الاولى . وذهب بعض العلماء منهم الاب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان الذي نشرت جريدة البشير قسماً منه من امد قريب ان السكان الاقدمين في مملكتي جبيل وبيروت لم يكونوا من الكنعانيين بل من الاراميين ولد ارام بن سام بن نوح وان بناء مدينة جبيل كان قبل حلول الكنعانيين في سورية . وقد اقاموا على ذلك حججاً وادلة نكتفي بذكر بعضها فنها اولاً ان موسى جعل تخوم الكنعانيين صيدا شمالاً وجرار وغزة جنوباً (تلك فصل ١٠ عدد ١٩) وسنأتي على بيان ما يرد على هذا من قبيل اقامة عشائر كنعانية في الشمال ايضاً كالعرقين والاروايين وغيرهم . ثانياً ان اسم معبود الجليليين والبيروتيين يختلف عن اسم معبود الكنعانيين فهؤلاء كانوا يسمون معبودهم بعلاً واولئك يسمون معبودهم ايل فقد وجدت آثار للاراميين نقش عليها اسم ايل وآثار اخرى للكنعانيين

كـر صـحـح

نقش عليها اسم بعل . ثالثاً انه قد انبأت التواريخ والاثار بمخالفة او عهدة بين الكنعانيين وبين الجليليين والبيروتيين فيتبادر الى الفهم من ذلك انهم لم يكونوا من قبيلة واحدة اصلاً وليس لقدماء هذه الانحاء الا اصلان ارام وكنعان فان لم يكن البيروتيون والجليليون الاقدمون كنعانيين فلا يعدون ان يكونوا اراميين . رابعاً انه قد ثبت بالتواريخ وشهادة الاثار والاقاصيص التي لا تخلو غالباً من اصل تاريخي ان جيل عريقة في القدم جداً وان بيروت من مستعمراتها ولا يحتمل الصحة ان هذه السواحل البحرية لبثت خالية خاوية من السكان الى ان غشيها الكنعانيون بعد قرون من الطوفان وتفرق القبائل ولا نرى الكتاب ولا غيره ذكر مقاماً لاحدى عشائر الكنعانيين بين صيدا وعرقا ولما كان الاراميون اشهر سكان سورية وقد انتشروا في هذه الانحاء الى دمشق فيظهر من ذلك كله ان السكان الاقدمين في هذه السواحل وما جاورها من لبنان هم اراميون اصلاً يحملنا على هذا القول بيان ما نراه من الصواب لا غرض في النفس للفرار من وصمة لعنة كنعان ومن يعلم الان احامي هو ام سامي ام يافتي بعد كرور الدهور وتوالي الغزوات في سورية وتركها فيها بقايا من الفارين واما جعل الكتاب صيدا تحماً لبلاد الكنعانيين من ناحية الشمال مع ان العريقين والسينيين والارواديين والصماديين والحمايين كنعانيون ايضاً وكانت مساكن جميعهم بعيدة عن صيدا نحو الشمال ففيه اقوال وتفاسير متباينة نرى اظهرها واقربها الى الصواب ان موسى قسم الكنعانيين الى جنوبيين وشماليين وجعل صيدا تحماً شمالياً للجنوبيين منهم خاصة لان ارضهم انما هي الارض التي ملكها بنو اسرائيل عند افتتاحهم فلسطين ولم يتجاوزوا تخومها قبل ان تملك داود عليهم ومهما يكن من تفسير الاية فيظهر منها ان سكان البلاد من تخوم صيدا جنوباً الى تخوم عرقا شمالاً لم يكونوا كنعانيين لاسيما ان الممالك في تلك الايام لم

سورية
شمالاً

تكن الا عبارة عن اعمال او كور واصقاع ولم يكن للكنعانيين مملكة واحدة بل لكل عشيرة او صقع مملكة تستقل بتدبير شؤونها وليس ما يمنع من تخلل عشيرة ارامية بين بلاد الكنعانيين الجنوبيين والشماليين . واما قول لانرمان (في المجلد الـ ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ١٢٠) ان مسكن السنين كان في لبنان فهو منقوض بقول نفسه (في المجلد ١ صفحة ٢٧٤) انهم كانوا يسكنون في شمالي عرقا وهذا يستلزم من نظام ذكر الكتاب العريقين ثم السنين ثم الارواديين ثم الصماريين ومساكن كل عشيرة من هذه في شمالي مساكن الاخرى طالع ما ذكرناه في عد ٣٧ . ولا يُعلم الى الان متى اختلط هؤلاء الاراميون بالكنعانيين ولا كيف كان ذلك ويظن انه جرى عند استفحال امر الفينيقيين وانبساط سطوتهم واتساع نطاق تجارتهم

﴿ عد ١٠٤ ﴾

﴿ في حال الممالك الكنعانية ﴾

قد مرَّ ان كل عشيرة من الكنعانيين كانت تستقل بتدبير شؤونها فيلبي امرها امير يسمونه ملكاً بل كان احياناً لكل عمل او مدينة ايضاً ملك ولا علاقة بسيادة او خضوع بين هؤلاء الملوك ولم تكن تتحد كلمتهم الا اذا فاجأتهم غارة او حلت بهم نكبة عامة ولم يكونوا مع هذا ليتألبوا دائماً عند حلول النوائب بل كثيراً ما تركوا العدو ينكل ويفتك بهم تباعاً ولم يكن عندهم عصبية ولا تناصر بل توفرت بينهم العداوات والحروب الاهلية حتى بعد ان انضم بعض العشائر الى بعضها بعهدة كما صنع الفينيقيون فلم يكن للعشيرة الواحدة على الاخرى سيادة تامة او مطلقة بل كانوا احلاقاً يتناصرون ولملك العاصمة المقام الاول والكلمة الاولى بينهم ويستثنى من هذه العشائر الحثيون فانه كان لهم دولة كبرى واهمية سياسية وعصبية شديدة وجندية منظمة لم تكن لسواهم من

عشائر الكنعانيين كما رأيت وامتاز الفينيقيون بذكاء العقل والكب على التجارة والكد في الصناعة وتحمل مشاق الاغتراب وركوب مخاطر الاسفار البحرية وايثار السلم وارباح التجارة على معاندة الغزاة في مواطنهم فكانوا يستسلمون غالباً لكل غازٍ قدير . وامتاز الحويون بانه لم يكن في مدنهم ملوك يلون امرها بل كان فيها نوع من الجمهورية البلدية تسوس الاهلين بمقتضى سنن اشبه بسنة بني اسرائيل في ايام القضاة

وهم بعض المؤرخين انه كان في فلسطين ايضاً عشيرة تعرف بالفريزيين وانها الثانية عشرة من عشائر الكنعانيين وهذا خطأ ظاهر لان موسى لم يذكر لولد كنعان في سفر التكوين الا احدى عشرة عشيرة واما اسم الفريزيين الوارد في آيات اخرى من الكتاب فيراد به سكان القرى تمييزاً لهم عن سكان المدن لا فرع آخر من بني كنعان وعليه فالفريزيون بمعنى القرويين كذا قال لانرمان في المجلد السادس من تاريخه الشرقي صفحة ١٢٠ وعن كاحت في معجم الكتاب (في كلمة الفريزيين) ان الفريزيين شعب قديم كان يقطن بفلسطين مختلطاً مع الكنعانيين ويظهر من ادلة كافية انهم من نسل كنعان لكنهم لم يكن لهم مستقر بل كانوا رحالاً يقيمون تارة في هذا الصقع واخرى في غيره وتأويل اسمهم المشتون والمفروزون او سكان المزارع والقرى وكانت محالهم في عبري الاردن ينتخبون الحزون والسهول وقد جاء ذكرهم دفعات في الكتاب مع الكنعانيين منها في التكوين (فصل ١٣ عد ٧) حيث قيل « وكانت خصومة بين رعاة ماشية ابرام ورعاة ماشية لوط والكنعانيون والفريزيون حينئذ مقيمون في الارض » ومنها في سفر يشوع بن نون (فصل ١٧ عد ١٥) حيث جاء ان بني يوسف شكوا الى يشوع ان ارضهم ضاقت عليهم « فقال لهم يشوع اذا كنتم شعباً كثيراً فاصعدوا الى الغاب ومهدوا لانفسكم هناك في ارض الفريزيين والجبارة

(رافائيم) ، ويظهر انهم استمروا في فلسطين بعد ان عاد بنو اسرائيل من سبي بابل فقد جاء في سفر عزرا (فصل ٩ عد ١) ان الروساء اتوا يشكون الى عزرا
 « ان شعب اسرائيل والكهنة واللاويين لم ينفروا عن شعوب الارض
 ورجساتهم من الكنعانيين والحثيين والقرزيين واليوسيين والعمونيين »

وبعد ان طرد المصريون الملوك الرعاة من ارضهم كما مر في اخر المقالة في
 الحثيين اخذ ملوك الدولة الثامنة عشرة في مصر يشنون الغارة على سورية
 والكنعانيين فينكسون بهم ويشخنون في ارضهم ويفترضون عليهم الجزية لكنهم كانوا
 يتركونهم وما يدينون ولا يعترضونهم في شرائعهم ولا في ولاية شؤونهم ولا
 يزعونهم عن المحاربات الاهلية ولا عن محاربة ملك منهم لآخر ولا يصدونهم
 عن عقد عهديات بينهم بل كانت الدولة المصرية تكتفي بان يعطيها هولاء الجزية
 ويفتحوا ابواب بلادهم لجنودها وينجدوها في حروبها مع اعدائها اذا دعتم الى
 ذلك فلم يصنع المصريون ما صنعه بعد ذلك الرومانيون من انهم اذا اخضعوا بلاداً
 جعلوها اقليماً رومانياً واقاموا عليها والياً رومانياً ولذلك لم تكن عرى العلاقة
 بين المصريين والكنعانيين وثيقة بل كان ان كلما مات ملك في مصر او كسرت
 جنوده او شاع خبر انكسارها او سمع خبر اضطراب في مصر تورد الكنعانيون
 وابوا دفع الجزية او ثاروا فعاد ذلك الملك او خلفه الى الاقتصاص منهم وكتبهم
 للعود الى الطاعة ويستثنى من هذا صيدا فانها قلما دخلت في ثورة بل كانت
 تؤثر الراحة والسكينة على العصاوة والحسارة . انتهى ملخصاً عما رواه مسيرو
 في تاريخه القديم لشعوب المشرق في كلامه على الدولة الثامنة عشرة في مصر

﴿ عد ١٠٥ ﴾

تشت الكنعانيين وجالياتهم

ان ما اوهن الكنعانيين ولاسيما الجنوبيين وتشت شمل السواد الاعظم

منهم انما هو افتتاح يشوع بن نون بلادهم وقهره ملوكهم وتمليكهم ارضهم لبني اسرائيل كما سترى في تاريخ العبرانيين فقد ضرب واحد وثلاثين ملكاً (يشوع فصل ١٢) ودمر مدنهم ومع هذا بقيت منهم بقايا في السواحل البحرية خاصة ولم يتخطأ يشوع حدود صيدا في لحاقه ملوك الكنعانيين ولذلك تراحت اقدام الغارة من الكنعانيين في صيدا وضافت بهم الارض فارتحلوا الى آفاق عديدة فكان منهم جالتان خاصة احدهما ارتحلت الى تاب في بلاد اليونان وهي المعروفة بجالة قدموس لانه كان في مقدمة هولاء المرتحلين وهو علي رأي جمهور العلماء واضع الحروف اليونانية وحكم في تلك الاصقاع لكنه لم يستمر آمناً في ولايته وخلفه احد السبرتين وكان ذا قرابة لاسرة قدموس ثم استرد الكنعانيون الولاية لعشيرتهم فولي امرهم بوليدورس وقال بعضهم انه ابن قدموس واستمرت ولاية تاب تتنازعها سلالتان احدهما كنعانية والاخرى سبرتية او وطنية نحواً من ثلاثة قرون هذا ملخص ما رواه لانرمان في مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ٤٩٧ وهو قول جمهورهم وقد مرَّ بك في المقالة في الحثين عد ٨٧ قول دي كارا ان قدموس كان حثياً وانه ارتحل بقومه الى بلاد اليونان قبل افتتاح يشوع بن نون بلاد فلسطين بقرون

واما جالة الكنعانيين الثانية فتوطنت في افريقية في المغرب حيث تونس الان وقرطاجنة القديمة وكان لهم هناك من قبل مستعمرة تجارية وتبعهم غيرهم من الفينيقيين كما سترى واختلطوا مع عشائر الليبيين اليافتيين فكان منهم تلك الامة التي طارت شهرتها في حروبها واتقان اهلها الحراثة وقد تسمت بالامة الليبية الفينيقية وكسبت قرطاجنة تلك الشهرة العظمى خاصة في حروبها مع الرومانيين وكانت تتكلم اللغة الفينيقية او فرعاً منها يسمى البوني اي الفينيقي الى ايام القديس اغوستينوس اسقف هيبيونا التي وضع الكنعانيون اسمها ثم ان

في ملوك

على السورين

احتلال الفلسطينيين جنوبي البلاد المنسوبة اليهم ازاح من كان بقي ثمه من الكنعانيين عن مواطنهم وانضم من بقي منهم في سواحل فلسطين وفي شمالها حتى ارواد وفي بعض لبنان الى عهدة واحدة مؤلفة من عدة عشائر كنعانية وسميت ارجاؤهم فينيقي وسموا هم فينيين وعليهم مدار كلامنا في بعض الفصول التابعة وقد بقي بقايا من الكنعانيين في فلسطين الى ايام المخلص فقد ذكر متي (فصل ١٥ عد ٢٢) خبر المرأة الكنعانية التي وافت المخلص في تخوم صور وصيدا تبتهل اليه ليبرىء ابنتها ولما قال لها المخلص لا يجب ان يؤخذ خبز البنين ويعطاه الكلاب اجابته بذكائها والكلاب ايضاً تلتقط خبز البنين المتساقط عن الموائد

الفصل الثاني

(في اسم فونيقى وتخومها واشهر مدنها)

﴿ عد ١٠٦ ﴾

— في اسم فينيقي —

تسمى هذه البلاد فونيقى وفينيقي وتوفرت الاقوال وتضاربت في اصل هذا الاسم وتأويله وقد اكثر الاب مرتين اليسوعي في كتابه تاريخ لبنان (الذي نشرت جريدة البشير قسماً منه) من ذكر هذه الاقوال ومن المعلوم ان اسم فينيقي وضعه لها اليونان حتى لا تجد هذا الاسم في الاسفار المقدسة التي كتبت بالعبرانية بل تسمى هذه البلاد كنعان وبلاد الكنعانيين ولكن تجده في سفري المكابيين واسفار العهد الجديد التي كتبت في اليونانية وترى متى يسمي المرأة الانفة الذكر كنعانية لان انجيله كتب بالعبرانية السريانية (لغة اليهود من عهد

المخلص) ولكن ترى مرقس (فصل ٢٦٤٧) يقول انها من فينيقي سورية) لان انجيله كتب باليونانية . واسمها في الاثار المصرية كفتا وزاهي وفي الاثار الاثورية احارى اي بلاد المغرب . ومن الاقوال العديدة في سبب تسمية اليونان هذه البلاد فونيقي لانرى الاقوالين يقربان من الصواب اولهما مسبرو اوجب به ان اسم فونيقي وفونيقين أخذ عن كلمة فون او بون التي عبرت بها اقدم الاثار المصرية عن بلاد العرب الشرقي وشاطي خليج العجم من حيث اتى الكنعانيون كما مر والحق العرب بالاسم حرفي النسب كما هما في اللغات الاعجمية فصار فونيقي او بونيقي ويسمون ايضاً بوني وبونين كما سمي اهل مستعمراتهم في افريقية وعليه فاسم فوني او بوني صحب الكنعانيين من شاطي خليج العجم الى سورية وفينيقو سورية اوصلوه الى افريقيا وبونيو افريقيا اوصلوه الى مستعمراتهم الشاسعة (مسبرو في التاريخ القديم لشعوب المشرق صفحة ١٨٢ طبعة ٤) وتابع لانرمان (في مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ٤٧٣) مسبرو في قوله هذا وقال برو (في كتابه تاريخ الصناعة في القدم صفحة ١٢) ان اشهر العلماء الان يصححون هذا القول . واما القول الثاني فهو لكثير من العلماء القدماء والحداث ومقتضاه ان اسم فونيقي يوناني تاويله النخل سميت به هذه البلاد لكثرة هذا الشجر قديماً فيها ويؤيده وجود صورة هذا النخل على بعض المسكوكات القديمة في فونيقي وبعض مستعمراتها ايضاً رمزاً الى بلادهم . فهذان القولان ادنى الى الصواب من سائر الاقوال مثل قول بوشار Bochart ان فونيقي سميت كذلك نسبة الى بني عناق وقول بعضهم ان الكلمة في اليونانية معناها الاحمر وان الفونيقين سموا بذلك لانهم هاجروا من جانب البحر الاحمر او نسبة الى البرفير الاحمر الذي كان من مصنوعاتهم و سلع تجارتهم

﴿ عد ١٠٧ ﴾

﴿ في تخوم فونيقى ﴾

لم تكن تخوم فونيقى في كل عصر واحدة فقد كانت قبل افتتاح يشوع بن نون فلسطين تمتد من تخوم انطاكية الى غزة كما يتلخص من كلام هيرودت (كتاب ٤ فصل ٣٩) وكانوا يقسمونها الى فونيقى البحرية ونشتمل على مدن سورية الساحلية وفونيقى لبنان ويشمل اسمها بعلبك ودمشق وغيرها حتى تدمر على انه بعد طرد يشوع الكنعانيين من جبال فلسطين وانحصار السواد الاعظم منهم في السواحل البحرية اصبح اسم فونيقى لا يشمل الا الاصقاع الساحلية من عكا او جبل الكرمل جنوباً والى ارواد شمالاً مع ما يجاور هذه السواحل من جبل لبنان

﴿ عد ١٠٨ ﴾

﴿ في مدن فونيقى ﴾

قد مر في عد ٥ ذكر اسماء بعض مدن فونيقى بين اسماء مدن سورية فنذكر هنا مدن فونيقى خاصة باكثر تفصيل مبتدئين بها من الشمال الى الجنوب واولاً ارواد وكانت عاصمة الارواديين من بني كنعان وكان موقعها في الجزيرة المعروفة حتى الان بارواد نحو الشمال من اطرابلس وروى مسبرو في التاريخ القديم لشعوب المشرق (صفحة ١٨٢) ان اهلها كانوا ابداً يكفون بالقلق والثوران على مجاورتهم وحكامهم الاجانب من المصريين والاشوريين والفرس وقد بسطوا ولايتهم على سكان السواحل وداخلية البلاد فتولوا جبلة شمالاً وخضعت لهم حمه مدة ما هذا عدا املاكهم في الياسة تجاه جزيرتهم منها طرسوس المسماة قديماً انتيرواد اى قبالة ارواد وعمرت الاى ذكرها وتلي ارواد جنوباً ماراتوس المعروفة اليوم بعمرت وقد بقي فيها حتى الان

اخربة واطلال ناطقة بعظمتها في الاعصار الخالية وقال فيها لانرمان (مجلد ٦
صفحة ٤٧٦) انها اهم ما بقي من اثار ابنة الفينيقيين وجعل بعضهم موقع
ماراتوس في شمالي ارواد حيث مصب نهر مرقية الان وذكر لانرمان (في المحل
السالف ذكره) بعد عمرت سيميرا وقال انها في الجنوب من عمرت قريبة من
مصب النهر الكبير وانها عاصمة الصماريين وانها لم تدخل في عهدة الفونيقيين
ويتبين لي ان الاظهر ما قلناه في عد ٣٧ اعتماداً على ان استرابون ذكر سيميرا
بين المدن الواقعة بين النهر الكبير جنوباً واللاذقية شمالاً وذكر ارتوسيا
(طرسوس) قبلها من جهة الجنوب ثم استثناساً بما في معجم الكتاب لكلمت
من ان موقع سيميرا بين النهر الكبير جنوباً ونهر مرقية (في شمالي ارواد)
شمالاً ويؤيد ذلك ان هناك اي في الشمال من ارواد لجهة المرقب وبلدة زميرين
او صميرين ووادي صفرة او سمرة والكلمتان تقربان من سميرا او صميرا
وربما اشعر بشيء من ذلك قول لانرمان نفسه بان سميرا لم تدخل في عهدة
الفونيقيين اذ يكون وجهه كونها خارجة عن تخومهم التي لم تمتد شمالاً الا الى
ارواد

ويلي النهر الكبير الى الجنوب عرقا المعروفة حتى اليوم بهذا الاسم وكانت
عاصمة العرقين وجعل لانرمان موقع اوتسيا هناك على شاطئ البحر وقال ان
الاثار الاشورية تسميها شمرون وانها كانت من مدن فونيقية الكبيرة ويحتمل
ان صارت عاصمة العرقين من اقدم الايام لبعد عرقا عن البحر لكن المعلوم ان
ارتوسيا يراد بها طرسوس او بلدة اخرى قديمة تقرب منها ويلي عرقا من جهة
الجنوب اطرابلس ولا يعرف ما كان اسمها قبل ان يسميها اليونان تريبوليس
اي المدن الثلث بل المعروف ان الاروايين والصيداويين والسوريين بنوا
هناك ثلاثة احياء لكل فريق حياً منفصلاً عما سواه فسميت باليونانية تريبوليس

اي المدن الثلث فجعلها العرب طرابلس وزادوا الهعزة في اولها تمييزاً لها عن طرابلس المغرب ويميزها بعضهم عن تلك بطرابلس الشام ويلي اطرابلس نحو الجنوب ايضاً قلموس ويرجح انها كانت في محل القلمون الان ثم جيفارتوس ويحتمل ان كان موقعها في القرية المعروفة اليوم بانة وذكر بوليب وبلين واسترابون مدينة اخرى صغيرة بين جبيل واطرابلس وسموها تيراريس ولا يعلم موقعها حتى الان ويلي هذه المدن المحل الذي سماه اليونان ثاوبروسون اي وجه الله ويظهر انهم ترجموا الاسم الفونيتي وهو « فاني بعال » اي وجه بعل كانه كان هناك هيكل او معبد ويسمى هذا المحل اليوم وجه الحجر . وفي جانب وجه الحجر من جهة الغرب الجنوبي البترون وليست عريقة في القدم اذ روى يوسفوس عن بعض القدماء ان ايتو بعل ملك صور بناها

ويلى البترون من جهة الجنوب جبيل وهي اقدم المدن حتى كان من تقليداتهم ان الاله ايل بناها وفي اسمها اقوال فمن قائل انه مركب من جب بمعنى قبر او مدفن ومن ايل بمعنى الاله اي مدفن الاله يريدون به ادونيس او تموز لاشتهار اهلها بعبادته ومن قائل انه مركب كذلك ولكن جب بمعنى حصن وتأويله حصن الاله ومن قائل انه بمعنى الجبل لان موقعها كان على الاكام القريبة منها او لان سكانها الاولين اتوها من الجبل وسموها اليونان بيلوس وروى مسبرو عن رنان انه كان على الائمة التي تعلموا خربتها الان هيكل كبير بديع الصناعة كانت تزدحم به اقدام الحجاج من كل صوب اذ كانت المدينة المقدسة عندهم حتى سماها رنان اورشليم لبنان . وكان في جنوبي جبيل مدينة اخرى او ضاحية سماها اليونان بالي بيلوس اي جبيل القديمة وفي موقعها اقوال بين ان كانت على مقربة من جبيل في جنوبها او حذاء نهر ابرهيم وهو نهر

ادونيس عندهم او في طبرجة او في صربا بجانب جونية
 وفي جنوبي جونية نهر الكباب وهو المعروف بليكوس عند القدماء وهناك
 الممر الشهير حيث ترك لنا اكثر غزاة فونيقية حتى بعض الملوك الرومانيين
 تمايلهم ذكرى لهم وفي جنوبيه بيروت قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٤٧٦)
 « قد اسسها الجليليون وكانت مدينة ملكية في كل عصر وكانت لها اهمية كبرى
 في مراكبها البحرية وتجارتها المتسعة النطاق وتأويل اسمها ابار وارضها تتاخم
 بلاد عشيرة صيدون بكر كنعان كما سماه الكتاب ، وعن مسبرو (في تاريخه
 القديم لشعوب المشرق صفحة ١٨٤) ان بيروت كانت تتفاخر كجيل بان الاله
 ايل بناها وكان للمدينتين اهمية كبرى في السياسة بعد بلوغ الكنعانيين الى
 سورية فلم تتمكن من المحافظة عليها ولكن لم ينحط لذلك شأنهما واستمرت الى
 منتهى ايام الوثنية اشد استمساكا بعري احد المذاهب الدينية السورية . قلنا
 لكن اهليهما آمنوا بالانجيل عند بزوغ انواره واقام القديس بطرس الرسول
 نفسه اسقفين فيهما كما حققه كثير من اصحاب التواريخ السبعية

ويلي بيروت جنوباً خلدوا ويظهر ان قد كان موقعها في محل خلد الان
 على بعد نحو من ساعتين عن بيروت ثم يورفيريون ويظن ان قد كان موقعها في
 محل الحية اليوم والاسمان لليونان ولا يعلم ما كان الفونيقيون يسمون هاتين
 البلدين به

ويلي ما مرّ جنوباً صيدا صيدون القديمة اقدم مدن الفونيقيين وكانت
 تسمى ام المدائن ما عدا جيل المقدسة ولذلك سماها الكتاب صيدون الكبيرة
 (يشوع فصل ١١ عد ٨) وكانت منقسمة الى محلتين صيدون الكبرى على
 شاطئ البحر وصيدون الصغرى على مسافة منه نحو الجبل . وانكر بعضهم ان
 يكون اصل لذلك الا قول الكتاب الانف الذكر « صيدون الكبيرة » فتوهم

بعضهم انه سماها الكبيرة تمييزاً لها عن صيدون اخرى صغيرة فقالوا ما قالوا
ولم يحقق احد الجغرافيين وجود صيدونين (عن كلمت في معجم الكتاب في
كلمة صيدا) وسترى كلاماً مطولاً في صيدا وسوددها . ويلي صيدا جنوباً
سربتا المعروفة الان بصرفند ويظهر انها كانت في الاعصر القديمة ذات غنى
واهمية كبرى لكنها منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد خضعت لصور وكان بين
صرفند وصور عدة مدن صغيرة منها نازانا التي سميت بعد ذلك قيصرية وافاتا
حيث الان اخربة عدلون بل كان هذا الشاطئ معممًا بمحطات التجارة
ومستودعاتها . ويلي ذلك جنوباً صور ومعنى اسمها في الفونيقية صخر او حجر
وجعلها الجغرافيون القدماء مدينتين احدهما موقعها في جزيرة صغيرة غير بعيدة
عن الشاطئ وكانت محصنة كارواد والاخرى في اليابسة وجعل لانرمان (مجلد ٦
صفحة ٤٧٧) موقعها في محل راس العين الان وانها كانت تسمى بالي تير اي
صور القديمة وانها لم تكن في اول امرها الا اكواخ من قصب يتخذها الصيادون
وسنجىء بكلام مسهب في صور وملوكها وعظمتها وتجارها وحروبها . ويلي
صور جنوباً سرعة وكانت من نواحي صور ولا يعلم من امر موقعها الا انه كان
قريباً من صور ثم اوس وسماها اليونان اسكندرونة وهو اسمها الان ايضاً
وذكرت في الاثار المصرية باسم اوس ثم كيكتا وهي المسماة في ايام السلوقيين
اللاذقية والان تسمى ام العواميد ثم اكديا وهي المعروفة اليوم بالزيب ويلي هذه
جنوباً عكا وهي التخم الجنوبي لبلاد الفونيقين وسماها اليونان بتولميس ثم
عادت الى اسمها القديم وهو اكو او عكو فهذه اخص مدن الفونيقين وسترى
ذكر كل منها مردداً بذكر ما كان من الاحداث فيها

الفصل الثالث

(في الصيدونيين واختراعهم الملاحة ومستعمراتهم وحالتهم السياسية)

﴿ عدد ١٠٩ ﴾

﴿ في اختراع الصيدونيين الملاحة وانكبابهم عليها ﴾

كان السؤدد في القونيين بل في اكثر العشائر الكنعانية في بادىء امرها للصيدونيين فهم الذين رفقوا الامة اولاً في مدارج الحضارة واخترعوا فيها الملاحة وذلوا تيار البحور ساعين فوق الامواج بسلع مصنوعاتهم وافتحوا الجزر والبلاد الشاسعة واقاموا فيها المستعمرات العديدة فيما كان ابناء عمهم الحثيون يشنون الغارة على مصر فيستجوزون على ارضها الخصبه ويجلسون قادتهم على منصات القراعة كان الصيدونيون يغالبون البحر لينتصروا عليه ويمتطوه وذلوا امواجه كلفاً بالتجارة واعتياضاً بها بالصناعة عن حراثة الارضين التي لم يكن لهم منها ما يكفيهم ويكفي سائر العشائر المرتحلة معهم والمحتلة البلاد قبلهم . فلم يكن لهم في كل غربهم يبس بل ماء وكان السواد الاعظم من ساكني شطوط البحر المتوسط على حالة الحمجية المعروفة بالعصر الحجري فلم يكن لهم خبر بعمل زورق تقله الامواج والبلاد المتقدمة بالحضارة كمصر نفسها لم يكن من اهلها من يجسر ان يركب خشباً يظفوه فوق الماء ولو مرمى حجر فكان الصيدونيون اول من اجاد على المعمور بهذا الاختراع الخطير الذي تشذ منافعه عن كل عد فركبوا البحر معاندين الرياح والعواصف يتطلبون في شاسع الارض المعادن والاشباب والحجارة الثمينة ويستجلبون المواد الاولى اللازمة للصناعة وينقلون الى الآفاق مصنوعاتهم وينشرون معارفهم وقد احتكروا هذه الصناعة

فلم يكن لهم فيها مبارٍ قرونًا

وهناك ما كتب فيهم العالم بوجولا الافرنسي (في كتابه المعروف بمراسلات المشرق رسالة ١٣٧) « ان ما يدهش في اعصر صيدا القديمة انما هو ذكاء اهليها القدير على الاختراع وعلومهم بالصناعة وقد اطرا هوميروس الصيدونيين بانهم اهل لكل شئ فاقدم التواريخ تقلد ابنا صيدون فخرًا ومجدًا فكانت ارضهم اول مهد للعلوم البشرية واول مهد للصناعة فهيات بذلك اسباب الحضارة في المعمور فقد يمكن ان يكون القونيقيون اخذوا عن المنود والفرس والبابليين بعض المعارف الاولى وبعض التقليدات النافعة لكن ما لم يخترعوه قد كملوه فقد اخذوا شرارة فصيروا منها شمسًا والحق يقال ان هذا الشعب جاد علينا باكثر المنافع . فمصر القديمة جعلت حكمتها وعلومها اسرارًا فكانت تحجب مصباحها لئلا ينبعث نوره لارض سواها واما فونيتي فلم تكن لتألوا جهداً في تسطيع انوار معارفها في كل صوب فتترأى لي مصر في اعصرها الخالية بهيئة كاهن لا ينطق بشئ بل يخبي نوره المقدس في اعرق خفايا هيكله واما فونيتي فاراها بهيئة اولئك الالهة القدماء الذين كانوا يقبلون على رؤسهم منارة في وسط البحور واطرف ما يحق لفونيتي الفخار به اختراع اعني اختراع الملاحة واختراع الكتابة » انتهى

قال لانرمان (في مجلد ٦ صفحة ١٨١) ما ملخصه ان تنقيب العلماء في مصنوعات الاولين اكسبنا العلم ثلاثة امور لا مزية فيها اولها ان المصنوعات المعدنية في اسيا هي قديمة قدمًا مستغربة . ثانيها ان المصنوعات النحاسية اقدم كثيرًا من المصنوعات الحديدية . ثالثها انه منذ اهتدى الناس ان يذيبوا النحاس ويصنعوا منه ادوات شعروا بالاحتياج الى ما يجعله اكثر صلابة ومتانة بان يدوفوا به شيئًا اخر وعلوموا ان مزج القصدير بالنحاس يصلح هذا الخلل اذ يتركب منهما

البروتز وهو الصفر (اي النحاس الاصفر) التي وجدت تلك الادوات مصنوعة منه فالمصريون والبابليون كانوا يحدون النحاس في ارضهم او ما جاورها واما القصدير اللازم لتركيب الصفر فلم يكن الا في بلاد شاسعة اذ لم يكن منه الا في جبل قاف وفي الهند واسبانيا وقد وجدوا في منف ادوات وآية من الصفر مدفونة هناك منذ عهد بناء الاهرام فتتجوا ان لا بد من تجارة في تلك الاعصر المتناهية في القدم كانت تجلب القصدير من تلك الامصار القاصية الى فراغة مصر لخلو ارضهم وجوارها منه . وقد جنح بعض العلماء الى القول بان القصدير الذي كانت تستعمله الامم المتقدمة في الشرق اي المصريون والسكلدان والاشوريون والفونيقيون كانوا يستجلبونه من جنوب سيباريا ومن بلاد الصين الغربية ومن شبه جزيرة ملاكا حيث توفرت معادن القصدير ولا يخفى ما كان من المخاطر على القوافل في اسفارها بين قبائل رحل دأبهم السطو على ابناء السبيل وقد كانت الحروب والعداوات تقطع احيانا الطرق قطعاً على السالكين فحمت الضرورة الفونيقين الذين لا معاش لهم الا بالتجارة والصناعة ان يستنبطوا وسائل لاستجلاب القصدير وحاصلات المشرق لانفسهم ولغيرهم كالمصريين وان يستطرقوا طرقاً آمنة لا معتدٍ ولا منازع لهم فيها فاهتدوا الى الملاحة واخذوا اولاً يسيرون سفائنهم الى جزر البحر المتوسط احداها بعد الاخرى الى ان بلغت اسفارهم الى البحر الاسود واقاموا لهم في تلك الجزر وفي اليابسة محطات لم تلبث ان اصبحت مستعمرات لهم كما ترى في العدد التالي

﴿ عد ١١٠ ﴾

— مستعمرات الفونيقين في مدة سودد صيدا —

كانت قبرس اول محاط الفونيقين في البحر لقربها من شطوطهم وعن مسيرو (في تاريخه القديم لشعوب المشرق صفحة ٢٣٧) عن اسطفان البيزنطي

ان الجليلين سبقوا الصيدونيين اليها لكن جبيل كانت مدينة هياكل ومعابد يهيمها الدين اكثر من التجارة فلم يكن لها املاك مهمة في الجزيرة بل اقامت هيكلًا فسيحًا في بافوس (الباف) في غربي الجزيرة وكان عمال بعض اصقاعها المسمون ملوكًا يخضعون اولاً لجيل الى ان ذل جميعهم لسلطة صيدا وكثر منازيح الصيدونيين بين اظهرهم حتى اصبحت الجزيرة بلدًا فونيقياً وكانت غنية في المعادن خاصة الحديد والنحاس وكانت اكمت تامازوس مفعمة بالنحاس حتى اعتاد الرومانيون ان يصفوا هذا المعدن بالقبرسي Cyprium وشاع هذا الوصف في سائر لغات اوربا انتهى ملخصاً . وعن فردينند هوفر Ferd. Hocfer في تاريخ فونيقى ان هذه الجزيرة افتتحها اولاً الحثيون Chittiens والحمايون من عشائر الكنعانيين وبنوا اخص مدنها وهي شيتيوم وحاتونة (او حماسيا) ثم استحوذ عليها الصيدونيون على عهد ملكهم بالوس وتجد صورتها على بعض الاثار القديمة ناطقة بانها من مستعمرات صيدا القديمة « وهذا يطابق ما ذكرناه في مقالة الحثيين من قول دي كارا ان قبرس كانت مستعمرة حثية لا يونانية (طالع عد ٨٥) وارى القول بان الحثيين بنوا شيتيوم التي سميت الجزيرة كلها باسمها اظهر من قول لانرمان وغيره بان الصيدونيين بنوها وغيرها في القرن السابع عشر الى الرابع عشر قبل الميلاد لان اول مدن الجزيرة التي سميت باسمها يلزم ان يكون قبل هذا التاريخ ولان اسم شيتيوم لا يحتاج الا بدل الشين بالحاء ليكون حيتيوم وحثيم اشعاراً بانها من ابنة الحثيين وحاتونة او حماسيا كما سماها بعضهم مشعرة باسم حماه مدينة الحثيين

وانتقل الفونيقيون من قبرس الى رودس دون ان تكون لهم حاجة الى كولبوس فسيرهم نحو الشمال على جانب الشاطىء اداهم الى مدخل الارخبيل وهو رودس وعن مسبرو (صفحة ٢٨٤ من تاريخه المذكور) عن سالون الاتيني

العلاقة لاحداها بالآخري وان بعض العشائر كان ينضم الى بعضها الآخر فيقر ملوكها بالسيادة والتقدم لملك عاصمتهم وكانت هذه السيادة اولاً لملك صيدا ولما كان الملوك الرعاة ياون مصر كان ملوك سورية ناعمي البال لا يخشون غارة ولا يتقون سطواً من قبل مصر بل كانت لهم ملجأ وملاذاً في كل نازلة ونائبة اذ كان الرعاة سوريين ولكن منذ طرد الرعاة من مصر واستتب ملك الدولة الثامنة عشرة فيها طمحت ابصار ملوكها الى الاستيلاء على سورية ولا اقل من تذليل ملوكها خيفة ان يتألبوا مع الملوك الرعاة ويعاودوا الغارة على مصر وعليه فقد غزا امون هو تاب الاول (ويسميه اليونان امانوفيس) سورية الجنوبية ثم اكمل توتمس الاول خلفه اخضاع العشائر الكنعانية في فلسطين وتوغل في البلاد حتى وصل الى انحاء دمشق وكانت له وقائع عديدة مع الروتانو السالف ذكرهم فانصر عليهم واراد تذليلهم كي لا يعاودوا العداوة له فوطى بجحافله بلادهم كلها حتى انتهى الى الفرات واقام على ضفته على مقربة من كركميش نصباً لذكرى انتصاره. ويظهر ان الصيدونيين ومن جاورهم من العشائر خضعوا منذ حينئذ لفراعة مصر واخلصوا في الطاعة لهم حتى لم يشتركوا او لم يجاهروا بالعداوة لتوتمس الثالث عند غزوته للروتانو والسوريين ولم يدخلوا حرب مجدو (اللجون) (طالع عد ٦٢) واستسلموا لرعمسيس الاول اول ملوك الدولة التاسعة عشرة عند غارته على الحثيين ولم يعترضوا طريقه عند مروره بهم (طالع عد ٦٣) وكذا فعلوا مع ابنه ساتي الاول عند حروبه في سورية مع الحثيين وادوه الجزية ونجدوه بذخائرهم (طالع عد ٦٤) وكانوا يمالئون ابنه رعمسيس الثاني عند معاداته الحثيين ايضاً (طالع عد ٦٥) وعليه فالصيدونيون ومن جاورهم سالموا فراعة الدول الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين مؤثرين راحتهم ونجاح تجارتهم على العصاوة والخسارة وهذا بين من الآثار

المصرية التي جئنا بترجمة بعضها في الاعداد التي ذكرناها هنا فانك لا تجد فيها ذكرًا للصيدين ومدنهم في عداد من ثاروا او جاهروا بالعداوة للملوك المذكورين مع ان سائر العشائر الكنعانية حتى من انضموا بعد ذلك الى العهدة الفونيقية كالاروايين والصمريين حازبوا اعداء مصر . وتجد الآثار الهيروكليفية تكثر من الكلام في صناعة الفونيقين وثروتهم

ان في المتحف البريطاني بابيراً يشتمل على حكاية سفر عامل مصري في سورية للسنين الاخيرة من ملك رمسيس الثاني بعد عقده عهدة الصالح مع الحثيين فهذا البابير يثبتنا حالة سورية في زمان كتبه ولذا كان له اهمية تاريخية فهذا العامل كان في بلاد الحثيين وانتهى الى حلبون (حلب) وعند عوده منها وقبل ان يبلغ الى فلسطين مر بفونيقى وذكر جيل واسرارها واهميتها الدينية ثم بيروت ثم صيدا ثم صربتا اي صرند ثم شاطىء تازانا (معبر نهر الحيصراني) ثم اوتالتا حيث الان اخربة عدلون . ثم اتى « صور البحرية » وكلامه فيها مشعر بانها كانت حينئذ قرية على صخر في وسط البحر وقال « ان الماء يجلب اليها بالسفن وانه يتوفر فيها السمك » وانه سار بعد ذلك قليلاً نحو الجنوب فبلغ الى سعره وان اسمها بالفونيقية معناه الزنبور الاساع وانه انتهى بعد ذلك الى كايكنا المعروفة اليوم بام العواميد ثم الى اخريب وهي المعروفة الان بالزيب وانه من هناك ترك الساحل وسار في الجبل قاصداً حازور . ويظهر انه اتم سفره هذا آمناً لامعارض له كانه في وادي النيل بل كان يستعمل السلطة احياناً آمراً ناهياً لانه عامل مصري ومن هذا ايضا يظهر ان الصيدين والبيروتيين والجيليين استسلموا للحكومة مصر مذتولت سورية مخلصين الطاعة والانقياد لها وبدلاً من ان يناوؤها لنيل الاستقلال الكامل لهم اجتزأوا بان تبقى لهم حكاهم الوطنيون وحرية العمل بسننهم وعدم الاعتراض لهم باسفارهم وتجارتهم وان يكون لمصر

ان الكاريين سكان الجزيرة حينئذٍ اختلطوا بالفونيقين فزوجوهم وتزوجوا
 بناتهم حتى اصبحوا شعباً واحداً يسمى كاريين وفونيقين ورقوا الحضارة
 درجات في الجزر والبلاد القريبة منهم ولما تدهورت حالة الفونيقين تدهورت
 حالهم ايضاً وتوصل الفونيقيون من جهة الى اكريت فبنوا فيها مدينة
ايتانوس ومن اخرى الى جزيرتي ثارة وقيثارة فادخلوا فيهما عبادة عشتروت اي
 الزهرة الفونيقية فكان ذلك اصلاً تفرعت عنه عبادة افروديت القيثارية معبودة
 اليونان . ونرى آثار اقامتهم في اولياروس وانتياروس ويوس وسيروس (سيرا)
 وعن اسطمان البيزنطي ان اولياروس كانت للصيدونيين ومالوس للجبيليين
 واكتشف الفونيقيون معادن الفضة في جزيرتي سيغنوس وسيمولوس او جعلوا
 سكانها يكتشفونها وكل هذه الجزائر هي من الارخبيل في بحر الروم في شمالي
 رودس وغربي الاناضول . ثم توصلوا الى جزيرة تاسوس (بولاية الجزر في
 قرب شاطئ الرومي) فاستحوذوا عليها طمعاً بمعادن الذهب التي كانت فيها
 وقد شهد هيرودت هذه الجزيرة بعد عشرة قرون وقال انه دهش مما رآه في
 اثار الاعمال الكبيرة التي اجراها الفونيقيون في استخراج هذه المعادن
 ولم يقف الفونيقيون عند تاسوس بل كان ملاحوهم يعدون ذخائرهم
 هناك ويسيروا سفائنهم الى الشمال ايضاً فيعبرون بوغاز الدردنيل وبحر مرمرا
 والبوسفور فيتصلون الى البحر الاسود غير مبالين بعواصفه التي يخشاها بحارة
 سفائن هذا العصر نفسه حتى انتهوا الى جنوب جبل قاف وكانت سفنهم تشحن
 من هنالك المعادن الثمينة ولاسيما الذهب المشهورة معادنه في تلك البلاد
 والقصدير اللازم لصناعتهم في عمل الصفر وكان الايباريون سكان تلك الامصار
 يستخرجونه من سلسلة جبل قاف ويأتون تجارهم به وبالرصاص والفضة لوجودها
 في أنحاء اخرى من هذه البلاد وكان للفونيقين محطات ومستعمرات في سواحل

هنا
 هي
 قاف

هذه البحار وجزرها بقيت آثارها الى الاعصار التاريخية فواصل القدماء اخبارها
الى

وكان تجار الفونيقين في ذلك العصر نفسه يجدون في تسير سفنهم على
شطوط الابر (البانيا الجنوبية شمالي بلاد اليونان) وايطاليا الجنوبية وجزيرة
صقلية وصار لهم فيها ولاسيما في الابر مستعمرات ومحال تجارية ولم تنحصر
تجارة الفونيقين في هذه البحار وسواحلها بل كان لهم في مصر ايضا تجارة واسعة واقام
كثير من تجارهم في مدن مصر السفلى وكان لهم في منف حي خاص بهم
وكانت سفائن الصيدونيين والبيروتيين تسير على شطوط افريقيا حتى قرطاجنة
حيث ولاية تونس الان وبنوا هناك مدينتين كعباء حيث بنيت قرطاجنة في ما
بعد وهيون على مقربة منها (لانرمان مجلد ٦ صفحة ٤٨٩) وبينما كانت سفائن
الفونيقين تمخر البحور كانت قوافلهم تطوي اليد ايضا فيغرب تجارهم طلبا
للرزق والانتفاع وقد تطرقوا الى سائر انحاء سورية والى بلاد العرب والكلدان
وارمينيا ايضا وجميع الطرق التجارية من الشرق الاقصى (اي من الهند وتركستان
وبلاد الكلدان) حتى انحاء جبل قاف كان اتجاهها نحو المغرب ومؤداها في
صيدا وصور وكان للفونيقين في هذه الطرق محاط ثم مستعمرات اخصها في
حماه شاطي العاصي وتبساك على شاطي الفرات من جهة بادية تدمر ونصيبين
على مقربة من ينبوع دجلة الى غيرها من المحال التي كان يتفاخر قدامؤها بانهم
من الفونيقين (مسبرو عن موفر واسطفان البيزنطي صفحة ٤٣٤ من تاريخه
لشعوب المشرق)

﴿ عد ١١١ ﴾

﴿ في الحال السياسية على عهد الصيدونيين ﴾

قد مرَّ ان العشائر الكنعانية كانت تنقسم الى ممالك عديدة قلما كان من

السؤدد السامي والفراغة رغبا في تنويلهم كل ما شأوا لحاجتهم اليهم اذ لم يكن في شعب مصر من يحسن نظيرهم الملاحة والتجارة (لانرمان مجلد ٦ صفحة ٤٨٥)

﴿ عد ١١٢ ﴾

— في قيام الفونيقين بعمارة مصر البحرية —

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٤٩١) لم يحسن المصريون الملاحة بل كانوا مغضين لها كالاشوريين والفرس وكانوا يمتقون البحر ويحسبونه نجسا يليه اله السؤ فاذا ركب المصري البحر في سفينة خال نفسه على ظهر عدو يهدده ويلحق به نجاسة دينية فتشبهتهم بهذه المعتقدات الباطلة حرم عليهم ان يكون منهم بحارون ثم ان لم يكن للاشوريين عند استفحال امرهم اسطول بحري في بحر الروم الا سفن كيليكيا وفونيقيا وان لم يكن للفرس من السفن الا ما ركبه اليونان والفونيقيون والكيليكيون فباولي حجة لم يكن لفراغة مصر من سفن الا ما قام فيها الفونيقيون والصيدونيون خاصة . وقد تبين بالاثار والتواريخ المصرية انه كان لمصر في عهد توتمس الثالث احد ملوك الدولة الثامنة عشرة اسطول ينفذ سلطته ويجبي له الجزيات من الامصار الشاسعة وما تلك الامصار الا البلاد التي كان الصيدونيون يظبون التجارة فيها او حل فيها جالة منهم كقبرس وكريت وجزائر الارخبيل وشطوط افريقية الشمالية وغيرها . واذا كان جنود الفراغة في البحر المتوسط فونيقين فلا يعدو ان يكون كذلك جنودهم في البحر الاحمر وعليه فمقد كان الصيدونيون ينقلون العساكر المصرية الى بلاد العرب الجنوبية لتدوينها او لرد اهلها الى الطاعة وهم كانوا يلون السفن التي تنقل الى مصر حاصلات الهند وبلاد العرب من معادن واحجار واخشاب ثمينة وعاج وغيره والاسفار في البحر الاحمر محفوفة بالاختار فتستلزم ملاحين ماهرين

حتى ان الدولة السادسة والعشرين ارادت ان تسير سفناً فلزمها ان تلتجى الى القونيقين ونرى من جهة اخرى الكتاب ينبئنا ان السفان التي بناها سليمان في ايله بعد معاهدته لحيرام ركبها ملاحون صوريون ليسيروها الى اوفير لاستجلاب الذهب ونجاح هذه السفن منذ اول اسفارها دليل على ان البحارة الصوريين كان لهم مخبرة سابقة في تلك البحار وسواحلها تلقوها عن اسلافهم الصيدونيين من لدن اشتراكهم مع المصريين انتهى

﴿ عد ١١٣ ﴾

— في تفهقر صيدا وسقوطها —

قد كشفت لنا الاثار المصرية التاريخية عن خطوب كبيرة حدثت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد على عهد ساتي الاول او قبيله وهي ان عشائر البلاسج (قداماً بلاد اليونان) احدثوا سفائن في البحر المتوسط وبعض فصائل الليبيين اليافيتين غشوا افريقية مجراً وحلوا على شواطئ بحيرة تريتون المسماة بحيرة فرعون في بلاد المغرب فمقدت عهدة بين البلاسج سكان جزر الارخبيل وبلاد اليونان وايطاليا وسكان كريت وصقلية وسردينيا وبين الليبين في افريقيا ودامت هذه العهدة قروناً ولم يكن توسط البحر بين المتحالفين بمانع لهم عن المواصلات المستمرة في امور التجارة وغيرها وهذا يقتضي بلا بد مهارة قوم من المتحالفين في الملاحة وادارة السفن وعظمت صولة اصحاب هذه المعاهدة وانبسطت سلطتهم حتى غزا الليبيون في ايام منفتاح (فرعون الخروج) مصر السفلى الى ما وراء منف بالاتفاق مع بعض الايطاليين واليونان . فنجح البلاسج في الملاحة كان جرحاً مشخناً في نفوذ الصيدونيين الذين لم يكن لهم قبل ذلك مزاحم ولا مبار في البحر ولم يكثف هولاء بالمزاحمة بل كان الطبع نفسه يحملهم على معاداة الصيدونيين ليأخذوا منهم جزر الارخبيل وما جاورها في

بلادهم ويمنعوهم استقراغ معادن الذهب والفضة التي هم بها اولى . فابتدأ
لصوص البلاسج يعتدون على سفن الصيدونيين في بحر الروم وشرع اعداءهم
يثرون السكان الوطنيين على جاليتهم وينجدونهم عليهم فاضطر القونيقيون ان
يتروا مستعمراتهم في الارخيل الواحدة بعد الاخرى فلم يبق لهم منها الا ثارة
ومالوس وتاموس لتمكنها من الدفاع ولم يجد فراغة مصر القونيقيين مسودهم
على اعدائهم بل اغضوا عن كل مساعدة لهم مادية او معنوية ولم يقف البلاسج
عند هذا الحد بل قطعوا على القونيقيين طريقهم في الدردنل والبصر ليمنعوهم
البلوغ الى البحر الاسود والى المراسى التي كانوا يتلقون فيها المعادن وذهب
كولشيد (معاملة في جنوب جبل قاف) خاصة وتطرت سفن اليونان الى تلك
الامصار كافاً باحراز معادنها النفيسة

وعقب ذلك افتتاح بني اسرائيل بلاد الكنعانيين وطردهم يشوع بن نون لهم
من مواطنهم وتمليكهم ارضهم لشعبه فهو لم يحارب ملك صيدا لكن غزوته
غيرت حالة البلاد واضنكت صيدا اذ دمر احدى وثلاثين مملكة صغيرة وقتل
ملوكها وقد كانوا عضداً للصيدونيين وتراحت اقدام الغارة في ساحل صيدا
فضاقت الارض بهم واثقلوا كاهل اهلها وكانوا عليهم وبالاً واكرهوا على ان
ينترح منهم كثيرون الى جهات عديدة والمشهور من هؤلاء المنازح الجاليتان
الانف ذكرهما في عد ١٠٥ اي جالية قدموس الى بلاد اليونان وجمالة الجرجسين
واليابوسيين خاصة الى بلاد المغرب حيث املاك تونس الان . واعتقب غزوة
يشوع بن نون حلول الفلسطينيين في جنوب بلاد الكنعانيين وسترى في تاريخ
العبرانيين ان هؤلاء الفلسطينيين اتوا من كريت وغيرها من جزر بحر الروم
وسواحلها بجرراً قاصدين ان يستجوزوا على مصر وكانوا من اصحاب العهدة
السالف ذكرها اي البلاسج والليبيين فهب رعمسيس الثالث لمقاومتهم فانتصر

عليهم واسر السواد الاعظم منهم واسكنهم في التخوم الفاصلة بين سورية
ومصر اي في غزة واسدود وعسقلون وغات وعقرون وكان ذلك في اثر تملك
بني اسرائيل ارض الموعد ويظهر انه لحقهم الى هناك قوم من جلدتهم فتكاثروا
عديدهم واشتد ساعدتهم ولم يمر عليهم قرن حتى كان منهم جنود مدربون في
القتال يروعون من جاورهم وبنوا سفناً بحرية وعظمت سطوتهم وصولتهم
واعانهم على ذلك خمول ملوك الدولة العشرين في مصر حتى سوت لهم انفسهم
الاستيلاء على سورية الجنوبية كلها فضايقوا بني اسرائيل ستين طوالاً واذلوهم
نحواً من نصف قرن وسطوا على الصيدونيين ايضاً ونكلوا بهم وفي نحو سنة
١٢٠٠ قبل الميلاد سيروا اسطولهم من عسقلون على حين غفلة الى صيدا اذا لم
تكن مستعدة للقتال فافتتحوها عنوة ودمروا المدينة وابسلوا من وجدوا من
اهلها فكانت بذلك نهاية سوؤد صيدا (لانرمان مجلد ٦ صفحة ٥٠٠)

الفصل الرابع

(في الفونيقين في عصر سيادة صور الى بناء قرطاجنة)

﴿ عدد ١١٤ ﴾

— في جعل صور عاصمة للفونيقين وانضمامهم اليها —
قد سر الفلسطينيون بقهرهم ملكة البحر وتشتيت شمل اهلها واملوا ان
ترثها عسقلون مدينتهم لكنهم لم يتولوا شؤون الفونيقين بل اكتفوا باقامة حرس
في بلاد العبرانيين فكان بذلك فرجة للصيدونيين ومندوحة لهوضهم بعد سنين
قليلة من ورطة مصابهم والذين ركنوا الى الفرار من صيدا اجتمعوا في صور

حول هيكل ملكرت الذي كان مركز الامة الديني ولم تكن صور اذ ذلك الا مدينة ثانوية فزادت هذه الاحداث في عداد شعبها ورقتها الى اعلى مقام في الامة فخلقت صيدا في سوودها واصبحت عاصمة القونيقين سياسة ودينا وكان ذلك في بدائة القرن الثاني عشر قبل الميلاد ولم يميز بعضهم بين بناء صور وسوودها فجعلوا بناءها في تاريخ سوودها ومنهم يوسفوس فانه قال (في ك ٨ فصل ٢ من تاريخ اليهود) ان صور لم تبنا الا لتين واربعين سنة قبل هيكل سليمان وادعى بعضهم ان يوفق بين القولين بان صور القديمة التي كانت في اليايسة وهي عريقة في القدم وصور الحديثة هي التي كانت في الجزيرة وهي التي ذكرها يوسفوس لكن الاثار القديمة تخالف هذا التوفيق وتثبت ان صور البحرية اقدم كثيراً من التاريخ الذي ذكره يوسفوس وصور البرية هي التي كانت مصاب صيدا فوائدها فانه لم يكن في الامكان توسيع نطاق الجزيرة لسكنى الغارة فيها ولم يكن فيها ماء صالح للشرب كما مر آنفاً في حكاية سفر العامل المصري وكان في شمال الجزيرة وجزيرة ملكرت مرفأ طبعي يسع سفناً عديدة وعليه فكانت صور ذات ثلثة احياء يفصل الماء احدها عن الاخر اي الحي البري وهو المدينة حقيقة على الشاطئ واكثرهم على ان موقعها كان في محل راس العين الان ثم الحي البحري وهو الجزيرة الاولى ثم الحي الكهنوتي حول هيكل ملكرت في الجزيرة الثانية في جانب الاولى وقد سمي اشعيا النبي (فصل ٢٣ عد ١٢) صورانية صيدا اذ قال لها لا تعودين تفتخرين ايتها المنهكة العذراء بنت صيدون ، فعصر سيادة صور هذا افتتح سنة ١٢٠٩ ق م (على ما ذكر لايرمان) واستمر خمسة قرون اعني الى ان حاصر سرغون ملك الاشوريين صور . وفي هذا العصر خاصة استحکم اتحاد القونيقين وتوثقت عرى عهدتهم فان الكنعانيين بعد ان استحوذوا على اكثر اعمال سورية زماناً طويلاً اصابتهم

في القرنين الرابع عشر والثالث عشر نكبات عديدة متتالية انتزعت اكثر املاكم
 فافتتح بنو اسرائيل فلسطين وطردوهم منها وغنموا ما كانوا يملكون واخر
 الفلسطينيين صيدا واسترد الاراميون حماه منهم واذلوا من كان فيها من الكنعانيين
 وفضلوا بذلك بين الكنعانيين الذين كانوا يسكنون لبنان وجواره واخوانهم الحثيين
 سكان شمالي سورية وجبل اللكام فهذه المحن حملت من بقي من الكنعانيين في شمالي
 فلسطين على الانضمام فاتحد سكان صور وعكا ومن بقي من الصيدونيين ثم غيرهم
 من العشائر كالعريقين والصماريين والسينيين والارواديين الذين كانوا يسكنون
 السواحل البحرية الى ارواد فتألف منهم شعب واحد وعصبة واحدة وسموا فونيقين
 على ان مدنهم الشهيرة كبيروت وجبيل وسيميريا وغيرها حفظت لنفسها استقلالها
 المحلي وهيئة حكومتها التي كانت الملكية مقيدة بمجالس عامة مؤلفة من اغنياء
 الشعب ومرتبطة بمشورة الكهنة والقضاة الذين كان لهم الكلمة النافذة وكان
 هولاء القضاة يمشون في الحفلات العامة بجانب الملوك وكان الملوك يفاوضونهم
 في امر بعث السفراء الى صور مركز الامة وكان للكهنة نصيب وافر في تدبير
 شؤون الحكومة على انه لاسبيل الى القطع بما كانت تتصل اليه سلطتهم ولكن
 اذا راعينا ما كان يجريه كهنة بعل في اليهودية علمنا ان مقدرتهم كانت عظيمة وكانت
 نظامات جبيل دستوراً ومثالاً لهذه الحكومات الملكية المقيدة براء الكهنة والاشراف
 وكان ملوك المدائن الفونيقية على استقلالهم بتدبير شؤون ولايتهم يقرون للملك صور
 بالسيادة على الامة كلها وكان يسمى حينئذ ملك الصيدونيين وان اقام في صور وله
 ان يث جميع المسائل المتعلقة بالمصالح العامة وان يوقع على العهود مع الاجانب ويخضع
 لامرته الجنود البحرية والبرية وكان لديه مبعوثون من كل من مدن فونيقية وبقي
 الارواديون على شئ من الانفصال عن سائر مدن فونيقية وان كانوا من حلفائها
 ويقاسمونها منافع التجارة والاسفار البحرية فاصبحت صور لذلك المرفأ الاول للتجارة

والمركز العام للسياسة ولم يكن السكان فيها وفي سائر المدن يكفون للإقامة على تجارتهم واعمالهم ولنعاطي الملاحة في السفن وللخدمة في الجندية برّاً وبحراً فلزمهم ان يستأجروا بحارة اجانب خاصة من بلاد الارواديين وكان اكثر جنودهم مستأجرين حتى كان حرس صور نفسها من الارواديين وباقي الجنود من الشعب الليبي الفونيقى السالف الذكر من سكان سواحل افريقية وكان فريق منهم من ليديا من اسيا الصغرى (لانرمان مجلد ٦ من تاريخه صفحة ٥٠٦) وقد اشار الى ذلك حزقيال النبي بقوله (فصل ٢٧) لصور « سكان صيدون وارواد كانوا قذافين لك شيوخ جبل وحكامؤها كانوا فيك جلافة لخصاصك (اي يضعون القير في خروق سفنك او غيرها) . . . فارس ولود وفوط كانوا في جيشك رجال حربك . . . بنو ارواد مع جيشك كانوا على اسوارك من حولك »

﴿ عد ١١٥ ﴾

— مستعمرات الفونيقيين في مدة سيادة صور —

ان انضمم الفونيقيين الى صور جدد قواها وشددها ويسر اسفارها التي كان عراها بعض الوقوف من قبل خراب صيدا واعتراض سفن البلاسج لها ولما كانوا يتسوا من معاودة الاستيلاء على الجزر المجاورة بلاد اليونان ولم يكن باقيا لهم منها الا ثارة وميوس وكاميروس وتاسوس والامدينة ياليسوس في جزيرة رودس لزم ان تكون اسفارهم واتجارهم في وجهة اخرى لا يلقون لهم بها منازعا وقد مر انه قد كان حل منهم نزلاء في المغرب وعمرؤا مدينة هيونا وكباه في املاك تونس الان وتفرع منهم ومن السكان القدماء الامة المعروفة بالديبية الفونيقية فأموا تلك البلاد في هذا العصر الصوري وعمرؤا سنة ١١٥٨ ق م مدينة اخرى سموها اوتيك وكان موقعها على شاطئ البحر في الشمال الغربي من قرطاجنة واخذت سفنهم تتقدم من ثمة نحو المغرب وتتجر وتقيم نزلاء

في نوميديا (محل معاملة قسطنطينية الان في جزائر الغرب وقسم من املاك تونس) وفي موريتانيا (المعروفة الان بمملكة فاس وبمض جزائر الغرب) وتطرقوا من هناك مرحلة مرحلة الى ان اكتشفوا اسبانيا وعمروا قادس مدينة في اسبانيا وتواترت اسفارهم وتوفرت جالياتهم في تلك البلاد. ولما كانوا يسمون اهليها يسمون انفسهم تورتي او توردا ثاني غلب على لفظهم اسم ترسيس او ترشيش فجعلوه علماً لهذه البلاد وكثرت مستعمراتهم فيها فهم الذين بنوا فيها ملاكا المعروفة حتى الان بهذا الاسم وسكس المسماة الان مُرتيل في شرقي ملاكا وابدار المعروفة الان بالماريا على شاطئ البحر المتوسط الى الجنوب الشرقي من مدريد على مسافة ٤١٠ كيلومترات . ويظهر ان من مستعمراتهم كرتايا المسماة الان الجزيرة (كانها سميت بذلك في عهد ولاية العرب اسبانيا) وهي في غربي جبل طارق على بعد ثمانية كيلومترات . وعمر الفونيقيون هنالك مدناً اخرى عديدة اقل اهمية شهدت باصلها الفونيقى اسماؤها التي ذكرها قدماء الجغرافيين وذكروا لهم مستعمرات اخرى في شمالي هذه البلاد ووجدوا اسما مدن اخرى كثيرة في الجهة الشرقية من اسبانيا حتى سفح جبال البيرنياي تدل تلك الاسماء على ان تلك المدن عمرها الفونيقيون ولم ينقض قرن بعد ان عمر الفونيقيون قادس حتى تولوا اخصب الارضين واغناها في اسبانيا اعني اعمالها الجنوبية المسماة باتيك وهي الاندلس في عهد ولاية العرب وعمرها بنزلاء اتوا باكثرهم من الامة اليبية الفونيقية السالفة الذكر لحراثة الارض فاختلطوا بالوطنيين حتى قال استرابون ان اكثر السكان في تلك الانحاء كانوا في ايامه كنعانيين اصلاً وانباتنا بعض الاثار التي اكتشفت هناك ان استعمال اللغة الفونيقية استمر الى ايام ولاية الرومانيين في قادس وملاكا وسكس وابدار السالف ذكرها (لانرمان في تاريخه مجلد ٦ صفحة ٥٠٩)

واما ما كان يستجلبه الفونيقيون من اسبانيا فهو المعادن خاصة اي الذهب والفضة والحديد والرصاص والنحاس والقصدير ثم العسل والشمع والزفت فقد قال حزقيال النبي (فصل ٢٧ عد ١٢) لصور « ترشيش متجرة معك في كثرة كل غنى وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامت اسواقك » وكانت تجارة الفونيقين في اسبانيا رابحة اي ربح فقد قال ارسطو الفيلسوف الشهير (الذي ولد سنة ٣٨٤ ق م وقوله الاتي من كتابه في المعجبات فصل ١٤٧) « ان الفونيقين الاولين الذين اتوا ترشيش استبدلوا زيتهم وغيره من بضاعتهم بمقدار كبير من الفضة حتى لم تسعه سفنهم فصنعوا ادواتهم وآيتهم كلها حتى اناجر سفنهم من الفضة » وروى ديودورس الصقلي (مجلد ٢ صفحة ٣٦ من ترجمة هوفر) « ثبت نار في احد محال جبال اليراناي فاذا ابت مقداراً كبيراً من معدن فضة وكان سكان تلك الاصقاع يجهلون بما يستعمل ذلك المعدن فباعوا الفضة للتجار الفونيقين فكان هولاء يجلبون الى اسيا وبلاد اليونان وافاق اخرى من الفضة ما اكسبهم غنى وثروة تشذ عن الحصر وكان من شدة حرص هولاء التجار انهم بعد ان شحنوا سفنهم من الفضة قطعوا رصاص اناجرهم واستبدلوه بمراس من فضة »

ولذا اصبحت تجارة الفونيقين في افريقية واسبانيا من جلى مهامهم وكان لا بد لها من محطة بين فونيقى ومستعمراتها الشاسعة فاختاروا لذلك مالطة ونعم الاختيار فاحتلت جالة منهم فيها في اخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد وكان فيها قبلهم ليديون فاختلفوا بنزلائهم الذين استنبعوا جزيرة كولوس (المسماة الان كوزو) للمالطة لقربها منها وقد وجدت اطلال الهياكل الفونيقية في مالطة وهي محفوظة الى الان وتختلف للفونيقين في الجزيرتين سكان قرطاجنة وقال ديودوروس الصقلي (في مجلد ٢ صفحة ١٢ في مالطة) « ان سكانها جالية فونيقية انبسطت

تجارتها الى الاوقيانوس الغربي فكانت لهم هذه الجزيرة اوفق محطة من حيث موقعها ومرفاها الامين فاصبح سكاها في امد وجيز اصحاب ثروة وشهرة والجزيرة الثانية تسمى كولوس على مقربة من الاولى وهي ايضا مستعمرة فونيقية (هوفر في تاريخ فونيقى)

اما سكان صقلية القدماء فيستدل ببعض الاثار انهم كانوا من الايباريين والليكوربيين قدماء اسبانيا وجنوبي افرنسة وايطاليا وقد انضموا الى عهدة الليبيين والبلاسيج الالفة الذكر وشاركوهم في غزواتهم البحرية ولكنهم لعلة يعامها الله شقوا العصا مع اليونان وخالقوهم واعرضوا عن الملاحة وطلب الرزق في البحر وانكبوا على المشاغل في البر فافترص الفونيقيون فرصة هذه الحال فتولوا التجارة في صقلية وبعد امد وجيز توفر عداد محالهم التجارية في شواطىء هذه الجزيرة الخصبه التربة ولم يكن لهم حينئذ من مزاحم فان اليونان لم يعودوا الى هنالك الا بعد ثلثة قرون (ملخص عن لازمان مجلد ٦ صفحة ٥١٠) وعن هوفر (في تاريخ فونيقى) ان الفونيقيين عمروا مدنا عديدة في صقلية منها ماكارا التي تسميها اثارهم راس ملكرت المعروف عند اليونان بهرقل Hercule ولذلك سمي اليونان هذه المدينة هرقلية ومنها بانورم المسماة الان بالرم وتسمى في اثارهم مخنات وذكر بعضهم انها كانت مركز عبادة الزهرة الصورية الى غيرها من المدن واستحوذ الفونيقيون ايضا على جزيرة قسورة المعروفة الان باتلريا وهي جزيرة صغيرة بين صقلية وافريقية قريبة من شاطىء افريقية وجعلوها مستودعا للذخائر والادوات اللازمة في الاسفار وكانت سفن الفونيقيين التي تسافر من المغرب الى اسبانيا لا بد لها من المرور بجانب سردينيا فعمروا هناك مدينة كرايس حيث الان كلياري لتكون مستودعا لتجارتهم وذخائرهم ثم نورا على شاطىء الجزيرة الغربي وكان قبلهم

فيها قوم من جملة اصحاب المعاهدة اللبية البلاسية السالفة الذكر وكانت لهم
 عناية كبرى في الماشية ولاسيما الاغنام وكان للتجار بصوفها سوق رائجة وفي
 الجزيرة معادن نحاس ورصاص فتوفرت فيها محال تجارة الفونيقين حتى
 استحوذوا على الجزيرة وقد اكتشفت فيها كتابة فونيقية منذ عصر ولاية
 السوريين يدعى بها معبود اهل الجزيرة سردوس باتر وفي الفونيقية اب سردون
 وتشاهد صورة على نقود الجمهورية الرومانية (لانرمان مجلد ٦ صفحة ٣١١)
 ويظهر انه كان لهم معاهد في كرسিকা ايضاً وانهم تطرقوا من هذه الجزر الى
 شطوط ايطاليا الجنوبية والى توسكانا وغيرها من اعمال ايطاليا وسترى في الكلام
 على تجارة الفونيقين ان تجارهم لم يقتصروا على ابلاغ سلعمهم الى مدن اوربا
 التي على سواحل البحر فقط بل توغلوا في افرنسة والمانيا الى بحر البتيك براً
 والى جزر بريطانيا فكانوا يستبدلون في هذه الامصار عروض تجارتهم ومصنوعاتهم
 بحاصلات البلاد ومستخرجات معادنها

قد روى استرابون وغيره من القدماء انه كان للفونيقين او الاخرى ان
 يقال لجاليتهم في قرطاجنة مستعمرات عديدة في مراكش وفي ما وراء بوغاز
 جبل طارق على شطوط افريقية الغربية ومن ذلك ما جاء ذكره في درج حنون
 Periple de Hanon الذي يظهر انه خلاصة كتاب مهم كتب في الفونيقية ولم
 يبق منه الا خلاصة موجزة في اليونانية بلغت الينا في بعض كتب القدماء اخص
 انبائها ان اهل قرطاجنة الليبيون الفونيقيون ارسلوا حنون هذا بستين سفينة
 مشحونة بجالة منهم الى ما وراء بوغاز جبل طارق لتحتل تلك الثغور فذهب
 بهم واخذ يحل في كل محل قوماً منهم مسمياً المدن والقرى والجزائر التي توصل
 اليها وما شاهده فيها ولم يتفق العلماء على مواقعها ولا على بعد احداها عن
 الاخرى اذ كان مقياسه مدة السفر في البحر بالشرع ولا يفسح لنا مجال هنا

للتطويل في ذلك بل تجتري بان تقول ان هذا الدرج يثبت وجود مستعمرات
للفونيقين في ما وراء جبل طارق غربي افريقية وان زمان كتابته غير متفق
عليه فجعل بعضهم في نحو الف سنة قبل الميلاد وبعضهم اقل من ذلك والظاهر
انه كتب في القرن السادس قبل الميلاد

هل دارت سفن الفينيقين حول قارة افريقية هذا سؤال من جملة من
ذكره هوفر (في كتابه تاريخ فونيقى صفحة ٤٩) واجاب عليه جواباً موجباً
اعتماداً على ما رواه هيرودت ابو التاريخ (ك ٤ فصل ٤٢) حيث قال ما ملخصه
ليس من يجهل ان قارة افريقية تحيطها الامواه الا عند الخليج الذي يصلها
بقارة اسيا (هذا قبل فتح خليج السويس) فنكرو ملك مصر هو على ما نعلم
اول من استوضح هذا الامر فانه بعد ان رغب عن تكملة القناة الموصلة بين
النيل والخليج الغربي سير سفناً ملاحوها فونيقيون فسار هولاء الفونيقيون اولاً
من البحر الاحمر ثم في البحر الجنوبي (اي الاوقيانوس الهندي) واذا نفدت
ذخائرهم اقاموا وزرعوا الارض وانتظروا حصادها فاذا جمعوا غلتها عاودوا سفرهم
وبعد ان سافروا كذلك بلغوا في السنة الثالثة اعمدة هرقل (بوغاز جبل
طارق) فاجتازوا البوغاز واتصلوا الى مصر واخبرني بعضهم امرأ لم اصدقه وربما
صدقه غيري وهو ان الشمس كانت على يمين المسافرين في دورانهم حول
افريقية ، فهذا مثبت ان الفونيقين داروا حول هذه القارة ويؤيده ما لم يصدقه
هيرودت وما لم يمكن اختراعه وهو ان كل مسافر حول افريقيا مبتدئاً من
البحر الاحمر تكون الشمس على يمينه عند مروره بطرفها الجنوبي وعليه فالقونيقيون
تقدموا البرتوغالين التي سنة في الدوران حول قارة افريقية

﴿ عد ١١٦ ﴾

﴿ في اتفاق الفونيقين وبني اسرائيل ﴾

ان افتتاح بني اسرائيل فلسطين كان في عهد سيادة ملوك صيدا كما مر ولا جرم ان الصيدين كانوا اذ ذلك من جملة المتضافرين على مقاومة بني اسرائيل علي ان يشرع بن نون قائدهم وقتلهم لم يخترق تخوم صيدا فاستمرت على استقلالها مع ما يليها من المدن الشمالية خاصة وما برحت العداوة بين الفريقين تشب نارها لكل داع اعواماً طويلاً الى ان استفحل امر الفلسطينيين وقويت شوكتهم وحاولوا الاستيلاء على جنوبي سورية برمتها واخربوا صيدا وازالوا سوؤدها فقضت الضرورة على بني اسرائيل والفونيقين ان يغادروا ما كان بينهم من الاحن والضغائن وان يعمدوا الى الائتلاف بينهم واتفق ايضاً ان كان الاراميون اخذوا في تلك الاثناء يوسعون تخوم ولايتهم نحو الشمال فتغلبوا على الكنعانيين في حماه واستحوذوا عليها وعلى بني اسرائيل في عبر الاردن الشمالي فطردهم منه فكان ذلك داعياً آخر للوفاق والاقلاع عن العداوة التي استمرت نحواً من ثلاثة قرون واتفق ايضاً ان كانت دولة مصر ودولة اشور في تلك الحقبة على غاية من الضعف والوهن اتفاقاً لم يكن له نظير في الدولتين معاً ولذا توارد على خاطر الفريقين ان ما تلك الا فرصة سعيدة ثمينة يلزم اغتنامها لتشييد اركان مملكة وطنية مستقلة كل الاستقلال في سورية دعائمها الاتحاد الصحيح والمعاهدة المخلصة بين مملكة بني اسرائيل الجبلية ومملكة صور الساحلية وعليه فلما انتفض النزاع الذي افضى الى قتل شاول ملك اسرائيل وتمليك داود وفي السنة نفسها التي اخذ داود اورشليم من اليبوسيين وجعلها قاعدة للملكه ارسل اليه حيرام الاول ملك صور وفداً يوقع على عهدة الصداقة والاتفاق بينهما وكان ذلك في نحو سنة الالف قبل الميلاد اذ قال الكتاب (ملوك ٢ فصل

هنا الاردن

٥ عد ١١) ووجه حيرام ملك صور رسلاً الى داود واخشاب ارز ونجارين ونحاتين فبنوا بيت داود ، فالظاهر انه بعد التوقيع على عهدة الاتفاق سأل داود حيرام ان يرسل اليه مهندساً لبناء القصر الذي عزم على بنائه في مدينة صهيون وان يصحبه عملة ماهرون نجارون ونحاتون وان يؤذن بقطع اخشاب من غياض لبنان الشهيرة لزينة قصره فاتمَّ حيرام كل ما سأله داود ويتحصل من ذلك ان الحروب في عصر القضاة ومضايقة الفلسطينيين لبني اسرائيل اعواماً عديدة اغفلتهم عن الصنائع التي كانوا يحسنونها ايام خروجهم من مصر بدليل اتقانهم عمل خباء المحضر اي قبة العهد واستمر حيرام هذا ما حيي مسالماً داود وتوفي فخلفه ابنه ابيعل وكان على شاكلة ابيه في موادة داود الملك وقد سرَّ وشعبه في اذلال داود الفلسطينيين واخضاعه الاراميين والحثيين واستيلائه على دمشق وحمه وانبساط ملكه في سورية الى القررات ثم مات ابيعل وخلفه ابنه حيرام الثاني لسنة ٩٧٨ قبل الميلاد على ما روى لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥١٣)

﴿ عد ١١٧ ﴾

— ﴿ في حيرام الثاني وسليمان الملك ﴾ —

قد جاء في الكتاب (ملوك ٣ فصل ٥ عد ١) « وارسل حيرام (الثاني) ملك صور عبيده الى سليمان لانه سمع انه مُسح ملكاً مكان ابيه « ليهنئه ويوثق عرى الاتحاد بينهما وينبئنا الكتاب ان الوفاق تمكن بين الفريقين اذ قال ان سليمان ارسل يقول لحيرام « مر بان يقطع لي ارز من لبنان وعبيدي يكونون مع عبيدك واجرة عبيدك اؤديها اليك . . . لانك تعلم ان ليس فينا من يعرف بقطع الخشب مثل الصيدونيين فلما سمع حيرام كلام سليمان فرح فرحاً عظيماً وقال مبارك اليوم الرب الذي رزق داود ابناً حكيماً على هذا الشعب الكثير » الى اخر ما قاله الكتاب من عناية حيرام بقطع الاخشاب وجعلها اطواقاً في البحر

الى الموضع الذي عينه سليمان واداء سليمان الى حيرام عشرين الف كرم من
الحنطة وعشرين الف كرم من الزيت وسترى ذلك باكثر تفصيل في كلامنا في
تاريخ العبرانيين

وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٨ فصل ٢) ان رسالتي سليمان
وحيرام الاصليتين كانتا محفوظتين حتى ايامه في خزائن اوراق الهيكل وفي
خزائن سجلات الصوريين قائلاً « ان من رغب في تحقيق ذلك فما عليه الا ان
يسأل حافظي هذه الخزائن اطلاعه على ذلك فيرى اني كنت في نقلها اميناً
مجانباً الخلل رأيت ان اقول هذا لاعلم اني وايم الله لا ازيد على الحقيقة شيئاً
واني لرغبتي في الاقبال على تاريخي دأبت ان لا اروي الا ما كان صحيحاً ولذلك
ارجو ممن يطالعها ان يطمأن الى صحته ويوقن اني احسب نفسي مرتكباً جريمة
كبيرة تستحق الاعراض عن كتابي اذا لم ابذل الكد والجد في اثبات الحقائق
بججج راهنة » وروى رسالة سليمان كما رواها الكتاب ثم رسالة حيرام مطابقة
لجوهر نص الكتاب وهما كما رواها « من الملك حيرام الى سليمان الملك اني
لا سدين الله شكراً لا يتقضي على انك ورثت تاج الملك ابيك الذي كان عاهلاً
تسامت حكمته وعظمت فضيلته وسأتم بطيبة قلب ما سألتنيه وسوف أمر ان
يقطع لك من غياضي مقدار ما تحب من الاجوزة والجزوع من السرو والارز
واجعلها في البحر اطوافاً الى المحل الذي تراه اكثر ملائمة لنقلها منه الى اورشليم
واسالك ان تعوضني من ذلك مقداراً من الحنطة فانت تعلم حاجتنا اليها في هذه
الجزيرة .

وروى يوسفوس ايضاً (في ك ١ من رده اقوال ابيون فصل ٥) ان
الصوريين كانوا شديدي الحرص على حفظ السجلات الرسمية القديمة التي
كتب فيها ما جرى بينهم ٠٠٠ ومن جملة ان الملك سليمان بنى هيكلًا في

اورشليم لسنة مئة وثلاث واربعين وثمانية اشهر قبل ان يبني اسلافهم قرطاجنة «
ثم روى فقرة من هذه السجلات وهذه ترجمتها « ان حيرام احد ملوكهم كان
يخلص الوداد لداود الملك وواصل اخلاصه لسليمان الملك ابنه واثباتاً لمودته له
اهدى اليه عند بنائه الهيكل مئة وعشرين وزنة (وانبأنا الكتاب ذلك اذ قال في
سفر الملوك الثالث فصل ٩ عد ١٥) وارسل حيرام الى سليمان الملك مئة وعشرين
قطار ذهب وجزوعاً من افخر الخشب امر بقطعها من جبل لبنان لسقف
الهيكل وزينة جدرانه الفاخرة فاهدى سليمان اليه هدايا نفيسة عديدة وكانت
محنة الحكمة تزيد في الوفاق بين هذين الملكين وكانا يتطارحان الالغاز حلها
وكان سليمان يعاود على حيرام في ذلك « واردف يوسفوس هذا بقوله « ان
الصوريين يحفظون حتى اليوم بحرص شديد رسائل عديدة كان يقبدها كل من
هذين الملكين لصاحبه واستشهد الله على نفسي اني دفقت في ما نقلت عن توارخ
الفونيقين توثيقاً للقراء وهوذا ما كتب فيها « ولما مات الملك ايبعل خلقه ابنه
حيرام الذي زاد كثيراً في مدن ملكه التي كانت في المشرق والحق بمدينة صور
ابنية عديدة... وقد حققوا ان سليمان ملك اورشليم كان يرسل اليه بعض
الغاز ويجعل جائزة حلها «

١ ص ١٥١

يظهر ان المهندس ومديري البناء والبنائين والنحاتين الذين ارسلهم حيرام الى
سليمان كانوا جميعاً من جبيل فان عملة هذه المدينة كانوا اشهر اصحاب الصنائع في
فونيقيا ولما كان شحن الاخشاب منها ظهر ان الارز الذي قطعت منه كان
في جبال ناحية جبيل العليا لافي نواحي جبة بشري حيث الارز الان والا للزم
شحن هذه الاخشاب من اطرابلس او البترون او من فرضة اخرى بينهما وقد
حقق بعض سكان ناحية جبيل العليا ان في غابهم حتى اليوم اثرأ لاشجار الارز
قد اراد سليمان ان يعطي حيرام عشرين مدينة وقرية متاخمة لارض صور

١ ص ١٥١

جزءاً صنعه المعروف في تيسير زينة الهيكل فإبي حيرام قبولها مخافة ان تكون هذه القرى مندوحة للخصام بين اهل المملكتين وذلك دليل على تضلعه بقن السياسة وآثر على ذلك ان يرسل اليه سليمان كل سنة ما دام الاشتغال ببناء الهيكل العشرين الف كر بُر والعشرين الف كر زيت السالف ذكرها لتكون مؤونة لعاصمته ولإسطوله ورغب سليمان في توثيق عرى الاتحاد بينه وبين مملكة صور فتزوج باحدى بنات حيرام وكان تزوج قبلها باحدى بنات فرعون ثم باحدى بنات ملك الحثيين الشماليين فكان زواجه بالاميرتين الكنعانيتين وسيلة لدخول عبادة بعل وعشروت في اورشليم وقد عقد سليمان وحيرام شركة في تسفير السفن الى اوفير لاستجلاب الذهب وغيره من النفاس وكان القونيقيون من اقدم الايام يتجرون ببضائع الهند الثمينة فكانت سفن الهند تنقل حاصلات بلادهم الى سواحل اليمن وخليج العجم وكان في العربية الجنوبية عدد غفير من تجار القونيقيين فينتقلون ثمة ببضائع الهند فتحملها قوافلهم براً الى فونيتي وسائر اعمال سورية والى مصر وما بين النهرين ولما كان الصيدونيون يسافرون في البحر الاحمر جلب هذه البضائع الى مصر في عهد الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة لم تكن سفنهم تتجاوز اليمن واما سليمان وحيرام فكان غرضهما تسير السفن من مرافئ الخليج العربي تواء الى سواحل الهند فاصابا الغرض وكلل النجاح مشروعهما فقد جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ٩ عد ٢٨) ان ملاحي هذه السفن « اتوا اوفير واخذوا من هناك اربعمائة وعشرين قطاراً (او وزنة والوزنة ٤٣ كيلو) من الذهب واتوا بها الملك سليمان ، على انه لم يدم هذا النجاح الا ما دام ملك سليمان . وقد سمى الكتاب سفن هذه الشركة سفن ترشيس او ترشيش لمشابهتها السفن التي كان الصوريون يسافرون بها الى اسبانيا المسماة ترشيش . ونرجى الكلام في اوفير وموقعها

الى المقالة في العبرانيين

ومات حيرام سنة ٩٤٤ ق م قبل سليمان ويظهر ان قد بقي الوفاق بين مملكة صور ومملكة بني اسرائيل الى ما بعد اتقسامها الى مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل اذ لا نرى في الكتاب ولا في غيره اثر حرب بينهما في هذه الحقبة بل نرى احاب بن عمري ملك اسرائيل تزوج بايزبال ابنة ايتو بعل ملك صور ويعلم قرأء الكتاب المقدس ما كان للاميرة الصورية من السطوة المحزنة على زوجها الضعيف وكم عززت كهنة بعل بالنفوذ السياسي والديني في مملكة اسرائيل اولاً ثم في مملكة يهوذا بعد وفاة يوشافاط والحاصل ان مملكة صور كانت شديدة النفوذ في مملكتي العبرانيين حتى ان سلالة ايتو بعل الصورية استخلفت يوماً لبيت داود نفسه في اورشليم بواسطة عتلية واستمر هذا النفوذ لصور في مملكة اسرائيل الى ان توفي يورام سنة ٨٣٠ ق م وفي مملكة يهوذا الى ان رقي يواش منصة الملك سنة ٨٢٣ ق م وسنجدى على ذكر هذه الاحداث باكثر تفصيل عند كلامنا في تاريخ العبرانيين

﴿ عد ١١٨ ﴾

﴿ في ملوك صور وما كان من الاحداث في ايامهم الى بناء قرطاجنة ﴾
 ان تاريخ صور منذ عقد ملوكها العمدة مع العبرانيين الى بناء قرطاجنة معلوم حق العلم مما كتب في تواريخ صور التي ترجمها مينندر المؤرخ اليوناني الافسسي وحفظ لنا يوسيفوس فقراً من ترجمته في كتاب رده اقوال ايون واول من نعرفه من ملوكهم هو حيرام الاول صديق داود الملك وقد كان مالكاً في نحو سنة الالف قبل الميلاد وخلفه بعد وفاته ابنه ابيعل ولا يعلم شئ من الاحداث في ايام ملكه الا محافظته على عهدة الوفاق مع بني اسرائيل وقد وجد اسمه محفوراً على حجر كريم محفوظ الان في متحف فيرنسا بايطاليا وبعد

وفاته خلفه ابنه حيرام فقد جاء في فخر ميثدر « وبعد موت ابيعل قبض على صولجان الملك ابنه حيرام فعاش ثلثاً وخمسين سنة ومملك اربعاً وثلثين منها وجدد بعض الابنية في صور واقام عمود الذهب الذي يشاهد في هيكل المشتري Jupiter وامر بقطع اخشاب الارز من جبل لبنان لسقف الهياكل وهدم الهياكل القديمة واقام هيكل هيرقل Hercule وعشثروت فدرشن الاول لهرقل في شهر باريوس (يوافق بدء هذا الشهر اواسط شباط) والثاني لما زحف بجنوده الى الشيتيين (سكان قبرس) لانهم ابوا أداء الجزية اليه فردهم الى الطاعة له وكان لديه شاب يلقب بابن عبديمون اتصل الى ان يحل جميع الالغاز التي كان يلقيها سليمان ملك اورشليم »

وجاء مثل ذلك في فخر لديوس حفظها لنا يوسيفوس حيث يقال « خلف حيرام الملك ابيعل وعمر الاحياء الشرقية من المدينة وزاد كثيراً في ابنتها وادخل فيها هيكل المشتري الاولمي المؤلف يوناني فيسمي الالهة باسم الهته فهو هيكل ملكرت) الذي كان منفرداً في جزيرة فردم الفسحة التي بين الجزيرة واليابسة » ويظهر من كلام بعض الروايات ان حيرام هذا هو الذي كان في زمان داود وعلى عهد ابنه سليمان ومؤداه ان ليس الاحيرام واحد لا حيرامان لكن الارجح والاقرب الى الصواب ان حيرام الاول كان في اوائل ملك داود وخلفه ابنه ابيعل فملك في اكثر مدة ملك داود ثم خلفه ابنه حيرام الثاني فكان حليف داود وسليمان وصديقهما ومما يؤيد ذلك ان جميع الروايات القديمة اي روايات يوسيفوس وروفينوس واوسابيوس وسنشالوس والرواية المجهولة المؤلف اجمعت على ان مدة ملك حيرام هذا كانت اربعاً وثلثين سنة ومن المعلوم ان داود ملك اربعين سنة ويظهر من الكتاب (ملوك ٢ فصل ٥ عد ١١) ان حيرام كان صديقاً لداود منذ افتتح اورشليم فلا يمكن ان يكون حيرام واحد في

ايام داود وايام سليمان بل الاظهر ان حيرام الاول كان مالكا في صور عندما ملك داود في بني اسرائيل وحيرام الثاني ملك في صور في اخر مدة ملك داود وفي مدة من ملك سليمان ويشعر بذلك قول الكتاب (ملوك ٣ فصل ٥) « اذ كان حيرام لم يزل محبا لداود كل ايامه » اي ايام داود وقول سليمان لحيرام « قد علمت ان داود ابي لم يقدر ان يبني بيتا لاسم الرب الهه » وقول حيرام « مبارك الرب الذي رزق داود ابنا حكيما على هذا الشعب الكثير » فكل هذا مؤذن بان حيرام صديق سليمان كان صديق ابيه داود وكان يعلم ان داود لم يقدر ان يبني بيت الرب وقد يسر بانه رزق ابنا حكيما ولا يمكن ان يكون حيرام واحدا في المدة التي هي من فتح داود اورشليم الى بناء سليمان الهيكل فيها مع انه لم يملك الا اربعا وثلاثين سنة كما مر

ثم مات حيرام الثاني سنة ٩٤٤ ق م قبل سليمان وحيث انه ملك اربعا وثلاثين سنة فيكون ارتقى منصة الملك سنة ٩٧٨ في عهد داود الذي توفي سنة ٩٧٣ على ما روى لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥١٦) وخلف حيرام الثاني ابنه بعلعزار اذ قال مينندر في الفقر التي رواها يوسفوس (في ك ١ ضد ايون فصل ٥) « ولما مات حيرام الملك خلفه ابنه بعلعزار (او قلا عزار) ثم مات وعمره ثلث واربعون سنة ولم يملك الا في سبع منها » هذا في رواية يوسفوس وروفيوس ولكن في روايتي تاوافيلوس واوسابيوس انه ملك سبع عشرة سنة ولم نجد ذكرا لشيء من اعماله وخلفه بعد وفاته ابنه عبد عشتاروت فملك تسع سنين باجماع الروايات فقال مينندر في المحل السالف ذكره « وخلف بعلعزار ابنه عبد عشتاروت ولم يعيش الا تسعا وعشرين سنة ولي الملك في تسع منها وقد تأمر عليه ابناء ظئره الاربعة فقتلوه غيلة وملك مكانه اكبرهم مدة اثني عشرة سنة » ولم يذكر مينندر ولا غيره اسم هذا الملك وكان مقتل عبد عشتاروت لنحو

سنة ٩٢٨ ق م اي في نحو الوقت الذي شق فيه ياربعام بن ناباط مملكة بني اسرائيل فانقسمت الى مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل وقد جاء في الكتاب (ملوك ٣ فصل ١١ عد ٤) ان ياربعام هرب من وجه سليمان الى شيشاق ملك مصر ومكث هناك الى وفاة سليمان وعاد بعدها فشق الاسباط العشرة عن مملكة راجبعام بن سليمان فيتحصل من ذلك ان شيشاق ملك مصر كان نيوي غزوة الى سورية ومن معداته لها دسيسته لقتل ملك صور ولشق مملكة العبرانيين الى شطرين وقد تيسرت له بذلك هذه الغزوة اذ قال الكتاب (ملوك ٣ ف ١٤ عد ٢٥) «ولما كانت السنة الخامسة للملك راجبعام صعد شيشاق ملك مصر على اورشليم فاتهب ما في خزائن بيت الرب وخزائن دار الملك واخذ الجميع واخذ كل مجازن الذهب التي عملها سليمان»

ولم يستتب الملك لابن الظئر قاتل عبد عشتاروت بل استمر الشعب والهرج في الاثني عشرة سنة التي قضاها على منصة الملك الى ان تيسر لعية الصوريين ان يجلسوا عليها عشتروتوس بن بعلزار اخا الملك القليل اذ قال مينندر «وملك عشتروتوس بن بعلزار اثني عشرة سنة وعاش اربعا وخمسين سنة» ولما مات عشتروتوس لم يخلفه ابنه بحسب شريعة مملكة صور بل خلفه اخوه المسمى عشتاريم ثالث ابناء عبد عشتاروت وقال مينندر «وخلف عشتروتوس عشتاريم اخوه وعاش اربعا وخمسين سنة ملك في تسع منها ثم قتله اخوه فالس واخذ ملكه وعاش خمسين سنة لم يملك الا في ثمانية اشهر منها قتله ايتوبعل كاهن الربة عشتاروت وملك مكانه اثنتين وثلاثين سنة» فان راعينا ان ما جرى من هذا الهرج والقلق في مملكة صور كان مثله في وقته في مملكة اسرائيل اذ باد فيها بيتا ياربعام وبعشا احدهما بعد الاخر رأينا شدة العلائق السياسية بين مملكتي صور واسرائيل

وكان ملك ايتوبعل في صور معاصراً للملك عمرى وابنه احاب في اسرائيل
 وكان كلاهما اصلاً لسلالة ملكية في قومه وزوج ايتوبعل ابنته ايزبال باحاب
 بن عمرى ملك اسرائيل الذي رقي منصة الملك سنة ٨٧٣ ق م وكان ايتوبعل
 صار ملكاً في صور سنة ٨٩٤ وايتوبعل هذا بنى مدينة البترون اذ قال مينندر
 في فقرة رواها يوسيفوس (في تاريخ اليهودك ٨ ف ٧) ان ايتوبعل « هذا
 هو الذي بنى مدينة بتريس (البترون) في فونيقى ، التي استمرت زماناً طويلاً
 محصناً لرد غارات اللبنانيين على تلك السواحل الفونيقية ثم قال مينندر « ومات
 ايتوبعل وعمره ثمانى وستون سنة وخلفه ابنه بعل عزور فعاش خمساً واربعين
 سنة ملك في ست منها فخلفه ابنه موتون او موجهم فعاش اثنتين وثلاثين سنة
 ملك في تسع منها فخلفه ابنه بيكماليون وعاش ستاً وخمسين سنة ملك في سبع
 واربعين سنة منها وفي السنة السابعة من ملكه فرّت اخته ديدون الى افريقية
 وعمرت قرطاجنة في ليبيا » انتهى كلام مينندر كما رواه يوسيفوس الذي قال بعد
 ذلك « تبين مما مر ان من ملك حيرام الى بناء قرطاجنة مئة وخمساً وخمسين
 سنة وثمانية اشهر وانه لما كان بناء هيكل اورشليم في السنة الثانية عشرة لحيرام
 فيكون بين بناء الهيكل وبناء قرطاجنة مئة وثلاث واربعون سنة وثمانية اشهر مع
 انه اذا حسبت مدات هولاء الملوك كما رواها يوسيفوس عن مينندر لا تبلغ الا
 مئة وسبعاً وثلاثين سنة فالثمانى عشرة سنة التي هي الفرق حاصلة من اختلاف
 الرواية في تعيين مدة بعض الملوك مثلاً قد عين للملك موتون تسع سنين مع ان
 روايات اخرى جعلت مدة ملكه خمساً وعشرين سنة

﴿ عد ١١٩ ﴾

— في بناء قرطاجنة —

توفي موتون ملك صور عن ولدين احدهما بيكماليون وعمره اذ ذاك

احدى عشرة سنة والثاني بنت اسمها اليسار ويسمىها الشعراء اليسا تكبراخاها
بعض سنين واوصى موتون ان يشترك ولداه في ارث ملكه ولكن الشعب كان
يرتقب فرصة لتبديل هيئة الحكومة لتغلب سطوة الاشراف فيها فثار القوم
ونادوا باسم بيكماليون واجلسوه على منصة الملك وحده واقاموا له ندوة
مشورة اكثر رجالها من الشعب واسقطوا اليسار اخته من عرش الملك فتزوجت
بزيكار بعل وسماه فرجيل سيكا وسماه غيره اشرباس او اشربال وكان خال اليسار
واعظم كهنة ملكرت وله المقام الثاني بعد الملك فكان لذلك رئيس حزب الاشراف
ولما مرت على ذلك مدة ارسل بيكماليون فقتل زيكار بعل اما بدسياسة من رجال
حزب الشعب واما طمعاً باخذ ماله اذ كان غنياً فاستأت اليسار حتى طارت نفسها شعاعاً
من قتل اخيها زوجها وهمت بانشاء ثورة لتثار بزوجها وتثل عرش اخيها وتعيد
نفوذ حزب الاشراف ومالأها في ذلك ثلث مئة عضو من رجال الندوة كانوا
من حزب الاشراف فتغلب عليهم الحزب الشعبي حتى يئس الثائرون من الفوز
بما يبتغون وآثروا مغادرة وطنهم على ان يذلوا لبيكماليون وحزب الشعب
فاستولوا بغتة على سفن عديدة كانت معدة للسفر فركبتها اليسار والوف من
رجالها وساروا ينوون ان يعمرؤا صوراً اخرى تحت جو آخر فاكسبها سفرها
على هذه الحال لقب « ديدو » وتأويله الفارة او الهاربة . وعن يوستينوس
المؤرخ اللاتيني الذي كان في القرن الثاني وكتب قصة هذه الاحداث ان اليسار
سارت اولاً بجاليتهما الى قبرس ثم الى سواحل افريقيا حيث كانت جالة صيدونية
عمرت مدينة كبه منذ نحو من ستة قرون في محل تونس الان او على مقربة
منه كما مر (عد ١١٠) وكانت الجالية الفونيقية القديمة انحط قدرها وكانت
تؤدي الجزية حينئذ الى ملك من الليبيين يسمى جابون فاشتريت اليسار منه
ارضاً جاليتهما وعمرت فيها مدينة سمها « قرية حديثا » اي المدينة الجديدة فكسر

اليونان هذا الاسم وجعلوه « كرشيدون » وجعله الرومانيون « كرتاكو »
 Carthago وفي الافرنسية كرتاج Carthage وسماه العرب قرطاجنة فهذه المدينة
 بنيت سنة ٨٢٢ ق م وعلى قول اخرين سنة ٨٦٠ ق م للسنة السابعة من ملك
 بكماليون

قد كثر ما نظمه الشعراء في اليسار ويسمونها بلقبها ديدون حتى افعموا
 تاريخها من الاقاصيص الموضوعه على ان ما رويناه تاريخ حقيقي وقد جعله
 كذلك كاتون القديم (هو مؤلف لاتيني كان في القرن الثالث قبل المسيح)
 وبومبايوس تروك (هو كاتب روماني كان في القرن الثاني للنصرانية) بل القديس
 اغوستينوس ايضاً (في تفسير المزمور ٦٨) اعتماداً على تواريخ قرطاجنة واما
 ما ذكروا عن ملئها اكياساً رملاً وايهامها وفد اخيها الملك بانها اكياس ملئت
 بمال زوجها وطرحها في البحر بحضرتهم كتباً لطمع اخيها ثم طلبها ان تشتري
 في افريقيا ارضاً بمقدار جلد ثور وقدها الجلد سيوراً رقيقة مستطيلة واخذها
 ارضاً بطولها لبناء مدينتها ثم انتحارها فراراً من عقدها الزواج مع هيرباس ملك
 المكسيثانيين فكل ذلك من الاقاصيص والحكايات الموضوعه

الفصل الخامس

(في الفونيقين وملوك الاشوريين)

﴿ عد ١٢٠ ﴾

— في اول من غزا فونيقى من الاشوريين —

وهم بعض العلماء القدماء ان نينوس باني نينوى على زعمهم اخضع لسلطته فونيقى واسيا الصغرى اعتماداً على ما رواه كتاسيوس اليوناني الذي كان عند احد ملوك الفرس في اخر القرن الخامس ق م ونقله عنه ديودوروس الصقلي ذاكراً حكاية سيميرائس امرأة نينوس وانها ولدت في عسقلان مدينة سورية وجعل يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١ فصل ٩) امرفال ملك شعمار وكدرلا عومر ملك عيلام وحلفاءهما (الذين حاربوا بارع ملك سدوم واحلافه في عهد ابراهيم الخليل) اشوريين اخضعوا جنوبي فلسطين بل سورية كلها وذكر مثل ذلك ابو الفرج بن العبري في تاريخه السرياني وجاء في الكتاب المسمى قانون اوسايبوس ان الاشوريين حاربوا الفونيقين في القرن السادس عشر قبل الميلاد وفي تاريخ بن العبري الآنف ذكره « ان قد كانت حرب عوان بين السكديانيين والفونيقين » في ذلك القرن وظن بعضهم ان كوشان رشعنائيم ملك ارام النهرين الذي تعبد له بنو اسرائيل ثماني سنين في ايام قضاة اسرائيل (قضاة فصل ٣ عد ٥ الى ٨) انما هو ملك اشوري ولم يستعبد بني اسرائيل فقط بل استعبد الفونيقين ايضاً (هو فر في تاريخ فونيقى) فكل هذه الاقوال كان يستمسك بها قبل الاكتشافات الحديثة وكانت تظن صحيحة لا يرد عليها من اعترض على ان الاكتشافات الحديثة اثبتت ان نينوس الذي سماه القدماء

اشورياً تقدم دولة الاشوريين بقرون وعند اكثرهم منهم لانرمان انه لم يوجد بل هو عبارة عما كان لنينوى التي نسبوها اليه ولبابل من السطوة والاقتدار فجعل القدماء الحكاية تاريخاً وكذا وضح الان ان ملك شنعار وماك عيلام واحلافهما لم يكونوا اشوريين وان كان بعضهم ملك البلاد التي ملك فيها بعدهم الاشوريون وقد يحتمل الصحة ان كوشان رشعنائيم كان من اسلاف الملوك الاشوريين لكن الكتاب لم يصرح بانه فعل في الفونيقين شيئاً

ان الذي علم الى اليوم من الاثار ان اول ملوك الاشوريين حقيقة الذي جاوز الفرات غازياً الى سورية انما هو تجلت فلاصر الاول الذي ارتقى منصة الملك سنة ١١٢٠ ق م واستمر فيها الى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد وقد كشف عن اثاره تين حروبه سنة فسنة قال لانرمان (مجلد ٤ صفحة ١٤٦) ان الذي يظهر من هذه الاثار انه لم يتجاوز بغزواته (التي ذكرناها في عد ٧٠) جبل اللكام ولم ير البحر المتوسط وزعم بعض المؤرخين انه استحوذ على كيليكا ودمر سواحل البحر المتوسط وادت اليه مصر الجزية لكن الذي حملهم على هذا القول انما هو اعتمادهم على اثر محطم يعرف عندهم بالصفحة المكسرة ذكرت بها حروب في فونيتي وصيد في البحر المتوسط فنسبوها الى تجلت فلاصر الاول وليست له لمخالفتها الاثر الذي نقشت عليه تواريخ غزواته كلها ولا اكتشافها في كوينجك حيث لم يوجد حتى اليوم اثر اخر له والصحيح ان الصفحة المكسرة تشتمل على ذكر غزوات اشور نيزيربال ولا سيما ان تجلت فلاصر عدد اثنين واربعين شعباً خضعوا لسلطته من مجرى الزاب السفلى الى شط الفرات ومن بلاد الحثيين الى البحر الاسود، ولم يذكر فونيتي ولا البحر المتوسط وزاد لانرمان على ذلك في حاشية علقها على صفحة ١٥٤ انه وجد اثر لتجلت فلاصر الاول كتب فيه انه ملك البلاد حتى سواحل البحر المتوسط

وعبر عنه « بتامدى راييتى احارى » اي بحر فونيقى الكبير وقال لكنني لا اظن ما عبر له عن هذه التخوم الغربية السابقة لملكه يلزم فهمه بحسب منطوق حروفه . على ان الاب فيكورو قال (في مجلد ٤ من مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة صفحة ٣٦) ان تجت فلاصر « هو اول ملك من هذه الامة جاوز الفرات واتصل بسلاحه الى سورية حتى جبل لبنان والبحر المتوسط وقد اقام تمثالا لنفسه عند منبع دجلة ومثاله في لندره وعليه خطوط هذه ترجمتها « بعون اشور وشماس وبان كبار الالهة اسيادي انا تجت فلاصر ملك اشور (يعبد اباه) ملكت من البحر الكبير في ارض احارى (المغرب اي فونيقى) حتى الى بحر ارض نهري (اخر مملكته في الشرق لعل المراد البحر الاسود او بحر قزوين) واشتملت صفائح هذا الملك على تفاصيل غزواته الخمس الاولى وعدد فيها نصراته على الاراميين لكنه لم يتكلم كلاما مخصوصا في حربه في فونيقى بل ذكر خشب الارز (من لبنان) بين الجزيات التي افترضها على البلاد التي افتتحها وان اسلافه الملوك واباه لم ينتصروا على هذه البلاد « وعليه فأتان تجت فلاصر الاول الى فونيقى غير مجمع عليه حتى الان لعدم وجود اثار تصرح به لكن المجمع عليه ان اشور نزيربال غشى فونيقى بعساكره فانه فضلا عما كتب على صدر تمثاله القائم الان في المتحف البريطاني كما مر (في عد ٧٢) قد نقشت اخبار غزوته لفونيقى على صخر كالح حيث يقول انه لم يخضع لسلطته سورية الشمالية وبلاد الحثيين وجبال السكام وشواطىء العاصي فقط بل يقول ايضا انه نزل بنفسه الى فونيقى والى ساحل البحر المتوسط واخذ الجزية من صور وصيدا وجيل وارواد وقد كتب على صخرة نمروود « وفي هذا الزمان اخذت نواحي جبل لبنان وذهبت نحو بحر فونيقى الكبير وترنمت على اعالي الجبال بتسابيح الالهة العظام وقدمت لهم المحرقات واخذت الجزية من ملوك

بلاد البحر من سكان صور وصيدا وجبيل ومحالا وميزا وكيزا (لا يعرف موقع هذه المدن الثلث) وارواد التي هي في وسط البحر فقد اتوني بالفضة والذهب والرصاص والنحاس والحديد وبمنسوجات الصوف والكتان وباخشاب ثمينة وجلود حيوانات بحرية وقبلوا قدمي ، وفي اثر اخر وهو الصفيحة المكسرة السالف ذكرها قال « انه ركب السفن التي اخذها من مرفأ ارواد ومضى للنزهة في البحر فقتل دُخَسًا (الدلفين) وانه قضى بعد ذلك اياما يصطاد في جبال لبنان الوعرة فقتل جواميس وخنازير برية وقبض على كثير منها حيا واخذه الى بلاد اشور . ويتفاخر بانه قتل مائة وعشرين اسداً ، وقد كانت غزوة اشور تزيربال هذه نحو سنة ٨٦٥ ق م في ايام ايتوبعل ملك فونيقى واكتفى بما اخذه من الجزية والتقاد من مدن فونيقى المشهور انصباب اهلها على التجارة وايتارهم مثل هذه الجزى على معانات الحروب ووقوف حركة تجارتهم وققل اشور تزيربال عائداً الى بلاده

﴿ عدد ١٢١ ﴾

﴿ في الفونيقيين وسلمناصر الثالث وخلفائه الى تجلت فلاصر الثاني ﴾
 قد ذكرنا في العدد ٧٣ ان سلمناصر الثالث هو ابن اشور تزيربال وخلفه وانه قبض على صولجان ملك اشور من سنة ٨٥٨ الى سنة ٨٢٣ وابناً ما كان له مع الحثيين من الحروب الهائلة والمواقع العديدة وسوف نذكر في تاريخ العبرانيين ولاسيما عند الكلام في تاريخ احاب ملك اسرائيل الحروب التي انتشبت بينه وبين ملوك سورية وملك اسرائيل ومن اخبار اعماله مع الفونيقيين ما نقشه على مسلة نمرود حيث قال « في غزوتي الثامنة عشرة عبرت الفرات المرة الواحدة والعشرين وسرت بجنودي على مدن خزائيل ملك دمشق واخذت الجزية من صور وصيدا وجبيل ، على انه في محالفة الاثني عشر ملكاً في سورية على

سلمناصر هذا لانجد من اسماء ملوك فونيقى الا اسم ماتينبل ملك ارواد ولم يكن معه من الجنود الا مئتا رجل . وان وجدنا بين عداد هولاء الملوك المتحالفين اسم احاب ملك اسرائيل وانه كان معه الفاً مربعة وعشرة الاف رجل فيظهر ان الفونيقين استسلموا الى سلمناصر على عادتهم المستمرة ولاسيما انه ورد في اثار هذه الغزوة انها انتهت بخسارة ابن هدد ملك دمشق رئيس هذه المحافظة عشرين الفاً وخمس مئة رجل من رجاله تجدلوا في ساحة الحرب واضطر ابن هدد ان يفر في البحر مع رواسء عماله وسلمناصر يتفاخر بانه ركب السفن في نخبة من جنوده وتأثره في وسط تيار البحر فلم يدركه (طالع عد ٧٣) وتأثر سلمناصر لملك دمشق كان ولا بد من مدن فونيقى وذلك مؤذن بلا اشكال ان هذه البلاد استسلمت له وقد جرت هذه الاحداث في فونيقى على عهد موتون او ماتان بن بعلزار بن ايتو بعل ملك صور الذي ابتداء ملكه سنة ٨٣٨ وانتهى ٨٢٩ على ما روى لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥١٧) وفي ايامه خسر الفونيقيون املاكهم في جزيرتي مالوس وثاره ومدينتي كاميروس وياليسوس في جزيرة رودس اخذها من يدهم الدوريون احدى عشائر اليونان الاربع بعد حصار عنيف على ما قال لانرمان في المحل السالف ذكره

وخلف سلمناصر الثالث ابنه شمسي رامان ودام ملكه من سنة ٨٢٢ الى سنة ٨٠٩ ولم يوجد له اثر نبىء انه غزا سورية او فونيقى ولكن ابنه وخلفه رامان نيرار الثالث (الذي رقي منصبة الملك سنة ٨٠٩ واستمر فيها الى سنة ٧٨٠) غار على بلاد الحثيين ثم على فونيقى وبلاد عمرى اى مملكة اسرائيل وبلاد ادوم وفلسطين ودمشق فانه قد عد في اثر له البلاد التي تؤدى له الجزية كل سنة فذكر كل ما ذكرنا من البلاد في سورية ومن جملتها فونيقى برمتها بلاد صور وصيدا « على ان خلفاء هذا الملك كانوا على غاية من الوهن فبات الفونيقيون

وسائر السوريين ناعمي البال من قبل الاشوريين كما اسلفنا (في عد ٧٤) الى ان استوى على عرش الملك تجت فلاصر الثاني سنة ٧٤٥ الى سنة ٧٢٦ ق م وغزا سورية غزوات احداها سنة ٧٤٣ انتصر فيها على بيزيريس ملك الحثيين واستدعى اليه الى تل ارفاد في جانب حلب ملوك سورية فاتوه بالتقادم ومن جملتهم حيرام (الثالث) ملك صور والثانية في السنة التالية اي سنة ٧٤٢ تألب فيها عليه ملوك سورية فحاصر تل ارفاد ولم يفتتحها الا بعد سنتين لكن افتتحها يسر له قهر سائر ممالك سورية فجلا منها الوفاً وادى له ملوكها الجزية وعدد اسماءهم في احد اناره متفاخرًا فكان بينهم حيرام ملك صور وسبيتي بعل ملك جبيل وستة عشر ملكًا اخرين والغزوة الثالثة كانت سنة ٧٣٤ انتصر فيها على عساكر رصين ملك دمشق وفاقح ملك اسرائيل وقتل رصين وپظن ان قتل هوشع لفاقح ملك اسرائيل كان بايعازه (ملوك ٤ فصل ١٥ و ١٦) واتصل بغزوته الى غزة فهرب ملكها حنون الى مصر وعاقب شمسة ملكة العرب وجلا كثيرين من بني اسرائيل وغيرهم الى بلاده وادى له احاز ملك يهوذا الجزية ولما هم تجت فلاصر بالعود الى نينوى استدعى الملوك الذين اخضعهم فكانوا خمسة وعشرين ملكًا منهم كثير ممن ذكرت اسماءهم انفاً وفي جملتهم سبيتي بعل ملك جبيل وماتان بعل ملك ارواد واما صور فارسل اليها قائداً اشورياً ويظهر ان حيرام الثالث كان قضى نحبه فخلفه مياب بعل دفع الى القائد مئة وخمسين وزنة من ذهب اقتدى ملكه بها (لانرمان مجلد ٤ صفحة ٢٢٤ عن اثار هذا الملك) ويظهر ان مياب بعل هذا غير موتون ابن حيرام الثالث الذي خلفه نحو سنة ٧٣٠ وكان في هذه الاثناء نزاع لانعلم داعيه ولا تفصيله حمل الصيدونيين على ان يفسوا ارواد ويفتحوها برضى ملك صور واقاموا جالة منهم فيها فاصبحوا اسياها

(حيرام)
ارواد

﴿ عدد ١٢٢ ﴾

— في الفونيقين وسلمناصر الخامس وسرعون ملكي الاشوريين —
 ان سلمناصر الخامس (على ما وصفه لانرمان او الرابع على ما وصفه فيكورو) استوى على منصة الملك خمس سنين فقط اي من سنة ٧٢٦ او سنة ٧٢٧ الى سنة ٧٢١ او سنة ٧٢٢ ولا يعلم هل كان نسب بينه وبين تجلت فلاصر سالفه ولا كيف رقي عرش اشور وقد وجد اسمه في كثير من الاثار الاشورية ولكن لم يوجد له الى اليوم اثر تاريخي ينبيء باعمال خطيرة له وعزا لانرمان ذلك الى قصر مدة ملكه والى انه لم يكن من عادة ملوك اشوران ينقشوا ما يخلد ذكرى اعمالهم وغزواتهم الحربية الا بعد مرور بضع سنين من ملكهم .
 على انه قد ورد اسمه مكرراً في الكتاب لتكيله ببني اسرائيل وحصاره السامرة (ملوك ٤ فصل ١٧) وحفظ لنا يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٩ فصل ١٤) خلاصة عن مينندر كاتب تواريخ صور انبأنا بما كان بين هذا الملك والفونيقين وهذه ترجمة كلام مينندر : ان الولا (ملك صور) ملك ستاً وثلاثين سنة ولما تمرد عليه الشيتيون (في قبرس) مخر اليهم باسطول فدأنا لسلطته طائعين .
 وارسل ملك اشور عليهم عسكرياً واستحوذ على فونيقيا كلها (١) ثم عقد عهدة صلح وعاد الى بلاده على ان سكان عكا (وصيدا في ترجمة هوفر) وصور القديمة ومدناً اخرى عديدة ثأروا على الصوريين وخلعوا نير طاعتهم واستسلموا الى ملك الاشوريين فلم يبق على نبذ طاعته الا الصوريون في الجزيرة فالأب ملك اشور ستين سفينة مفعمة بالفونيقين وفيها ثمان مئة مجذف

(١) كذا في ترجمة يوسفوس الافرنسية عن النسخة المطبوعة في بريس سنة ١٧٠٠ ولكن ترى هذه الفقرة في ترجمة هوفر في تاريخ فونيقيا (وارسل سلمناصر ملك الاشوريين اليهم وفداً واستحوذ على فونيقيا كلها) فلعل المراد انه ارسل وفداً الى الشيتيين ليجرهم على مقاومة الولا

فارسل الصوريون اثني عشرة سفينة فقط لمناسبة هذا الاسطول فشتوه واخذوا خمسمائة اسير من جنوده وبجارته فاكسبهم هذا الانتصار فخاراً واعلى شأنهم فعاد ملك الاشوريين عنهم تاركاً جنوده لحراسة النهر وافنية الماء ليمنعوا الصوريين الاستقاء ودامت هذه الحال خمس سنين فاضطر الصوريون ان يحتفروا آباراً للاستقاء »

فالظاهر من هذه الاحداث ان شعوب سورية الغربية لما قبض تجلت فلاصر انتهزوا فرصة موته ليخلموا نير عبودية اشور فتحالف ملك اسرائيل وملك فونيقى وغيرها على الخروج من طاعة الاشوريين وقبل ان تكمل معداتهم لذلك دهمهم سلمناصر فاستسلموا اليه وادوا له الجزية فعاد الى نينوى لكنهم اضمروا العود لمناواته مستنجدين بشباك ملك مصر الذي يسميه الكتاب سو وهذا بين مما جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٧ عدد ٣) حيث قال في هوشع ملك اسرائيل « وصعد عليه سلمناصر ملك اشور فكان هوشع عبداً له وكان يؤدي له جزية . وعلم ملك اشور ان هوشع محالف عليه وقد وجه رسلاً الى سو ملك مصر ولم يؤدي الجزية الى ملك اشور ، فعاد سلمناصر ثانية الى سورية فقبض عليه وارسله مكتوفاً الى السجن وصعد ملك اشور على الارض كلها وصعد الى السامرة وحاصرها ثلث سنين » وحينئذ استسلمت اليه مدن فونيقى ولم يبق على مناواته منها الا الصوريون الذين في الجزيرة فكان قول مينندر ان سلمناصر عقد عهدة صالح مع ملوك سورية وعاد الى بلاده ثم رجع ثانية الى سورية مطابقاً لنص الكتاب على ان سلمناصر لم يفتح السامرة بل فتحها بعده خلفه سرغون الذي كان قائداً لجيوشه كما سترى في كلامنا على العبرانيين ولم يفتح هو ولا خلفه سرغون صور بل استمرت تتحمل شديد الحصار الى ان رأى سرغون ان لا نفع من حصارها واثّر عليه التوقيع على عهدة

صلح تقضي على صور بدفع فدية سنوية فاسترد جنوده عنها وعاد الى اشور فنجت صور من هذه النازلة متفاخرة بثباتها ونصرها

ولا نرى بعد ذلك في اثار سرعون ذكراً لفونيقى فقي غزوته لازورى ملك اشدود الذي كان قد عزم ان لا يؤدى الجزية واغرى الملوك مجاوريه بالعصاة نجد ذكراً لملوك فلسطين ويهوذا وادوم ومواب انهم نواوا العصاة وراسلوا ملك مصر ولكن لا ذكر لاحد ملوك الفونيقين لا بالموامة ولا بما اجراه سرعون على روساء العصاة اذ هزم ازورى الى مصر والحق به ياوان الذي اقامه العصاة على عرشه واخذ امرأته وبنيه وبناته وامتعه وخزائن قصره وخرّب مدن فلسطين وجلا كثيراً من سكانها الى بلاده واقام مكانهم جالية من بلاد الكلدان وتمت بذلك نبوة اشعيا التي نطق بها قبل سبع عشرة سنة من هذه الغزوة اي سنة ٧٢٧ حيث قال (فصل ١٤ عد ٢٩ - ٣٠) «لا تفرحي يا فلسطين بان قضيب ضاربك انكسر ٠٠٠ بينا انا مميت اصلك بالجوع وبقيتك تقتل ولول ايها الباب اصرخي يا ايها المدينة قد ذبت يا فلسطين باسرك لان قتاماً وافد من الشمال وليس من يفرّد عن عصائبه ،

لكننا نجد سرعون قد ضم قبرس الى مملكته اما بغارته عليها بنفسه واما بارساله اليها احد قواده فقد وجدت في اخربة شيتوم (لرنكا) اشهر مدن قبرس في ذلك العصر صفيحة هي الان في متحف برلين تسمى صفيحة لرنكا تبين منها ان سرعون غزا قبرس وازادها الى املاكه وان ذلك كان في السنة الحادية عشرة لملكه اي نحو سنة ٧١٠ ق م وجعل سرعون مدن فونيقى تؤدى الجزية اليه تواء منفصلة عن صور التي خسرت في مدة الحصار بعض مستعمراتها في جزر البحر المتوسط فقل نفوذها وان علا شأنها بثبات ابطالها في جزيرتهم على ان مقتل سرعون في نينوى سنة ٧٠٤ وما كان من الاضطراب بسببه كان فرصة

اغتمها الولا ملك صور لاعادة سوّده على مدن فونيتي وكفها عن اداء الجزية
للاشوريين الا انه ما عتم ان نزلت به داهية اخرى دهماً كما سترى

﴿ عد ١٢٣ ﴾

— في الفونيتيين وسنحاريب ملك اشور —

ان سرغون اغتاله جندي او احد سفلة الناس سنة ٧٠٤ فهب ابنه سنحاريب
الذي كان يلي بلاد الكلدان من بابل الى نينوى فاستوى على منصة الملك الى
سنة ٦٨٠ فتكون مدة ملكه اربعاً وعشرين سنة . وبعد ان اخمد نار الثورة في
بلاد الكلدان ومادى وارمينا زحف بمسكر جرار نحو سنة ٧٠٠ ق م ينوي
اذلال ملوك سورية وتمكين سلطته فيها بل يطمح بصره الى الاستيلاء علي
مصر ايضاً واول البلاد التي وطئتها جنوده فونيتي فكان مجرد دنوه من اكثر
مدنها كافيّاً لاستسلام ملوكها اليه ودفعتهم الجزية له فكذا فعلت ارواد وملكها
عبديليت وشمرون وملكها مناحيم وجبيل وملكها اورملك ومشي على اثر
هولاء صيدا وسربتا (صرفند) واكو (عكاء) واكذيب (الزيب) وغيرها
من مدن فونيتي . واما الولا ملك صور الذي كان يسمى حينئذ ملك الصيدونين
فاقام في صور البحرية اي الجزيرة وهم بتحصينها رجاء ان يسعده الحظ بالدفاع
كما اسعده في عهد سرغون فخاب امله وافتتح سنحاريب المدينة ولجأ الولا
الى الفرار فاقام سنحاريب مكانه اميراً يسمى ايتوبعل فاقر له بالسيادة وتعهد بآداء
الجزية الى ملك اشور فكان هذا ايتوبعل الثاني بهذا الاسم من ملوك فونيتي وهذه
ترجمة ما كتبه سنحاريب في اثره المسمى صفيحة تيلور في هذا الشأن « في
غزوتي الثالثة مشيت على بلاد الحثيين اي (سورية) فراعت رهبة عظمتي لولى
(اي الولا) ملك صيدا فقر الى محل شاسع في وسط البحر فاخضعت بلاده لسلطتي
صيدون الكبرى وصيدون الصغرى وسربتا (صرفند) وبيت زيتي ومحالبا

وحصا (هذه المدن الثلاث لا يعرف موقعها بتأكيد) واكسيب (الزيب) واكو
 (عكا) فان مخافة جنود اشور سيدي حلت في مدنه المحصنة وقلاعه المسورة
 وفي مخازن عدده وذخايره وفي مراعي مواشيه فخضع كل ذلك لسלטاني واقت
 توبعل على العرش الملكي ملكا عليهم وافترضت عليهم جزية سنوية دائمة بمنزلة
 فدية تقدم لعظمتي واما مناحيم ملك شمشيمورنا (هي شمرون السالف ذكرها
 في شمالي فونيقى وموقعها الان غير موكد) وتوبعل ملك صيدا وعبدليت ملك
 ارواد واور ملك جبيل ومينتي ملك اشدود وبودويل ملك بيت عمون وكموش
 نداب ملك مواب ومايكرام ملك ادوم وجميع ملوك احارى (المغرب) وكل
 ملوك ساحل البحر (المتوسط) فهولاء جميعا قدموا لي تقادهم النفيسة وهداياهم
 الثمينة وقبلوا اقدامي ، ويستتبع كلامه في ملوك اخرين وفي حزقيا الملك كما
 ستراه في تاريخه ولسنحاريب اثر اخر يعرف بصفيحة القسطنطينية لوجوده في
 متحفها اختصر فيه تاريخ هذه الاحداث بالبلغ عبارة فقال « اما لولى ملك صيدون
 فاخذت ملكه واقت توبعل على عرشه وفرضت عليه جزية ، وقد نقش سنحاريب
 صورته على صخر عند معبر نهر الكاب ذكرى لاختضاعه سورية وفونيقى فتراها
 الى اليوم بين صور غزاة بلادنا من كل صوب

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥٢٥) ما ملخصه ان في اخبار الحروب
 التي جرت بين سرغون وسنحاريب والولا ملك صور عبرة يُعَظُّ بها فاننا
 رأينا المدن الفونيقية تعاد صور عاصمتها منفردة وتفتح ابوابها لملك اشور بل
 تقدر بملكها وآله واهل عاصمته بانجادها الاشوريين عليهم بسفنها وملاحيتها وما
 الخوف من الجنود الاشورية بكاف لارتكاب هذه الخيانة والغدر فلا جرم ان
 الحسد والاحن حملت الفونيقين على خيانة عاصمتهم التي اثقلت نير سوؤدها
 عليهم واحتجنت لنفسها ارباح التجارة برمتها وعاملت غير الصوريين معاملة

خدم لها ولمحاطيها كجعلهم بحارة في سفنها وجلافطة لخصاصها وعملة في معاملها فكانوا يهرون ان يروها مدحورة مذلة لينتفعوا بخرابها ويأثروا لنفوسهم منها وتستوي وسائر مدن فونيقي فهذا سر تصرف صيدا وجيبل وعكا في هذه الاحوال لكن سوء العاقبة عم الطرفين فخرت صور سوؤدها بتكبرها وتجبرها واضاعت سائر مدن فونيقي استقلالها لتتشفى من غيظها وكدها وثقل على الجميع نير اشور واشتدت وطأته وتوفرت جزياته وبئس المصير . على ان صور بعد ثل عرش الولا وتخليف ايتوبعل له اذعت لقضاء الحال وقل ما تراها بعد ذلك حاولت استرداد سيادتها الغابرة

﴿ عدد ١٢٤ ﴾

— في الصيدنيين وآسرحدون —

ان سنحاريب قتله ابناه ادر ملك وشراصار وهو ساجد في بيت نصر و ك الهه كما انبأنا الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٩ عدد ٣٧) وكان ذلك سنة ٦٨٠ ق م ووقع الخلاف والنزاع بين ابائه على ملكه ففاز به ابنه آسرحدون اذ انتصر على اخويه القاتلين فرقي منصة الملك من سنة ٦٨٠ الى سنة ٨٦٧ ق م فملك اثني عشرة او ثلث عشرة سنة وتأويل اسمه « اشور اعطى اخا » فاخذ جذوة الشعب الذي حصل عند مقتل ابيه في بلاده واستتبت الراحة على يده في بلاد الكلدان وكان عبد ملكوت ملك صيدا وغيره من ملوك سورية استغنموا فرصة مقتل سنحاريب فهجموا بالتملص من سلطة اشور واداء جزياتها ومنى ملك صيدا نفسه انه يستقل ويخلف صور في سيادتها فنبى آسرحدون بما يأتمرون وما يتوخون فحشد الجنود وأعدّ العدد وغشا سورية بنفسه وسار لا يلوي على شيء حتى بلغ الى صيدا فحاصر المدينة براً فافتتحها عنوة فلجأ عبد ملكوت وبعض قومه الى الفرار بجرّاً بسفنه آمليين النجاة والعود الى وطنهم بعد جلاء الاشوريين عنه فاخذ

آسرحدون سفناً من مدن فونيقى الاخرى وتتبع سفن صيدا التي حملت القارين فانصر عليها وقبض على الملك وقتله ودمر المدينة وغنم جنوده بما فيها وجلا بعض الصيدين الى اشور

وهاك ما نقشه آسرحدون على احدى صفائح « ضربت مدينة صيدون التي على ساحل البحر واهلكت سكانها على اخرهم ودمرت اسوارها ومنازلها والقيت موادها في البحر وتقضت المياكل وفر ملكها عبدملكوت في البحر كسمك ليختفي عن وجه عزتي فاجتذبتة الي من بين الامواج واستحوذت على خزائنه من ذهب وفضة وحجار كريمة وكهرباء وصندل وابنوس ومنسوجات من الصوف والكتان وكل ما حواه قصره وجلوت الى اشور جماً غفيراً من الرجال والنساء واخذت ايضاً بقرأ وغنماً ودواب الركوب والحمل واقت سكان ساحل سورية في انحاء شاسعة وبنيت في وسط بلاد الحثيين مدينة سميتها دراسرحدون (اي مدينة او قلعة اسرحدون) واسكنت فيها القوم الذين قهرهم ذراعي في الجبال التي في جهة جبال مشرق الشمس واقت عليهم احد عمالي حاكماً » فالمراد بهذه العبارات الاخيرة انه جلا السوريين الى اشور وجلا اقواماً اخرين من شرقي اشور فاسكنهم في سورية ولا يعلم زمان هذه الغزوة ولكن لا بد انها كانت بين سنة ٦٧٨ الى سنة ٦٧٣ ق م

وقال في اثر اخر انه دعا اليه الملوك الخاضعين له في بلاد الحثيين اي في سورية وفونيقى وفي الجزر فكانوا اثنين وعشرين ملكاً وعددهم هكذا « بعل ملك صور منسا ملك يهوذا قدموه ملك ادوم موصورى ملك مواب زليليل ملك غزة ميتينتي ملك عسقلون ايتوزو ملك عقرون ملكي اصاب ملك جبيل ماتان بعل ملك ارواد ابيعل ملك شمرون بودويل ملك بيت عمون احى ملك ملك اشدود » ثم يعدد عشر ملوك في مدن قبرس

وهذا الملك توغل في بلاد العرب الى حيث لم يسبق اليه احد ملوك اشور
وحاول البلوغ الى اوفير بلاد الذهب فمنعه من ذلك الحر الشديد وصعوبة
المسالك وقلة الماء فيها لكنه استحوذ على بلاد العرب واخضع مصر وهزم
ترهاقة ملكها الذي كان من الدولة الحبشية التي وليت مصر واخذ منف وتاب
(طيبة) واقام في اعمال مصر اقبالاً يؤدون الجزية اليه ولم يجسر منسا ملك يهوذا ان
يقاومه بل ذل له واعطاه الجزية كما سترى في كلامنا عليه في تاريخ العبرانيين
وجاء هذا الظاهر اخيراً فنقش صورته على صخر عند معبر نهر الكلب ونقش
تحتها اخبار غزواته واذلاله مصر وكان رعمسيس الثاني ملك مصر نقش قبله
صورته هناك كما اسلفنا ذكرها لاستيلائه على سورية فكان اسرحدون اراد ان
يوعز الى الاجيال المتخلفة له ان مصر واخلاف رعمسيس انفسهم دانوا لعظمته
وذلوا لسطوته ولكن في اخر مدة ملكه عاد ترهاقة فتغلب على مصر وقتل
الحرس الاشوري وكان اسرحدون قد اعتهب الاتعاب والمرض ولم ير من نفسه
المقدرة على غزو مصر ثانية فتنزل عن الملك لابنه اشور بانيبال

﴿ عدد ١٢٥ ﴾

— في الفونيقين واشور بانيبال ملك اشور —

اقام اسرحدون حفلة المبايعه لابنه اشور بانيبال بالملك في الثاني عشر من
شهر ابرو (يوافق بعض شهر نيسان وبعض شهر ايار) لسنة ٦٦٧ قبل الميلاد
ولا نعلم العلم الاكيد مدة استوائه على العرش لانقطاع الاثر الذي انبأ بسني
ملوك اشور السالف ذكرهم والاطهر ان اشور بانيبال استمر ضابطاً صولجان
الملك زهاء ثلثين سنة اي الى سنة ٦٣٧ وكان هماماً مغوراً قاسياً محبباً العلم وراغباً
في المحافظة على الاثار القديمة وترك من الاثار ما لم يباره فيه احد من ملوك
اشور وما تم بعد توجهه ان سار بجيشه الجرار يؤم مصر تداركاً لغارة ترهاقة

عليها بعد اخذاله وعند مروره في فونيتي وسورية تسارع اليه اثنان وعشرون ملكاً منها ومن جزيرة قبرس لتحيته والاعتراف بالامانة لعرشه واعطائه الجزية فلم يكونوا لينسوا ما انزله بهم ابوه واجداده وقد اكتشف عن اثر له مشوه ولكن تظهر منه اسماء هولاء الملوك فترى بينهم « بعل ملك صور ومنسا ملك يهوذا وملكي اصف ملك جبيل ويكينلو ملك ارواد واييعل ملك شمرون » ولا بد ان مد هولاء الملوك اشور بانيبال ايضاً لمحاربة مصر وانتصر على ترهافة في موقعة كرنيت على ضفة النيل فانهزم الى تاب فاحقه اشور بانيبال اليها ففر الى الحبشة فاعاد ملك اشور الاقبال الذين كان نصبهم ابوه الى ولاياتهم واكثر الحامية الاشوريين في محاصن مصر وقتل الى نينوى لكنه لم يصل اليها الا وثار عليه هذه المرة الاقبال انفسهم وفي مقدمتهم نكو احد هولاء الاقبال فقبضت عليه الجنود الاشورية وعلى قبيلين آخرين وارسلوهم مكبلين الى اشور فاعتمد اشور بانيبال هذه المرة الحلم فاكرم مشواهم وافاض نعمه على نكو خاصة وردهم الى ولايتهم لكنه اضطر بعد امد وجيز ان يعود للقتال في مصر لان ترهافة توفي فجدد ابنه اوردامان الذي خلفه في عرش الحبشة الاعتماد على املاك مصر ولا يبدو ان كان اشور بانيبال في غزواته هذه يشغل الفونيقين عند ممرة بارضهم باعداد الذخائر وامداد جنوده برجالهم ولا نعلم ما الذي جرى بعل ملك صور على المجاهرة بالعصيان على اشور بانيبال في السنة الثالثة لملكه اي سنة ٦٦٤ ولا كيف ماله على ذلك غيره من ملوك فونيتي حتى هب عليهم اشور بانيبال فحاصر مدنهم وافتتحها ودام حصار صور سنين عديدة واشتد الضيق على اهلها حتى ساقهم الظماء ان يشربوا ماء البحر واضطروهم العوز الى القوت ان يفتحوا ابواب محصنهم وهاك ما كتبه اشور بانيبال على احدى صفايح « ذلت بعل (ملك صور) وجعلته يعرض

عن طماحه ويخضع عنقه لثيري واشخصت لدي بناته واخوات اخيه ليكن لي
 إماءً واتى يا ملك ابنه يبدي خضوعه لي ويقدم لي تقادم لم يسبق الي مثلها ويدفع
 الي رهينة بنته وبنات اخوته فعموت عنه ونصبته ملكاً على البلاد ، وكل ملوك
 سواحل فونيتي الذين ماثوا بعلاً الجثوا الى طرح اسلحتهم صاغرين طوعاً او
 كرهاً ويكينلو ملك ارواد الذي كان يحسب امواج البحر تسعفه على حفظ
 استقلاله الجي ان يرسل ابنته لتكون مخفورة بين حرم الفايزي في نينوى ثم
 الجي الى الانتحار فراراً من وقوعه بيد الاشوريين واسر اشور بانيبال ابناه
 الثمانية قتل سبعة منهم واستحي اكرهم اذبعل فاقامه ملكاً على ارواد واستمر
 القونيقيون على طاعة ملك اشور حتى نهاية ملك اشور بانيبال . هذا ما رواه لانرمان
 (مجلد ٦ صفحة ٥٢٧) لكنه كان روى في (مجلد ٤ صفحة ٣٤٤) ان ابنا يكينلو
 عشرة وانهم بعد ان كانوا قروا الى قبرس على ما يظهر عادوا صاغرين الى اشور
 بانيبال بتقادم عديدة وقبلوا قدميه فمعا عنهم واقام اكرهم ملكاً على ارواد فلا نعلم
 اي الروايتين احق بالاتباع وكانت في هذه الاثناء غارة التتر الشهيرة فانهم جاوا جمّاً
 غفيراً من بلادهم في الشمال فخيّموا في اسيا الصغرى وسورية وبلغوا تخوم مصر
 حيث اقاموا مدة ثم انقلبوا نحو الشمال فاضرو بالمزارع والحقول في فونيتي
 لكنهم لم يدنوا من المدن المحصنة الا عسقلون فانهم دخلوها واتهبوا كل ما كان
 فيها حتى هيكل الزهرة اقدم هياكلها لان هيكلها في قبرس وجزيرة قيثارة بُنيا
 بعد هذا الهيكل زمن طويل كما روى هيرودت (ك ١ فصل ١٠٥)

الفصل السادس

(في الفونيقين في مدة ملوك الكلدان والفرس)

﴿ عد ١٢٦ ﴾

— في انقراض دولة الاشوريين وخلافة دولة الكلدان لها —
وغزوة نكو ملك مصر لسورية وفونيتي

خلف اشور بانيبال بعد وفاته ابنه اشور اديليان كذا وجد اسمه مكتوباً على قطعة من اجرّ في كالح « انا اشور اديليان ملك العساكر ملك اشور ابن اشور بانيبال » وكان هذا الملك واهن العزيمة مع ان ملكه انبسط حتى لم يمكن ضبطه ونشأ في شرقيه دولة ضمت اليها عشائر الماديين كلها وتعاقبت الحروب بين الاشوريين والكلدان في بابل الى ان وليّ اشور اديليان ملك اشور نبو بلاسر الكلداني على بابل واعمالها او جعله قائداً لجنوده هناك ولما رأى من نفسه القوة ومن ملك اشور الوهن سمى نفسه ملك بابل وحالف شيكسر ملك الماديين ونكو الثاني ملك مصر على الخروج على ملك اشور وقرض دولته وخراب نينوى فجهش شيكسر جنوده وسار بها نحو نينوى فلم يلقَ معارضا الى ان بلغ ابواب المدينة واقام عليها الحصار ولولا ان غارة التتر السالف ذكرها تكرهه على العود الى مملكته لاقتحها حينئذٍ على انه بعد ان فتك بالتتر وطردهم من مملكته عاد الى حصار نينوى بجنوده وجنود نبو بلاسر ملك بابل ولم تبتئسا الاثار كيف كان سقوط نينوى بل انبأنا قدماء المؤرخين ان الحصار دام سنتين فلم تتمكن مناعة اسوارها اعدائها من افتتاحها على ان دجلة طغى يومئذٍ طغياناً فوق عادته فاقلب جانباً من الاسوار فتيسر القتح للاعداء فدخلوا المدينة ولما يئس ملكها القى النار في

قصره فاحترق هو ونساؤه وخزائنه فدك الظافرون ابنة المدينة كلها دكا حتى
اسسها وكذا زالت عظمة هذه المدينة وانقرضت دولتها كما تلبأ عليها الاثنياء
ولم تقم من ورطتها بل لم يعد يعلم اين كانت الا في هذه السنين الاخيرة فانه
ظهر انها كانت في محل كوينجك الان وكان خرابها سنة ٦٢٥ على قول بعضهم
او سنة ٦٠٦ على قول اخرين وهو الاظهر وسنجي على تفصيل ذلك في تاريخ
العبرانيين واقتسم ملك بابل وملك مادي املاك دولة الاشوريين

عفواً من القراء عن تخطي سبيل الغرض رغباً في توفر الفوائد وفي التمهيد
لادراك الكلام الاتي حق ادراكه : لم تنج فونقي من القلق والمشاق من جرى
هذه الاحداث فان نكو الثاني ملك مصر خرج على سورية اما بقضاء المحالفة
مع نبو بلاسر ملك بابل على قول بعضهم او طلباً لنصيبه من تركة ملك اشور
على قول غيرهم فسار نكو بجيش جرار من منف في فصل الربيع من سنة ٦٠٨
في طريق اسلافه فالتقاء يوشيا ملك يهوذا في مجدو (الحجون) يريد منع عبور
العساكر المصرية حفظاً لامانته لملك اشور فقتله نكو وبدد شمل عساكره ولما
رأى ملك صور وسائر ملوك فونقي ما حل بملك يهوذا تلقوا جنود مصر
بالترحاب وخضعوا لنكو ملك مصر متذكرين ما انزله الاشوريون بهم من
الضنك والعسف والحراب وما كان لصيدا في ايام سيادة مصر عليها من النجاح
والفلاح وتوصل نكو ملك مصر بغزوته هذه الى كركيش على القرات . ونكو
هذا هو الذي جعل ملاحى السفن الفونيقية يسافرون على نفقته حول قارة
افريقية مبتدئين من البحر الاحمر وعائدين الى مصر في طريق بوغاز جبل طارق
كما مر (عد ١١٥) الا ان هذا السفر لم يكرر ولم يعن بحفظ مذكرات المسافرين
فلم يكن منه النفع المرغوب فيه للتجارة

ان تذليل الاشوريين لمالوك فونقي والاستيلاء على بلادهم لم يوقفا حركة

تجارهم ولا نقصا غنى صور ولا اخدا حمية الفونيقين ورغبتهم في الاتجار
والاغتراب بل اقاموا جاليات عديدة منهم في غربي البحر المتوسط اي في اوربا
ولما انتقص القصدير في معادن اسبانيا في الايام التي نكتب تاريخها امعن تجارهم
في المغرب حتى بلغوا جزائر بريطانيا طلباً للقصدير من معادن كورنويل الشهيرة
ذكر ذلك استرابون (ك ٣ من تاريخه) وسنجي على الكلام في تجارة فونيقى
في فصل مخصوص

﴿ عد ١٢٧ ﴾

— في الفونيقين وبختنصر وحصاره صور —

قد مر أن نكو ملك مصر بلغ بجنوده ظافراً الى كركميش فشق على نبوبلاسر
ان يستحوذ على سورية كلها وخشي ان يملك ما بين النهرين كاسلافه توتس
وساتي ورعمسيس وكانت الشيخوخة والمشاق اضعفت عزيمته فلم ير من نفسه
المقدرة على ادارة جيشه في مقاومة ملك مصر فاشرك في ملكه ابنه نبوكدونصر
الذي يسميه العرب ببختنصر (وتأويله الاله نبو يحفظ الاكليل) وفي سنة ٦٠٦
ق م خرج ببختنصر لمقاومة ملك مصر في كركميش على ضفة الفرات فكان بين
الجيشين المصري والبابلي موقعة هائلة دارت الدوائر بها على المصريين فتبعهم
الكلدان على اعقابهم في سورية كلها وفتحت مدن سورية وفونيقى ابوابها
للكلدان مستسلمة لهم كعادتها المستمرة وبلغ ببختنصر بجحافلها الى تخوم مصر
يريد الاستيلاء عليها لكنه اضطر ان يعود الى بابل لوفاة والده سنة ٦٠٤ وروى
باروز انه نظم حينئذ سورية والبلاد التي استولى عليها باقامة قواد مخلصين
لحاميته التي تركها في المدن التي خضعت له وروساء يخفرون الاسرى العديدين
ويقتادونهم الى بابل وأجد السير بشرذمة من جنده الى بابل حيث كلل ملكاً
سنة ٦٠٤ واستوى على منصة الملك وحده الى سنة ٥٦١ ق م فيكون ملك ٤٣

سنة وحده وستين مع ابيه

ان يختصر عاد الى سورية سنة ٦٠٢ ليقبض من يواقيم ملك يهوذا لدخوله في المحالفة عليه مع نكو ملك مصر ويزيل اثار الثورة من سورية فاكره يواقيم على الخضوع لملك بابل وعلى اداء الجزية اليه واخذ يختصر بعض آنية الهيكل ولا نرى ذكراً في غزوته هذه لملوك فونيقى فيظهر انهم اظهروا له الخضوع وادوا اليه الجزية وعهدوا له بحفظ الامانة فلم يضر بهم على ان يواقيم ما برح سهل الانخداع بدسائس ملك مصر ولذلك عاد يسعى بخلع نير بابل طبق ما جاء في الكتاب (ملوك ٤ فصل ٢٤ عد ١) حيث قال فيه « وفي ايامه صعد نبوكدنصر ملك بابل فكان يواقيم عبداً له ثلث سنين ثم عاد فتمرد عليه ، فهب يختصر هذه المرة الثالثة الى سورية سنة ٥٩٩ فتوفي في تلك الاثناء يواقيم وخلفه ابنه يواكين فلم يمكنه ان يقاوم جنود ملك بابل اكثر من ثلثة اشهر والجبى ان يسلم نفسه وآله الى يد عدوه فاخذهم يختصر اسرى الى بابل وجلا معهم عشرة الاف رجل من نخبة بني يهوذا ودخل اورشليم واستلب كل ثمين في الهيكل وقصر الملك واقام متنيا عم يواكين ملكاً مكانه وسماه صدقيا وفي هذه الغزوة ايضاً لانبج ذكراً في الكتاب ولا في الاثار ولا في كتب المؤرخين لملوك فونيقى ومدنها فظهر انهم ما برحوا على طاعة ملك بابل فكانوا احكم من بني يهوذا مع انذار ارميا لهم بالاذعان لملك بابل وعدم الاتكال على مصر على ان يختصر اضطر ان يعود بعد تسع سنوات الى سورية اي سنة ٥٩٠ وكان اذ ذاك ملكا صور وصيدا وغيرهما من ملوك فونيقى شركاء في المحالفة مع ملك مصر وصدقيا ملك يهوذا وملكي العمونيين والموابين ايضاً وزين لهم الاقدام على هذه المحالفة نفرة وقعت بين ملك بابل وملك مادي اذ كان مات شيكسر ملك مادي حليف يختصر وحموه وخلفه ابنه استياج فنشأ الخلاف

بينهما ذاك شأن كل دولتين قويتين متجاورتين فاغتم ملوك سورية ومصر
فرصة هذا الخلاف لخلع طاعة ملك بابل فهب عائداً الى سورية وانبأ حزقيال
النبي انه وقف قليلاً بين يفكر اي الطريقين يسلك اولاً أطريق اورشليم ام
طريق صور اذ قال النبي (فصل ٢١ عد ٢١) « ان ملك بابل وقف عند ام
الطريق في رأس الطريقين لياشر عرافة ٠٠٠ فاذا العرافة في يمينه اورشليم لينصب
المجانيق ، عليها . فقسم جحافله الى قسمين سار برأس احدهما الى اورشليم
وسير الاخر الى صور فاقام الحصار عليها وسنأتي في تاريخ المبرازين على ذكر
ما كان من حصاره اورشليم ووقوفه عنه قليلاً حتى هزّم حفرع ملك مصر احد
ملوك الدولة السادسة والعشرين فيها الذي كان يظهر انه اتى لنجدة صدقيا ملك
يهودا ثم عوده الى حصار اورشليم الذي استمر ثمانية عشر شهراً وهرب صدقيا
والقبض عليه واشخاصه امام مختصر الذي فقا عينيه وذبح ابناه بحضرته واخذه
مكبلاً في السلاسل الى بابل وجلا معه كل علية القوم في يهودا وحرق الهيكل
وقصر الملك وقتل عظيم الكهنة وستين رجلاً من الاعيان وولى جدليا على
اورشليم

واما صور فاقامت جنود مختصر الحصار عليها وحان اتمام ما تنبأ عليها به
حزقيال النبي اذ قال (فصل ٢٦ عد ٢ وما يليه) « بما ان صور قالت على اورشليم
نعماً قد انكسرت مصاريع الشعوب وتحولت اليّ فانا امتلئ اما هي فخربت
لذلك هكذا قال الرب ها انذا عليك فاصعد عليك امما كثيرة كما يصعد البحر
امواجه فيدمرون اسوار صور ويهدمون بروحها واسحي غبارها عنها واجعلها
صخراً عارياً فتصير مبسطاً للشباك في وسط البحر ٠٠٠ ها انذا اجاب على صور
نبوكدصر ملك بابل من الشمال ماك الملوك بخيل وعجلات وفرسان وجمع
وشعب كثير فيقتل بناتك في الصحراء بالسيف ويجعل عليك مترسة ويرك عليك

تلاً ويرفع عليك المجنب ويلقي على اسوارك صدمات متجنيقه ويهدم بروجك
بادوات حربيه ولكثرة خيله يغطيك غبارها ومن صوت الفرسان والعجلات
والمراكب ترتعش اسوارك اذ يدخل ابوابك دخول مدينة قد ثغرت وحرافر
خيله تطأ جميع شوارعك ويقتل شعبك بالسيف وانصاب عزتك تهبط الى
الارض ويسلبون تروثك وينهبون تجارتك وينقضون اسوارك ويهدمون بيوتك
الشهية ويلقون حجارتك وخشبك وترايك في وسط المياه وابطل زجل اغانيك
وصوت كناراتك لا يسمع من بعد واجعلك صخرًا عارياً فتكونين مبسط
شباك ولا تبنين في ما بعد ، ودام الحصار على صور ثلث عشرة سنة وملكها
ايتوبعل الثالث وابطاله يبدون آيات الشجاعة والتجملد والثبات والجيء الصوريون
ان يغادروا المدينة البرية اولاً وان يتحصنوا في المدينة الجزرية فدكت جنود
بختنصر ابنة المدينة حتى جعلوها قاعاً صنفصفاً وكلوا عن افتتاح الجزيرة وكان
بختنصر قد مضى الى بابل فعاد الى صور سنة ٥٧٤ وشدد الحصار بنفسه فقيل
انه اقتتح الجزيرة عنوة وقيل ان ايتوبعل الثالث سئمت نفسه هذا الحصار
الطويل ورأى الحراب الملم بشعبه لا تقطاعهم عن التجارة والاشغال فاستسلم
لبختنصر واعترف بسيادته عليه وذكر لانيرومان الروائين الاولى في المجلد السادس
(صفحة ٥٣٠) والثانية في المجلد الرابع (صفحة ٤٠٢) واسر بختنصر ايتوبعل
وكثيراً من اعيان قومه وقادهم الى بابل وفرّ فريق من المحاصرين بسفنهم الى
قرطاجنة ولم تعد صور منذ يومئذ الى مجدها واتساع تجارتها واسفار جالاتها
واقام بختنصر على صور ملكاً اسمه بعل واستسلمت له سائر مدن فونيقي
وذل اهلها له صاغرين

﴿ عد ١٢٨ ﴾

— في الحرب البحرية بين اسطول حفرع ملك مصر —

والاسطول الفونيني من قبل يختصر

ان حفرع ملك مصر ابطاً كثيراً على صور بانجاده لها كما ابطاً علي اورشليم ولم تتكامل معداته الحربية الا بعد افتتاح صور وكانت سلطة الكلدان توطدت في فونيني وسورية فلم يجرؤ حفرع على ايقاد نار الحرب برأ فجهز اسطولا بحرياً لم يكن لمصر مثله منذ عهد توتمس الثالث واستأجر له بحارة وجنوداً يوناناً وكاريين (هم سكان كاليا في اسيا الصغرى تجاه جزر الارخيل) وسير اسطوله نحو فونيني آملاً ان يهيج مدنها على ثورة يخرجون بها عن طاعة الكلدان على ان توخر جنود يختصر في فونيني ومخافة اهلها ان يحل بهم ما حل في صور قبلهم خيبا مسعى حفرع بل انقلب الفونينيون عليه وجهزوا سفنهم البحرية وضمت اليها سفائن جزيرة قبرس وسيروها تعترض مسير الاسطول المصري فكانت موقعة هائلة بين الاسطولين في امواه قبرس وكان النصر فيها لاسطول مصر فتبع الاسطول الفونيني حتى اتي يتطلب غرامة الحرب من المدن الساحلية وافتتح صيداء عنوة لان ملكها كان رئيس الاسطول ونهبها وغنم ما فيها واخذ ايضاً حفرع ارواد وجيبيل وسالته باقي مدن فونيني وقد وجدت اطلال ابينة في جيبيل وارواد على نمط الصناعة المصرية واكتشف فيها آثار كتب عليها اسم هذا الملك كانه بانيها على ان تسلطه على فونيني لم يثبت الا زماناً وجيزاً اي نحواً من ثلث سنين او اربع لان يختصر عاد الى فونيني واخضعها بل قصد مصر ايضاً فاستولى عليها وثل عرش حفرع واقام مكانه ملكاً يسمى احمس وقد تفاخر يختصر كاتباً في احد اثاره انه نزل الى مصر وقلب ملكها عدوه عن منصبه واقام عليها ملكاً اخر وقهر المصريين واثنخن في ارضهم وكان كل ذلك مصداقاً لنبوات

حزقيال في الفصول ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ من سفر نبوته حيث يهدد مصر باستيلاؤها
 بختنصر عليها وخرابها واذلال ملكها المتكبر ولذوات ارميا حيث قال (فصل ٢٤
 عد ٣٠) « هكذا قال الرب ها انذا اجعل فرعون خضرع ملك مصر في
 ايدي اعدائه وطالبي نفسه كما جعلت صدقيا ملك يهودا في يد نبوكدصر ملك
 بابل عدوه وطالب نفسه » وقال في ذلك ايضا (فصل ٤٦ عد ٢٤) « قد
 اخزيت بنت مصر وجعلت في ايدي شعب الشمال ٠٠٠ وافتقد فرعون وجميع
 المتوكلين عليه واجعلهم في ايدي طالبي نفوسهم في يد نبوكدصر ملك بابل
 وايدي عبيده »

﴿ عد ١٢٩ ﴾

حالة صور في عهد ملوك بابل بعد فتح بختنصر لها
 قد مر بك ان بختنصر اقام بعلاً ملكاً على صور بعد اذلاله لها وحفظ لنا
 يوسفوس (في كتاب رده اقوال ايونك ١ فصل ٧) فقرة من تواريخ صور
 التي ترجمها مينندر الى اليونانية تيسر لنا بها استقراء تاريخ ملوك صور في باقي
 مدة ولاية البابليين فقال مينندر « حاصر بختنصر مدينة صور على عهد ايتوبعل
 ملكها الذي خلفه بعل فلما عشر سنين وبعد وفاته انتقل الملك من الملوك الى
 قضاة فولى القضاة اكسيبعل بن بالوق شهرين ووليه كالب بن عبداي عشرة
 اشهر ثم ابار عظيم الكهنة ثلاثة اشهر ثم موتون وجيروست ابنا عبد ريم ست
 سنين . ثم بلاتور سنة وبعد ذلك استدعي الصوريون مور بعل من بابل وملكوه
 فلما اربع سنين وخلفه اخوه حيرام وملك عشرين سنة . وكان اذ ذاك كورش
 ملك الفرس ملكاً في البلاد واذا جمعت هذه المددات معاً كان مجموعها اربعمائة
 وخمسين سنة وثلاثة اشهر (بعضها من مدة ايتوبعل) وحصار صور بدأ فيه
 للسنة السابعة لبختنصر وكورش ملك الفرس رقي منصة الملك للسنة الرابعة من

ملك حيرام « لعل الاصل الرابعة عشرة من ملك حيرام) انتهى كلام مينندر والظاهر منه انه بعد ان ولي بعل صور مدة عشر سنين اي من سنة ٥٧٣ الى سنة ٥٦٣ ثار الصوريون عليه وثلوا عرشه واستبدلوا الحكومة الملكية بحكومة جمهورية يسمى رئيسها شفت اي حاكماً او قاضياً فلم تستقر لهم حال بل تتالي الحكام فيهم تتالي الاشهر كما رايت ومدة هذه الثورة توافق مدة جنون بختنصر فكان الصوريين انتهزوا فرصة جنون ملك بابل وما صحبه من القلق والاضطراب ليتملصوا من ولاية بابل ويردوا على انفسهم استقلالهم ولما لم تستقم حالة الجمهورية استدعوا مور بعل الذي يظهر انه كان من سلالة ملوك صور وكان سجيناً في بابل او ارسله اليهم نابونيد ملك بابل حينئذ فملك في صور سنة ٥٥٥ ولكن لم يدم ملكه الا اربع سنين كما مر وتوفي سنة ٥٥١ وخلفه اخوه حيرام الرابع واقام على منصة الملك اربع عشرة سنة خاضعاً لسلطة بابل ثم خضعت فونيقى لكورش ملك الفرس بعد ظفهره بملك بابل سنة ٥٣٧ فماش حيرام خاضعاً لكورش ست سنين وتوفي سنة ٥٣١ ق م وخلفه ابنه موتون

﴿ عد ١٣٠ ﴾

﴿ في الفونيقين في عهد ملوك الفرس ﴾

ان بختنصر اعتراه الجنون في اخر ملكه حتى حسب نفسه ثوراً يُعَلَف بعشب الارض ويمشي على الاربع ويأوي البراري الى ان مات سنة ٥٦٢ او سنة ٥٦١ ق م وسوف نبسط الكلام في ذلك في تاريخ العبرانيين وخلفه ابنه اويل مروداك الذي اطلق يوياكين ملك يهوذا من السجن وعظم مشواه (ملوك ٤ فصل ٢٥ عد ٢٧) ولم يملك الا سنتين وقتله صهره زوج اخته وملك مكانه وسمى نرغل سار سور (اي الاله نرغل يحفظ الملك) فملك اربع سنين فقط وقتل في موقعة مع كورش والفرس سنة ٦٥٥ وخلفه ابنه بلابار اسكون ولم

يستقيم الملك له الا اشهرًا وخطه اشرف المملكة وبايعوا نابونيد بالملك وبينما كان يعني بتجديد معابد الالهة والاثار القديمة كانت في بلاد مادي احداث مهمة فان كورش ملك الفرس انتصر على حميه استياج ملك مادي وثل عرشه وحكم في كل البلاد التي في شمالي بلاد الكلدان وشرقها فلم يعد مفر من انتشار الحرب بينه وبين الكلدان وكان حينئذ ان وقعت نفرة بين الملك واشراف مملكته فأثر العزلة متنحياً عن العناية بالمملكة وعاهدًا بتدبيرها الى ابنه بلشصر وكان كورش يقترب من بلاد الكلدان فالجى بلشصر ان يلي بنفسه امرة جيشه لمناواته فعبه كورش دجلة ولم يغادر نابونيد عزله الا للسنة السابعة عشرة من ملكه فتولى قيادة جيوشه لكنه غلب واخذ اسيراً واستمر ابنه بلشصر محارباً الى ان افتتح كورش بابل ليلة الولاية التي صنعها بلشصر لالف من عظمائه وشرب الخمر في آنية الذهب والفضة التي اخذها بختنصر من الهيكل في اورشليم وظهرت له اليد التي كتبت على الحائط « منامنا ثقل وفرسين » (دانيال فصل ٥) اي جعل الله ايامك معدودة ووزن اعمالك وفصلك من الملك وسترى ذلك باكثر اسهاب في تاريخ العبرانيين وانقرضت بذلك مملكة بابل وخلفتها مملكة الفرس سنة ٥٣٧ واذا انتهينا من بيان ذلك فترى الان ما كان للفونيقين مع كورش وخلفاه

اسلفنا الكلام في ان حيرام الرابع ملك صور خضع لكورش فان المدن الفونيقية كلها خضعت له دون مقاومة بعد افتتاحه بابل وكانت تؤدي له الجزية التي كانت تؤديها الى الكلدان وقد عد كورش في احد اثاره « جميع ملوك فونيتي » بين الملوك الذين قدموا له جزياتهم النفيسة في بابل وقال في هذا الاثر « وقد جمعت هولاء الشعوب (اي المسيين الى بابل) واعدهم الى بلادهم ، فكان ذلك مصداقاً لما جاء في الكتاب ان كورش امر بعود اليهود المسيين الى فلسطين

وتجديد بناء الهيكل وعاش كورش بعد فتح بابل ثماني سنين ومات قتيلاً في
 الحرب التي كانت له مع بعض قبائل التتر في الشمال سنة ٥٢٩ وخلفه ابنه
 كمييس وبعد ان ثار لاييه من التتر وقتل اخاه سمرديس حشد جنوده قاصداً
 مصر فاجتاز سورية وفونيقيا فلم يلق الا التجارة والاذعان لسلطته بل نجده
 ملوك فونيقيا باسطولهم لافتتاح مصر التي استولى عليها وأخذ في ارضها وقتل
 ملكها احمس وتوغل فيها حتى الصعيد بل قصد ان يغزو الحبشة فكانت هذه
 الغزوة وبالاً عليه اذ عاد منها مدحوراً بل فاقداً رشده ولما خضع له سكان
 ليبيا في غربي مصر طمع ان يستولي على قرطاجنة فامر جنوده البحرية ان
 تسافر اليها بالسفن فابى الفونيقيون الاذعان لامره لان سكان قرطاجنة اقرباؤهم
 وكانت بين الفريقين مخالفة اخاء فترفعوا عن الاخلاف بايمانهم وحقوق نسبهم
 ولما تمنع الفونيقيون من المسير اصبح باقي الاسطول غير كاف لهذه الغزوة ولم
 ير كمييس من السداد ان يغالظ الفونيقيين الذين انقادوا اليه طائعين وكانت
 نخبة جنوده البحرية وملاحيه منهم ونشأت ثورة على كمييس في بلاده فاضطر ان
 يعود مسرعاً ولدى امتطائه جواده متلهوفاً سقط على سيفه فجرحه فلم يبال بجرحه
 وداوم سفره فاصابته الغنغرية في جرحه فمات في الطريق في محل يسمى عقبتان اختلف
 في موقعه فقيل في جهة جبل الكرمل وقيل في جهة حماه . وكان احد المجوس
 الذي سمي نفسه سمرديس بن كورش ولي البلاد بضعة اشهر فقتله داريوس
 (ويسميه العرب دارا كما سترى في تاريخ العبرانيين) وارتقى منصة الملك من
 سنة ٥٢١ الى سنة ٤٨٥ ق م واستمر الفونيقيون على جادة الطاعة له ولم
 يشتركوا في الثورة التي نشأت عليه في اكثر اقاليم ملكه وقسم داريوس مملكته
 الى تسع عشرة سترابي اي ولاية وكانت الخامسة منها فونيقيا وسورية وفلسطين
 وجزيرة قبرس وكانت الجزية المفروضة عليها ثلث مئة وخمسين وزنة من فضة

تؤديها كل سنة وقد الحق بهذه الولاية عشائر العرب في بركة سورية وتخوم
مصر وكان هولاء معفين من الجزية

وبعد وفاة داريوس خلفه ابنه كي خسرو (كذا يسمى العرب كسر كس)
من سنة ٤٨٥ الى سنة ٤٦٥ واشتهر في حروبه مع اليونان وحفظ الفونيقيون
الامانة له ولم يكن في بلادهم ما يستحق ذكراً الا ان اليونان بعد حربهم
الشهيرة معه في سلمينا سنة ٤٨٠ ارسلوا اسطولهم يهدد قبرس وساحل اسيا الصغرى
بالتنكيل بهما والاستيلاء عليهما وركي ابنه ارتخشستا (ويسميه ابن خلدون
ارتشخار) الاول منصة الملك سنة ٤٦٥ الى سنة ٤٢٥ فكان الاسطول اليوناني
في ايامه يسطو على سواحل فونيقى انجاداً للمصريين علي الفرس وكان والي
سورية وفونيقى اذذاك رجلاً يسمى يفايس كانت له موقعة هائلة عند مصب
النيل مع القائد اليوناني فانتصر عليه لكن هذا الوالي عصى بعد ذلك ملكه
ارتخشستا وظهر بالجيش المنفذ لاختضاعه وتوفي ارتخشستا وخلفه ابنه كي خسرو
الثاني فلم يملك الا خمسة واربعين يوماً وقتله اخوه وملك مكانه ولم يدم ملكه
الاستة اشهر وثل عرشه اخ اخر له وسمى داريوس الثاني فملك الى سنة ٤٠٥
وخلفه ابنه ارتخشستا الثاني فعصى عليه افاغوراس ملك سلمينا وبسط ولايته على
جزيرة قبرس برمتها واخذ اسطوله ينكل بسكان سواحل كيليكيا وسورية ولما
استراح ارتخشستا من حربه مع اليونان هم باختضاع افاغوراس فاقام الحصار على
قبرس ست سنوات وكان ينجدها هاكورى ملك مصر الى ان اقر افاغوراس
بسيادة ملك الفرس عليه فابقاه في ملكه وفرض عليه جزية سنوية وكان ذلك
سنة ٣٨٠ (ماخص عن لانرمان مجلد ٦ صفيحة ٥٢ و٥٣) وخلف ارتخشستا
الثاني ابنه ارتخشستا الثالث الملقب اوكوس وقبض صولجان الملك من سنة ٣٥٩
الى سنة ٣٣٨ وهام في ان يوطد ولايته في مصر فانتصر على جنوده نكتسا نبو

ملك مصر فنثار على ارتخشستا ملوك قبرس وتاناس والي فونيقي وغيرهم اما
 القبرسيون فردهم بعض عمال ملك الفرس الى طاعته واما الفونيقيون ومن
 حازبهم فزحف ارتخشستا اليهم بجيش جرار مؤلف من ثلاثماية الف رجل من
 المملكة ومن عشرة الاف مستأجر يوناني واقام الحصار على صيدا حيث تحصن
 تاناس والي فونيقي فدافع اهلوها بعض الدفاع ثم طلبوا الامان وعرضوا على
 الغازي الاستسلام فلم يجب متمناهم وروى ديودوس الصقلي انه اجتمع منهم
 اذ ذلك اربعون الفا في بيوتهم والقوا فيها النار مؤثرين الاحتراق على نحر
 الفرس لهم فبادوا عن اخرهم فعادت سورية الى طاعة الفرس زماناً طويلاً وغشى
 ارتخشستا مصر فاستظهر على نكتانبو ملكها وفتحت له مدن مصر ابوابها واركن
 ملكها الى الفرار واقام ملك الفرس عمالاً في البلاد التي دانت له وكان ذلك لسنة ٣٤٥
 ق م فعاودت العزة والعظمة مملكة الفرس على ان ذلك لم يكن الا لثمن وجيز لان
 ارتخشستا الثالث مات مسمماً سنة ٣٣٨ ولم يستمر ابنه اريسيس على منصة
 الملك الا سنة وقضى قتيلاً بدسيسة بنعواس وزيره وخلفه داريوس الثالث
 الملقب كودمان سنة ٣٣٧ وفي هذه السنة نفسها رقى اسكندر بن فيلبوس
 المكدوني منصة ملك اليونان فسلب داريوس ملكه وكان اليونان يكثررون التناول
 على فونيقي ولكن لم يتم استيلاؤهم على مدنها الا في سنة ٣٢٢ حين ذلت صور
 لاسكندر الكبير

﴿ عد ١٣١ ﴾

﴿ في فهرس اسماء ملوك صور نقلاً عن لانرمان ﴾

ذكر لانرمان في حاشية علقها على المجلد السادس من تاريخه القديم
 للمشرق فهرساً للملوك صور فأثرنا تعريبه هنا كما رواه والعهدة عليه في تعيين
 سني الملوك

ملك نحو سنة ١٠٠٠ ق م	حيرام الاول
لا تعرف سنو ملكه	ابيبعل
٩٤٤	حيرام الثاني
الى سنة ٩٣٧	بعل عازر
٩٢٨	عبد عشروت
	دليل عشروت
	عشروتي
لا تعرف سنو ملكهم	عشوريم
	فاليا

ملك سنة ٨٨٤ الى سنة ٨٤٤	ايتوبعل الاول
٨٣٨ : : ٨٤٤	بعل عازر الثاني
٨٢٩ : : ٨٣٨	ماتان
٧٨٩ : : ٨٢٩	بيكماليون
نحو ٧٧٠	حيرام الثالث
: ٧٣٠	موتون الاول
: ٧٢٤	الولا
: ٠٠٠	ايتوبعل الثاني لا تعرف مدة ملكه
نحو ٦٧٠	بعل
: ٦٥٠	ياملك
: ٥٩٠	ايتوبعل الثالث
: ٥٧٤	اتبعل

٥٧٤ الى ٥٦٣	بعل الثاني
٥٥٩ : ٥٦٣	قضاة
٥٥٦ : ٥٥٠	بعل لاتور
٥٥١ : ٥٥٥	مور بعل
٥٥١ : ٥٣١	حيرام الرابع
٥٣١ نحو	موتون الثاني

ومن بعد هذا الملك الاخير امست فونيقى ولاية من ولايات الفرس

كما رأيت

الفصل السابع

(في تجارة الفونيقين)

﴿ عد ١٣٢ ﴾

﴿ في تجارة فونيقى وصور خاصة على ما ذكرها حزقيال النبي ﴾

قضت على الفونيقين حالة بلادهم ان يكبوا على التجارة فان موقعها على ساحل البحر المتوسط بين المشرق والمغرب جعلها محطة للتجارة بين سكان قارتي اسيا واوربا وتوسطها بين مصر وما يليها غرباً وجنوباً وبين فلسطين وسورية وبلاد العرب جنوباً وشرقاً وبين سورية الشمالية واسيا الصغرى وما يليهما شرقاً وشمالاً صيرها نقطة الدائرة للمعمور المعروف وقتئذٍ وقل ما كان من ارضها خصيباً خاصة بعد ان استحوذ بنو اسرائيل

على أكثر ما كان منها سهلاً وصالحاً للزراعة وحصروا القونيين في مدنتهم
 الساحلية ويسير من السهول المجاورة لبعضها ومن هضاب لبنان والجآتهم هذه
 الحال نفسها الى اتقان الصنائع والحرف والاكباب على العمل وعلى نقل
 مصنوعاتهم الى الافاق التي كان أكثر سكانها على حالة الهمجية وقلة الامام
 والاهتمام بالصنائع وكانوا يستبدلون مصنوعاتهم بما يحتاجونه اليه او يعود بالنفع
 الاوفر عليهم من حاصلات غيرهم فانبسطت تجارتهم الى كل افق وضرب تجارهم
 في كل صوب وعظمت ثروتهم وتوفر غناهم ولا نرى اليق بهذا المقام من ذكر
 ما رواه حزقيال النبي في تجارة صور التي يراد بها كل مملكة صور اي
 فونيقى لا مدينة صور وحدها فقد قال هذا النبي في الفصل السابع والعشرين
 من نبوته « ترشيش (ويريد بها اسبانيا) متجرة معك في كثرة كل غنى
 وبالفضة والحديد والقصدير والرصاص اقامة اسواقك » ثم ذكر النبي ياوان
 واراد بها جزائر اليونان وبلادهم وتوبل وماشك واراد بها سكان البلاد
 الواقعة في الشمال من بلاد اشور وما بين بحر الخزر والبحر الاسود حيث
 كرجستان (طالع عدد ٤١) فقال « ياوان وتوبل وماشك متجرون معك
 وبنفوس الناس وانية النحاس اقاموا موسمك » ثم ذكر آل توجرمة واراد بهم
 سكان ارمينيا (طالع عدد ٤١ ايضاً) فقال « آل توجرمة بالحيل والفرسان
 والبغال اقاموا اسواقك » وذكر بني ددان واراد بهم سكان جنوب العربية (طالع
 عدد ٣٣) وجزائر البحرين فقال « وبنو ددان متجرون معك وجزائر كثيرة تجار
 يدك وقد ادت قرون العاج والابنوس قياضاً لك » ثم ذكر ارام واراد بها بلادهم
 في سوريا وما بين النهرين فقال « ارام متجرة معك في كثرة صنايعك
 وبالبرمان والارجوان والوشي والكتان والمرجان والياقوت اقامت اسواقك »
 ثم ذكر فلسطين فقال « يهوذا وارض اسرائيل متجرتان معك وبمخطة منيت

(محلٌ اشتهر بمجودة حنطته) والحلاوى والعسل والزيت والبلسان اقامتا
 موسمك ، ثم ذكر دمشق وما يليها فقال ، دمشق متجرة معك بكثرة صنايعك
 من اجل كثرة كل غنى لك بنجر حلبون (حلب) وبالصوف الابيض ، ثم
 ذكر دان وياوان واراد بهما على الراجح جزائر البحر المتوسط وبلاد اليونان
 فقال ، دان وياوان بالنزل اقامتا اسواقك وكان في موسمك حديدهما المصنوع
 وقصب الزريرة (وهو قصب يتداوى به) ثم ذكر ددان والراجح ان المراد
 به شعب كانت مساكنه في اطراف العربية من جهة الهند فقال ، ددان متجرة
 معك بالتمارق (وهي الطنافس التي توضع فوق الرحل) للركوب ، ثم ذكر
 العرب فقال ، العرب وجميع روساء قيذارهم تجار يدك بالحملان والكباش
 والتيوس فانهم بهذه اتجروا معك ، ثم ذكر شبا ورعمه واراد بهما سكان
 حضرموت وسكان الشاطي العربي من خليج العجم (طالع عد ٣٣) فقال ، تجار
 شبا ورعمه متجرون معك وبافضل كل طيب وبكل حجر كريم وبالذهب اقاموا
 اسواقك ، واتبع النبي كلامه ذكراً عدة مدن في بلاد العرب والجزيرة والعراق
 فقال ، حاران وكنة وعادان وتجار شبا واشور وكلد متجرون معك هولاء
 يتجرون معك بالانسجة الفاخرة باردية من السمنجوني والوشي وبالنفائس من
 الثياب المبرمة المشدودة بالجمال المعكومة (المشدودة بثوب) بين بضائعك ،
 ثم ذكر سفن ترشيش واراد بها السفن التي كانت تسير الى اوفير استجلاباً
 للذهب فقال ، سفن ترشيش سيارة لك لموسمك وقد امتلأت وصرت ذات
 مجد عظيم في قلب البحار ،

ان في اقوال النبي حزقيال هذه ما يعني عن البيان في سعة تجارة فونيقية
 ووفرة موادها وكثماً في زيادة التفصيل تأتي في الاعداد التالية على تجارتها في
 اسيا ثم في افريقيا ثم في اوربا

﴿ عد ١٣٣ ﴾

— في تجارة فونيقى في اسيا نسبة الى الجهات الثلاث التي كانت تسير فيها —
كان لتجارة الفونيقيين في اسيا ثلاثة فروع فتسير احدها في الجنوب وثانيها في
المشرق وثالثها في الشمال فكانت قوافلهم تسير جنوباً حتى اليمن وحضرموت
وعُمان فتقل مصنوعاتهم وتجيء من هذه البلاد بالذهب والحجار الثمينة والبخور
والمرء الى غيرها من سلع التجارة وتأتي من موالي عدن وكنهه ببضائع الهند
والحجار الثمينة والعاج والاششاب ذات الرائحة الزكية وتتلقى من اطراف
اليمن بضائع الحبشة وحاصلاتها وهي الذهب والعاج والابنوس وريش النعام
وكان عملتهم في نقل هذه البضائع عشيرة قيذار في بركة العربية والمدنيين
والادوميين في العربية الحجرية وكانت قوافل اليمن تسير الى الشمال فتجاوز
مكة ويثرب وتصل الى حجر مدينة العربية وتنتهي الى فونيقى في طريق
بلاد موآب وعمون واما قوافل حضرموت وعمان فكانت تمر على جره وهي
مرفأ على خليج العجم ترسو به السفن الآتية من الهند وكانت قوافل اخرى
تقلها من هناك مجتازة بلاد العرب في طريق الحجاج في هذه الايام الى ان
تنتهي الى صور

واما الفرع الثاني من تجارتهم فكان في شرقي بلادهم اي في بابل ونيوى
وكان السوريون عملة هذا الفرع كما كان العرب والمدنيون عملة الفرع الاول
فكانت قوافلهم تعدو لبنان وبعابك فتتبري الى حمص وتأخذ من ثم التوافل
الميممة نينوى الطريق المستطرق الان ايضاً اي تجاوز حماه وحلب والرها
ونصيبين فتصل الى بلاد الاشوريين حيث كان نزلة فونيقيون يتلقون بضائع
بلادهم فيبيعونها هناك ويبعثون الى زملائهم في فونيقى بضائع اشور
وحاصلاتها . واما القوافل التي تيمم بابل فكانت تسير في البرية مارة بتدمر

وتسير توّاً الى تبسك على الفرات فان هذه المدينة كانت محطة لتجارة تاتيها بضائع بابل بالفرات وبضائع سورية وفونيقى وفلسطين على القوافل . ولم يبنسنا حزقيال النبي ما كانت تجلبه صور من بابل على ان تجارة بابل في تلك الايام معروفة ومدارها على الانسجة القطنية والصوفية الفاخرة وعلى الحلى والاثاث التي مهر البابليون في صياغتها وحفرها وعلى العطور التي كانوا يستقطرونها وكان استعمالها عامّاً في المشرق وعلى الحجار الثمينة الى غيرها وكانت قوافل بابل تجي بحاصلات اسيا الداخلة من بخارى فيتلقاها الفونيقيون من ايديهم ويوصلونها الى بلادهم وبهذه الوسيلة عرف السوريون الحرير الذي جاء ذكره في نبوة حزقيال

واما الفرع الثالث وهو تجارة الفونيقين في الشمال فكان مجهولاً لولا ان يصرح به حزقيال النبي بذكره تجارة صور مع توبل وماشك وآل توجرمة بنفوس الناس اي الرقيق وانية النحاس والحليل والبغال ولا مرآء بان هذه البلاد يراد بها الاقاليم الشمالية المجاورة البحر الاسود وبحر قزوين ومنها كرجستان اي بلاد الكرج المعلوم الاتجار فيها بالقتيات وتوجرمة هي ارمينيا والحاصلات التي يشير النبي اليها هي حاصلات هذه البلاد الى اليوم الا ان غزوات روسيا المتأخرة حظرت الاتجار بالرقيق في تلك البلاد . وبلاد الارمن مشهورة حتى الان بفناها بالحليل الجياد حتى كان الاشوريون والفرس لا يتعاونون خيل مركبات ملوكهم الا من ارمينيا وقد علمت مما مر ان جالة الفونيقين اتصلت الى جنوبي جبل قاف وكانت لهم مستعمرات عديدة على ساحل البحر المتوسط وفي اكثر جزره والى شطوط البحر الاسود

ولا مرية في تسيير الفونيقين سفنهم في خليج العرب وخليج العجم والاوقيانوس الهندي للاتجار وحسبك في الدلالة على ذلك ما جاء في سفر

الملك الثالث (فصل ٩ عد ٢٦ وفصل ١٠ عد ١١ وعد ٢٢) حيث قيل ان سليمان اشترك مع حيرام ملك صور في عمل سفن في عصيون جابر بجانب ايله على خليج عقبة من البحر الاحمر وسير هذه السفن الى اوفير لجلب الذهب وان سفن سليمان وحيرام لم تكن تأتي الا مرة في كل ثلث سنين ولو مخرت في البحر الاحمر وخليج فارس فقط لما اقتضى لسفرها كل هذا الزمان فكانت تسير اذا في بعض الاوقيانوس الهندي ايضا ولا علم مفصل لنا بمواد هذا الاتجار الا بما ذكره الكتاب حيث قال « فارسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان قوماً ملاحين عارفين بالبحر فاتوا اوفير واخذوا من هناك اربع مائة وعشرين قطاراً من الذهب واتوا بها الملك سليمان » وقال بعد ذلك « وكذا سفن حيرام التي كانت تحمل ذهباً من اوفير جاءت منها بخشب صندل كثير جداً وبحجارة كريمة » الى ان يقول ان هذه السفن كانت تأتي « حاملة ذهباً وفضة وعاجاً وقردة وطواويس » وسنزيد كل ذلك بياناً في كلامنا على سليمان في تاريخ العبرانيين ولا يبدو ان كانت سفن الفونيقيين تقل الى بلاد اوفير مصنوعاتهم وما يرغب فيه من حاصلات بلادهم

﴿ عد ١٣٤ ﴾

— في تجارة فونيقى في افريقية —

قد كان لتجارة فونيقى في مصر رواج لا مزيد عليه فكان للفونيقيين احياء برمتها في مدن مصر السفلى والعليا وكان كل ما يحتاج اليه المصريون من وراء البحار جلبه لهم الفونيقيون اذ لم يكن منهم ملاحون بل كانت البحارة نجسة عندهم كما مر وروى هيروودت (في الكتاب الاول من تاريخه) ان الفونيقيين وحدهم كانوا يتقلون بضائع مصر وحاصلاتها الى جميع الامم وقال النبي حزقيال (فصل ٢٧ عد ٧) مخاطباً صور « البز الموشى من مصر كان ما

نشرته شراعا لك ، فكان هذا البز (وهو نسيج من قطن موسى) من سلع تجارتهم ولم يقف تجار فونيقى على حدود مصر بل حفظت لنا في حطام المؤرخين القدماء آثار تبتئنا بتواصل مستعمراتهم ومحاط تجارتهم من تخوم مصر الى ما وراء بوغاز جبل طارق خاصة بعد ان عمروا قرطاجنة واهم الجالات الفونيقية الافريقية هي التي اقامت على ساحل الاتلنتيك في اعمال مراکش حتى روى استرابون (ك ١٧ فصل ٣) ان الصوريين عمروا هناك ثلثمائة مدينة ولما تركت صور جالتهما هذه في ايام الاشوريين استحوذ عليها البربر سكان تلك البلاد ولما سير اهل قرطاجنة حنون السالف الذكر بحالة فونيقية حديثة وجد هناك بعضا من النزلة القدماء ومن شاء زيادة التفصيل في مستعمرات افريقية الفونيقية التجارية فليطالع كتاب هوفر في تاريخ فونيقى (فصل ٣) وكانت فصيلة الفونيقين المسماة الليبيين تنقل سلع تجارتهم من آنية وانسجة وحلى الى داخلية افريقية وتجلب لهم من هنالك حاصلات تلك البلاد من معادن واخشاب ثمينة وجلود وعاج لكثرة الافيال في صحارى افريقية

﴿ عد ١٣٥ ﴾

٥ - في تجارة فونيقى في اوربا - ٥

قدم بك ذكر جاليات الفونيقين المدينة في اوربا وكان اخص داع لاغترابهم الاتجار وقد تطرقوا الى اوربا بطريقين احدهما من جهة جزر البحر المتوسط التي كانت لهم محاط تجارة في اكثرها فتوصلوا منها الى بلاد اليونان ومن صقلية وسردينيا وكورسيكا الى شطوط ايطاليا وفرنسة وامن تجارتهم في هذه البلاد والثاني من جهة افريقيا وبوغاز جبل طارق وتوصلوا به الى اسبانيا وعمروا مدنا كثيرة فيها كما رأيت عند ذكر جالياتهم وتطرقوا من هناك الى

البرتغال والى بعض جزر الاتلنتيك ولم يقف الفونيقيون عند تجارتهم في مدن اوربا الساحلية بل اشغلوا قوافل كانت تتوغل في البلاد فتبلغ اقصاها فتجوب افرنسة وجرمانيا وتتصل الى البتيك فالكهرباء كانت من بضائع الفونيقين منذ عهد سيادة صيدا وهي لا توجد الا على شطوط البتيك فتعين ان يكونوا قد جلبوها من هناك وكذا كانوا يجلبون القصدير من كورنوبل في انكلترا ولا يظن ان سفنهم كانت تتوصل حينئذ الى البتيك وان قال به بعضهم

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥٤٥) ما ملخصه ولدت الحضارة في مصر واشور ولكن كان الفونيقيون دعائها ورسلاها فلا تجد بلداً من جزر اليونان حتى بوغاز جبل طارق الا رائت فيه آثار تعليمهم وما كان لاسفارهم فيه من بث مبادي التمدن فقد جعل نفوذهم ونشاطهم بلاد اليونان وايطاليا وفرنسة واسبانيا تغادر حالتها الاولى البربرية وتصبح اسيوية الى ان احرزت بنفسها النجاح الذي رقاها الفونيقيون اول درجاته فلا يمكن ان يقدر الفونيقين حق قدرهم في ما تفضلوا به على العالم القديم وما سبقت خطاهم اليه في مدارج التمدن ولا يبعد عندي ان يتحقق ذات يوم ما يراه الان بعض العلماء واجتج انا اليه وهو ان سكان صيدا وصور هم اول من باح باسرار العمل بالمعادن الى شعوب اوربا الغربية فاذا استقرينا اثار عصر النحاس في بلادنا فلا نجد جيلاً جديداً ادخله وازال عصر الحجر بل نجد النفوذ الفونيقى علم قدامنا العمل بالنحاس قبل الحديد فكانت الآنية والادوات والاسلحة تعمل من حجر فاخذوا يعملون من النحاس ما عملوه بعداً من الحديد فكذا كان في اسبانيا وايطاليا وغاليه اي افرنسة وجرمانيه وجزر بريطانيا وباقي البلاد الشمالية ودليل ذلك ان هيئة هذا المتاع واحدة والنقوش عليها واحدة حتى تحسبها خرجت من معمل واحد وهيئة كلها اسيوية فالفونيقيون كانوا يحتاجون المعادن الثمينة لانفسهم ولتجارتهم وهذه علة امتدادهم

السريع في مستعمراتهم في اسبانيا

يكاد البنادقة والهولنديون والانكليز انفسهم في هذه الاعصر لا يساوون
 الفونيقيين في اعصرهم بامتداد تجارتهم وكانوا اينما حلوا عمروا محاط لتجارتهم
 واصبحت معاملهم بعد ذلك مدناً كبيرة فان السكان الذين كانوا على جانب من
 الحمجية كانوا يجتمعون حول المعامل الفونيقية كلقماً بالنفع منها وبالعيشة الحضرية
 وتعلم الصنائع فالشعب الغير المتمدن يكتسب شيئاً فشيئاً خصال المتمدنين ويجري
 على اثرهم بمقتضيات عيشه وراحته فتتوفر حاجاته فيسمى بايجاد ما يقيم بها من
 حرفة او صناعة او تجارة او زراعة فتحصل الحضارة والعمران وكما نرى اليوم
 جيلنا يقتدي بالاوريين هكذا كان الاوريون يقتدون بقدمائنا لعمران بلادهم فقد
 اخذوا عنا الصناعة فستردها الان منهم مكلمة وليس من يقيم نكيراً على ان
 الفونيقيين ادخلوا الحضارة والتمدن في اوربا وغيرها فقد كان مهد الصنائع
 والعلوم والتمدن مصر وبلاد السكدان وفونيقى على ان الفونيقيين كانوا رسل
 هذا التمدن والتقدم في المعمور كاه فلا ينكر العالم القديم فضلهم

ان هذه التجارة التي استمرت قروناً وانبسطت الى افاق المعمور
 حينئذ افعمت مدن فونيقى بالثروة والغنى فكان ذلك نفسه اكبر معين على
 سقوطها وزوال مجدها لوجهين الاول ان هذه الثروة هاجت مطامع الملوك
 الاشوريين والسكدان والفرس فكفوا بالاستيلاء عليها والثاني انها حملت الفونيقيين
 على البدخ وافسدت اداهم فساداً لا يقدر ولهذا قال حزقيال النبي (ف ٢٨ عد ١٣)
 لملك صور اى لاهل مملكتها « كنت في عدن جنة الله وكان كل حجر كريم
 كساء لك من الياقوت الاحمر والياقوت الاصفر والماس والزبرجد والجزع
 واليشب واللازورد والبهرمان والزمرد وصنعت بيوت حجارتك من ذهب ٠٠٠٠
 من كثرة اتجارك امتلاً باطنك جوراً وخطت ٠٠٠ بكثرة اثمك في ظلم

اتجارك دنتت مقادسك فاخرجت من وسطك ناراً فاكاتك وجعلتك رماداً
على الارض على عيني كل من يراك .

الفصل الثامن

(في صناعة الفونيقين)

﴿ عد ١٣٦ ﴾

﴿ في البرفير ويُعرف بالارجوان ﴾

لم يكن الفونيقيون تجاراً فقط يضربون في الارض قياضاً لبضاعتهم بغيرها
بل اشتهروا ايضاً بالصناعة فكان لهم مصنوعات عديدة نأتي على ذكر اخصها
فانهم لم يكونوا يتجرون بمصنوعات الاشوريين والسكندان والمصريين فقط
بل كان لهم تجارة واسعة من صنع ايديهم ولبعض مصنوعاتهم منزلة كبرى من
الاعتبار في العالم القديم

ومن اوّل مصنوعاتهم وافخرها صبغ البرفير اي الارجوان الذي كان
يرغب فيه قدماء الشعوب وكان ملابس الملوك وموضع الاسراف وليس من تكبير
ان اول من اخترعه الكنعانيون سكان ساحل البحر المتوسط اي الفونيقيون
ونسب اختراعه في الاقاصيص الوثنية الى ملكرت معبود الصوريين وكانوا
ياخذون مادة هذا الصبغ من حيوانات بحرية من ذوات الصدف وقد اطال
ارسطو وبلين في الكلام على البرفير وصبغه وعلى الحيوانات التي يؤخذ من
احشائها وعلى وقت اصطيادها وكيفية اخذ هذه العصارة من احشائها ولون
الارجوان كان احمر بنفسجياً وحمرة تكون ناصعة او يخالطها لونٌ اخر صادرٌ

من خاصة في الحيوان الذي تؤخذ الصبغة منه واجود البرفير واثمنه وما كان منه
 ملبس الملوك هو ما أخذت صبغته عن الحيوانات العالشة في البحر بجانب صيدا
 وصور وجوارها وكان يستعمله خاصة ملوك اشور ورام وبابل وفارس ومدین
 كما جاء في نبوات حزقيال وارميا ودانيال وكان ملوك اسيا يسرفون باستعمال
 البرفير في ملابسهم وفي زينة قصورهم ولم يكن الفونيقيون يأخذون هذا الصبغ
 من البحر المجاور مدنهم فقط بل يجلبونه او يعملون به في انحاء اخرى ايضا
 واخص مصائدهم لهذا الحيوان ومعاملمهم للصبغ كانت صور على ما ذكر
 استرابون وصيدا على ما ذكر اكليمينضوس الاسكندري وصارفند وقيسارية
 اللد وقبرس وشطوط الموره في بلاد اليونان والجزر قيثاره وكريت ورووس
 وغيرها وقد ذكر حزقيال النبي ارجوان جزاير اليونان لصور اذ قال (ف ٢٧
 عد ٧) « والسمجنوني والارجوان من جزاير اليشة كانا غطاءك » وكانوا
 يصبغون بهذه الصبغة انسجة من قطن وصوف وحرير وخاصة انسجة الصوف
 الناعم الرقيق الذي كان يستجلب من برة سورية ولما كانت مادة هذا الصبغ
 غالية الثمن فلم يكونوا يصبغون بها الا اجود النسيج وكان لهم بهذا الاختراع
 ثروة كبرى وارباح لا تقدر

﴿ عد ١٣٧ ﴾

— في صنع الفونيقين الزجاج —

من اشهر مصنوعات الفونيقين الزجاج وقد عزا كثير من القدماء
 استنباطه اليهم فقد سبقهم المصريون الى اختراع نوع من الزجاج لكنه لم يكن
 شفافا وكانوا يصطنعون منه آنية صغيرة او يملون به الآنية الخزفية ويصنعون
 منه حلى كالعقود التي يحب السودان الى اليوم التحلي بها وترى آثاراً لمصنوعاتهم
 هذه من اقدم الايام على ان الزجاج الشفاف اخترعه الفونيقيون على الارجح

وفي متاحف اوربا كثير من مصنوعاتهم هذه الزجاجية لا ينحط اعتباراً عن مصنوعات البندقية (فانيسيا) في القرون الوسطى . وقد روى بلين (في التاريخ الطبيعي فصل ٣٦) كيف وفق الفونيقيون الى اختراع الزجاج فقال ما ملخصه « ان في فونيقى المتاخمة لليهودية عند ذيل جبل الكرمل مستقماً يظن ان منه اصل نهر بالوس (المعروف الان بنهر النعمان) الذي يصب في البحر المتوسط غير بعيد عن بتولماليس (عكا) وامواه هذا النهر عميقة غير سريعة الجري وليس على ضفتي النهر من رمل الا عند مصبه وهناك تغسله امواه البحر وتنقيه فيصبح ابيض تقياً خالصاً بعد ان كان لا يصلح لشيء وحكوا ان بعض المتجرين بالنظرون (ملح البارود) حلوا في هذا الموضع وارادوا ان يطبخوا لهم طعاماً فلم يجدوا حجارة ليجعلوها أنافي فجعلوها من قطع النظرون المشحونة سفينتهم به ولما اضرمو النار رأوا الملح يذوب وينصب على الرمل فيتكون منه سائل براق فاستغربوه وهداهم الى اصطناع الزجاج فهذا هو اصل الزجاج « فلهذه الحكاية اصل تاريخي فالتجار الفونيقيون اضرمو النار في خرق صخر يجمع لحيها فحصلوا بادي بدء على تزجج ملح النظرون وبهذا قام اختراعهم فن عرفوا الزجاج قبل الفونيقيين كانوا يستعينون على صنعه بمحلول البوتاس (القلي) مأخوذاً من حرق بعض النبات فلم يكن زجاجهم شفافاً اما الفونيقيون فاعتاضوا عن القلي النباتي بالقلي المعدني فكان زجاجهم شفافاً وكان مركز معامل الزجاج عند الفونيقيين صيدا وصرقند كما كان مركز معامل الصباغة حول صور وكان اجود الرمل الذي يتخذونه لصنع الزجاج رمل نهر بالوس (النعماني) فكان اشبه برمل فنتبلو في افرنسة في هذه الايام . وفي متاحف اوربا كثير من مصنوعات الفونيقيين الزجاجية وهي شاهدة لهم بطول الباع والمهارة العجيبة بهذه الصناعة

﴿ عدد ١٣٨ ﴾

هـ في اصطناع الفونيقين المتاع والانية الحزفية والمعدنية وغيرها هـ
 اشتهر الفونيقيون ايضاً في عمل المتاع والانية الحزفية وكانت هذه الآنية
 من اخص اصناف تجارتهم واستمروا على ذلك عندما تهاوت اسفارهم الى
 جزر بريطانيا بالاتلتيك فكان من مشحونات سفنهم هذه الآنية يعطون اهل
 تلك البلاد اياها قياضاً بالقصدير وقال برو (في كتابه في الصناعة في القدم
 السالف ذكره مجلد ٣ صفيحة ١٦٨) ما ملخصه كانت معامل الآنية من ارواد
 الى صور وكان يشحن من هذه الفرض بربع كل سنة مقدار وفير من الجرار
 والقذور والكؤوس والصحاف الى غيرها من المتاع فتوزع في الافاق حتى
 على شواطئ الاتلتيك وذهب اكثر العلماء الى ان الفونيقين علموا اليونان
 هذه الصناعة مستدلين بان مصنوعات اليونان القديمة من هذه الآنية ان
 هي الامنقولة عن مثال فونيقى وما وجد منها في بعض جزر الارخيل خاصة في
 ثارة ومالوس يظهر انه من صنع الفونيقين انفسهم عند احتلالهم هذه
 الجزر . وقد مر بك في مقالة الحثيين ان الاب دي كارا يرى ان سكان بلاد
 اليونان القدماء تلقوا هذه الصناعة عن الحثيين على ان الحثيين ظعنوا من
 جوار فونيقى اى من سورية الشمالية الى اسيا الصغرى ثم الى بلاد اليونان
 على مذهبه فتعود هذه الصناعة الى اصل واحد . وليس من نكير ان اليونان
 حسنوا وكمكوا مصنوعاتهم الحزفية فترى عليها رسوم هندسية مدققة وامثلة ازهار
 وهيئات تطابق قوانين الصناعة مع ان مصنوعات الفونيقين نراها ضخمة متينة
 لا دقة في صناعتها ولا بدع فان غرض الفونيقين انما كان التجارة والربح وان
 يصنعوا لعملائهم البرابرة آنية متينة لا يسهل انكسارها في استعمالها اليومي
 ولم يعتمدوا اتقان الصناعة والظرف لما يقتضي لصنعه من الوقت الطويل فيغلى

ثمنه فلا تروج البضاعة

اشتهر الفونيقيون ايضاً بالمصنوعات المعدنية ولكن يظهر انهم لم يعملوا بالحديد ولا بالفولاذ بل كانوا يأخذون المصنوعات الحديدية من البلاد التي يسهل صنعها بها لوجود معادن الحديد فيها لكنهم حازوا قصبات السبق في العمل بالصفير اي النحاس الاصفر وحسبك شاهداً لذلك ما جاء في الكتاب عما صنعه الصوريون من الآنية واثاث الزينة في هيكل سليمان وبلاطه (سفر الملوك الثالث فصل ٧ من عد ١٣ الى عد ٤٦) وكثيراً ما جاء في الخطوط الهيروكليفية على عهد الدولتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة في مصر ذكر آنية الصفير من صنع الفونيقيين وكان يقدم للفراعنة من جملة مواد الجزيات المقدمة لهم آنية من هذه توصف بالظرف وبديع الصناعة وقال استرابون (في ك ٣) ان التجار الفونيقيين كانوا يشحنون الى جزائر بريطانيا اسلحة من الصفير مع الآنية الخرفية ولا غرو ان كانت هذه الاسلحة مثلاً لما استدلَّ به على العصر النحاسي في اوروبا

وقد ذكر هوميروس الشاعر مرات الكوروس التي يصنعها الصاغة الفونيقيون من معادن ثمينه وابان شديد رغبة اليونانيين في نواها وقد وجد بعضها في جزيرة قبرس وفي تسكانا في ايطاليا نقلها التجار او الجالة الفونيقيون اليها . وفي متحف الوايتكان في رومة والوفر في باريس شيء كثير وجميل منها . وقد اكتشف منذ بضع سنوات في عمريت وطرطوس قطع كثيرة من الحلي مرصعة بجواهر فشهدت بمهارة الصاغة الفونيقيين ونبوغهم في صنع الحلي

وذكر حزقيال النبي مهارة الصوريين في صنع العاج ايضاً يزخرفون به المساكن والمتاع باشكال بدیعة وكانوا يستجلبون اسنان الافيال اللازمة لذلك بطريقتين فكانت قوافل اليمن تأتيهم من الهند بشيء من ذلك وسفنهم في البحر المتوسط

تأتيهم بشيء منه من شمالي افريقيا. اذ كانت الافيال حينئذ كثيرة في نواحي
مراكش والجزائر وتونس لا كما اصبحت الان محصورة في الانحاء الواقعة تحت
خط الاستواء واكثر مصنوعات العاج التي كُشف عنها في اطلال قصور
الاشوريين صنعتها ايدي الفونيقين

لم يكن للفونيقين ارض كافية لتحصيل قوتهم بالزراعة ولذلك اكبوا على
الملاحة والتجارة والصناعة ومع هذا اجادوا كثيراً استثمار ما كان لهم من
الارضين فقد توفرت في جوانب صور وصيداء وبيروت وجبيل كروم العنب
فكانوا يعصرون منها ومن عنب لبنان خمرهم التي طارت شهرتها حتى كان
يرغب فيها في رومة في ايامها وفي بلاد اليونان وبارتها في الشهرة خمر حلب
(ملخص عن لانرمان مجلد ٦ صفحة ٥٤٧ وما يليها) وروى رنان انه وجد
في ضواحي صور آلات للحراثة اكمل وامتن منها في ايامنا (كتاب بعثه الى
فونيقى صفحة ٦٣٣) وقد اشتهروا ايضاً بتقديد الاسماك اي جعلها قطعاً وتليحها
ووضعها في الهواء لتجف فتحفظ مؤونة وزاداً فقد سبقوا في ذلك الهولاندي الذي
نصب له كرلوس الخامس ملك المانيا تمثالاً وكان لمصايد صور وبيروت دخل
كبير من صنّف تجارتهم هذا وقد اشتهر الفونيقيون ايضاً بهندسة الابنية وتحصين
الحصون فكانوا اساتذة لغيرهم من القبائل في هذا الفن ومزية ابنتهم ضخامة
حجارها وحسن تنجيدها وهم اول من عنى بتبليط الازقة والشوارع في المدن
فان شوارع صور وقرطاجنة بلطت عند بنائها كما يظهر من اشعار فرجيل ولا
حاجة الى القول انهم اول من صنع السفن وعلم الناس صنعها . (عن هوفر في
تاريخ فونيقى فصل ٤)

الفصل التاسع

(في ايجاد الفونيقين الكتابة بالحروف وفي لغتهم وعلومهم)

﴿ عد ١٣٩ ﴾

— في ان الفونيقين اخذوا حروف الكتابة عن الخطوط —

الميروكليفية

سلف لنا كلام في عد ٥٢ ان قد اجمع القدماء على ان الفونيقين اول من وضع الكتابة بالحروف ولم يخالف الحدباء القدماء في هذا بل زادوه اثباتاً وشفعوه ببيان انهم اخذوا حروفهم عن الخطوط الميروكليفية فقد صرح شمبوليون الكاشف عن كنوز الخطوط الميروكليفية ان الحروف الفونيقية اشتقت من هذه الخطوط وقد اظال واجاد العالم عمبول دي روجه باثباته هذا الاشتقاق وبيان طريق التوصل اليه فقال ان العلاقات السياسية والتجارية بين المصريين والسوريين كانت كثيرة متلاحقة فكان يضطر الكاتب في كل هنية ان يرسم بالخطوط المصرية كلمات او اسما اعلام مأخوذة عن اللغات السامية فاستلزم الامر استلزماً طبيعياً لا مناص منه الاصطلاح على روابط مقررة ليكون بين اللفظ السامي واللفظ المصري ما امكن من المشابهة وقد كان بين اللغتين بعض تهجيات متشابهة وما لم يكن متشابهاً اصطلاح على تأدية لفظه بالخطوط المصرية اصطلاحاً ثابتاً لا يتغير . وبعد ان وضع روجه هذا الاساس لغرضه اخذ يطالع ويعارض بين الحروف الفونيقية والعلامات المصرية المرسومة في اقدم الايام فتيسر له ان ينظم جدولاً يضع فيه الحروف الفونيقية على جانب الخطوط المصرية فظهر به اشتقاق الاولى من الثانية لان الحروف الفونيقية

اثنان وعشرون حرفاً كعدد حروف لغتنا السريانية فوضع تجاهاها اثنتين وعشرين علامة هيروكليفية تشابه تلك الحروف بلفظها فكانت صورة خمس عشرة علامة منها اشبه بصور خمسة عشر حرفاً من الحروف الفونيقية والحروف السبعة الباقية تبعد صورها عن العلامات الهيروكليفية المقابلة لها ولكن يمكن ردها اليها واليك هذا الجدول في الصورة عد ٧ فمن امعن النظر فيها لم يمتد ان الفونيقين اخذوا حروفهم عن الخطوط الهيروكليفية وقد قال دي روجه ان هذا الاختراع كان في عهد ولاية الملوك الرعاة في مصر التي دامت على القول الاظهر من القرن الحادي والعشرين الى القرن السادس عشر قبل الميلاد ونعم الاختراع الذي اعتض به باثنتين وعشرين علامة بسيطة عن الوف علامات يحتاج الكاتب تعلمها واتقان فن التصوير فان اكثر العلامات الهيروكليفية صور طيور وحيوانات وهيئات بشرية فجاد الفونيقيون على العالم كله بهذا الاختراع وزادوا فضلهم فضلاً بنشرهم حروف كتابتهم مع بضائع تجارتهم في جهات المعمور المعروف يومئذ كما ستري في العدد الآتي قال رنان كانت حروف هجاء الفونيقين صنفاً من البضائع التي يشحنونها

﴿ عد ١٤٠ ﴾

○ في ان حروف كتابة الفونيقين اصل لحروف ○

الكتابة في كل اللغات

قال لانرمان (مجلد ٦ صفحة ٥٥٣) لانعرف احرفاً للكتابة سبق وجودها حروف الفونيقين بل نعلم ان كل ما بقي له اثر من الحروف وجميع الحروف المستعملة اليوم في كل اللغات قد صدرت توأماً عن الحروف التي وضعها الفونيقيون او تفرعت عن احد فروعها فالحروف الفونيقية ام وحروف سائر اللغات اولادها ان العلماء الباحثين في اصول اللغات ومعارضة بعضها ببعض قسموا اللغات

وحروف كتابتها الى طوائف كما قسم علماء البوتانيك النبات وعلماؤ الزولوجية الحيوان الى طوائف مراعين في ذلك درجات البتوة بين الحروف الاصلية التي هي الفونيقية وبين حروف سائر اللغات

فالحروف المعروفة يسهل ردها الى خمس طوائف مطابقة لجهات الخمس التي ضرب بها الفونيقيون للتجار وهذه الطوائف هي السامية بفرعيها العامين السرياني والعربي ثم اليونانية الايطالية بفرعيها اليوناني واللاتيني ثم الايبارية وهي كتابة لايباريين سكان اسبانيا ثم الطائفة الشمالية وتشتمل على الكتابات القديمة عند الاسكندينافيين (وهم جالة انت من اسيا فحلت في شمالي اوربا في اسوج وزوج) والجرمانيين والصقالبة قبل تنصرهم ثم الطائفة الهندية الحميرية وقد امتازت بان زاد ذووها على حروفها خطوطاً اصطاحوا عليها لتدل على حركة الحروف فغيرت هذه الزيادة هيأتها ويظهر ان مصدر هذه الطائفة كان بلاد العرب الجنوبية ففرعت من هناك الى افريقيا من جهة فتكون منها كتابة الاحباش والليبيين فكانت مع كتابة الحميريين قدما سكان اليمن طائفة مستقلة وامتدت من جهة اخرى الى اريا (وهي اقليم من بلاد فارس حيث خراسان الان) فتكون منها نوع كتابة مخصوص ثم الى الهند الذي رد العالم البراش وبر (Albrecht Weber) اقدم حروف كتابته الى مصدر فونيقى وتفرع من هذا الاصل فروع عديدة ترد الى خمس طوائف نضرب عن تفصيلها هنا طلباً للايجاز

ان لكل هذه الطوائف من الكتابة اما واحدة هي حروف الفونيقيين اوصلوها الى الافاق مع بضائع تجارتهم فالطائفة السامية نتجت من تجارة الفونيقيين مع بلاد ارام وشطوط الفرات ودرجة والطائفة اليونانية الايطالية مصدرها اسفاز الصيدونيين لتجارتهم في الارخبيل وغيره من جزر البحر المتوسط

وفي بلاد اليونان واليونان انفسهم يعزون دخول حروف الكتابة عندهم الى جالية قدموس الفونيقى ويسمون الحروف فونيقية ثم الطائفة الايبارية مصدرها تجارة صور مع اسبانيا الجنوبية واما مصدر طائفة الكتابة الشمالية فيظهر انه كان في الأنحاء المجاورة البحر الاسود حيث كان قداماً الجرمانيين والاسكندينافيين قبل مهاجرتهم الى اوروبا وقد مر بك ان الفونيقيين اتصلوا بتجارهم الى تلك الأنحاء فواصلوا حروفهم الى سكانها فحملوها معهم الى اوروبا عند مهاجرتهم واما الطائفة الاخيرة وهي الهندية الحميرية فلا مرأ ان مصدرها تجارة الفونيقيين مع سكان جنوبي العربية وبواسطتهم مع سكان الهند من جهة وسكان افريقيا الشرقية من اخرى وترى مثلاً لذلك في الجدول التالي عد ٨ المنطوي على الحروف الفونيقية والعبرانية واليونانية واللاتينية فيظهر لك ما بينهما من المشابهة فتقيس غيرها عليهما . اما الحروف العربية التي نستعملها الان فالمشهور ان عبد الحميد الكاتب البغدادي انما هو الذي اكسبها الهيئة التي تراها في ايامنا والحروف السريانية التي تجدها الان في كتبنا البيعية قد اخذت عن الحروف المسماة استرنكلية وهو اشبه بالفونيقية وكان ذلك في نحو القرن الثاني عشر للميلاد

﴿ عد ١٤١ ﴾

• في الحروف الفونيقية وما طرأ عليها من التغير •

ان الحروف الفونيقية على ما توصلت اليها بالخطوط التي كشف عنها في صيدا وشيتيوم اي لرنكا في قبرس وفي هذه الجزيرة وما لطة ومرسيليا هي الحروف نفسها التي كانت تستعمل في كتابة اللغة العبرانية والفروع الصادرة عنها كلغة الموابدين وغيرهم من شعوب فلسطين وقد ثبت ذلك بالكتابات القديمة التي وجدت على عين شيلوحا وعلى صفيحة ميشع في بلاد مواب (وسأتي على ذكر

هذين الاثرين في تاريخ العبرانيين) وعلى فصوص خواتم واختام لبعض اليهود القدماء على ان هذه الحروف قد طرأ عليها بعض التغيير بمرور الايام فلا تمكننا ندرة الاثار الفونيقية من تفصيل ما طرأ على كل حرف منها من التبدل في كل مكان وزمان لكنه يتيسر لنا مراعاة هيئات هذه الحروف في ثلاثة اعصر العصر الاول كانت فيه على هيئتها الاولى ومدة هذا العصر من عهد ولاية الرعاة في مصر الى القرن السادس قبل الميلاد وكان يكتب هذه الحروف لا الكنعانيون فقط بل جميع الشعوب الاراميين ايضاً وفيها كتبت الاثار السالف ذكرها وصفيحة من الصفر دالة على تقديمة من احد ملوك صيدا المسمى حيرام الى بعل لبنان وتمتاز هذه الكتابة عما سواها خاصة بان بعض احرفها معوج ملتو كثير الزوايا وقد امسى بعد ذلك مستديراً مستقيماً واما العصر الثاني فنقسم فيه كتابة الفونيقيين الى صيدونية وقرطاجنية فالصيدونية التي استعملت من القرن السادس قبل الميلاد الى صدر النصرانية تجد مثلها في الاثار التي وجدت في قبرس وصيدا وفي صفيحة يهو ملك جيل وفي مسكوكات المدن الفونيقية في ساحل سورية وقبرس وفي الكتابة التي نقشت على مدفن تبنت ملك صيدا وفي ما كتب على مدفن ابنه وخلفه اشمون عازر وهاتان الكتابتان كشف عنهما من امد قريب في صيدا وقد كتبتا في اواسط القرن الرابع قبل الميلاد . وتمتاز حروف هذه الاثار عما قبلها بكونها اكثر استدارة واكل تعرجاً ويكون اوسطها ضخماً وطرفها رقيقاً واما الكتابة القرطاجنية فتجد مثلها على مسكوكات قرطاجنة وصقلية وعلى ما وجد من الاثار فيهما وفي الكتابات القديمة التي وجدت في مرسيليا وفي سردينيا وهي قريبة كثيراً من الكتابة الصيداوية واشبه بها لكن حروفها غير منسوفة على خط مستقيم بل محدبة تحديداً لطيفاً . واما العصر الثالث فتسمى احرفه البونية اي الفونيقية الحديثة وكانت تستعمل

على الساحل الغربي من البحر المتوسط منذ زهاء مئتي سنة قبل الميلاد واستمر استعمالها مدة بعد استيلاء الرومانيين ولها مثال في صفائح وجدت في قرطاجنة ومالطة وصقلية وسردينيا وفي بعض مسكوكات اسبانيا ويظهر منها جلياً ان الكتاب ارادوا وقتئذ جعل الحروف بسيطة فترى اكثر الحروف في هذه الكتابة استغنى عنها بنحط واحد منها واخذ في تعليق الحرف الواحد بالآخر فتعسر قراءة ما كتب فيها

﴿ ١٤٢ ﴾

— في لغة الفونيقين —

ان لغة الفونيقين سامية فهي اخت اللغة العبرانية التي تكلم بها العبرانيون والعربية التي تكلم بها العرب وهؤلاء ساميون بلا مرأ ولذاك عقب بعض الجاحدين على موسى بجعله الكنعانيين والفونيقين من ذرية حام ولتتهم سامية فيلزم ان يكونوا من ذرية سام ولكن طاش سهم الجاحدين فاخطأ الغرض فلا تدل اللغة دلالة أكيدة على الاصل ابدأ فان قدماء سكان بابل واشور حاميون وكان يملك فيهم نمروذ بن كوش بن حام وما من قائل بان اللغة السكدانية او الاشورية حامية بل هي سامية والسكان القدماء في اليمن وحمير هم من نسل حام وكانوا هناك قبل ان يحل بينهم بنو قحطان الساميون وما من منكر ان اللغة الحميرية من فروع العربية فهي سامية وقد اثبت كثير من العلماء حتى رنان نفسه ان الفونيقين وسائر الكنعانيين وان كانت لتتهم سامية هم اقرب اصلاً الى المصريين من الساميين وبين المصريين والفونيقين اشتراك في كثير من العقائد الدينية والمعبودات وقد ثبت بالتقليد المستمر عند الفونيقين ايضاً انهم اتوا سورية من ساحل خليج العجم ولم يكن هناك الا ولد حام ويستدل من بعض الآثار المصرية ان شعب كفتا الذي يعبرون به عن الفونيقين يقرب

منهم اصلاً لان بعض الحُصَال والسَمَات الطَبِيعِيَّة مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلِنَا مَا لَا يَحْصِيهِ عَادٌ مِنْ امْثَالِ مَنْ حَلَوْا فِي بِلَدٍ وَتَكَلَّمُوا بِلُغَةِ اَهْلِهِ وَالظَّاهِرُ اَنْ سَكَانَ سُورِيَّةٍ قَبْلَ الْفُونِيقِيِّينَ سَامِيُونَ فَاخَذُوا لُغَتَهُمْ فَمَنْ الثَّابِتُ اِذَا ثَبُوتًا عِلْمِيًّا اَيْضًا اَنْ الْفُونِيقِيِّينَ وَسَاءُرَ الْكَنْعَانِيِّينَ حَامِيُونَ اَصْلًا وَلُغَتُهُمْ سَامِيَّةٌ (عَنْ لَانْرْمَانِ مَجْلَد ١ صَفْحَةٌ ٢٧٥)

لَيْسَ مِنْ يَمْتَرِي اَنْ لُغَةَ الْفُونِيقِيِّينَ لَا تَخْتَلِفُ عَنْ لُغَةِ الْعِبْرَانِيِّينَ الْاِخْتِلَافَاتُ قَلِيلَةٌ كَمَا مَرَّ (فِي عَد ٤٩) فَلَيْسَتْ لُغَتَيْنِ بِلَهَا فِرْعَا لُغَةٌ وَاَحَدَةٌ وَبَيْنَ اَصْوَالِ الْفَرِيعَيْنِ وَالْفَاظِهِمَا مُطَابَقَةٌ تَامَةٌ يَسْنَدُ الْقَوْلُ بِهَا اِلَى الْمَعَارِضَةِ بَيْنَ الْاِثَارِ الَّتِي اِكْتَشَفَتْ مَكْتُوبَةٌ بِالْفَرِيعَيْنِ كَكِتَابَةِ عَيْنِ شَيْلُوحَا وَصَفِيحَةِ مِيْشَاعَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ وَكِتَابَةِ الْاِثَارِ الْفُونِيقِيَّةِ بِاللُّغَةِ الْفُونِيقِيَّةِ وَقَدْ مَرَّ اَنْ اَشْعِيَا النَّبِيَّ سَمَى اللُّغَةَ الْعِبْرَانِيَّةَ كَنْعَانِيَّةً وَتَرَى فِي كِتَابِ الْعُلَمَاءِ الْيُونَانِيِّينَ اِسْمِي الْلُغَتَيْنِ الْفُونِيقِيَّةِ وَالْعِبْرَانِيَّةِ مُتْرَادِفَيْنِ يَنْزِلُ اَحَدُهُمَا مَنْزِلَةَ الْاُخْرَى وَقَدْ سَلَفَ لَنَا كَلَامٌ فِي فُرُوعِ اللُّغَةِ الْفُونِيقِيَّةِ فِي عَد ٤٩ فَطَالَعَهُ . وَقَدْ اسْتَمَرَّتِ اللُّغَةُ الْفُونِيقِيَّةُ فِي سُورِيَّةٍ فَلَمْ تَنْسَخْهَا غَزْوَةُ اِسْكَندَرَ الْكَبِيْرِ وَلَا وِلَايَةُ خُلَفَائِهِ فَقَدْ كَثُرَ اسْتِعْمَالُ اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ فِي الْمَدَنِ وَبَيْنَ عَلِيَّةِ الْقَوْمِ وَعُلَمَائِهِمْ وَلَكِنْ مَا بَرِحَ السَّوَادُ الْاَعْظَمُ مِنَ الْاَهْلِ اَنْ يَتَكَلَّمُوا بِاللُّغَةِ السَّامِيَّةِ وَوُجِدَتْ مَسْكُوكَاتٌ مَنقُوشَةٌ عَلَيْهَا بِالْفُونِيقِيَّةِ وَالْعِبْرَانِيَّةِ حَتَّى اَيَّامِ الْقِيَاصِرَةِ الرَّوْمَانِيِّينَ الْاَوَّلِيْنَ . وَكَذَا اسْتَمَرَ اسْتِعْمَالُ اللُّغَةِ الْبُونِيَّةِ اَيَّ الْفُونِيقِيَّةِ فِي قَرْطَاجِنَةَ اَزْمَنَةَ مَتَطَاوَلَةَ حَتَّى رَوَى بْرُوكُوبُ وَالْقَدِيْسَانُ اَغُوسْطِيْنُوسُ وَاِيْرُونِيْمُوسُ اَنْ سَكَانَ قَرْطَاجِنَةَ وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ الْبِلَادِ مَا فَتَّشُوا يَتَكَلَّمُونَ بِاللُّغَةِ الْبُونِيَّةِ الْفَصْحَى حَتَّى الْقَرْنِ الثَّانِيِّ بَعْدَ الْمِيْلَادِ

﴿ عدد ١٤٣ ﴾

— ﴿ في اثار الفونيقين ﴾ —

قل كثيراً ما بلغ الينا من آثار الفونيقين ولسؤ البخت لم نتوصل الى ما كان منه كبير فائدة فنقضي العجب من ان هذا الشعب الذي اوجد الكتابة بالحروف ونشرها في المعمور كله لم يخلف لنا من آثاره الا ما ندر وكان قليل الفائدة يسير العائدة ونرى المصريين والاشوريين على تعسر رسم علاماتهم واعتياص حل رموزها ملاً وصخور المدافن وحجارة الهياكل وصفائح القصور من الآثار الجزيلة النفع واحترفوا في الاجر ما يساوي كتباً ضخمة مشتملة على تواريخهم واسبابهم وعلومهم بكل فن فهل اغفل الفونيقين طمعهم بالارباح عن تخليد ما ترتاح اليه الارواح او استلبت صروف الحدثان ما خلفوه لنا فلم نعلم بالحظوة به

فالاثار الفونيقية المكتوبة التي جمعت الى الان كثيرة تتجاوز بعض الوف ولكن ندر ما كان منها غير مكتوب على تمثال او نصب اقيم لاحد الالهة او على مدفن كتب عليه اسم من دفن فيه وبعضها فونيقى وبعضها قرطجني وهو اكثرها ولا يختلف بعضه عن البعض الاخر الا في اسماء الاعلام وقد عنيت جمعية الكتابات السامية والصنائع الجليلة بجمع هذه الكتابات القديمة ونشرها وطبع منها القسم الاول في الخطوط الفونيقية والقرطجية فكان شاهداً مصرحاً بقصور هذه الآثار عن تبيان حقايق تاريخية مهمة فجل ما اشتمل عليه من البيئات التاريخية هو صفيحة يهو ملك قيل جليل ولا تحوى الا اقامة هذا الملك نصباً تكرمة لعشروت بعلة جليل والصفيحة مشوهة كثيراً والملك الذي نصب هذا التمثال كان بعد كورش وقبل اسكندر الكبير وهو ابن يهر بعل وحفيد اردو ملك.

ثم ما كتب على مدفن تبنيث وابنه اشمون عازر ملكي صيدا ولا يتحصل منه

الا الدعوات على من يجترىء ان يسطو على مدفن الملكين ثم قطعة من الصفر
محفوظة في مكتبة الامة في باريس لا يفهم منها الا ان ملكاً اسمه حيرام ملك
صيدا قدم مقدمة لبعل لبنان ولا يعلم منها هو حيرام صديق سليمان ام هو حيرام
اخر ثم وجد في صور اثر ذكرت فيه مقدمة لبعل شمائم (اي اله السموات)
قدمها عبدليم بن ماتان بن عبدليم بن بعل شمار وهذا الاثر هو بعد عهد
اسكندر الكبير فهذا اخص ما وجد في فونيقى حتى الان من الآثار المهمة
ووجدت فيها بعض مسكوكات لكنها متأخرة عن عهد اسكندر الكبير

على انه قد وجد في قبرس اكثر مما وجد في فونيقى من هذه الآثار
ولكن ليس منها ما تقادم عهده على القرن الرابع قبل الميلاد فقد اكتشف
بوكوك في لرنسكا ثلثة وثلاثين اثراً مكتوباً واكتشف لويس روس الالماني
ثلثة اثار اخرى في جوار لرنسكا ولكن قل فيها ما يهم فبعضها دال على تقادم
لعشثروت وللاله راسف اورسبو مشبهاً بابلون ومؤرخ بعهد الملك ملكياتون
وبومياتون وغيرهما من امراء هذه السلالة وبعضها الاخر يحتوي حساب نفقة
بعض الهياكل كما وجد مثل حساب هذه النفقات في بلاد اليونان . وقد وجد
في مصر بعض اثار فونيقية مكتوبة خاصة على اسوار هيكل اوزوريس وفي
ايدوس وغيرها وليس فيها ما يهم ووجد في جزيرة والوس وفي اثينا اثار دالة
على تقادم الالهة مكتوب عليها بالفونيقية واليونانية ووجدت في مالطة اثار فاحدها
دال على مقدمة للمكرت اله صور وبعضها كتب عليه « مقدمة لملك بعل مقدمة
لملك عشثروت مقدمة لملك اوزيريس » ووجد مثل هذه الآثار الدالة على
تقادم في صقلية وفي بالرمو خاصة وفي سردينيا وفي افريقيا ايضاً

على ان الاثر الذي اكتشف في مرسيليا سنة ١٨٤٥ يستحق ذكراً خاصاً
لقدمه ولطول عبارته فيظهر انه كتب في القرن الخامس قبل الميلاد واحسن

ترجمة لهذا الأثر ما عني بها الاب برجيس معلم اللغة العبرانية في كلية باريس
 وخلاصة ما كتب فيه حساب هيكل بعل صافون في قرطاجنة في زمان الحاكم
 (شفت) الس بعل بن بودتانيت والس بعل بن بودشمون وقد عين فيه ثمن
 المحرقة ان كانت ثوراً او خروفاً او جدياً او عصفوراً ثم ثمن الحليب والدهن
 وكل ما يدخل في تضحية الذبائح وتقدمة التقادم للآلهة ويضاف الى ما مر
 من الكتابات تكملة لذكر كل ما نعلمه من اللغة الفونيقية بعض المئات من الكلام
 والاعلام التي ذكرها الكتاب اليونان واللاتينيون ولا يؤمن فيها من التحريف
 والتصحيح ثم ايات شعر وردت في رواية لبوت مصحوبة بترجمتها اللاتينية
 لا يؤمن فيها غلط النساخ وقد جد بعضهم في اصلاحها ولا يعلم هل اجادوا
 فهذا ما نعلم من اثار الفونيقين

﴿ عد ١٤٤ ﴾

﴿ في علوم الفونيقين ﴾

لاجرم ان الفونيقين مهروا ببعض العلوم وان ندر كثيراً ما بقي لنا من
 حطام اثارهم العلمية فقد كان لاخوانهم العشائر الكنعانية كتب وتاليف في
 علوم وفنون عديدة قبل غزوة يشوع بن نون لبلادهم ايضاً فاننا نرى في سفره
 (فصل ١٥ عد ١٥) ان كالب بن يفنا « صعد الى سكان دبير وكان اسم دبير
 قبلاً قرية سفر » اي قرية الاسفار والكتب وهي في جوار الخليل فان كان
 للكنعانيين من تلك الاعصر اسفار وكتب علمية يجمعونها في مكاتب فالفونيقيون
 اولى بمثل ذلك لسبقهم سائر قبائهم الى الحضارة والتمدن ونرى في الآثار
 المصرية اسم شاعر مجيد كان من المقربين الى ملك الحثيين عند محاربه رعمسيس
 الثاني على اسوار قادس . وكما كان للبابليين كتب اوانس وللصوريين اسفار
 طوت الحاوية شرائعهم ورسوم دينهم كان للفونيقين اسفار تنطوي على

شرائعهم ورسوم دينهم وقانون احكامهم على سبيل وصايا سموية مقدسة وكانوا يعززون هذه الاسفار الى اله لهم يسمونه تاوت ولعله طوت اله المصريين . وكان في مدن فونيقى خزائن تحفظ فيها سجلات ترقم بها بغاية الضبط الاحداث المهمة وتواريخ المملكة وما يجرى لها كما رأيت مرات في فخر مينندر المأخوذة عن سجلات صور وكان لفونيقيين مقالات دينية وجغرافية غير داخله في اسفار تاوت القانونية وكتب اخرى عملية موضوعها الزراعة والصنائع والحرف النافعة . وقد ذكرنا آنفاً (في عد ١١٥) رحلة خون مع جالته في الاتلنتيك وقد كتب اخبارها في درجه

ولما شرع علماء اليونان في عهد خلفاء اسكندر الكبير يكتبون تواريخ شعوب اسيا ترجم باروز تاريخ بابل ومانيتون تواريخ مصر وكتب غيرها تواريخ فونيقى نقلاً عن سجلاتها وأثارها ومن هولاء ثيودت وهيبسيكرات وموخ او موكوس ولم تبقى لنا الايام مما كتبه هولاء الا اسماءهم بل بقي لنا شيء مما نقله مينندر وديوس عن تواريخ صور قد مر معنا ذكره واحسن ما بلغنا من كتب الفونيقيين المترجمة الى اليونانية انما هو ترجمة فيلون الجبيلي (غير فيلون اليهودي) لكتاب سنكونياتون البيروتي المشتمل على الكلام في اصل العالم وموالد الالهة فسنكونياتون ألف هذا الكتاب وجعله مقدمة لاسبعل ملك بيروت فتقبله بالمسرة وحفظ لنا اوسابيوس القيصري (في كتابه الاستعداد الانجيلي ك ١ فصل ٦) فقرات من ترجمة فيلون الجبيلي وهالك ما علقه اوسابيوس عليها ان هذه الامور عنى بشرحها سنكونياتون وهو مؤلف قديم جداً يقال انه كان قبل حرب ترويا ورووا انه كتب التاريخ الفونيقى متحريراً الصدق ونشر فيلون الجبيلي جميع مصنفات هذا المؤرخ بعد ان ترجمها من الفونيقية الى اليونانية وذكر ذلك خصمنا المعاصر لنا يريد به (برفير الفيلسوف الشهير الذي

كتب خمسة عشر كتاباً يضاد النصرانية بها) وروى اسابيوس عن برفير ان سنكونياتون بيروتي موطناً وانه اخذ مادة تاريخه عن ايروبعل كاهن الاله ياهو وقدم كتابه لابيعل ملك البيروتين فسر به وانه كان قبل حرب ترويا قريباً من عصر موسى كما يظهر من تواريخ الملوك الفونيقين ثم ذكر اوسابيوس بعض ما كتبه فيلون الجبيلي في مقدمة ترجمته وخاصة انه عني بها بياناً لضلال من زعموا ان قصص الالهة ليست حقيقة بل هي رموز مجازية دالة على حوادث طبيعية وتقلبات فلكية ثم كلفاً بمعرفة تاريخ الفونيقين بغير كتب اليونان الذين قلما مرافق بعضهم بعضاً بل آثروا انتقاد احدهم كلام الاخر على توحيد مساعيهم للتوصل الى الحقائق ومما صر يظهر انه لم يصب من زعم ان سنكونياتون كان بعد عصر اسكندر الكبير فهو اقدم منه كثيراً بل الواضح ان فيلون الجبيلي كان في عهد خلفاء اسكندر ومن شاء الاطلاع على فقر سنكونياتون هذه فليطالعها في كتاب اوسابيوس السالف ذكره او في تاريخ فونيقى لهوفر (ف ٤) وقد روى الاب مرتين اليسوعي اكثرها في كتابه تاريخ لبنان (جز ٢) الذي نشرت جريدة البشير قسماً منه وقد اضربنا نحن عن اثباتها هنا طلباً للايجاز ولانها اقاويص لا يتنفع بها الا بمعرفة خرافاتهم بموالد الالهة وبدء العالم وقد استشهدنا ونستشهد بما صلح منها

الفصل العاشر

(في ديانة الفونيقين)

﴿ عد ١٤٥ ﴾

— في الوثيقة عند الفونيقين وغيرهم —

قضت جميع القبائل العريقة في القدم ان لا بد للعالم من موجد ومدبر وحملهم على ذلك النظر البديهي الى هذا الكون وما اشتمل عليه والى انه لا يمكن ان يكون علة لنفسه ثم تقليد الاباء القديما بان الله خلق العالم وكل ما فيه ولذا رسخ تصور الاله في اذهان جميعهم فلا ترى قبيلة لم تقر بوجود الاله او لم يكن لها مساجد ومعابد على ان الجهل غشى بصائرهم فلم يدركوا ان هذا الاله روح بسيط وازلي تعالى عن مدارك البشر بل جعلوه كالمحيويات او جعلوها صادرة من جوهره بغير طريقة الخلق ونظروا الى اسمى الكائنات فتوهموها هذا الاله السامي فعبدوها ولذا لم تخلو قبيلة من عبادة الشمس اذ رآوها اسمى الكائنات واتبعوا بها القمر وسائر الكواكب السيارة وغيرها من النجوم فاختلفت اسماء المعبودات اختلاف القبائل وقلما اختلف موضوع العبادة فعبد المصريون الشمس يسمونها رع او عمون رع وعبدها السوريون يسمونها بلع شمائم اي رب السموات قال برو (مجلد ٣ صفحة ٧٦) اذا تفحصنا في ديانة الفونيقيين فنجد انهم اخذوا معبوداتهم واسماءها عن الكلدان لانهم اتوا من جوارهم وكسوها بملابس مصرية لانهم كانوا في اول امرهم يخضعون لمصر هذا ولا يختلف دينهم عن سائر ادیان الشعوب في سورية عدا اليهود الا في

امور خارجية وظيفية ونجد هذه الاديان ودين البابليين والاشوريين كانهما صادرة عن مبدأ واحد وهو تصور اله وحيد وقدير سماه كل من العشائر اسماً دالاً على احدى صفاته فسماه الحثيون الشماليون ست اوستخ وتأويله القدير على كل شيء ودعاه الاراميون هداد (وعله حادحاد) وتأويله الوحيد او الواحد الاحد والعمونيون ملوك اي الملك والمتسلط والموايون كوش او كوس وتأويله الضابط او المتولي والفونيقيون بعلاً وتأويله السيد او الرب وسائر العشائر الكنعانية بعلاً او ايلاً وتأويله الاله كما كان البابليون يسمونه ايلو ويواه اي الموجود بالاطلاق والازلي وهذا اشبه باطلاق العبرانيين كلمة يهوه على الله فليس بعل الفونيقين الا بيل الكلدانيين وليست عشروت عند اولئك الا استار او اشتار عند هولاء (برو في مجلد ٣ من تاريخ الصناعة في القدم صفحة ٦٨) وليست عشروت سورية الا فانوس اي الزهرة عند اليونان الذين اخذوا معبوداتهم عن الفونيقين . ان اله الفونيقين وجميع المشركين القدماء كان واحداً ومتعددًا معاً فان الاله الواحد عندهم كان ذا اقانيم عديدة يسمونها بعليم اي الالهة وليست الا الوهيات ثانوية صادرة عن الاله السامي وهي صفات وقوات متأهبة صادرة عن الاله غير المدرك فكان عند جميعهم الاله السامي ومن دونه الهة اخرون . وكذا كان مذهب البابليين والاشوريين وانفرد الفونيقيون بان جعلوا تعدد الالهة غالباً من قبل المحل لا من قبل الصفات فالبعل الذي كان يعبد في صور وصيدا ولبنان وحرمون وغيرها تعدد فكان بعل صور وبعل صيدا وبعل لبنان وبعل حرمون الى غيرها . وقد احكم العالم دي فوكوا اذ قال . ان هذه التسميات المخصوصة كانت تمحو من ذهن عاينهم الخاصة الاولية للمعبود وهي الوحدانية ولا تترك لها الا تصوراً مشوشاً ، ولكن الوحدانية هي الحقيقة مثلاً ملكرت اله صور الاعظم الذي بثت جالياتهم عبادته في اقصى الافاق ليس

هو الابل فقد وجدت صفيحة في مالطة كتب عليها « تقدمت الى الرب ملكرت
 بعل صور » فهو اذا الاله السامي معتبراً لهاً محلياً محامياً لصور واسمه دال
 على ذلك فان اصله « مالك قرية » ملك المدينة اي ربها فجعل ملكرت
 او ملقرت

﴿ عدد ١٤٦ ﴾

— في معبودات الفونيقين —

اكثر الفونيقيون كالبابليين من رصد الكواكب ومراقبات حركاتها فادهشهم
 نظام الكواكب وفعل الشمس في الكون والناميات خاصة فعزوا كل ما في
 الطبيعة الى الكواكب لاسيما ملكتها وهي الشمس فعبدوها لا بما انها مظهر
 للقدرة الربانية بل لاعتقادهم اياها لهاً فصار بعل عندهم كناية عن الشمس
 يسمونه بهذا الاعتبار بعل شمائم اي رب السموات واشهر معبوداتهم خاصة
 في جبيل ادونيس ويسمى تموز ايضاً ومعنى ادون او ادونيس كما سماه اليونان
 السيد او الرب وهو بمقتضى اقدم تقليدياتهم الاله الشمس يتصورونه يموت
 في الخريف اذ تجف نضارة النبات وتذوي ثماره ويحيى في الربيع اذ يعاوده
 الخصب والازهار فيدنو ابناء ثمره فيحتفلون لعيده في الخريف قتلبن نساؤهم كلها
 ملابس الحداد ويذهبن الى ضفة نهر ادونيس (وهو نهر ابراهيم الان)
 فينحن على تموز اي على موت الطبيعة المجملتة بازهارها وثمارها وكانت النساء
 في جبيل يجززن شعرهن اشعاراً بالحداد او يطفن وشعرهن مسترسل حائرات
 باثرات تيغنين بالمراثي على تموز حسرات فاذا جاء الربيع احتفلوا بعيد قيامة
 ادونيس اي بعود نضارة النبات وازدهائه بالازهار والثمار واكثروا من الملاهي
 والطرب والمزح فهذا سر هذا الاحتفاء الذي لم تكن عامتهم لتدركه بل كانت
 تحسبه واقعيًا وكانت نساء العبرانيين يشاركن الفونيقيات في الرثاء والحداد ولا يتعظن

بنصائح الانبياء ومنهم حزقيال اذ قال (فصل ٨ عد ١٤) « ثم اتى بي (الملك) الى مدخل باب بيت الرب الذي هو جهة الشمال فاذا هناك بنساء جالسات يبكين على تموز ، واصبح تموز في عهد ولاية اليونان صياداً في سورية مغرماً بامه عشتروت وبينما كان يوماً يصطاد في غاب لبنان غير بعيد عن جبيل حسده الاله اراس اليوناني فتقمص بخنزير بري ورصد له في طريقه فكان عراك شديد بينهما افضى الى قتل ادونيس وقد مر ان حكاية قتله نقش مثلها على صخر في قرية الغينة في القنوج حيث ترى صورة وحش يفترسه وبجانها صورة عشتروت وهي الزهرة تبكيه ثم اعادته من الموت وصورة قيامته منقوشة على صخر في المحل المعروف بالمشقة في بلاد جبيل

وقد جعلوا السيارات السبع المعروفة عندهم بوعولاً اي الهة واطلقوا على جميعها اسم كبيريم جمع كبير ومعناه التقدير وكان عددها عند الفونيقين ثمانية اي الكواكب السيارة السبعة مع العالم المكون من مجموعها وسموا ابا هذه الالهة زديق ومعناه البار وجعلوا الكبير الثامن وهو كناية عن مجموع افلاك الكواكب كوكب القطب الشمالي (الذي تسميه العامة المسمار) وكانوا يتخذونه هادياً في اسفارهم وسموه اشمون اي الثامن وكانت الحية مثلاً له ولباقي الالهة الكوكبية لحسانهم انها تمثل بتعرجها حركة الكواكب في الافق وكانوا يربون حيات في هياكل اشمون تلحس جراح من استشفع به فتبرئها اذ كان من معتقداتهم ان اشمون وسائر الكبيريم اوجدوا عقاقير الطب والى ذلك يعزى ما ذكره دانيال النبي في نبوته عن التنين في هيكل بابل

ولم تكن الالهة عندهم ذكوراً فقط بل كان لهم آلهة اناث ايضاً فكانت عشتروت زوجاً لبعل وكان لكل من البعول الثانوية بعلة وكلما كان للبعل خاصة شمسية كان للبعلة خاصة قمرية ولذا كانت عشتروت عندهم القمر ويجعلونها من

جملة الكبريم على انا نجد الاثار القديمة الفونيقية تصف الالهة او البعلة بانها
 « مظهر » او « وجه » الاله الذكر فيظهر انهم كانوا يعتقدون الاثنيين واحداً
 لا يمتاز احدهما عن الاخر الا بما يصلح به ان يكون زوجاً للاخر والالوهية
 واحدة بينهما مثناة بالتجلي الخارجي فكأنهما اقنومان لذات واحدة وما ذلك
 الا اثر الاعتقاد الاولي بالوحدانية مشوشاً . وكانوا يدعون البعلة ملكات شمائم
 اي ملكة السموات كما يدعون الاله بعل شمائم اي رب السموات . وكان
 من هذه الازواج في صيدا بعل صيدون وعشروت وفي جبيل تموز وبعلة .
 وفي صور ملكرت وعشروت وفي قرطاجنة بعل حمون وتانيت التي تسميها
 الاثار « في بعل » اي وجه بعل وكان عند الحثيين الشماليين سات وساتة وعند
 الاراميين في دمشق هدد وترغات وكانت عبادة عشروت اعم من جميع عبادة
 الالهات فقد ورد ذكرها على اختلاف اسمائها في كثير من الاثار التي كشف
 عنها في فونيقى وقبرس ومالطة وصقلية وسردينيا وقرطاجنة

ومن الغريب انا نجد عندهم نوعاً من الثالوث فتراهم يعبدون في كل
 مدينة ثلاثة من الالهة فكان لهم في صور ملكرت وبعل وعشروت وفي صيدا
 بعل وعشروت واشمون وفي قرطاجنة تانيت وبعل حمون واشمون وفي جبيل
 ايل وادونيس وبعلة جبيل . وكان في مصر ثلوث لكل مدينة من مدنهم
 الكبيرة فكان في تاب امون رع الاله الاعظم وزوجه موت وابنه خنسو
 فيألف ثالوثهم من اب وابن وزوجة ويعتقدون الثلاثة الهة واحداً (لانرمان
 مجلد ٣ صفحة ٢٠٨ و ١٧٤) . وكان للنار دخل في عبادتهم ينزلونها منزلة
 مبدا الحياة وينبوع كل فاعلية لنسبتها الى الشمس ومصدر كل ولادة وابادة
 وكانت عندهم الالهة الشمسية والكوكبية نارية طبعاً وكان يخص بذلك بعل
 ملوك كما سيأتي بعيد هذا ومثله بعل حمون الذي تأويله الاله المحرق وهو احد

معبودات قرطاجنة ومثله الاله راسف وتأويله الصاعقة ي النار السموية وسماه
اليونان بعد ذلك ابولون وثاوس والاراميون في دمشق ادار وهو من معبودات
الاشوريين وكان الحجر الناري رمزاً للاله الناري وكان الصوريون يسجدون
لمكرت ممثلاً بحجر لماع وكان عند الفونيقيين والعرب نوع من العبادة للحجارة
وكانوا يسمون هذه الحجارة المكرمة بيت ايل اي مسكن الله متوهمين ان الله
يسكنها لاسيما الحجارة التي يروى بعضهم انها نزلت من الجو ملتبة فيعتبرونها
نزلت من الكواكب وكان لون هذه الحجارة المكرمة غالباً اسود فيستدلون
بذلك ان اصلها ناري . وجاء في الخطوط المسمارية ذكر سبعة حجارة سوداء
كانت تعبد في هيكل ارك في بلاد السكندان وعبادة حجر حمص استمرت
شهيرة حتى ايام الملوك الرومانيين وقد وجدت صورة هذا الحجر منقوشة على
مصكوكات في سورية وحمص وسلوقة والرها وغيرها

﴿ عد ١٤٧ ﴾

مـ في ذبائح الفونيقيين

لم تكن في الوثنية قبيلة لم تعتد تقدمه الضحايا لالهتها بل كانت تقدمه
الذبائح والضحايا منذ اول العالم وعند كل امة فترى هايل وقاين ابتدآها ونرى
نوحاً قدم ذبائح لله اثر نجاته من الطوفان على ان الفونيقيين امتازوا عن سائر
الامم القديمة بتقدمة الضحايا البشرية قال برو (في كتابه تاريخ الصناعة في القدم
مجلد ٣ صفحة ٧٤) لم نجد اثرأ عند المصريين او الكلدان لتضحية بالناس تكرمه
للالهة بل انفرد السوريون بهذه العادة السيئة التي حملتها جالاتهم الى مستعمراتهم
والى قرطاجنة خاصة . واسوأ الصنيع في ذلك تقدمه الضحايا تكرمه لبعل ملوك
اذ كان الاباء انفسهم يطرحون اولادهم في النار المضطربة ومصدر هذا الصنيع
المخيف تصورهم طبع الاله نارياً واعتقادهم شيئاً من الالوهية في النار فيضحون

باولادهم ليشتروا في شيء من الالهية او يسترضوا الاله المتغضب . وكانت الضحايا البشرية عندهم اعظم الضحايا ويقدمون بها غالباً بكر اولادهم او احدث مولود لهم معتقدين انهم بذلك يكرمون الاله بانفس ما يملكون

وقد استمرت هذه العادة عندهم الى النهاية على انهم دخلوا من قديم الدهر طريقة البدل فكانوا يستبدلون الضحية البشرية بالتضحية بحيوان او طير من الاوالف كثور او خروف او جدى او حمامة الى غير ذلك وقد تبين في الصفيحة التي وجدت في مرسيليا (قد مر ذكرها عد ١٤٣) ما يصلح لهذه الضحايا من الحيوان والطارئ وما الثمن المفروض لكل منها . ولم تكن البقرات تصلح لهذه الضحايا اذ قال برفير (ك ٢ فصل ٢) ان المصريين والفونيقيين لو خيروا بين اكل لحم البشر او لحم بقرة لاختاروا اكل لحم البشر ولذلك لم تكن البقرة تصلح عندهم ضحية (رواه هوفر في تاريخ فونيقى فصل ٤) وكان الفونيقيون يستبدلون ايضا الضحايا البشرية باقامة نصب كعمود او تمثال تكرمه للالهة ويعتاضون احياناً عنها بنذرهم ان يخدموا في احد الهياكل عمرهم او مدة منه فكل ما مر نبئنا بما كان احكم تونيب الانبياء لبني اسرائيل على اتباعهم عادات الكنعانيين وتقديم العبادة لالهتهم والاقتداء بهم وتحذيرهم اياهم من ذلك اشد التحذير ومع هذا حدث مثل هذه الفطائع احياناً في شعب اسرائيل كما سترى في تاريخ العبرانيين وامتدت هذه البربرية من اقدم الايام الى جزر البحر المتوسط وبلاد اليونان وغيرها مع الجاليات الفونيقية . فقد اوصل الفونيقيون دياتهم ومعبوداتهم وعاداتهم الى حيث اوصلوا بضائهم وحرور كتابتهم وتمذنتهم فكانوا موصلاً بين المشرق والمغرب لما حسن ولما قبح فاخذوا عن السكندان والمصريين معتقداتهم الدينية ومعبوداتهم فبشوها في الآفاق ولذا كانت الاديان الوثنية ومعبوداتها واحدة اصلاً وجوهراً وان

داخلها اختلاف في الاسماء او زيادات على الاصل او تغيرات اقتضتها حالة البلاد او الجهل بالاصل او الاهواء الشخصية

﴿ عد ١٤٨ ﴾

— في كهنة الفونيقين وهياكلهم —

كان كهنة بعل وعشروت عند الفونيقين في اعيادهم يلبسون ملابس النساء ويخضبون وجوههم بالحمرة ويزججون حواجبهم ويكحلون عيونهم ويعرون ايديهم الى الكتف ويحملون بايديهم سيوفاً او يتككبون حراباً ويتأبطون دفوفاً او معازف يضربون بها ويرقصون ويضجون ويدورون على عقب واحد وينعطفون برأسهم الى الارض عند دورانهم فيمرغون شعورهم بالوحول ويعضون اذرعهم ويخدشون اجسامهم بسيوف وحراب كما جاء في سفر الملوك الثالث (فصل ١٨ عد ٢٨) فاذا سال دمهم قدموه ضحية لالهتهم الدموية وكان كثير منهم يعوهون اعضاءهم عند صنع هذه المجان والشعوزات ومع هذا كان هولاء الكهنة نفازين في امور مملكتهم يصنعى لهم الحكام ويستشيرونهم ويمولون بمشورتهم ويحملون الامة على ما شاؤا ويكثرن من الحيل خدعة للشعب في امر عبادة الالهة وفي ما يهون ولم يخزهم ويفضح مكرهم وينكل بهم مثل ايليا النبي عند ما جعل احاب ملك اسرائيل يجمع اربعمائة وخمسين نبياً او كاهناً من كهنة بعل واربعمائة من كهنة عشروت ويمتحنهم بان يقدموا ضحية لبعل ويستهيحونه آية يثبت بها انه الاله الحق ففعلوا واكثروا من الهتاف والتضرع اليه ومن تخديش اجسامهم على عادتهم بالسيوف والحراب حتى سالت دماوهم فلم يكن من مجيب ولا مصغٍ فقبض عليهم ايليا وذبحهم عن اخرهم حذاء نهر قيشون بجانب الكرمل (ملوك ٣ فصل ١٨) ولا تسأل عما كانت خصالهم وادابهم فانهم كانوا يديحون اعظم المنكرات بل يجعلون بعض الرذائل

فضائل ولا سيما في امر الشهوات البدنية ولنا بكل ذلك عبرة لمن يعتبر فهو شاهد كانه محسوس وبرهان كانه ممسوس على ان العقل البشري اذا ترك وهواه ولم يهده وحي سموي تسكع في دياجير الظلمة وتاه في بيداء الجهل ولو كان ثاقبا ومتوقداً وركب الغرور وقادته امياله فاستحسن ما ظهر قبجه واقترف الفظائع يظنها فضائل واضاع رشده وسود محامده وغشى محاسنه باطمار خلاعته فاهدنا اللهم الصواب فانت منبع كل حق وخير وليس من دونك سداد ولا رشاد

ويظهر انه لم يكن للعشائر الكنعانية في اقدم ايامها هياكل ومعابد بل كانوا يعبدون المتهتم على قمم الجبال والمشارف فيقيمون هناك عموداً او نصباً او صخر ايسمونه بيت ايل اي مسكن الرب فيعبدونه ويجلونونه وعندهم اخذ بنو اسرائيل المشارف التي ورد ذكرها مكرراً في اسفار الملوك واخبار الايام حيث كانوا يعبدون عند جحودهم وتركهم عبادة الله الحقمة على ان المدائن الشهيرة كان فيها من اقدم الايام هياكل فان هيكل ملكرت في صور كان معاصراً بناء المدينة وقال هيرودت ان كهنة صور ابأوه انه قد مضى على بنائه الى ايامه ٢٣٠٠ سنة كما مر على ان اطلال الهياكل والمعابد الباقية من قبل عهد ولاية اليونان في سورية مؤذنة بان الفونيقيين اتبعوا فيها هندسة الهياكل في مصر وعليه فيكونون قد شرعوا في بناء الهياكل بعد ولاية المصريين عليهم ولا اقل في ان يكون ذلك بعد ترددهم الى مصر على ان هيئة هذه الهياكل كانت حجرة ضيقة لكن مخوطة باسوار فسيحة يتكون ضمنها عرصة مكشوفة وقد يكون فيها احياناً رواق من خشب ودلنا على ذلك اخربة هيكل الزهرة في الباف في قبرس والمعابد الباقية في مالطة التي يسمونها كازا الكرندي اي البيوت الكبيرة وما جاء في الكتاب عن هيئة هيكل سليمان الذي كان مهندسوه فونيقيين وما بلغته الينا

بافوس

حطام بعض المؤلفين القدماء عن هيئة هيكل ملكرت في صور وكان امام هياكلهم غالباً رواق ارفع من سائر البناء ويليهِ معبد تقدم به الضحايا والتقدم ثم معبد اخر ثم قدس اقداس لا يحل للعامّة ولا لجميع الكهنة الدخول اليه وكان بجوانبه مخدع للخدام فكذا كان هيكل صور وكذا تبثنا اطلال هيكل الباف السالف الذكر وكذا كان هيكل اورشليم كما انبأنا الكتاب على انه لم يكن في قدس الاقداس في هيكل الله الاتابوت العهد واما في هياكل الفونيقين فكان مثال الالهة السري لا تمثال بهيئة بشرية بل حجر او صخر يسمونه بيت ايل اي مسكن الله كما مر وكان في هيكل ملكرت قطعة كبيرة من الزمرد تمثل بلمعائها طبيعة الاله النارية وكانوا ينزلونها منزلة كوكب سقط من السماء فالتقطته عشروت وكان الحجر الممثل عشروت في هيكل الباف مخروطي الشكل ولهم بهذا الشكل اشارة يستحى بيان المراد بها ويدلون بها على تواصل الخصب والنمو

ولم يبق لنا من اطلال الهياكل المهمة في فونيقيا الا اخرة هيكل عمريت المعروف هناك بالمعبد وقد اعتبره العلماء الباحثون في الاثار اشبه بالهياكل المصرية ففي وسط عرصته مخدع او معبد كانوا يضعون فيه تمثال المعبود وجدران هذا المعبد وسقفه اربع بلاطات كبيرات ثلاث قائمة مقام الجدران والرابعة سقف للمعبد وكانت الجهة الرابعة تحجب بستائر تمنع نظر العامة الى الحجر الالهي المنحدر من الجو ويتلخص من صفيحة يهوملك المار ذكرها ان هيكل بعلة جبيل كان مبنيًا على هذا النمط وكان له رواق واعمدة وكانت نقوش الهياكل الداخلية تطلّى بالذهب ولكن مذابحها كانت من الصفر

﴿ عدد ١٤٩ ﴾

﴿ في اثار ابدية الفونيقين ﴾

شكا اهل العلم بالاثار ندرة آثار الابنية في فونيقى كما شكوا ندور خطوطها القديمة فوجدوا بين دجلة والفرات وفي وادي النيل اطلال القصور واخربة الهياكل والاهرام والمدافن مرت عليها القرون وحدثانها فاستعصت عليها واستمرت الى اليوم تشهد لمن بناها وتبين اسلوب الصناعة في تلك الايام وكثيراً من الحقائق واما فونيقى فكانت افقر البلاد بهذه الاثار فندر ما كان منها فيها وهل علة هذا الندور انه لم تقم فيها آثار في الاعصر الاول او دكت هذه الاثار ومحقت بعد انشائها فالذي اراه انه لم ينشأ في فونيقى اثار بمقدار ما نشىء منها في ما بين النهرين ومصر اذ لم يكن في فونيقى ملوك مثل فراعنة مصر وسلاطين اشور وبابل وفارس الذين انبسط ملكهم وعظمت سطوتهم وشدت عن العدد شعوبهم وتسامت ثروتهم وتوفر عدد الاسرى عندهم يشغلونها ببناء الاثار ولم يكن ملوك فونيقى على ضيق بلادهم وقلة شعبهم ميل الا الى التجارة والصناعة فجعلوا فخرهم بهما وبعثهم الجاليات لا بالعساكر الغازية الى الافاق على انهم لم يخلوا من اقامة اثار كثيرة بالنسبة الى ضيق بلادهم وقلة عددهم وقد روى العالم برو (في كتابه تاريخ الصناعة في القدم مجلد ٣ صفحة ٩١) علة ندور ما نشاهده الان منها نقلاً عن رنان (في كتاب بعثه الى فونيقى) فقال ما ملخصه « ان الاثار الفونيقية اندر من غيرها من الاثار والعلة في ذلك توفر سكانها في كل عصر على ضيق ارضها فقد توالى فيها اليونان والرومانيون والبيزنطيون والصليبية الى سكانها الان وكلما شأوا البناء استيسروا كسر الحجارة القديمة او نقلها على قطع حجارة حديثة فدكوا على ذلك كثيراً من هذه الاثار لاسيما في عصر الصليبيين اذ كانت الحال تضطرهم الى اقامة اسوار

منيفة ولم يكن الوقت يسعهم على قلع الحجارة او قطعها من مقطعها على ان
الاثار الجبلية كانت اوفر حظاً من الساحلية لسهولة نقل حجارة هذه بالسفن
كما يصنع حتى اليوم وصعوبة نقل ما لا يحمله الجمل في الجبل مع كثرة
الصخر فيه فمن ذلك ما صنعه احمد باشا الجزائر وعبدالله باشا واليا عكا في ابنتهما
وما صنعه قبلهما الامير فخر الدين المعني على ان تتالي المذاهب الدينية في هذه
البلاد ساعد ايضاً على تدمير بعض هذه الاثار من ذلك هدم المسيحيين بعض
معابد الوثنيين ويلحق بذلك جهل بعض السفلى الذين يهدمون او يكسرون
بعض هذه الاثار ليستطلعوا من تحتها الخبايا والكنوز ولهذا الاسباب لم يبق
لنا من الاثار القونيقية القديمة الا ما قل ومنه ما هو في ام العواميد وعمرت
واشهر ما يعرف من صنع القونيين بقايا اسوار جزيرة ارواد وبقايا هيكل
سليمان واسواره في اورشليم فان مهندسيها وعماتها فونيقيون ثم الطبقة الاولى
من بناء بلبك وما سلف ذكره من اثار ام العواميد في جنوبي صور واثار
عمرت في جنوبي ارواد وجميعها دال على ان من سمات ابنية القونيتين ضخامة
حجارها ومناعة بناءها

على ان اثار القونيين الباقية في مستعمراتهم اكثر منها في اوطانهم فيرى
منها في قبرس وما يليها من جزائر البحر المتوسط وفي بلاد اليونان وصقلية
وسردينيا ومالطة وقرطاجنة وانحاءها واول ما اصطنعوه نقر مساكنهم في الصخور
فكانوا يوسعون المغاور الطبيعية ويهدمونها او ينقرون في الصخور مسكناتاً ياوون
اليه في الشتاء وترى كثيراً من مدافنهم منقورة في الصخور فلم يصنعوا كل ما
تراه حياً بالموتى بل نقروا كثيراً منه لسكناهم . وروى برو (مجلد ٣ صفحة
١٠١) ان في عمرت بيتاً مؤلفاً من عدة مساكن منقورة في صخر واحد طول
واجهته ثلثون متراً وعرضه كذلك وعلو جدرانها نحو ست مترات ومثل هذا

المحل المعروف بدير زهبان مار مارون في جانب منبع العاصي حيث تجد مخادع عديدة منقورة في صخر واحد فتنسبها العامة الى هولاء الرهبان وهي من صنع الاقدمين ولعل بعض الرهبان اتخذها مسكناً وترى كثيراً من هذه المخادع في لبنان وسواحلها وقد قسم رنان وتابعه في ذلك برو (مجلد ٣ صفحة ١١١) الاثار الباقية في فونيقى الى ثلاثة اقسام اثار فونيقية محضة ومنها اثار عمريت واثار داخلها النمط اليوناني الروماني ومنها صخر نقر فيه جرن للعماد وجد في جبيل واثار يونانية رومانية محضة ومنها اثار المشهد الذي وجد في البترون . وبعض الاثار التي وجدت في بيروت

قل ما استعمل الفونيقيون العقد في ابنتهم فلم يوجد له حتى الان مثال الا في مدفين او ثلاثة بين مدافن صيدا ومنها مدفن اشمون عازر السالف ذكره ولم تبين هذه المدافن المعقودة قبل عهد اسكندر بل كانوا يعتاضون من العقد حيث لزم مثلاً في الابواب او السقوف بحجارة طويلة او عريضة كمتضى الحال قال رنان (في كتاب بعثه الى فونيقى صفحة ٤٠٨) « لم يكن قدماء الفونيقيين يعرفون عقد الابنية ، وقل ما تجد في الابنية الفونيقية المحضة من الاعمدة الا ما كان قصيراً فيظهر انهم كانوا يستعملون الاعمدة للزينة او يلصقونها بالعضائد لا كما كان يستعملها المصريون والفرس واليونان ليحملوا عليها اعالي البناء وسقوفها ولم يوجد حتى اليوم قاعدة فونيقية للاعمدة ووجد لها تيجان مختلفة الاشكال والنقوش اختلاف سائر نقوشهم على ابواب الهياكل او المساكن وفي رفارف الابنية (كرنيش) وغيرها لا محل لتفصيلها بل نكتفي ايجازاً بما لخصناه هنا عن تاريخ الصناعة في القدم للعالم برو المكرر ذكره

﴿ عد ١٥٠ ﴾

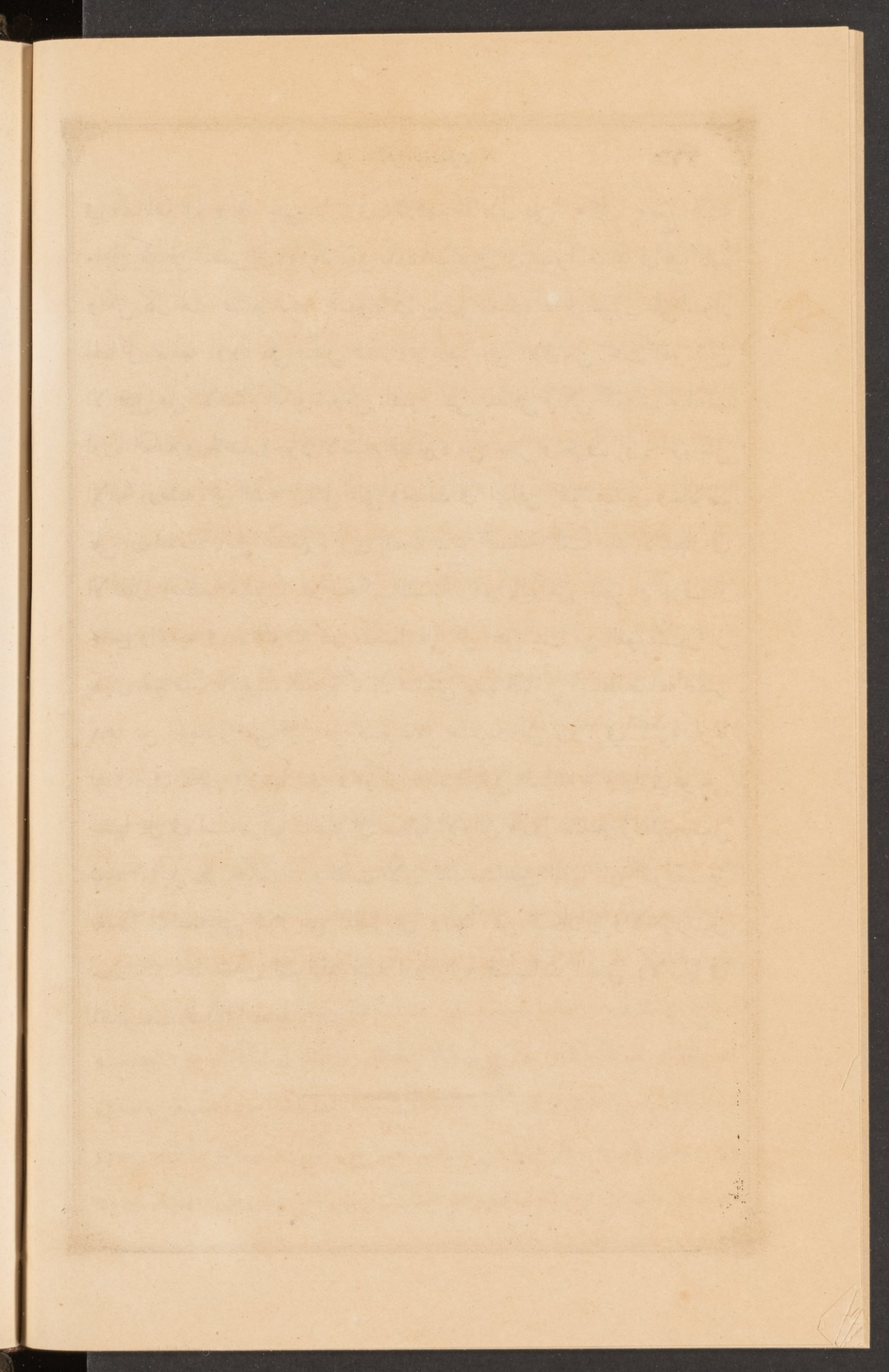
﴿ في مدافن الفونيقين ﴾

أكثر ما بقي لنا في مدن الفونيقين من آثارهم المدافن فقد وجد كثير منها في جبيل وبيروت وصيدا وصور ولا سيما عمريت وأكثر هذه المدافن مؤلف من عدة قبور منقورة في الصخر كما مثلها في اليهودية وبلاد العرب ومصر فتجد في محلها مخدعاً او عدة من مخدع ينفتح في جوانبها الحاد تضم فيها الجثة محنطة ضمن نعش وللمدافن التي اكتشفت الى الان في عمريت وصيدا وصور وعدلون نمط واحد فكلها حفر في الارض ينحدر اليها بجنب وهي اقدمها عهداً او ينزل اليها بمدرج وفي الاسفل فسحة تنفتح في جوانبها الحاد الموقى . وتختلف مدافن جبيل عن هذه بانها منقورة في صخور يتوصل اليها دون حاجة الى جب او مدرج وكان غالباً لكل اسرة مقبرة على حدها ومن كان من الموقى حسيباً او ذا اهمية وضع في ناووس وسط المخدع المعد له قال لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ٥٨٨) لم يكن مثل الفونيقين شعب دفن مع موتاه اشياء نفيسة على انه ندران تجد مدفناً من هذه لم يسلب منه ما كان فيه من الحلي او الاشياء الثمينة ولو بقيت كان لنا منها ادلة مهمة على صناعة القدماء واحوالهم وما بقي من هذه المدافن نفسها يخشى عليه ان يحطمه من ينتبشون الكنوز فلا يجدونها ويخسرونا كنوزاً لا يعلمون قيمتها على ان المدافن التي كشف عنها في فونيقى كانت قليلة النفع للعلم اذ قل ما كتب عليها الا اسم المدفون فيها على ان مدفني تبنيت وابنه اشمون عازر ملكي صيدا السالف ذكرهما كتب عليهما مطولاً ولكن اكثر ما اشتمت عليه تلك السطور انما هو دعاء على من يسطو على قبريهما فظهر ان تحطيم المدافن وسرقتها كانا منذ عهدهما لان اشمون عازر كتب على مدفنه لا تفتحن

قبري متطلباً كتنوراً فليس ثمه كنز، ويظهر انه خشي ان لا يصدق السارقون فيقولوا له دعنا نر ان كنت صادقاً في ما تقول ولذلك لجأ الى وسيلة اخرى وهي الاستغاثة بعشتروت وغيرها من الالهة ان تعاقب من يجسرون ان يرفعوا الغطا عن ناووسه بموتهم دون عقب وباعدامهم الراحة في الرقاد الاخير لانهم لم يحترموه في غيرهم وقد كرر هذا الدعاء مرتين روى ذلك برو (في مجلد ٣ صفحة ١٣٨) وقال من اهتم بهذا المقدار بصيانة مدفنه ومن سمي الموت رقاداً فهو بلا مرأ ممن يعتقدون ان النزول الى القبر لا يعدم الانسان كل شئ، ونتج منه ان الفونيقيين كالمصريين والسكندان اعتقدوا الوفاة رقاداً في القبور وان لهم بعد ذلك حياة اخرى وان هذا محصل من آي عديدة في الكتاب ينهي بها الله والانبياء بني اسرائيل عن التشبه بالامم المجاورة لهم بالعرفاة وسؤال الموتى عن احوال واحداث ومن ذلك سؤال شاول العرافة ذات التابعة في عين دور ان تصعد له صموئيل من بين الموتى (ملوك ١ فصل ٢٨)

ان الناووسين اللذين وجدت بهما جثتا ملكي صيدا أتي بهما من مصر اذ ليس من نوع حجرهما في سورية وعلى غطائها صورتا الملكين مجسمتين وقد وجد مثل هذه الصور على اغطية القبور في اكثر البلاد التي استوطنتها جاليات فونيقية فبعضها حفر فيه الراس وحده وبعضها جعلت اليدان فيه طويلة بطول الجسم كله وكان الفونيقيون يضعون في مدافن موتاهم قارورات صغيرة من زجاج او خزف واصناماً صغيرة من خزف تمثل عشتروت وبعل او باس الاله المصري او غيرها وكانوا يدرجون الجثة بلفائف وينطون غالباً الوجه والعينين بغشاء رقيق من ذهب وكان الاغنياء يلقون الجثة كلها بغشاء من ذهب ويرسمون عليه سمات الوجه وكل هذا من عادات المصريين التي استمسك بها الفونيقيون شديد الاستمسك ويوجد في قبورهم ايضاً كثير من الحلي يدل على مهارة عجيبة

في الصناعة ولم يوجد حتى الان في مدافنهم ما يدل على انه كان يوضع فيه
 ماكل كمدافن المصريين ولم يكن من عادة الفونيقين ان يقيموا اصناماً في هياكلهم
 ولكن كان لهم اصنام عديدة يقيمونها في بيوتهم للعبادة لها وينصبون على اسوار
 الهياكل خاصة اوثاناً على سبيل النذر ولم يتجد حتى الان من نحت الفونيقين
 الا قليل من الاصنام الكبيرة ومن الصور على المدافن ولكن كثير في متاحف
 اوربا العامة والخاصة وجود الاصنام الصغيرة من حجر او خزف او نحاس تمثل
 الالهة وتشبه كل الشبه التماثيل التي وجدت في مدافن الفونيقين وجاتهم
 على ان هذه التماثيل الصغيرة يرى بعضها بديع الصناعة بالنسبة للاعجاز في
 الاتقان وبعضها مشوشاً غير محكم الصناعة وهو غالباً من حجر او خزف او
 نحاس والوجه في ذلك انه كان متحتماً على كل اهل بيت من الفونيقين ان
 يكون لهم صنم فالبيوت الفقيرة كانت تستغني بهذه التماثيل السافلة صناعة لقصر
 يدها عن الحصول على تماثيل من صنع عامل ماهر وذكر برو (في كتابه تاريخ
 الصناعة في القدم) وجهاً اخر وهو ان هذه التماثيل السافلة لم توجد في فونيقى
 نفسها بل في مستعمراتها فيظهر ان سكانها الاولين قلدوا صناعة نزلاتهم بعمل
 هذه التماثيل فلم يحكموا . والثابت الان عند مشاهير العلماء ان الفونيقين
 اخذوا في صناعتهم شيئاً عن المصريين وشيئاً عن الكلدان والاشوريين
 فكان لهم نمط خاص بهم قائم بنفسه ادركوا به قصبات السبق ولا سيما في
 المصنوعات الدقيقة الصغيرة



فهرس الفصول والاعداد

صفحة	عد
١	مقالة افتتاحية
﴿ الفصل الاول ﴾	
(لمعة في جغرافية سورية واسمها)	
٣	١ في نخوم سورية
٤	٢ ، جبال ،
٥	٣ ، انهر ،
٧	٤ ، بحيرات سورية
٨	٥ ، مدن ،
١١	٦ ، اسم ،
﴿ الفصل الثاني ﴾	
(في الخطوط المصرية والهبروكليفية والخطوط المسمارية ومن اكتشف رموزها)	
١٣	٧ في الخطوط المصرية
١٦	٧ ، ، ، المسمارية
﴿ الفصل الثالث ﴾	
(في خلق العالم والانسان)	
١٩	٩ في خلق العالم
٢١	١٠ ، تكوين الكائنات
٢٥	١١ ، خلق الانسان
٢٧	١٢ ، اثبات ابداع الله العالم والانسان بالآثار القديمة

﴿ الفصل الرابع ﴾

صفحة		عد
٣٥	في محل الفردوس الارضي	١٣
٤١	« تقليدات القبائل في شأن الفردوس الارضي	١٤
	﴿ الفصل الخامس ﴾	
	(في شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر والحية ومعصية الانسان)	
٤٢	في شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة	١٥
٤٥	« الحية	١٦
٤٧	آثار القبائل القديمة الدالة على ما في الكتاب بهذا الباب	١٧

﴿ الفصل السادس ﴾

(في الابهاء الاولين قبل الطوفان)

٥٢	في قايين وهابيل	١٨
٥٦	« شيت	١٩
٥٧	« ذرية قايين	٢٠
٥٩	ابناء شيت الى نوح	٢١
٦٣	طول حياة الابهاء الاولين	٢٢
٦٥	التطابق بين عدد الابهاء قبل الطوفان في الكتاب وبين عددهم في آثار القبائل	٢٣
٦٩	في الجبارة	٢٤

﴿ الفصل السابع ﴾

(في الطوفان)

٧١	رواية الكتاب خبر الطوفان	٢٥
٧٢	مباحث في الطوفان واولاً أعاماً كان ام خاصاً	٢٦

صفحة	عد
٧٧	٢٧ هل ثبت علم الجيولوجية حصول الطوفان
٧٩	٢٨ اثار الاقدمين الدالة على الطوفان
٩٢	٢٩ في مستقر السفينة ومهد البشر بعد الطوفان
٩٤	٣٠ تمة اخبار نوح بعد الطوفان

﴿ الفصل الثامن ﴾

(في ابناء نوح وتفرق ابناءهم في الافاق)

٩٦	٣١ في اهمية الانساب التي ذكرها موسى
٩٨	٣٢ هل ذكر موسى انساب البشر كلهم
١٠٠	٣٣ في الانساب التي ذكرها موسى واولاد بني حام
١٠٣	٣٤ ، نمرود والمدن التي وليها والتي بناها
١٠٨	٣٥ مصرايم بن حام واعقابه
١١٠	٣٦ في فوط بن حام
١١٢	٣٧ كنعان بن حام وذريته
١١٤	٣٨ في ابناء سام
١١٦	٣٩ ، يقطان وولده جدود العرب
١٢١	٤٠ ، ابناء ارام
١٢٣	٤١ ، بني يافت
١٢٧	٤٢ مجمل هذه الانساب

﴿ الفصل التاسع ﴾

(في برج بابل)

١٣٠	٤٣ آيات الكتاب في برج بابل ثم من بناه
-----	---------------------------------------

صفحة	عد
١٣٢	٤٤ في موقع برج بابل
١٣٤	٤٥ في الاثار المثبتة تاريخ برج بابل
	﴿ الفصل العاشر ﴾ (في اللغة)
١٣٦	٤٦ في اللغة الاولى
١٣٨	٤٧ بلبله اللغة
١٣٩	٤٨ علم معارضة اللغات
١٤١	٤٩ اللغات السامية
١٤٤	٥٠ في السنسكريت وفروعها
	﴿ الفصل الحادي عشر ﴾ (لمحة في الكتابة)
١٤٧	٥١ الكتابة بالصور
١٤٩	٥٢ في الكتابة بالحروف
	﴿ الفصل الثاني عشر ﴾ (في سكان سورية الاولين)
١٥٠	٥٣ في سكان سورية قبل الطوفان
١٥١	٥٤ في سكان سورية بعد الطوفان
	﴿ مقالة في الحثيين ﴾
	﴿ الفصل الاول ﴾ (في اصل الحثيين وموطنهم وما يظهر من تاريخهم في الكتاب المقدس)
١٥٤	٥٥ في الحثيين الجنوبيين
١٥٦	٥٦ ، ، الشماليين

صفحة	عدد
١٦٠	٥٧
﴿ الفصل الثاني ﴾	
(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار القديمة)	
١٦٣	٥٨
﴿ الفصل الثالث ﴾	
(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن الاثار المصرية)	
١٦٥	٥٩
١٦٧	٦٠
١٦٩	٦١
١٧٠	٦٢
١٧٤	٦٣
١٧٦	٦٤
١٧٨	٦٥
١٨٣	٦٦
١٨٥	٦٧
١٨٧	٦٨
١٨٧	٦٩
﴿ الفصل الرابع ﴾	
(في تاريخ الحثيين مأخوذاً عن اثار الاشوريين)	
١٨٩	٧٠
١٩٠	٧١

صفحة	عد
١٩٢	٧٢ في الحثيين واشور نزيربال
١٩٤	٧٣ في الحثيين وسلمناصر الثالث
١٩٧	٧٤ في الحثيين وخلفاء سلمناصر حتى تجلت فلاصر الثاني
١٩٩	٧٥ في الحثيين وسرغون ملك اشور

﴿ الفصل الخامس ﴾

(في تاريخ الحثيين ماخوذاً عن آثارهم)

٢٠١	٧٦ في آثار الحثيين وتفسير فهم رموزها الى اليوم
٢٠٣	٧٧ في لغة الحثيين وصناعاتهم
٢٠٥	٧٨ في ديانة الحثيين
٢٠٧	٧٩ في ملابس الحثيين واسلحتهم

﴿ الفصل السادس ﴾

(في آثار الحثيين الداله على توطنهم اسيا الصغرى وولاياتهم فيها)

٢٠٩	٨٠ تمثال نمفيو
٢١٠	٨١ آثار الحثيين في بوغاز كوي ويازيلي كايا
٢١٣	٨٢ في آثار اخرى للحثيين في اسيا الصغرى

﴿ الفصل السابع ﴾

في جاليات الحثيين الى بلاد اليونان وايطاليا وقبرس

٢١٤	٨٣ في مذهب الاب قيصردي كارا في اصل السكان القدماء في هذه البلاد
٢١٦	٨٤ في اقوال العلماء في سكان بلاد اليونان وجزائر بحر الروم القدماء
٢١٨	٨٥ في رأي الاب دي كارا في اصل سكان قبرس الاولين
٨٦	في رأي الاب دي كارا ان سكان جزائر بحر الروم رودوس وكريت وساموس وغيرها وبلاد اليونان وبعض ايطاليا الى توسكانا هم

صفحة	عد
٢٢١	حشيون اصلاً
٢٢٣	٨٧ رأي الاب دي كارا في قدموس وزمان ارتحاله الى بلاد اليونان
٢٢٥	٨٨ في خطبة الاب دي كارا في الحشيين والبلاسيج الاولين
* الفصل الثامن *	
(في غارة الحشيين على مصري في الملوك الرعاة)	
٢٢٩	٨٩ في اصل الملوك الرعاة ومهاجرهم
٢٣٠	٩٠ اقوال العلماء في اصل الملوك الرعاة ومنشأهم
٢٣٤	٩١ تحرير قول الاب دي كارا في الملوك الرعاة وحججه عليه
٢٣٧	٩٢ اثبات ان الملوك الرعاة حشيون بما سمعتم به الاثار المصرية
٢٣٩	٩٣ في عصر غارة الرعاة على مصر ومدة ملكهم فيها
٢٤٠	٩٤ بيان سني عبودية الاسرائيليين في مصر بسني الملوك الرعاة
٢٤٣	٩٥ في اعمال الملوك الرعاة في مصر
٢٤٥	٩٦ ، ندره آثار الرعاة
٢٤٦	٩٧ ، حروب الرعاة
٢٤٩	٩٨ حصار آفارى محصن الرعاة
٢٥١	٩٩ استسلام آفارى وخروج الرعاة منها
٢٥٣	١٠٠ ، موقع مدينة آفارى متحصن الرعاة

— * مقالة في الفونيقيين * —

* الفصل الاول *

في الكنعانيين

٢٥٥	١٠١ في اصل الكنعانيين ومهاجرهم الاولى وداعي ارتحالهم الى سورية
-----	--

صفحة	عد
٢٥٧	١٠٢ ، زمان ارتحال الكنعانيين الى سورية
٢٥٨	١٠٣ ، المحال التي توطنها الكنعانيون في سورية
٢٦٠	١٠٤ ، حال الممالك الكنعانية
٢٦٢	١٠٥ ، تشتت الكنعانيين وجالياتهم

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في اسم فونيتي ونخومها واشهر مدنها)

٢٦٤	١٠٦ في اسم فونيتي
٢٦٦	١٠٧ ، نخوم فونيتي
٢٦٦	١٠٨ ، مدن فونيتي

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في الصيدونيين واختراعهم الملاحة ومستعمراتهم وحالتهم السياسية)

٢٧١	١٠٩ في اختراع الصيدونيين الملاحة وانكبابهم عليها
٢٧٣	١١٠ مستعمرات الفونيتيين في مدة سوؤد صيدا
٢٧٨	١١١ في الحال السياسية على عهد الصيدونيين
٢٧٩	١١٢ « قيام الفونيتيين بعمارة مصر البحرية
٢٨٠	١١٣ « تقهقر صيدا وسقوطها

﴿ الفصل الرابع ﴾

(في الفونيتيين في عصر سيادة صور الى بناء قرطاجنة)

٢٨٢	١١٤ في جعل صور عاصمة للفونيتيين وانضمامهم اليها
٢٨٥	١١٥ مستعمرات الفونيتيين في مدة سيادة صور
٢٩١	١١٦ في اتفاق الفونيتيين وبني اسرائيل

صفحة	عد
٢٩٢	١١٧ في حيرام الثاني وسليمان الملك
٢٩٦	١١٨ ، ملوك صور وماكان من الاحداث في ايامهم الى بناء قرطاجنة
٣٠٠	١١٩ ، بناء قرطاجنة

﴿ الفصل الخامس ﴾

(في الفونيقين وملوك الاشوريين)

٣٠٣	١٢٠ في اول من غزا فونقي من الاشوريين
٣٠٦	١٢١ ، الفونيقين وسلمناصر الثالث وخلفائه الى تجلت فلاصر الثاني
٣٠٩	١٢٣ ، الفونيقين وسنحاريب ملك اشور
٣١٢	١٢٤ ، الصيدونيين وآسرحدون
٣١٦	١٢٥ ، الفونيقين واشور بانبيال ملك اشور

﴿ الفصل السادس ﴾

(في الفونيقين في مدة ملوك الكلدان والفرس)

٣١٩	١٢٦ في اتراض دولة الاشوريين وخلافة دولة الكلدان لها وغزوة نكو ملك مصر لسورية وفونقي
٣٢٠	١٢٧ في الفونيقين وبختنصر وحصاره صور
٣٢٥	١٢٨ ، في الحرب البحرية بين اسطول حفرع ملك مصر والاسطول الفونقي من قبل بختنصر
٣٢٦	١٢٩ حالة صور في عهد ملوك بابل بعد فتح بختنصر لها
٣٢٧	١٣٠ في الفونيقين في عهد ملوك القرس
٣٣١	١٣١ ، فهرس اسماء ملوك صور تقالاً عن لانزمان

﴿ الفصل السابع ﴾

(في تجارة الفونيقين)

صفحة	عد
٣٣٣	١٣٢
٣٣٦	١٣٣
٣٣٨	١٣٤
٣٣٩	١٣٥

﴿ الفصل الثامن ﴾

(في صناعة الفونيقين)

٣٤٢	١٣٦
٣٤٣	١٣٧
٣٤٥	١٣٨

﴿ الفصل التاسع ﴾

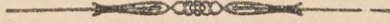
(في ايجاد الفونيقين الكتابة بهلروف وفي لغتهم وعلومهم)

٣٤٨	١٣٩
٣٤٩	١٤٠
٣٥١	١٤١
٣٥٣	١٤٢
٣٥٥	١٤٣
٣٥٧	١٤٤

﴿ الفصل العاشر ﴾

(في ديانة الفونيقين)

٣٦٠	في الوثنية عند الفونيقين وغيرهم	١٤٥
٣٦٢	، معبودات الفونيقين	١٤٥
٣٦٥	، ذبائح الفونيقين	١٤٧
٣٦٧	، كهنة الفونيقين وهياكلهم	١٤٨
٣٧٠	، آثار ابنية الفونيقين	١٤٩
٣٧٣	، مدافن الفونيقين	١٥٠





فهرس هجائي

لما تضمنه هذا الجلد الاول بحسب الاعداد المتقسم عليها

(١)

الاباء الاولون عد ٢١ . طول اعمارهم ٢٢ . التطابق بين عددهم في الكتاب وعددهم في
آثار القبائل ٢٣ . جدول في عددهم واسمائهم في الكتاب وفي آثار الكلدان ثمة .
آبائي احد الملوك الرعاة الذي استوزر يوسف وفي آية سنة ملكه استوزره عد ٩٤ بداية
حرب الرعاة والمصريين في ايامه ٩٧
اباميا اعتقاد اهلها ان مهبط سفينة نوح كان فيها ٢٨
ابرهيم اي نهر ابرهيم منبعه ومصبه ٢ تسميته ادونيس طالع ادونيس
ابو علي اي نهر ابي علي ينايعة ومصبه ٢
ايدان من هو ٢٣ و ٤٥
ايمائل من بني يقطان ومنازل ذريته ٣٩
احمس بن ابانا امير التجاره وما كتب على مدفنه ٩٨
احنوخ بن يارد وانتقاله ٢١
آدم خلق الله له ١١ اثبات ابداع الله له وللعالم بالآثار القديمة ١٢ مخالفته وصية الله
١٥ آثار القبائل الدالة على ذلك ١٧
ادونيس عبادته في جيبيل ولبنان وصورة مقتله وقيامته ٧٨ و ١٤٦
الآدوميون اصلهم ومساكنهم ٥٤ تشكيل سرغون بهم ١٢٢ استسلامهم الى سنخاريب
١٢٣ خضوع ملكهم قدموه لاسر حدون ١٢٤
اراراط جبال ارمينية واستقرار فلک نوح عليها ٢٨ و ٢٩
آرام وما سُمِّي به ٦ آرام بن سام ومقام ذريته ٣٨ بنوه ٤٠ اختلاطهم مع الروثانو اي
اللوديين ٦١ خضوعهم لساتي الاول ٦٤ اشتراكهم في الثورة على رعسيس الثاني ٦٥

توسيعهم تخوم ولايتهم ١١٦ اشارة الى غزوات تجلت فلاصر لهم ١٢٠
ارباد اي تل ارفاد في انحاء حلب حصار تجلت فلاصر لها وفتحها ٧٤
ارتحشستا الاول ملك الفرس ومن سُمي باسمه من ملوك هذه الدولة ١٣٠
الاردن منابعه وموقعها ٢

الارض السفلى في حدشي ما معنى هذه الآية واين هذه الارض ٥٦
ارفكشاد او ارفخشاد بن سام ومساكن ذريته ٣٨
ارك احدى مدن نمرود موقعها ٣٤

ارواد موقعها واول سكانها ٥ شيء من تاريخها ١٠٨
الارواديون مساكنهم ٣٧ فتح توتمس الثالث مدينتهم ٦٢ اشتراكهم في الثورة على
رعسيس الثاني ٦٥ ادانهم الجزية الى اشور نيربال ٧٢ و ١٢٠ بقاوم على شيء من
الانفصال عن سائر مدن فونيتي ١١٤ ملكهم ماتينبل واشتراكهم في الثورة على
سلمناصر ١٢١ سيادة صيدا عليهم ثمة . استسلامهم الى سنخاريب ١٢٣ خضوع ملكهم
لاسر حدون ١٢٤ خضوع ملكهم ويكنلو لاشور بانيبال ١٢٥ اخذ خفرع ملك مصر
جزيتهم ١٢٨

الاريانيون من هم ١٧

اذدوبار بطل قديم يُظن انه نمرود لروايته تاريخ الطوفان ٢٨
اسرحدون بن سنخاريب ارتقاها منصة الملك وحملته على سوريه وافتتاحه صيدا ١٢٤
استخاذه على بلاد العرب وتهزيمه ترهاقه ملك مصر وخضوع منسأ ملك يهوذا له
ونقش صورته على معبر نهر الكلب وتنزله عن الملك لابنه ثمة
اسكندر بن فيلبوس المكدوني ارتقاوه منصة الملك وسلبه داريوس الثالث ملكه
ولايته فونيتي ١٣٠

اسماعيل نزوله في جرهم وتروجه منهم ٣٩
اشكناز بن جومر بن يافت ومقام ذريته ٤١

اشور بن سام ويراد به بلاده ايضاً ٣٤ مساكن ذريته ٣٨ خضوع ملك اشور لتوتمس

الثالث ٦٢

اشور بانيبال مبايعة ابيه له بالملك وحملاته على مصر وخضوع فونيقى وسورية له ١٢٥

اشور نيربال حروبه في سورية ٧٢ و ١٢٠ حملته على فونيقى ثمه

افاري مدينة الملوك الرعاة موقعها ٩٦ و ١٠٠ حصار المصريين لها ٩٨ استسلامها ٩٩

الاقرع اي الجبل الاقرع موقعه ٢

انك مدينة نمرود موقعها والمراد بها ٣٤

اكرت الجزيرة احتلال بعض الفونيقيين فيها ١١٠ خروج الفلستيين منها ارجع الى

فلسطين

الكاريون قدام رودس واختلاطهم بالفونيقيين ١١٠

الولا ملك صور ١٢٢ مدافعتة عن صور في ايام سرغون ١٢٢ انتصار سنخاريب عليه ١٢٣

نهر الاولى منبعه ومصبه ٢

اليسار بنت موقون ملك صور ومهاجرتها من صور مع جاليتها ١١٩

اليشه بن ياون بن يافت مساكن قبيلته في بلاد اليونان ٤١

اليقيم من قدام سكان سورية ٥٤

امانوس جبل طالع اللكّام

امريكا الآثار الدالة على الطوفان فيها ٢٨

الأموريون مساكنهم ٣٧

ام العواميد موقعها وآثارها ١٠٨

الموداد بن يقطان ومساكن ذريته ٣٩

انطاكية بحيرتها ٣

انوش بن شيت ١٩ ابتدائه بالدعاء باسم الله وما معنى هذا ٢١

اورشليم ٥ حصار بختنصر لها ونهبه الهيكل وحرقة ١٢٧

- اوزال بن يقطان ومنازل ولده ٣٩
 اوفير بن يقطان ومساكن نسله ٣٩
 اوفير علم لبلد او بلدين ٣٩
 اوربا ارتحال سكانها من اسيا وقسمتهم الى خمس قبائل ٤١ لغات اهلها الاصول والفروع ٥٠
 الايباريون اصلهم ومساكنهم ٤٢
 ايرابوليس تقليد الطوفان فيها ٢٨ كونها في محل كركيش ٥ و ٧١
 ايطورية مملكة قديمة محلها ٤٠
 ايتوبعل ملك صور اقامة سنحاريب له ملكاً بدلاً من الولا ١٢٣
 الايميون من سكان سورية القدماء ٥٤
 ايوق في الكابدوك آثار الحثيين فيها ٨٢

(ب)

- بابل موقعها عدد ٣٤ وعدد ٤٤ اداء ملكها الجزية لتوتمس الثالث عد ١٢ ملوكها طالع
 كلمة كلدان
 برج بابل ايات الكتاب فيه عد ٤٢ وهل كان من بنوه جميع الناس حينئذ عد ٤٣ موقعه
 ٤٤ الآثار المثبتة تاريخه ٤٥
 باروز كاتب تاريخ الكلدان عد ٢٨ وعد ٤٥
 البترون ومن بناها عد ٥ و ١٠٨
 بختنصر ملك بابل حربه مع ملك مصر في سورية واكراهه يواقيم ملك يهودا على
 الخضوع واخذه اثية هيكل اورشليم وحرقه وسي بعض اليهود ١٢٧ جنونه وموته ١٣٠
 البرفير صنع الفونيقيين له ومادته وصبغه ١٣٦
 نهر بردي منبعه ومصبه عد ٢
 البشر وبيان انواعهم عد ٣٢
 بعلبك موقعها ومن بناها عد ٥

بيكماليون ملك صور وما كان له مع اخته اليساد ١١٩
 البلاسج الاولون واصلهم عد ٣٥ التفريق بينهم وبين البلاسج المتاخرين وان الاولين
 حثيون على راي دي كارا عد ٨٦ وعد ٨٨ عهدتهم مع اليبسين وتسطيهم على القونيقين
 ١١٢

بوليستور (اسكندر) عد ٤٥

بوغاز كوى في اسيا الصغرى آثار الحثيين فيها عد ٨١

نهر بيروت منبعه ومصبه عد ٢

بيروت واول سكانها عد ٥ استسلامها الى توتمس الثالث عد ٦٢ لم يكن سكانها الاولون
 كنعانيين بل اراميين ١٠٣ شيء من تاريخها عد ١٠٨ استسلام اهلها الى حكومة
 مصر ١١١ حفظهم استقلالهم في ايام سودد صور ١١٤

بيزيريس ملك الحثيين وخضوعه لتجت فلاصر الثاني عد ٧٤ حروبه مع الاشوريين
 عد ٧٥

(ت)

تبيت ملك صيدا واكتشاف مدفنه وما كتب عليه ١٤١ و ١٤٣ و ١٥٠
 التتر من ذرية ماجوج وشي من تاريخهم عد ٤١ غارتهم على اسيا الصغرى وسورية
 ١٢٥ فتك شيكسر بهم ١٢٦

التتون من قبائل اوروبا وفروعها السكندنافي والجرمان والانكليزي عد ٤٢
 تجت فلاصر الاول وحروبه مع الحثيين عد ٧٠ غزواته في سورية ١٢٠
 تجت فلاصر الثاني وغزواته في سورية وبلاد الحثيين عد ٧٤
 تدر موقعها ومن بناها عد ٥

تراخونيد ارجوب عند القدماء اللجاء موطن عوص بن ارام عد ٤٠

ترشيش اسبانيا عد ٤١

ترشيش بن يواون بن يافت ومساكن ذريته عد ٤١

الترك واصلهم من ولد يافت عد ٤٢
 تروك كاتب روماني في القرن الثاني للميلاد ١١٩
 تموز ادونيس ارجع الى هذه الكلمة
 توبل قاين من ذرية قاين اول من عمل بالمعادن عد ٢٠
 توبل بن يافت ومساكن قومه عد ٤١
 توتمس الاول اخضاعه الكنعانيين والروثانو لسلطته ١١١
 توتمس الثالث ملك مصر وغزوته الروثانو والحثيين عد ٦٢ و ١١١
 توتمس الرابع غزوته الحثيين عد ٦٢
 توجرمة بن جومر بن يافت ومساكن قبيلته في ارمينية الغربية عد ٤١
 توعي ملك حماة خضوعه لداود عد ٥٦
 تيراس بن يافت ومقام ذريته عد ٤١

(ث)

ثود وجديس من القبائل العربية اصلهما ومساكنهما عد ٤٠

(ج)

جاثر بن ارام ومقام اعقابيه في الجيدور عد ٤٠
 الجبابرة ذكرهم في الكتاب وفي آثار القبائل وما المراد باسمهم عد ٢٤
 جبيل واول سكانها عد ٥ لم يكن سكانها الاولون كنعانيين بل اراميين عد ١٠٣ ممالأة
 اهلها لرعمسيس الثاني عد ٦٥ كانت تخمًا لاملاك المصريين والحثيين في عهدة الصلح
 بينها عد ٦٦ اداء اهلها الجزية لاشور نيربال عد ٧٢ خضوع ملكها سيديتي بعل لتجات
 فلاصر عد ٧٤ شي ١٠٨ من تاريخها ١٠٨ حلول بعض الجلبيين في قبرص قبل الصيدونيين ١١٠
 حلول بعضهم في مالوس ثمة استسلامهم الى ولاية مصر ١١١ حفظهم استقلالهم المحلي في
 عهد سيادة صور ١١٤ يظهر ان المهندس والبنائين والنحاتين الذين ارسلهم حيرام الى
 سليمان كانوا من جبيل ١١٧ اخذ الملك اشور نيربال الجزية من اهلها ١٢٠ وكذا فعل

ابنه سلمناصر ١٢١ استسلامها الى سنخاريب في ايام ملكها اورملك ١٢٣ خضوع ملكها
اصاف لاسرحدون ١٢٤ ولابنه اشور بانيبال ١٢٥ اخذ حفرع ملك مصر جبيل ١٢٨
اقامة ملكها المسمى يهو ملك نصبا لعشروت بعله جبيل ١٤٣ معبوداتها المثثة ١٤٦
الجرمانيون ومساكنهم عد ٣٧

جزائر بحر الروم اقوال العلماء في سكانها القدماء عد ٨٤

نهر الجوز منبعه ومصبه عد ٢

جوهر بن يافت ومساكن ذريته حذاء البحر الاسود عد ٤١

جيجون احد الانهر التي تسقى الفردوس عد ١٣

(ح)

حام بن نوح وتحقق بنوة ابيه في ذريته عد ٣٠ ولده عد ٣٣ مجمل الكلام في مساكن
ابنائه عد ٤٢

حبرون (الخليل) اول سكانها عد ٥

حث بن كنعان ومساكن ذريته عد ٣٣

الحيثيون الجنوبيون في حبرون وعلاقتهم مع العبرانيين عد ٥٥ مشاركتهم الياوسيين في
بناء اورشليم ثمة الحيثيون الشماليون ومساكنهم في شمالي سورية عد ٥٦ تسمية ارض الموعد
ارض الحيثيين ثمة اصل الحيثيين وكونهم حاميين لاساميين عد ٥٧ مصادر تاريخهم وكيف
اهتدى الى آثارهم عد ٥٨ هيئتهم ونوع حكومتهم وبسطة ملكهم عد ٥٩ و٦٣ انتزاعهم
املاك الاراميين عد ٦١ و٦٣ غزوات توتمس الثالث والرابع لبلادهم عد ٦٢ حملة
رعسيس الاول عليهم واضطراره الى عقد عهدة صلح معهم عد ٦٣ محاربة ساتي الاول
لهم وتجديده عهدة الصلح معهم عد ٦٤ حروبهم مع رعسيس الثاني وعقد الصلح معهم
عد ٦٥ نص عهدة الصلح بين ملكهم كيتاسار ورعسيس الثاني عد ٦٦ زواج رعسيس
بابنة ملكهم عد ١٧ اشتراك الحيثيين الجنوبيين في حرب الكنعانيين لبني اسرائيل وعدم
اشتراك الحيثيين الشماليين فيها عد ٦٩ اشتراكهم في حملة شعوب اسيا الصغرى وجزر

اليونان على مصر ووقوع ملكهم اسيراً وتقلص مملكتهم نحو الشمال ثمة . اخبارهم مع تجلت فلاصر الاول وتنكيله بهم عد ٧٠ محاربة اشور نيربال لهم وما فرضه عليهم جزية عد ٧٢ حروبهم مع سلتاصر الثالث ملك اشور وخلصهم نير اشور بعد موته عد ٧٣ حملة رمان نيرار عليهم وخضوعهم الموقوت له عد ٧٤ حروبهم مع تجلت فلاصر الثاني ثمة . انتصار سرغون عليهم وجلاء سكان كركميش الى بلاد اشور عد ٧٥ آثارهم وخطوطهم وتعرضهم رموزها عد ٧٦ لغتهم وصناعتهم ٧٧ دياتهم الظاهر انهم اخذوها عن بابل ٧٨ ملابسهم واسلحتهم ٧٩ ولايتهم على اسيا الصغرى وآثارهم فيها عد ٨٠ و ٨١ و ٨٢ جالياتهم في بلاد اليونان عد ٨٣ رأي الاب دي كارا ان سكان قبرس الاولين حثيون عد ٨٥ رايه ان السكان الاولين في جزر بحر الروم وبلاد اليونان وبعض ايطاليا حثيون ايضاً وان الحثيين والبلاسيج الاولين قبيلة واحدة ٨٦ حثيون (حسبان) عد ٥

حضر موت بن يقطان ومسا كن نسله عد ٣٣
 خضرع ملك مصر ابطاوه في انجاد صور والحرب بين اسطوله المصري والاسطول
 القوينقي وثل بختصر عرشه ١٠٨
 حلب موقعها عد ٥ وفتح توتمس الثالث لها عد ٦٢ اشتراك اهلها في الثورة على
 رعسيس الثاني عد ٦٥ غرق ملكها في بحيرة قادس عند محاربة رعسيس ثمة
 حماه موقعها عد ٥ توعي ملكها خضع لداود عد ٥٦ ايرا كونيما ملكها ممن تحالفوا على
 سلناصر الثالث في موقعة كركر عد ٧٣ استسلامها الى تجلت فلاصر الثاني وسببه من
 اهلها جمّاً غفيراً في ايام دانيال ملكها عد ٧٤
 الحمانيون من بني كنعان مسا كنهم عد ٧٤
 حمص بحيرتها عد ٤ موقعها عد ٥ عبادة الحجر فيها ١٤٦
 حنون اي درج حنون كتاب كتب بالقونيقية ١٤٦
 حواء خلق الله لها عد ١١ ووسوسة الحية لها ١٦

الحوريون سكان جبل سعيير عد ٥٤

حول بن ارام ومساكن ذريته عد ٤٠

الحولة بحيرتها عد ٤

حويلة ارض حويلة موقعها عد ١٣

حويلة بن يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩

حويلة بن كوش ومساكن ذريته عد ٣٣

الحويون من بني كنعان مساكنهم عد ٣٧

الحية واغواؤها لحواء عد ١٦

حيرام ملك صور صديق داود ١١٦

حيرام الثاني صديق سليمان وقطعه خشب الارز له من لبنان ومراسلتها ١١٧ اباؤه ان يأخذ القرى التي اراد سليمان هبتها له وتزوج سليمان بنته وشركتهما في ارسال السفن الى اوفير ثمه

حيرام الثالث اداؤه الجزية لتجت فلاصر الثاني عد ١٢١

(خ)

الحضارمة ومنازلهم وفروعهم عد ٣٩

الخطية الاصلية ووجه اتصالها بجميع الناس عد ١٥ آثار القبائل الدالة عليها عد ١٧

خلدوا خلدته في جنوبي بيروت عد ١٠٨

خلق الله العالم في ستة ايام وما معنى اليوم عد ٩

(د)

داريوس ملك الفرس تملكه وقتله سمرديس وقسمته مملكته الى ١٩ ولاية ووفاته ١٣٠

باقي من سموا باسمه من ملوك هذه الدولة ثمه

نهر الدامور منبعه ومصبه عد ٢

دجلة ومنبعه عد ١٣

ددان بن رعمه بن كوش عد ٣٣

دقله من بني يقطان ومنازل نسله عد ٣٩

دمشق موقعها واسمها عد ٥ ولاية الاراميين والحثيين عليها عد ٥٩ استسلام اهلها
لتوتس الثالث عد ٦٢ ابن هدد ملكها ممن تحالفوا على سلتناصر الثالث عد ٧٣ اسر
رامان نيرار ملك اشور مرياح ملكها عد ٧٤ خضوع ملكها راسن تجلت فلاصر ثمه و ١٢١
فتح سرغون لها عد ٧٥ حملة سلتناصر الثالث على مدن خزائيل ملكها ١٢١ وخسارة
بن هدد ملكها عشرين الف من رجالها في حرب سلتناصر ثمه غارة رامان نيرار
عليها ثمه

دودانيم او رودانيم بن ياوان بن يافت ومساكن ذريته عد ٤١

دوكليون وحديثه في الطوفان عد ٢٨

ديدوبنت ملك صور ارجع الى اليسار

(ر)

رابة مواب (ربة) عد ٥

راسن مدينة نمرود وموقعها عد ٣٤

راموت جلعاد (الصلت) عد ٥

الرفائيم من سكان سورية الاولين عد ٥٤

ربة عمون عمان عد ٥

الرعاة اي الملوك الرعاة اصلهم والبلاد التي هاجروا منها عد ٨٩ اقوال العلماء في

اصلهم ومنشأهم وقول علماء العرب انهم عمالقة عد ٩٠ تحرير قول دي كارا فيهم وحجج

قوله بانهم حثيون عد ٩١ اثبات كونهم حثيين مما سمتهم به الاثار المصرية عد ٩٢

عصر غارتهم ومدة ملكهم عد ٩٣ بيان سني عبودية بني اسرائيل في مصر بسني الملوك

الرعاة عد ٦٤ اعمالهم في مصر عد ٩٥ ندرة آثارهم واسبابها عد ٩٦ حروبهم عد ٩٧

حصار افاري مدينتهم عد ٩٨ استسلامهم وخروجهم منها عد ٩٩ موقع افاري مدينتهم

رعمسيس الاول اصله وحر به في سورية وفلسطين عد ٦٣
 رعمسيس الثاني وحر به في سورية ونقش صورته على صخور نهر الكلب ومحاولته
 اخضاع الحثيين واضطراره الى عقد الصلح معهم عد ٦٥ ما حاق به من الخطر في
 حرب قادس ووصف الشاعر المصري بسالته ثمه . خروج اكثر اعمال فلسطين عن طاعته
 ثمه ايضاً . عهدة الصلح بينه وبين كيتاسار ملك الحثيين عد ٦٦ زواجه بابنة ملك
 الحثيين عد ٦٧

رعمه او رعمه بن كوش ومساكن ولده عد ٣٣

رامان نيرار ملك اشور حملته على سورية عد ٧٤

الروثانو سكان سورية الشمالية عد ٦١ قسمة الآثار المصرية لهم الى روثانو المغرب وهم
 سكان دمشق وروثان المغرب وهم سكان شمالي سورية عد ٤٠ انبساط سلطتهم في
 سورية واحتمال انهم لوديون اي من ولد لود عد ١١ تغلب الحثيين عليهم عد ٦٣

اخضاع توتمس الاول وتوتمس الثالث لهم عد ١١١

ريغات بن جومر بن يافت مساكن قبيلته عد ٤١

(ز)

الزجاج ايجاد الفونيقيين له ١٣٧

الزوزيم او الزوزيون من سكان سورية القدماء عد ٥٤

الزيب عد ١٠٨ استسلام اهلها الى سنحاريب ١٢٣

(س)

سابالت ملك الحثيين عد ٦٣

ساقى الاول ملك مصر وحر به مع العرب والسوريين واللبنانيين عد ٦٤

سام بن نوح وبنوه عد ٣٨ كلام مجمل في ابناؤه ومساكنهم عد ٤٢

السامر ما المراد به عد ٢٣

السامرة ومن بناها عد ٥ فتح سرغون الاشوري لها وجلاء اهلها عد ٧٥ و ١٢٢ حصار

سئناصر لها ١٢٢

السامريون اصلهم عد ٥٤

سبا بن كوش وذريته عد ٣٣

سبا بن يقطان ومساكن ذريته ٣٩

سبتا بن كوش وموطن ولده عد ٣٣

سئخ او سئخ معبود الحثيين واتصال عبادته الى مصر بواسطة الملوك الرعاة ٧٨

سرتبا سرفند عد ١٠٨

سردنيا حلول الفونيقيين فيها وشيء من تاريخها ١١٥

سرغون ملك اشور حروبه في سورية وفتح السامرة وصور ودمشق وتنكيله بملوك

فلسطين ويهوذا وادوم ومواب وضمه قبرس الى مملكته ومقتله ١٢٢

سفار عاصمة سبتا عد ٣٣

السكانديناف من هم عد ١٧

السلت من قبائل اوروبا القديمة منها الغال سكان افرنسة عد ٤٢

سئناصر الثالث وحروبه في سورية عد ٧٣

سئناصر الخامس وحروبه مع العبرانيين وحصاره صور عد ٧٥ و١٢٢

سئريس بن كوش وقتل اخيه كمييس له واخذ مجوسي اسمه ومحاولته الولاية فقتله

داريوس ١٣٠

سئحاريب ملك اشور ولايته وغزوته في سورية وافتتاحه صور ١٢٣ ونقش صورته على

معبئر الكلب ثم مقتله ابنيه له ١٢٤

سئغار ملك الحثيين وازلال اشور نيربال له عد ٧٢ حربه مع سئناصر الثالث عد ٧٣

سئكونيانون البيروتي وكتابه وترجمة فيليون الجبيلي له ١٤٤

سورية تخومها عد ١ جبالها عد ٢ انهرها عد ٣ بحيراتها عد ٤ مدنبا عد ٥ اسمها واصله

عد ٦ سكانها قبل الطوفان عد ٥٣ سكانها بعد الطوفان عد ٥٤ اخضاع توتمس الثالث

لها عد ٦٢ استسلامها الى ساتي الاول عد ٦٤ محاربة سمناصر الثالث ملوكها عد ٧٣ حماة
 رمان نيرار ملك اشور عليها وغزوة تجلت فلاصر الثاني لها وانقياد ملوكها اليه في ارباد
 عد ٧٤ و ١٢١ حالتها في عهد رمسيس الثاني نقلاً عن اخبار عامل مصري ١١١ غزوة
 سنخاريب لها ١٢٣ واسر حدون واشور بانيبال ١٢٤ و ١٢٥ غارة التتر عليها ١٢٥ خروج
 نكو ملك مصر عليها ١٢٦ استسلامها الى بختنصر ملك الكلدان ١٢٧ و ملوك الفرس ١٣٠
 كيف عرف اهلها الحرير ١٣٣ تقديمهم الضحايا البشرية ١٤٧

سويداس من هو عد ٢٣

سيميراميس امرأة نينوس ١٢٠

(ش)

شالف بن يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩ شبا بن رعمه بن كوش عد ٣٣

شبطون في جهة الحصن وايقاف رمسيس جنوده فيها عد ٦٥

شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة عد ١٥ وعد ١٧

شموليون كاشف اسرار الخطوط المصرية مولده ووفاته عد ٧

شمسة ملكة العرب وعقاب تجلت فلاصر لها ١٢١

شنعار اي ارض شععار وتاويل اسمها عد ٤٤

شيت بن آدم مولده وتسمية بنيه ابناء الله عد ١٩

شيشاق ملك مصر ودسائسه في سوربة عد ١١٨

(ص)

الصقالبة او السلاف منهم سكان روسيا والبشناق والسرب والبلغار والبولنيون عد ٤٢

صتلية الجزيرة حلول الفونيقين فيها وبناهم هناك مدناً وشي من تاريخها ١١٥

صميرا او سيميرا من مدن فونيقية موقعها عد ١٠٨

الصمريون من بني كنعان مساكنهم عد ٣٧

صو اول سكانها عد ٥ اداء ملكها الجزيرة الى اشور نزيربال عد ٧٢ خضوع ملكها حيرام

لتجت فلاصر الثاني عد ٧٤ فتح سرغون لها عد ٧٥ شيء من تاريخها عد ١٠٨ و ١١١
 اتخاذ الفونيقين لها عاصمة ١١٤ قدمها وموقعها القديم وشيء من تاريخها ثم استيجار
 اهلها ملاحين وحرساً من الاجانب ثم . مستعمرات الفونيقين في مدة سوددها ١١٥
 ملوكها حيرام الاول وابيدعل وحيرام الثاني واتفاقهم مع داود وسليمان ١١٦ و ١١٧
 غيرهم من ملوكها الى بناء قرطاجنة ١١٨ اخذ اشور نيربال الجزية من اهلها ١٢٠
 وكذا فعل ابنه سلناصر ١٢١ ارسال تجت فلاصر الثاني قائداً اليها وافتداء ملكها
 مياب ملكه بدراهم ثم . انتصار الصوريين على اسطول سلناصر الخامس ١٢٢ ومقاومتهم
 لسرغون واضطراره الى عقد عهدة صلح معهم وفصله مدن فونيقية عن صور وخسارتها
 بعض مستعمراتها في البحر المتوسط ثم . حصار سنحاريب وفتحه له ١٢٣ خضوع ملكها
 بعل لاسرحدون ١٢٤ عصيان ملكها بعل على اشور بانيبال وافتتاح هذا صور بعد
 حصارها سنين ١٢٥ التقاء ملكها نكو ملك مصر بالترحاب ١٢٦ حصار بختنصر لها ثلث
 عشرة سنة وفتحها واسره ايتوبعل ملكها وكثيراً من اعيان قومه ١٢٧ حالتها في عهد
 ملوك بابل بعد فتح بختنصر لها وذكر بعض ملوكها ١٢٩ ذلها لاسكندر الكبير ١٣٠
 تجارتها كما وصفها حزقيال النبي ١٣٢ معبوداتها المثلثة ١٤٦
 الصلت ارجع الى راموت جلعاد

صيدا اول سكانها عد ٥ ممالأة اهلها لرعمسيس الثاني عد ١١١ اداء ملكها الجزية الى
 اشور نيربال عد ٧٢ شيء من تاريخها ١٠٨ اختراع اهلها الملاحة ١٠٩ سوددها في
 الفونيقين ١١٠ و ١١١ وتقهقرها وسقوطها لوجود مبار لها في الملاحة ١١٢ تدمير
 الفلسطينيين لها ١١٣ بقاؤها على استقلالها لدى فتح يشوع بن نون ارض الموعد ١١٦
 اخذ اشور نيربال الجزية من اهلها ١٢٠ وكذا فعل ابنه سلناصر ١٢١ حملتهم على ارواد
 وفتحها ثم استسلامها الى سنحاريب عد ١٢٣ افتتاح اسرحدون لها في عهد ملكها
 عبد ملكوت وجلاء بعض سكانها الى اشور ١٢٤ اشترك ملكها بالمحافة مع ملك مصر على
 بختنصر ١٢٧ فتح الاسطول المصري لها ١٢٨ حصار ارتخشستا لها واحراق اهلها انفسهم

في بيوتهم ١٣٠ اكتشاف مدفن ملكها تبثت ١٤١ و ١٤٣
صيدون بكر كنعان وموطن ذريته عد ٣٧

(ط)

طبرية بحيرتها عد ٣

الطور جبل الطور موقعه عد ٢

الطوفان رواية الكتاب خبره عد ٢٥ أعاماً كان ام خاصاً عد ٢٦ هل ثبت علم
الجيولوجية حصوله عد ٢٧ آثار الاقدمين الدالة عليه عد ٢٨ مستقر السفينة بعده
عد ٢٩

(ع)

عابو بن شالح ونسبة العبرانيين اليه عد ٣٨ تيسير حروب الحثيين والمصريين امتلاك
العبرانيين ارض الموعد عد ٦٨ بيان سني عبوديتهم في مصر بسني الملوك الرعاة عد ٩٤
عاد احدي قبائل العرب البائدة من ولد عوص بن ارام عد ٤٠

العاصي نهر مصدره وموقعه عد ٢

عبودية بني اسرائيل في مصر وكما كانت سنوها عد ٩٤

العرب العارية والعرب البائدة والعرب المستقرية عد ٣٩

عراير عراير عد ٥

عرقا موقعها عد ١٠٨

العريقون من بني كنعان مساكنهم عد ٣٧

عزيز دورا اخباره ازدوبار عن الطوفان عد ٢٨

عفرين نهر منبعه ومصبه عد ٢

عكا اقدم سكانها عد ٥ و ١٠٨ استسلامها الى سنخاريب ١٢٣

عمرية موقعها عد ٥ و ١٠٨ المعبد الذي فيها ١٤٨

العمو وما المراد بهم عد ٥٩ وعد ١٠٢

العمونيون اصلهم ومساكنهم عد ٥٤ اشترك ملوكهم في المحالفة مع ملك مصر على

بمختصر ١٢٧

بنو عناق من قبائل سورية القدماء عد ٥٤ بناؤهم حبرون وتسميتها قرية اربع عد ٥٥

عناميم بن مصرائيم وذريته عد ٣٥

عوبال من بني يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩

عوص بن ارام ومسكن ذريته عد ٤٠

عيلام بن سام ومساكن ذريته عد ٣٨

(غ)

غزة اول من بناها عد ٥ اتصال تجلت فلاصر الثاني بغزوة اليها وفرار ملكها حنون الى

مصر ١٢١

(ف)

فتروسيم من ولد مصرائيم ومساكنهم عد ٣٥

الفردوس الارضي وموقعه عد ١٣ تقليدات القبائل بشأنه عد ١٤

الفرزيون ليسوا من عشائر الكنعانيين بل يراد بهم سكان القرى عد ١٠٤

الفرس دولتهم وحروبهم في مصر واكثر ملوكهم ١٣٠

الفلسطينيون اصلهم ومساكنهم عد ٣٥ وعد ٥٤ اشتداد ساعدهم ومضايقتهم بني

اسرائيل وتدميرهم صيدا ١١٣

فيشون احد الانهر التي تسقى الفردوس عد ١٣

فيلون الجبيلي وترجمته كتاب سنكوتيانون ١٤٤

الفوطيون بنو فوط مساكنهم عد ٣٢ وعد ٣٦

فونيتي اسمها عد ١٠٦ تخومها عد ١٠٧ مدينها عد ١٠٨ اختراعهم الملاحة عد ١٠٩

مستعمراتهم في مدة سوؤد صيدا جالياتهم في قبرس ورودس وغيرهما من جزر الارخبيل

وعبورهم الى البحر الاسود وجنوبي جبل قاف ١١٠ محالهم التجارية في شطوط الابير

وجنوبي ايطاليا وفي صقلية مصر وقرطاجنة وبلاد العرب والكلدان وارمينية ثم حالمهم السياسية على عهد سوؤد صيدا ١١١ مسالمتهم لفراعة مصر موثرين راحتهم ونجاح تجارتهم على الحرب ثم قيامهم على اسطول مصر البحري ١١٢ تسطي البلاسج عليهم واضطرارهم الى ترك اكثر مستعمراتهم في بحر الروم والى انقطاعهم عن السفر الى البحر الاسود ١١٣ مضايقة بني اسرائيل والفلسطين لهم ثم جعلهم صور عاصمة لهم وانضمامهم اليها ١١٤ توثق عرى اتحادهم ثم مستعمراتهم في مدة سوؤد صور في افريقيا واسبانيا ومالطة وصقلية وسردينيا وايطاليا ومراكش وغيرها ١١٥ ما كانوا يستجلبونه من اسبانيا خاصة الفضة وكثرتها ثم دوران سفنهم حول قارة افريقيا ثم اتفاهم مع بني اسرائيل ١١٦ ما كان بين حيرام الثاني وسليمان ١١٧ تزوج سليمان بابنة حيرام واحاب بايزبال ابنة ايتوبعل ونفوذ مملكة صور في مملكتي بني اسرائيل . ثم ملوك صور الى بناء قرطاجنة ١١٨ اول من غزا فونيقيني من الاشوريين ١٢٠ هل غزاها تجلت فالاصر الاول . ثم حملات اشور نيربال عليها . ثم غزوات سلمناصر الثالث لها واستسلامها اليه ١٢١ خسارة الفونيقيين بعض املاكهم في جزر الارخبيل اخذها منهم الدوريون اليونان ثم غارة راما نيربال الثالث عليها ثم استحواذ سلمناصر الخامس عليها ١٢٢ استسلام مدنها الى سنخاريب عدا صور ١٢٣ حملة اسرحدون عليها وخضوع ملوكها له ١٢٤ خضوعهم لابنه اشور بانيبال ثم عصيانهم عليه وقهره لهم ١٢٥ خضوعهم طوعاً لئكو ملك مصر وتواصل جالياتهم في اورو با ١٢٦ . استسلامهم الى بختنصر اولاً ثم محاققتهم ملك مصر عليه وحصاره صور ١٣ سنة وتدميرها ١٢٧ محاربة اسطولهم المصري في امواه قبرس ١٢٨ حالتهم مع ملوك القرس وخضوع حيرام الرابع لكورش ١٣٠ انقيادهم وانجادهم لكسيس ابنه وخلافهم له في غزوة قرطاجنة . ثم استمرارهم على الطاعة لداريوس و اباؤهم الاشتراك في الثورة عليه . ثم ما كان لهم مع باقي ملوك القرس . ثم حملة ارتخشستا عليهم وحصاره صيدا ثم . ولاية اليونان على فونيقيني ثم فهرس ملوك فونيقيني ١٣١ تجارة فونيقيني ١٣٢ تجارتها في اسيا بفروعها الثلاثة ١٣٣ تسيار سفنهم في بحر الهند ومواد تجارتهم

في تلك الانحاء ثم تجارتهم في افريقية ١٣٤ جالاتهم على ساحل الاتلتيك ثم تجارتهم في اوربا ١٣٥ اقرار الاوريين بفضلهم بايصال الحضارة والتمدن الى بلادهم . ثم صناعة الفونيقيين في البرفير ١٣٦ صنعهم الزجاج واهتداؤهم اليه ١٣٧ اصطناعهم الآنية الخزفية والمعدنية خاصة النحاس الاصفر والحلي والعاج ١٣٨ خمرهم وآلات الحراثة عندهم وتقديدهم الاسماك ومزية ابنتهم ثم ايجادهم الكتابة بالحروف واخذ حروفهم عن العلامات الميروكليفية ١٣٩ حروف كتابتهم اصل للحروف في كل اللغات وتقسيم كتابة هذه اللغات الى طوائف ١٤٠ ما طرأ من التغيير على الحروف الفونيقية ١٤١ لغة الفونيقيين سامية واما هم فحاميون ١٤٢ آثارهم وندرتها والسبب في ذلك ١٤٣ علومهم ١٤٤ ديانتهم ١٤٥ عبادتهم نوع من الثالث . ثم ذبايحهم عد ١٤٧ كهناتهم وهياكلهم ١٤٨ آثار ابنتهم ١٤٩ ندورها وسببه وقلة استعمالهم عقد الابنية . ثم مدافنهم وما كانوا يضعون فيها ١٥٠ اصنامهم . ثم لغتهم وفروعها ٤٩

(ق)

قادس مدينة الحثيين عد ٥٦ موقعها وصورها في آثار مصر والمدن الاخرى المسماة باسمها عد ٦٠ افتتاح تومس الثالث لها مرتين عد ٦٢ حصار ساتي الاول وافتتاحه لها وردها بمهدة الصلح على الحثيين عد ٦٤ محاربة رعمسيس الثاني للحثيين على اسوارها عد ٦٥ هجر الحثيين لها عد ٦٩

قادس في اسبانيا بناء الفونيقيين لها عد ١١٥

قاين بن آدم مولده وقتله اخاه عد ١٨ ذريته عد ٢٠

قبرس سكانها يونان او حثيون عد ٤١ وعد ٤٨ اسمها في الآثار الاشورية عد ٨٤ رأي الاب دي كارا في اصل سكانها الاولين انهم حثيون عد ٨٥ و ١١٠ شيء من تاريخها ١١٠ الحروف التي استعملت فيها الى ايام اسكندر ربما كانت الحروف الحثية ٧٦ خضوع ملوكها لاسرحدون ١٢٤ استيلاء اليونان عليها في مدة ولاية القرس ١٣٠ الآثار التي وجدت فيها ١٤٣

قدموس ارتحالاه الى بلاد اليونان ووضعه الحروف لاهلها ووقت هذا الارتحال عد ٨٧
 ولايته وولاية بعض اعقابه في تاب من بلاد اليونان عد ١٠٥
 قرطاجنة بناها عد ١١٩
 قلموس القلمون عد ١٠٩
 قويق نهر حلب منبعه ومصبه عد ٢
 قينان بن انوش عد ٢١

(ك)

تكوين الكائنات عد ١٠ اثبات ابداع الله لها بالآثار القديمة عد ١٢
 كاتون القديم كاتب روماني في القرن ٣ ق م عد ١١٩
 كاسيوس طالع كلمة الاقرع
 كالح مدينة نمرود وموقعها وبعض تاريخها عد ٣٤ كاور قلعة سي (قلعة الكفار) في
 انحاء انقوره الآثار الحثية فيها عد ٨٢
 الكبير النهر الكبير منبعه ومصبه عد ٢
 كبيريم اي الآلهة الكبار وعددها عند الفونيقيين ١٤٦
 الكتابة بالصور وانواعها عد ٥١ الكتابة بالحروف وايجاد الفونيقيين لها عد ٥٢ و ١٣٥
 كسيم بن يوان بن يافت ومسكن ذريته عد ٤١ و ٨٤
 كركميش موقعها في محل ايرابوليس الان عد ٥ و ٧١ وجعلها مركزاً لدولة الحثيين بعد
 هجر قادس عد ٦٩ عدم افتتاح تجلت فلاصر لها عد ٧٠ افتتاح سرغون لها وبنائه فيها
 صرحاً وكذا افتتاحها سلمناصر عد ٧١ جلاء سرغون اهلها واقامة اشوريين فيها
 وحا كما اشورياً عد ٧٥ صعود نكو ملك مصر لقتالها ثمه
 الكرمل جبل موقعه عد ٢
 كسلوحيمن من ولد مصرائيم ومساكنهم عد ٣٥
 كفتوريم او الكفتوريون يراد بهم سكان جزيرة كريت عد ٣٥

نهر الكلب منبعه ومصبه عد ٢

كلنه مدينة نمرود وموقعها عد ٤

الكلدان قرصهم دولة الاشوريين وولايتهم مكانهم ١٢٦ حربهم مع نكو ملك مصر

في سورية ١٢٧ آخر ملوكهم وانتصار الفرس عليهم وافتتاح بابل ١٣٠

كميس بن قورش ملك الفرس خلافته لايه وولايته على مصر والصعيد وحملته على

الجبشة وموته ١٣٠

كنعان بن حام سبب لعن نوح له بدلاً من حام عد ٣٠ ابناؤه ومساكن كل منهم

عد ٣٧

الكنعانيون مساكنهم عد ٣٢ وعد ٥٤ اصلهم ومهاجرهم الاولى وداعي ارتحالهم الى سورية

عد ١٠١ زمان ارتحالهم الى سورية عد ١٠٢ المحال التي توطنوها في سورية عد ١٠٣

حالة مما لكهم لاسيا مع المصريين بعد طرد الرعاة عد ١٠٤ تشتتهم في عهد يشوع بن

نون وجالياتهم في بلاد اليونان وافريقية عد ١٠٥

كورش وافتتاحه بابل وخضوع المدن القونيقية له وموته عد ١٣٠

كوش المراد بهذا الاسم عد ١٣ مساكن الكوشيين عد ٣٣ و ٣٤ ابنا كوش هناك

كبير مواب الكرك عد ٥

الدولة الكينية عد ٨

كيتاسار ملك الحثيين عد ٦٥ عهدة الصلح بينه وبين رعمسيس الثاني عد ٦٦

كي خسرو الاول ملك الفرس وغيره ممن سماوا بهذا الاسم في دولة الفرس ١٣٠

(ل)

لامك من ذرية قاين عد ٢٠

لامك بن متوشلح عد ٢١

اللاتين من قبائل اوربا القديمة منهم بعض الفرنسيين وسكان ايطاليا وغيرها عد ٤٢

لبنان الغربي والشرقي عد ٢ فتح توتمس الثالث قسمه الشمالي وتقديم اللبنانيين جزيتهم له

ثم خروجهم عن طاعته وتكيله بهم عد ٦٢ حرب ساتي الاول لهم واخضاعهم وقطعهم
 اخشاب الارز لا بنيته عد ٦٤ استيلاء اشور نيربال على لبنان وانه اكب على الصيد فيه
 عد ٧٢ و ١٢٠ اخشاب الارز التي قطعها حيرام لسليمان ومن اية ناحية كانت ١١٧ ذكر
 هذه الاخشاب بين الجزيات التي افترضها تجلت فلاصر الاول على البلاد التي فتحها
 ١٢٠ عبادة ادونيس فيه ١٤٦

اللغة الاولى ورأي الآباء والعلماء فيها عد ٤٦ بلبتها في بابل عد ٤٧
 اللغات القديمة وما تعاقب عليها من الادوار عد ٤٦ علم معارضة اللغات عد ٤٨ رد
 اللغات القديمة الى اصليين السامي او السرياني العربي وفروعه والسنسكريت وردها
 الى اصليين الهندي الايراني والهندي الاوربي وفروع هذين الاصليين عد ٥٠ ادخال
 المصريين في لغتهم بعض الفاظ من فروع اللغة السريانية عد ٦٧
 اللكام جبل موقعه عد ٢ احتلال الحثيين فيه عد ٥٩ خضوعه لتجلت فلاصر الاول
 عد ٧٠ تدويخ اشور نيربال لاهله عد ٧٢ ما فرضه سلتناصر جزية عليهم عد ٧٣
 لهايم بن مصرائيم ومساكن ذريته عد ٣٥
 لود بن سام ومساكن ذريته عد ٣٨ هو اخو ارام لا ابنه ولا يبعد ان يكون اصل
 الروثانو عد ٤٠

لوديم بن مصرائيم وذريته عد ٣٥
 لوزافي بيت ايل ولوزافي ارض الحثيين عد ٥٦
 ليديا وتخومها ومساكنها عد ٣٥
 الليطاني نهر منبعه ومصبه عد ٢

(م)

ماجوج بن يافت ومساكن ذريته عد ٤١
 ماداي بن يافت ومساكن قبيلته الماديين عد ٤١
 المادة يستحيل ان تكون ازلية عد ٩

- ماش بن ارام ومقام ذريته عد ٤٠
 ماشك بن يافت ومواطن ذريته عد ٤١
 مالطة احتلال القونيين فيها ١١٥
 متوشلح بن اخنوخ عد ٢١
 مجدو (اللجون) موقعها عد ٥ محاربة تومس الثالث جحافل ملوك سورية فيها عد ٦٢
 المدنيون اصلهم ومساكنهم عد ٥٤
 المرج بحيرة المرج عد ٣
 مرعش الآثار الحثية فيها عد ٨٢
 الحطوط المسمارية ومن كشف اسرارها عد ٨
 مصرائيم بن حام واعقابه عد ٣٥
 نهر المقطع مخرجه ومصبه عد ٢
 المكتبة الملكية القديمة في نينوى عد ٨
 ملكرت هيكله في صور وما كان فيه ١٠٢ و ١٤٨
 منبج في انحاء حلب وهيكل الالهة الام فيها ٧٨
 منجم ملك السامرة خضوعه لتجلت فلاصر عد ٧٤
 منفتح فرعون الخروج خلافته لايه رعمسيس وارساله مؤنات للحيثيين عد ٦٦
 مهلائيل بن قينان عد ٢١
 الموايون اصلهم ومساكنهم عد ٥٤ تكييل سرغون بهم ١٢٢ استسلامهم الى سنخاريب
 ١٢٣ خضوع ملكهم موصوري لاسر حدون ١٢٤ اشتراك ملكهم بجالفة ملك مصر على
 بختنصر ١٢٧
 موتنار ملك الحثيين وعهدة الصلح مع ساتي الاول عد ٦٤ محاربه رعمسيس الثاني عد ٦٥
 قتله غيلة ثمة
 ميشا عند مصب الفرات عد ٣٩

(ن)

النبات خلق الله له واحتياجه الى النور عد ١٠
الانساب التي ذكرها موسى واهميتها عد ٣١ وهل تعم البشر كلهم والظاهر انه ذكر
انساب النوع الابيض فقط عد ٣٢
نهر النعمان مصدره ومصبه عد ٢
نفتوحيم بن مصرايم عد ٣٥
نكو ملك مصر مقاومته الاشوريين في مصر ١٢٥ غزوته سورية في اثر انقراضهم ١٢٦
نرود بن كوش عد ٣٤ المدن التي وليها او بناها ثمه . بناؤه نينوى عد ٣٤
نفسيو في انحاء ازميز والتمثال الحي فيها عد ٨٠
نوح مولده وابناؤه عد ٢١ صنعه القلك ونجاته من الطوفان عد ٢٥ تتمة اخباره بعد
الطوفان عد ٣٠
نود ارض شرقي عدن عد ١٨
نينوى من بناها وبعض تاريخها وموقعها عد ٣٤ حصارها وسقوطها ١٢٦ الكشف عن
اخربتها ثمه
نينوس حقيقة امره وعصره ١٢٠

(ه)

هاويل بن آدم مولده وتاويل اسمه ومقتله عد ١٨
هدد اي ابن هدد ملك دمشق انتصار سلتناصر الثالث عليه ولحاقه في البحر ١٢١
هدورام بن يقطان ومساكن ذريته عد ٣٩
هوشع ملك اسرائيل استنجاده بشباك ملك مصر على سلناصر الخامس الاشوري ١٢٢
الخطوط الهيروكلية ومن كشف عن كنوزها وانواعها عد ٧

(و)

الوثنية واحدة عند الفونيقين وغيرهم ١٤٥ و ١٤٧

وجه الحجر في جانب البترون عد ١٠٨

(ي)

اليابوسيون من ولد كنعان ومسا كنهم عد ٣٧

يارح بن يقطان ومسا كن ذريته عد ٣٩

يارد بن مهلائيل عد ٢١

يافت بن نوح وابناؤه ومسا كنهم عد ٤١ كلام مجمل في ابناؤه ومسا كنهم عد ٤٢

ياذيلي كايا في اسيا الصغرى آثار الحسين فيها عد ٨١

ياوان بن يافت ومسا كن ذريته اليونان عد ٤١ عد ٨٤

يقطان او قحطان جد العرب العاربة وولده ومسا كنهم عد ٣٩

يوباب من بني يقطان ومسا كن ذريته ٣٩

اليوم ما المراد به في ايام خلق العالم عد ٩

اليونان اقوال العلماء في سكان بلادهم القدماء عد ٨٤ رأي الاب دي كارا ان اصلهم

حثيون عد ٨٦ اخذهم كثيراً في صناعتهم عن الحسين ٧٧






بس 
بت 

قا 
قو 
قوت 

پا 
پا 
په 
پک 
پق او پچ 
پد او پت 

ما 
ما 
مع 
مو 
من 
مر 
مخ 
مس 
مت 

نو 
نپ 
نو 
نم 
نن 
نر 
نح 

نس 
نت 
نش 

رر 
رح 
رس 
رداورت 

ه 
ه 


حاء 
حع 
حو 
حب 
حپ 
حم 
حن 
حر 
حج 
حس 
حق 
حت 

ک 
کا 
کع 
کا 
کپ 
کم 
کن 

کم 
کن 
کر 
کر 

س 
سا 
سو 
سب 
سپ 
سم 
سن 
سر 
سه 
سه 
سه 
سه 
سه 

ش 
شا 
شو 
شن 
شف 
شپ 
شر 
شس 
شستپ 

خ 
خب 
خپ 
خم 
خن 
خس 